الموسوعة العسكرية الإسرائيلية ٦

سلاح الدروع



تأليف : آريه حشافيا

ترجمة : أحمد بركات العجرمي

دار الجليل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية

الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦)

سلاح الدروع

٣٥٥,٠٣٣ع٥٣٢٢٢
حشا حشافيا، اريبه
سلاح الدروع / اريبه حشافيا، ترجمة أحمد بركات العجرمي.ـ
عمان : دار الجليل، ١٩٩١.ـ (الموسوعة العسكرية الاسرائيلية، ٦).
(٣٦٨) ص
ر.أ(١٩٩١/٩/٤٦٠)
١ ـ اسرائيل ـ التاريخ الحربي أ. احمد بركات العجرمي، مترجم ب. العنوان جـ. السلسلة
(تمت الفهرسة بمعرفة المكتبة الوطنية)

رقم الاجازة المتسلسل: ١٩٩١/٩/٤٢٤
رقم الايداع لدى مديرية المكتبات والوثائق الوطنية ١٩٩١/٩/٤٦٠

تصميم الغلاف : خضر نعيم

الطبعة الأولى
١٩٩٢

دار الجليل للنشر
والدراسات والابحاث الفلسطينية ـ عمان
ص.ب ٨٩٧٢ ـ تلفون ٦٦٧٦٢٧

الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٦)

المستشار الرئيس: الجنرال [الاحتياط] مردخاي «موطي» غور

المحررون: يعقوب ايرز ، ايلان كفير

المحرر المسؤول: يهودا شيف

سلاح الدروع

تأليف: اريبه حشافيا

ترجمة: احمد بركات العجرمي



اصدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية

عمان ـ ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧ ـ ٦٧٥٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١ ـ فاكسميلي ٦٨٣٦٦٨

The Israeli Military Encyclopedia (6)

Chief Advisor : General Mrdakhai (Muti) Gur

Editors : Jakob Erez and Elan Kfeer

Chief Editor : Yhuda Shief

Armoured Corps

By :

Area Hashafia

Translated By :

Ahmed Barakat Al - Ajrami

First Eddition

1992

Published By :

DAR EL-JALEEL

For Publishing and Palestinian

Research And Studies - AMMAN

Tel. 667627 P.O.Box 8972

Telex 23031 Fax. 683668

المحتويات

تقـديـم:

إذا كانت التكنـولوجيـا، سمة العصر، فهي الأكثر بروزاً في ميدان السلاح، ذلك أن عالمـاً تتنـاوشه الصراعات المصلحية المبنية على الاستقطاب، والظفر بخيراته، لا بد وأن يشهد تسابقاً محموماً على امتلاك أدوات القتل والتدمير.

وفي ظل تفرّد رأس واحدة، بالهيمنة على العالم، بعد انهيار النظام الشيوعي، ممثلًا بالاتحاد السوفياتي، وسعي حثيث نحو تقليص الأسلحة الاستراتيجية، فإن ذلك لا يعني، أن العالم قد أخذ يتجه نحو السلام، فتلك حالة مؤقتة، فيما نعتقد، لن تدوم طويـلًا إذ سرعـان ما سنشهـد قوة أخـرى، تطلّ من بين الأنقاض، لتبقي على حالة من التوازن.

ومثلمـا تسعى الولايـات المتحدة إلى جعل العالم أداة طيّعة بين يديها فإن اسرائيل لا تنفكّ تسير في هذا الاتجاه على الصعيد الاقليمي، وهي لذلك، تحشد في ترساناتها مختلف أنواع الأسلحة، تحت ذريعة، انها الدولة الديمقراطية الصغيرة، المحاطة بسيل من الدكتاتوريات العربية المتربصة بها.

من هنا، لم تترك قيادة العسكر الاسرائيلية، مجالًا لابتكار، أو سرقة التكنولوجيا، إلا وولغت فيه، وصولًا إلى مركز تسليحي متقدم.

نسـوق هذا الحـديث، ونحن نقدّم، للكتاب السادس من سلسلة «الموسوعة العسكـريـة الاسرائيلية»، الذي يتحدث عن «سلاح الدروع»، وهو السلاح الأكثر أهميـة، في أسلحـة أي جيش، ذلك أنـه الذي يحسم الحرب، على أرض الواقع، فحتى الدول التي تمتلك أسلحـة الدمـار الشامل، لا تستطيع تحقيق النصر، إلا على الأرض بعد أن تكون قد قدمت له، مختلف أنواع الاسناد.

وكمـا هي العـادة، في كتب السلسلة، يسعى كتاب "سلاح الدروع"، إلى إظهار عنصر النـوع اليهـودي المتميـز، ثم ما يفتأ أن يدمج مع هذا العنصر، عنصراً آخر، هو نوع التسليح، الذي تم تطويره بأيدٍ اسرائيلية.

نحن لا نستهين بقدرة الجيش الاسرائيلي، وسلاح الدروع منه بخاصة، بيد أننـا، وقـد اعتـدنا التهليل الاسرائيلي للنوع المتميز، لا بد وأن نشير إلى التهويل المصـطنع، الذي دأب قادة اسرائيل على محاولة تثبيته، وكأنه حقيقة لا يرقى إليها الشـك، وتحضرنا في هذا السياق، معركة الكرامة، التي انتهت إلى فشل سلاح الدروع الاسرائيلي.

وثمة حقيقة أخرى لا بد من إضافتها هنا، وهي أن المصانع الاسرائيلية، المتخصصة بالسلاح، تبذل قصارى جهدها، لتصفيح مدرعاتها، بشكل يقي جنود طواقمها، الذين اشتهروا بالجبن، ولا نحسب اننا بحاجة إلى سرد وقائع بعينها، فوادي التفاح في نابلس، وسيناء شاهدان حيّان على ما نذهب إليه.

"سلاح الدروع" كغيره من الكتب، يغصّ بالتهويل، الذي يضمن أقل قدر ممكن من رباطة جأش الجندي الاسرائيلي، فقد تم إعداده خصيصاً للجيش، ولا نرى فيه مسلمات، بل ضرباً من الاعلام العسكري، الذي يدخل في قنوات الحرب النفسية، ذات الأهمية القصوى، في إدارة الحروب.

ومع ذلك، فإن الكتاب يسرد تاريخ هذا السلاح الحيوي، الذي تعرّض لمراحل تطويرية مهمّة، جعلته من أحدث أسلحة الدروع في العالم، والكتاب، إلى ذلك، ذخر علمي، يمكن للعسكريين والمختصين الاستراتيجيين العرب، أن يقلبوا صفحاته بإمعان، ليخرجوا من بين سطوره، ولو نزراً يسيراً مما ينفعهم، فلعلهم يوظفونه في خدمة جيوش العرب، التي ستخوض معركة الخلاص والحرية، طال الزمان أم قصر.

والله الموفق ؟

أسرة دار الجليل

مقدمة

عندما وصل العقيد أوري روم، قائد اللواء المدرع، الى رأس التلة التي استولى عليها لتوه قائد الكتيبة «رفول» تكشفت الى الاسفل منه صورة كئيبة: الوادي الذي يفصل بينه وبين القوة الاردنية كان مغلقا بالأسلاك الشائكة وبصفائح الباطون المضادة للدبابات. ولم تكن هناك امكانية للانتشار أو الالتفاف على محور الطريق، الذي كان يشكل محور التقدم الوحيد من التلة التي وقفت عليها الدبابات الصغيرة من نوع «اماكس ١٣» التي كانت تحت قيادته، نحو دبابات «الباتون» الاردنية التي تم اخفاء معظمها جيدا في البساتين الواقعة في الطرف البعيد من الوادي. وقد مكن ضوء النهار الاردنيين من ان يروا كل حركة وكل تحرك للدروع الاسرائيلية، ولم تستطع المدافع المساندة للواء، والتي يقودها حاييم يركوني، اسكات الدروع الاردنية وتمكين الدروع الاسرائيلية من التقدم الآمن نحو الوادي.

لقد طرأ ما هو بمثابة جمود في جبهة وادي الزبابدة. وكان العقيد روم يسيطر على جانب من الوادي ولم يمكن الاردنيين من ارسال قوات الى غور دوتان، حيث دارت معركة حامية الوطيس بين لواء الدروع الذي يقوده المقدم موشه باركوخبا (بريل) وبين قوات دروع اردنية معززة بقوات من المشاة والمدفعية. واما الاردنيون فلم يمكنوا قوة الدروع بقيادة اوري من اجتياز الوادي والصعود نحو نابلس، المدينة الجبلية، والتي يستطيع من يستولي عليها ان يسيطر على المنطقة كلها. ودرس اوري الوضع مع ضباطه وتوصل الى نتيجتين: من المعتقد ان الاردنيين لا يعرفون حجم القوة الاسرائيلية المرابطة خلف التلة أو مم تتكون. ومن المعتقد ايضا انه اذا لم تشن الدروع الاسرائيلية هجوما في وضح النهار، فان الاردنيين قد يقدرون بأن القائد الاسرائيلي غير مستعد للهجوم، مؤقتا، وربما يبدأ الهجوم مع الفجر.

في ساعات المساء ظهرت ٦ طائرات نفاثة اسرائيلية وامطرت الجزء الجنوبي من الوادي بوابل من النيران. وفي الوقت الذي كانت تهاجم فيه الطائرات، بدأت المدفعية بقصف قوات العدو. وقد اطلقت المدفعية قذائف انارة، اما دبابات اماكس ١٣ السريعة فقد تقدمت بسرعة نحو الوادي. وخلال وقت قصير وصلت الدبابات

الاسرائيلية الى الدبابات الاردنية، ولم تكن معظم طواقم الدبابات الاردنية آنذاك في دباباتهم، ولكن في هذه الاثناء قصر المدى جدا، وبدأت الدبابات الصغيرة من نوع اماكس ١٣ بتدمير دبابات باتون التي تتفوق عليها واحدة بعد اخرى. وقد تم تدمير عدد من الدبابات الاردنية من مسافة تتراوح بين ١٥ ـ ٢٠ مترا فقط!

في نهاية المعركة اصبح غور الزبابدة بأيدي الجيش الاسرائيلي. وقد دمرت في المعركة اكثر من ٣٥ دبابة باتون اردنية، وقد اصيبت ١٦ منها بقذائف لواء الاحتياط الذي يقوده العقيد اوري روم.

لقد كانت معركة الدروع في غور الزبابدة ومعارك الدروع الأخرى في حرب الايام الستة، مؤشرا هاما على طريق سلاح الدروع الاسرائيلي، الذي ولد في حرب (الاستقلال) [١٩٤٧ ـ ١٩٤٩]، وتطور من سلاح الى سلاح ووصل في حرب (يوم الغفران) [١٩٧٣] الى مسافة حوالي ١٠٠كم من القاهرة والى حوالي ٤٥كم من دمشق ـ وما زال يتطور باستمرار.

المؤلف

الفصل الأول

حرب «الاستقلال»

(الطلقات الأولى)

في مســاء يوم السبت، التاسع والعشرين من تشرين ثان ١٩٤٧، صادقت الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة بأغلبية ثلثي الاصوات على مشروع تقسيم (أرض اسرائيل) "فلسطين". ونص هذا المشروع على اقامة دولتين احداهما عربية، والاخرى يهودية، وذلك في الضفة الغربية لنهر الاردن ـ بين النهر والبحر الابيض.

وقد استقبل الاستيطان اليهودي مشروع التقسيم بموجة من الفرح. وقد استمرت الفرحة في الاستيطان اليهودي طيلة تلك الليلة، ولكن في صباح اليوم التالي تحولت دموع الفرح الى دموع ألم. ففي صباح الثلاثين من تشرين ثان اطلقت النار على سيارة باص يهودية، كانت في طريقها من نتانيا الى القدس. فقتل خمسة من اليهود وجرح آخرون. واندلعت حرب بين السكان العرب في (ارض اسرائيل) الذين كان عددهم يبلغ ١,٢ مليون نسمة، وبين السكان اليهود، الذين كان عددهم يبلغ حوالي ٦٥٠,٠٠٠ نسمة.

لقــد كانت العيارات الاولى التي اطلقت على سيارة الباص رمزية، اذ ان (الحرب على الطرق) ميزت المرحلة الاولى من حرب (الاستقلال)، وقد حاول العرب فرض حصار على مستوطنات نائية، وتطويقها ومهاجمتها، بقصد احتلالها. ومن اجل اختراق الحصار طور الاستيطان اليهودي اسلوب القوافل، فلم تُكن هناك مستوطنة محاصرة الا وجرت محاولة لارسال قافلة امداد اليها. وقد بلغت حرب الطرق ذروتها في شهر آذار ١٩٤٨ الذي سقط فيه حوالي ٣٠٠ محارب يهودي في جميع الجبهات ـ وكان معظمهم يقوم بحراسة القوافل. وفي ذلك الشهر ازداد عدد المستوطنات اليهودية التي كانت معزولة. وفي الاسبوع الاخير من شهر آذار ١٩٤٨ حوصرت ثلاث قوافل كبيرة واصيبت بأضرار خطيرة.

وفي «كارثة القوافل الثلاث» سقط ٧٢ محاربا وجرح ١٥٠ آخرون. والتهمت النيران العشرات من المصفحات كما ان بعضها سقط بأيدي العرب. ويمكن اجمال حرب القــوافل بالجملة الفرنسية المعروفة: «هذا سيثير الانفعال ولكن هذا ليس

حربا». في الواقع تم استخدام سيارات مصفحة، ولكن ما جرى لم يكن حرب دروع، وحرب حركة وتطويقات، واختراقات، وتصفية العدو بقوة الزخم والصدمة والنار. وقد كانت الحاجة تدعو الى تفكير جيد في مجال التنظيم والتسليح وهذا ما تم خلال معارك حرب (الاستقلال).

خدمة المصفحات

في الرابع والعشرين من شباط ١٩٤٨ اقيمت خدمة المصفحات، التي تحولت مع مرور الزمن الى قوات وسلاح. وقد قاد خدمة المصفحات العميد اسحق ساديه. وفي الخامس عشر من آذار من نفس العام قرر رئيس الاركان ان: وحدات الآليات المصفحة ستقام من بين وحدات «البالماح».

وكانت لذلك أسباب موضوعية وشخصية: لقد كان اسحق ساديه الشخص الذي اقام وحدات البالماح وكان يؤمن بخاصية وقدرة رجالها المميزة. وبالفعل فقد كانوا الاكثر قدرة للعمل في تلك الايام في الوحدات المدرعة، لأن المدرعات كانت تسير على الطرق وتقتحم الحواجز وتهاجم الكمائن، وترافق القوافل الحيوية للمستوطنات المجاورة. فكلما اصطدمت آلية مصفحة بالعدو، كان على ركابها ان يخرجوا من داخلها لصد الهجوم. ولهذا فان رجال البالماح الذين كانوا رجال كوماندو فعلا، كانوا مناسبين جدا لهذا النوع من الحرب.

في ١١ نيسان قررت رئاسة الاركان (بناء سيارات مصفحة) ولهذا الاجراء تقرر نظام عمل اركان بين خدمة المصفحات وبين شعبة الدروع في مصلحة المواصلات. وتقرر ان تكون خدمة المصفحات مسؤولة عن تحديد صورة ونوع السيارات المصفحة والسيارات المقاتلة المصفحة. وتقرر ان تقوم شعبة الدروع في مصلحة المواصلات ببلورة السيارات المطلوبة، وان تبنى وتزود الآليات المصفحة التي تتطلبها خدمة المصفحات.

هكذا صفّحت السيارات

في أحداث ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ جرت محاولات لتصفيح الآليات التي كانت تسير على الطرق التي يحتمل ان تتعرض فيها للهجمات العربية. وكان احد مصممي التصفيح، في تلك الفترة الصعبة يدعى «سفروت اركادي» وهو طلائعي يهودي روسي

واء تجارب في التصفيح في الجيش الاحمر وفيما بعد ألّف كتاب: (الدبابة ـ سلاح الهجوم). اما عملية التصفيح فقد نفذتها عدة مشاغل اكتسبت خبرة في انتاج صناديق فولاذية.

كانت معظم السيارات التي صفّحت في ذلك الوقت من الشاحنات. وتم تصفيح غرفة السائق بلوحين من الفولاذ يفصلهما لوح من الخشب. وتم تصفيح المبرد بشبكة حديد. وعندما اتسعت اعتداءات العرب على حركة المواصلات اليهودية، تم تصفيح غرف محركات الشاحنات والباصات وارضيتها (ضد الالغام) وتم تعزيز جوانب غرف الحمولة، التي كانت تضم المدافعين المسلحين ولكن كلما اصبحت عملية التصفيح أكثر تطورا، كلما اصبحت الآلية ثقيلة أكثر وكلما أصبحت حركتها بطيئة وقلت قدرة حملها.

وقد صفحت الباصات بألواح فولاذية مزدوجة وبها عدة نوافذ مغطاة بشباك. وعززت سطوحها بألواح فولاذية وركبت على العجلات حمايات فولاذية سميكة. وصفحت غرفة المحرك وغرفة السائق بشكل خاص. وقد تم تصفيح الشاحنات ٤×٤ من انتاج فورد وشفروليت على النحو التالي: غرفة السائق عززت بصفائح فولاذية سمكها ٨,٥ملم، واما الصندوق فقد صفح بصفائح اطلق عليها اسم سندويش (رغيف)، فقد تم تصفيح كل جانب بلوحين من الفولاذ بسماكة ٥ملم لكل لوح وبينهما لوح من الخشب تبلغ سماكته ١,٢إنش. وقد بلغ وزن هذا النوع من التصفيح ١,٥طن اي نصفَ حمولة الآلية. وهذا التصفيح كان منيعا ضد الرماية من الأسلحة الخفيفة ولكن سطح الآلية كان معرضا للاختراق ليس فقط من العيارات النارية التي كانت تطلق من اعالي الجبال وانما من القنابل اليدوية والحجارة. والاسوأ من ذلك، فقد تعذر على المدافعين ان يطبقوا اسلوب الدفاع الفعال. فالآلية المصفحة كانت عبارة عن قلعة متحركة. وكان لا بد من الخروج من داخلها من اجل اسكات الكمين العربي وعندها كانت تلغى اهمية التصفيح. واما الصلة بين الجالسين في غرفة السائق والجالسين في غرفة الحمولة كانت غير ممكنة. وكان مركز ثقل الآلية عاليا جدا وكان يؤثر على توازن الآلية وقدرتها على المناورة التي كانت حيوية اثناء القيام بمحاولة اقتحام كمين والمرور عبره.

فشل أسلوب القوافل

الآليات المدرعة في تلك الفترة لم يكن لها ما يشكل «سلاح دروع». وكانت الآليات مسؤولة عن حماية محاور الطرق، وتعلم العرب تدريجيا كيف يضربون القوافل وقد أخذت ضرباتهم تزداد خطورة. في البداية كانوا يطلقون النار فقط على الآليات اليهودية. وبعد ذلك بدأوا باغلاق الطرق بحواجز الحجارة. وكان مرافقو الآليات ينزلون منها تحت غطاء الرماية ويزيلون الحجارة.

وفي وقت لاحق بنيت مدرعات لاختراق الحواجز. وقد ثبّت في مقدمة كل مدرعة مثلث من القضبان الحديدية وبواسطته كانت الآليات تصطدم بالحاجز وتخترقه. وعليه دعت الحاجة، الى توفير غطاء رماية لخبراء المتفجرات، ليخرجوا من الآليات ويزيلوا الالغام، وفي النهاية، نصب العرب عدة كمائن على طرق طولها بضعة كيلومترات ولم يكن بالامكان النجاة منها. واصبح الآن واضحا للقيادة العليا لمنظمة الهاجناه، بأنه يجب اتباع اسلوب آخر، ودون تأجيل.

في نهاية شهر نيسان صدر نظام خاص بخدمة المدرعات، كانت أهميته واضحة للجميع. فقد أقيم مكتب لرئيس الخدمة، وقسم تخطيط وقسم فني، ولكن في يوم ٢٦ ايار تقرر، لأسباب غير واضحة، حل خدمة المدرعات ونقل معظم وظائفها إلى خدمة المواصلات التي كانت هناك نية لتوسيع خدمة المدرعات التابعة لها وجعلها فئة. وبعد مرور خمسة ايام عين قائد خدمة المدرعات سابقا، اسحق ساديه، قائدا للواء الثامن، الذي حشدت فيه معظم قوة الدروع التابعة للجيش الاسرائيلي. واما خدمة الدروع فقد طلب منها التركيز على الجانب الفني وان تكون جزءا من خدمة المواصلات. ومنذ ذلك الوقت جرى التركيز على الآليات المقاتلة المدرعة، وليس على آليات النقل، أو آليات الركاب المدرعة.

ان تجربة الحرب في الاشهر الاولى منها والخسائر الفادحة في الآليات وفي الطاقة البشرية في القوافل الكبيرة، اثبتت فيما بعد ان الدفاع السلبي لا يكفي وان الحاجة تدعو الى آليات مقاتلة مدرعة، لتحرس القوافل وتحرس ذاتها، وتكون سريعة الحركة وذات طاقة نارية كافية للتغلب على كمائن العدو. وكانت الظروف صعبة، فالانجليز ما زالوا في (البلاد)، وحتى بعد رحيلهم كنا لا نزال نعاني من نقص خطير في المعدات والطاقة البشرية المجربة.

لقد كانت المدرعة النظامية، التي ولدت عندما كان الانجليز في (البلاد)، تشبه «السندويتش»من جوانبها ومن الخلف. ومن الامام كانت تحميها لوحة فولاذية سمكها ١٤ملم، كما احيط محركها بلوحة، سمكها ٨ملم. وكان سقفها محميا في البداية بشبكة لمنع دخول القنابل اليدوية فيها. ولكن العرب بدأوا بربط «كلاليب» في قنابلهم بحيث اصبحت تمسك بالشبكة، وعندها غطيت الشبكة بشبكة حديدية وفي النهاية استبدلت بصفيح فولاذي سمكه ٣ملم. وكان النموذج الحديث ذا سقف موصول بالمدرعة بمحاور، كان من الممكن فتحه لالقاء قنبلة خارج المدرعة،وعندها كانت «اجنحة» هذا السقف تفتح،كان يشبه الفراشة، وبهذا سمى المحاربون المدرعة (الفراشة).

كذلك تم تطوير نموذج المدرعات المخترقة للحواجز. وكان احد التطويرات يتمثل بقضيب حديدي ربطت به مادة متفجرة، وهذا القضيب يلقي بالمادة المتفجرة من المدرعة الى مسافة تتراوح في مدى خمسة امتار. وكانت المادة توضع على الحاجز ثم تبتعد الآلية ويتم تفجير المادة بواسطة سلك كهرباء. كذلك فان رجال التصفيح لم ينسوا ايضا سيارات الجيب، وناقلات الجنود والآليات الأخرى. وعندما كانت مادة الفولاذ تنقص لديهم، كانوا يجربون قوتهم بالورق، والمطاط، والانابيب المعدنية، والزفت، او كل مادة كان من شأنها ان تصد عيارات العدو.

إلى الهدف ـ من الخلف!

لقد كانت احدى ساعات الاختبار الاولى والجميلة جدا للدروع في اواخر ايار ١٩٤٨، وعلى الحدود الشمالية فرجل الدروع، الرائد طال، الذي حقق في هذا الموضوع رسم الصورة التالية:

لقد تشكلت قاعدة القوة المدرعة، التي اعدت لمهاجمة «مالكية» للمرة الثانية [الهجوم الاول فشل قبل ذلك بعدة اسابيع] من مدرعتين للشرطة تم الاستيلاء عليهما قبل ذلك بعدة أيام من شرطة صفد، من قبل جنود الكتيبة الثالثة في البالماح. وكانت احداهما آلية دورية من نوع «دينغو» البريطانية مجهزة برشاش «برن» ومصباح. واما الثانية فكانت من صنع «جنرال موتورز» الامريكية، تقرر ان يركب عليها مدفع مضاد للطائرات من نوع «هيسفانو ـ سويزا» من عيار ٢٠ملم.

في ٢٥ أيـار استدعي قائد المدفعية، التي أُلحقت بالكتيبة الاولى التابعة للبالماح [من كتائب لواء يفتاح] لترابط في قلعة يفتاح ألا وهي شرطة روشبينا. وقال له «شولا» ضابط العمليات، انه يجب تركيب مدفع ٢٠ملم على المدرعة، لتوفير كثافة نار وتغطية رتل الدروع الذي اعد للخروج والهجوم. وزعم (المدفعجي) عبثا بأن المدفع ليس مدفعا صغيرا «ستن» يمكن تفكيكه وتخبئته في الجيب او لتركيبه في لحظة واحدة على المدرعة، وقال ضابط العمليات انه يجب تركيب المدفع خلال يومين وان «كراج» ابيلت هاشاحر سيكون تحت تصرفك..

وقـام رجال المرآب بلحم منصب المدفع بقاعدة المدرعة المفتوحة، واخرجوا سبطانته من المقدمة من خلال نافذة تقع بجانب السائق (وكان للمِدفع زاوية تسديد ٢٠ درجة ويمكن رفع سبطانة المدفع الى ١٥ درجة). وقد رفعوا جوانب المدرعة بألواح مصفحة أخرى وهكذا أوجدوا مدرعة تحمل مدفعا.

إلى هاتين المدرعتين ضموا ست مدرعات «سندويتش» تم تركيب مدفع هاون من عيار ٨١ملم في واحدة منها وفي الأخرى ركبوا مدفع هاون من عيار ٥٢ملم. وعزز تسليح الآليات المدرعة برشاشات، واعدت احدى المدرعات كخارقة للحواجز، وشمل الرتل المدرع ايضا باصات مدرعة لحمل جنود المشاة، واعد باص مدرع كسيارة اسعاف وباص آخر اعد كغرفة عمليات متنقلة. وضم الرتل ايضا آلية جر واحدة، تم جلبها من مرآب في كفار جلعادي.

لم تكن لأي من أفراد القوة التي أُرسلت لاحتلال قرية «مالكية» اللبنانية اي تجـربة سابقة في حرب الدروع. ولهذا هب جنود البالماح الى تطوير تكنولوجيات استخدام مناسبة. فقد تدربوا، على الرماية على الرشاشات خلال الحركة وعلى رماية مدافع الهاون بصورة قوسية من فوق الآلية التي تسير في مقدمة الرتل. وبذلت جهود جبارة لاستخدام الآلية التي تحمل المدفع. في وقت لاحق قال قائد قوات البالماح اسحق (حاكا) حوفي: «إن كل من شاهد استعداد وتنظيم هذا الرتل كان يصاب بالانفعال. وكان رجال المدرعات يتجولون بين السيارات بفخر وهم يشعرون بقوة غير عادية. وقد خيمت المعنويات العالية فوق هذه الآليات الفولاذية».

في الليلة بين ٢٧ و٢٨ أيار خرجت المجموعة المدرعة من معسكر «بيلون» ومرت من نقطة النبي يوشع الى المنارة على شكل قافلة امداد. ولاحظ العدو الذي كان

موجودا في «كدش» الحركة وانزل بالقافلة عدة قذائف غير دقيقة. ووصلت القافلة الى المنارة بعد منتصف الليل وانتشرت بين بيوت المستوطنة. واشغلت الوقت الذي بقي حتى ساعة «الصفر» لاجراء اصلاحات في محددة الكيبوتس.

في ليلة ٢٨ أيار استعدت القوة للحركة على النحو التالي: مدرعة الدينغو، مدرعة المدفع، مدرعات السندويتش الخمس، بما في ذلك مخترقة الحواجز، ثلاثة باصات مدرعة، كان كل واحد منها ينقل فئة محاربين واحدة، وسيارة الاسعاف وغرفة العمليات المتحركة، وسيارة الجر واعدت مدرعة السندويتش السادسة للحراسة من الخلف. وكان قائد السرية يسير في الوسط في المدرعة الثالثة او الرابعة. وكانت عملية الاتصال تتم بواسطة «م.ك ٣٠٠» والغريب في الامر انه كان في كل آلية يوجد جهاز اتصال واحد، وحتى تلك العملية اكتسب المحاربون تجربة في استخدام اجهزة اتصال في الحرب العادية. ولم تستخدم هذه الاجهزة في حرب مكثفة كهذه. وكانت محطات الاتصال لا تلتزم بسرية الاتصال ولهذا حدثت تشويشات اكثر من مرة وخاصة في حالات الاصطدام مع العدو.

ومع هذا، وفي ظل الظلام دخلت الآليات المدرعة الحدود اللبنانية، نحو الطريق المؤدية من مرجعيون الى مالكية وقبل الدخول الى الطريق اهتمت قواتنا بوضع نقطة حماية. وبالمقابل وضعت نقطة حماية اخرى لاستخدامها في حالة تقدم نجدات من عيترون، رغم ان الاستخبارات كانت تعلم ان مدرعات لبنانية كانت توجد في المنطقة.

اثناء التقدم على طريق مرجعيون ـ الحولة اصطدمت القوة بمصاعب مرور بسبب الظلام. فقد نزلت بعض الآليات عن الطريق أو ربما كانت تتقدم ببطء شديد وكان قد تقرر في التخطيط الاصلي، ان تتم هذه الحركة بدون انوار، ولكن في مرحلة التدرب على التنفيذ لم يتدرب السواقون على السير في الظلام. وسرعان ما فهم قائد القوة انه لا يمكن مواصلة السير على هذا النحو، ولهذا اصدر امرا بانارة المصابيح، فأضيئت المصابيح عندما اصبحت القافلة في الاراضي اللبنانية واعتقد الفلاحون اللبنانيون بأنها قوة عربية!

عند مثلث عيترون اصطدمت القوة بحاجز حجارة، فنزلت حظيرة من المشاة لازالته. وفتح الحاجز نحو عيترون ولم يلاحظ الجنود المنعطف نحو الشمال نحو مالكية. ولهذا عندما استأنفت القوة حركتها تحركت نحو عيترون. ومن مالكية

سمعت اصوات قتال، وزادت القوة من سرعة تقدمها للمساعدة في حسم المعركة. وفجأة ظهر امامها رتل من الدروع اللبنانية وبه ثلاثة او اربعة مدافع من عيار ٢رطل وشاحنة واحدة. وكانت هذه القوة نجدة ارسلت الى مالكيه. وسارع قائد الدينغو لاطفاء الضوء ولكن قائده امره بأن يضيء المصابيح ثانية لكي يصيب القادمين بالعمى. كما امره بالتحرك نحو جانب الطريق لكي يمكن المدفع الذي تحمله المدرعة من التمتع بمجال رماية اوسع. فأطلق جندي المدفع عدة قذائف من عيار ٢٠ملم فاشتعلت النار في ثلاث مدرعات لبنانية. وفورا انطلقت مخترقة الحواجز ودحرت آلية العدو المشتعلة عن الطريق.

في هذه الاثناء اطلقت النار على الرتل، وكان الذين اطلقوا النار جنودا لبنانيين هربوا من مالكية التي بدأ جنودنا المشاة باحتلالها. وانضم اليهم جنود هربوا من القافلة التي تضررت. وبدأت العيارات النارية التي اطلقها اللبنانيون تخترق المدرعات الاسرائيلية وتعطلت اطاراتها. وبسبب عدم وجود امكانية للانتشار بشكل كاف ردت القوة الاسرائيلية على النار من داخل القافلة. وبعد ان توقفت الرماية انـزلت قوات مشاة للتمشيط ولجمع الغنائم التي شملت سيارة جيب مع منظار تلسكوب ومدافع هاون من عيار ٦٠ملم وغير ذلك. وقامت المدرعة مخترقة الحواجز باخلاء المحور وواصلت القوة تقدمها. وسارت بعض الآليات على الجنازير لأن اطاراتها تعطلت ولم تكن هناك اطارات بديلة لجميع الآليات.

بالقرب من عيترون وقف قائد القوة على الخطأ الملاحي ووجد انه لا يمكن الاستدارة على الطريق الضيق ولهذا دخلت القوة الى بلدة عيترون واستدارت هناك ولم يتعرض الفلاحون للقوة لأنهم على ما يبدو لم يفهموا ما يحدث. وفي هذه الاثناء ورد خبر يقول انه لا فائدة من الوصول الى مالكية لأنها سقطت. وعندها دخلت القافلة في غابات منطقة كدش وفتحت المحور من الاتجاه المعاكس من كدش الى النبي يوشع. وكانت هذه الطريق مغلقة بالحواجز وبالالغام.

ان ظهور رتل المدرعات في مؤخرة مالكية بعد رحلة طالت ١٥كم في منطقة العدو، حسم القتال الثاني على مالكية. وفي البداية اصطدمت حظائر المشاة بمقاومة شديدة ولكن عندما ظهرت الدروع الاسرائيلية وراء العدو انهارت المقاومة بسرعة. ان سرعة الحركة المدرعة والظهور من الاتجاه غير المتوقع اي تطبيق الاسلوب غير المباشر على المستوى التعبوي، عكسا القوة الحقيقية والنفسية المتمثلة بالدروع.

عمليـة دانـي

ظهر لواء الدروع الأول في الجيش الاسرائيلي، اللواء الثامن بقيادة «الختيار» العميد اسحق ساديه، لأول مرة في ميدان القتال في عملية «داني» التي جرت في تموز ١٩٤٨. وكان هدف العملية، تحرير مدينة القدس (المحاصرة) نهائيا وتحرير الطريق المؤدية اليها من ضغط العدو.

ولهذا الغرض كان لا بد من احتلال اللد والرملة وقمع القوات المحلية وقوات الجيش العربي الاردني التي كانت في هذه المنطقة، واحتلال اللطرون ورام الله. وقد قصد باحتلال اللد والرملة طرد العدو العربي من منطقة تل ابيب واما السيطرة على اللطرون ورام الله فكان هاما لفتح الطريق الى القدس وحمايته.

في الاصل سميت العملية «لرلر» حسب الاحرف الاولى من اسماء الاهداف [اللد ـ الرملة ـ اللطرون ـ رام الله]. ولكن لم يتم في هذه العملية سوى احتلال اللد والرملة وهكذا حول اسمها الى «عملية داني» نسبة الى «داني هس» قائد فئة «الخمسة والثلاثين جنديا» التي توجهت من القدس لتعزيز كفرعصيون وسقط جميع افرادها في معركة بطولية وهم في طريقهم الى الهدف.

من أجل احتلال منطقة كفرعصيون الهامة، قرر الجيش الاسرائيلي استخدام اللواء المدرع الى جانب قوات كثيرة ومختلفة جدا اخرى. وقد تمخض استخدام قوات كثيرة ومتنوعة (دروع خفيفة الحركة، وقوات مشاة، ومشاة آلية وما شابه ذلك) عن مصاعب في الجيش الاسرائيلي الذي كان فتيا جدا فقد كانت هناك مصاعب التنسيق بين قوات التطويق ـ لواء «يفتاح» في الجنوب واللواء الثامن في الشمال. كما كانت مصاعب في اللواء الثامن نفسه لأن كتيبتيه كانتا تختلفان عن بعضهما بعضا من ناحية طابعهما. فكتيبة ٨٢ اعتمدت على دبابات وكانت ثقيلة الحركة تقريبا وذلك بسبب الجيل الهرم للدبابات ووضعها الفني المتدني). واما الكتيبة ٨٩ فكانت آلية وخفيفة الحركة وذات قدرة على بث الرعب في قلوب العدو ـ ومعظمها كان من المجنزرات وسيارات الجيب.

وقد خططت عملية اللواء الثامن كعملية مقص، فقد اعتقدت قيادة اللواء ان مركز الثقل في قوات العدو هو منطقة دير طريف وبيت نبالا. وهاتان القريتان تقعان على الطريق، حيث كان المحور الاسهل لشن الهجمات من جانب العرب، ويبدو ان

العدو ايضا اعتقد ذلك، ولهذا فقد حشد هناك قوات كبيرة، وحصلت كل واحدة من كتيبتي اللواء الثامن على كتيبة مشاة كتعزيز، وهكذا تكون طاقمان حربيان، وكلفت كتيبة الدروع باحتلال مطار اللد عن طريق شن هجوم مباشر عليه، وان تواصل تقدمها شرقا لتهاجم دير طريف ومعسكر الجيش الاردني في بيت نبالا. واما كتيبة الاغارة الآلية فقد كلفت باحتلال رنتيه وفيلهلما وفتح ثغرة في قوات العدو. ومن خلال هذه الفتحة تتقدم كتيبة الاغارة لتحتل كولا والطيرة. واخيرا ومن خلال التنسيق مع الكتيبة المدرعة يتم احتلال قرية بيت نبالا. ومنح قائدا الكتيبتين حرية عمل واسعة وذلك لأن «الختيار» آمن بمنح حرية المبادرة للقادة الثانويين ولأن اللواء لم يكن مجربا بما فيه الكفاية للعمل طبقا لجدول زمني دقيق. وكانت الصورة جيدة ولكن قلة القوات وصمود العدو الصلب في عدة نقاط، اثقلا جدا على تنفيذ العملية. وكان للعدو في واجهة اللواء محوران لشن هجوم معاكس: محور دير طريف وبيت نبالا ومحور كولا (قرية تقع قرب الطريق على سلسلة هضاب).

الكتيبة تقدمت بسرعة نحو الرملة

في فجـر العـاشر من تموز ١٩٤٨، تم احتلال فيلهلما ورنتيه بعد مقاومة ضعيفة من جانب العدو. وبعد مرور وقت قصير انسحب العرب من المستوطنة اليهودية التي اصبحت معزولة. وفي ساعات الليل احتلت سرية مشاة مواقع قرب مطار اللد لحراسة منطقة انتشار الكتيبة المدرعة. وعندما بزغ الفجر انطلقت كتيبة الاغارة (بقيادة موشه ديان) في طريقها واما الكتيبة المدرعة فتوقفت عن الحركة. وازداد التوتر في قيادة اللواء. واخيرا توجه قائد اللواء اسحق ساديه الى ضابط عملياته. ولي تاين، وقال: اذهب الى هرمان (كان ذلك لقب فليكس بياتوس، قائد الكتيبة ٨٢) واعرف ماذا حدث لديه.

توجه تاين بواسطة سيارة «دودج» مدنية تم تجنيدها مع سائقها من منتصف تل ابيب ووصل الى قرية عانا وهي قاعدة الانطلاق للكتيبة المدرعة. ولما وصل سأل تاين أول جندي صادفه في طريقه اين القائد؟ فأجابه الجندي بلغة بولندية ان قائد الكتيبة تحرك الى الامام فبدأ تاين بملاحقته واجتاز اليهودية (العباسية) ووصل الى الحقل ومن هناك اضطر للانتقال الى سيارة جيب مرت بالمكان لأن سائق سيارة

«الدودج» رفض مواصلة المسير، وتحدث قائد الجيب اللغة الانكليزية وساعد تاين في الوصول الى المطار. وقد وصل تاين الى هناك مع اواخر المجنزرات التي سارت في اعقاب الدبابات وعلم ان المعركة حول المطار استمرت عشرين دقيقة فقط وان جميع الاسلحة اطلقت نيرانها على الهدف دون ان تصطدم بمقاومة. وكانت الورطة الوحيدة قد حدثت عندما اصطدمت دبابة «كروموبيل» بجدار من الاسلاك الشائكة وانقذت بصعوبة بعد مرور ساعة كاملة.

في صباح الحادي عشر من الشهر احتلت كتيبة الاغارة مناطق عالية شرقي وشمال شرقي دير طريف وانسحب العدو نحو بدرس. كما انسحب العدو ايضا من معسكـر بيت نبالا ومن القرية ذاتها وفي ساعات الظهر اكتمل هذا الجانب من العملية وساد الهدوء قيادة اللواء.

الى داخل هذا الهدوء وقعت كوقع الرعد في يوم صحو برقية من قائد كتيبة الاغارة موشه ديان، جاء فيها ان كتيبته اجتازت اللد ووصلت الى ضواحي الرملة. فقال احد ضباط القيادة: من المؤكد انه وقع خطأ في حل رموز البرقية. فعادوا وتأكدوا ووجدوا ان الحل دقيق. وهبت كتيبة الاغارة لمساعدة جنود «يفتاح» الذين تمسكوا في مداخل اللد ولكنهم لم يستطيعوا الاختراق الى داخل المدينة واخترقت المجنزرات وسيارات الجيب المحملة بالرشاشات الخطوط الدفاعية عن اللد، وتقدمت بسرعة على طول المدينة ولم تتوقف الا بعد ان ادرك قائد الكتيبة انه وصل في تقدمه حتى الرملة.

بعد المعركة قال المقدم تاين: «لقد كانت هذه المرة الاولى، التي تخترق فيها كتيبة مكونة من جنود مشاة محمولين على مجنزرات وسيارات جيب داخل مدينة محمية وتعبرها على طولها، ذهابا وايابا، في الوقت الذي كانت تسير فيه في مقدمتها مدرعة اخذت غنيمة من الجيش العربي مزودة بمدفع».

واضاف: من المحتمل ان الجديد هو ان عملية الاختراق هذه قد بثت الرعب في قلوب العرب ومنحت الكتيبة انتصارها الكبير ولكن من البديهي القول، ان كتيبة الاغارة لم تحتل اللد بل ولم تكن قادرة على احتلالها. فوحدات كهذه كان بإمكانها ان تقتحم، وتحتل وتقوض ولكن لم يكن بمقدورها ان تدمر العدو. وعليه فقد اضطرت كتيبة الاغارة للانسحاب من اللد والرملة وهي مصابة بخسائر جسمية: قتلى وجرحى

وآليـات مثقبة بالرصاص، اما رجال يفتاح الذين دخلوا اللد والرملة المذعورتين واللتين ترفعان رايات الاستسلام البيضاء فاصطدموا برماية قناصين، ولكن مما لا شك فيه ان كتيبة الاغارة حطمت معنويات المدافعين وسهلت بنسبة كبيرة مهمة احتلال اللد والرملة.

جاء في مذكرات الحرب، ان تقدم كتيبة ٨٩ من بن شيمن حتى الرملة والعودة استغرق ٤٠ دقيقة فقط: من الساعة ١٨,٢٠ حتى الساعة ١٩٠٠، ولكن المذكرات كشفت عن جانب غير لطيف: من اجل مساعدة «يفتاح» في اقتحام اللد، تخلت كتيبة الاغارة عن دير طريف. واستغل العدو ذلك فعاد وسيطر على القرية، وكان لا بد من القيام بهجوم معاكس سريع لطرده من هناك، ولكن الهجوم فشل بسبب تضاريس المنطقة الصخرية التي عرقلت تقدم قوات الدروع، ولأن قوات المشاة لم تكن ذات خبرة في معارك مشتركة مع الدروع. وهكذا بقيت قرية دير طريف بأيدي العدو.

لم تتكلل عملية داني بنجاح كامل: فقد حققت فقط نصف الاهداف التي رسمت لها لأن اللطرون ورام الله لم يتم احتلالهما. ولكن احتلال اللد والرملة رفع التهديد عن تل ابيب، وفجر قاعدة انطلاق العرب نحو قلب الاستيطان العبري في وسـط فلسـطين (اسرائيل)، وقد حققت العملية عمقا عمليا في الواجهة الوسطى وتكونت خطوط دفاع سهلة اكثر من الناحية الطوبوغرافية.

لقـد أثبتت عملية «داني» نجاعة الدروع في المناطق الصعبة من الناحية الطوبوغرافية، وحققت قوة الدروع التي ما زالت آنذاك في مهدها نجاحا عندما هاجمت في منطقة صخرية وعندما اقتحمت مواقع العدو. ومع هذا فقد اتضح ان الجيش الاسرائيلي كان يفتقر الى الثقة بالتعاون بين المشاة والدروع، فاللواء الثامن اجتاز اختباره الحربي وتعرف خلاله على امكانياته ونواقصه، ولكنه اصبح لواء محاربا.

عمليـة ديكـل

في مطلع تموز ١٩٤٨ جرت عملية اعادة تنظيم اساسية للواء السابع، الذي ولد كلواء مشاة عشية الهجوم الكبير على مواقع الجيش العربي في اللطرون. وتحول اللواء الى لواء آلي مدرع، استوعب مدرعات ومجنزرات واسلحة متوسطة وقادة جدد.

وعين بن دونكلمان (بنيامين بن دافيد) المتطوع اليهودي من كندا، من قبل دافيد بن غوريون قائد اللواء السابع، واعطت القيادة العامة القائد الجديد للواء اسبوعين لاعادة تنظيمه قبل ان يكلف اللواء بعملية قتالية كبرى. وشرح البروفسور يوحنان رتنر، رئيس شعبة التخطيط في القيادة العامة لدونكلمان المشاكل الاستراتيجية التي سيواجهها في الجليل ـ حيث اعد اللواء للعمل في نهاية هدنة حزيران ـ تموز.

وقد شكل اللواء من الكتائب التالية: الكتيبة المدرعة ٧٩ التي كانت بكامل نصابها ومسلحة بصورة جيدة جدا. وكانت ايضا الوحيدة بين كتائب اللواء، التي كانت لها تجارب قتالية وكونت معنويات عالية خلال معارك اللطرون. وكتيبتا المشاة ٧١ و٧٢ اللتان كانتا اقل عدة وعددا وتكونتا من مهاجرين جدد، وكانت المعنويات فيهما ضعيفة.

باشر قائد اللواء فورا في وضع خطة للتدريب التي ستبلور وتصقل اللواء استعدادا للمهام القادمة. وفي الوقت الذي كان فيه قائد اللواء مشغولا بذلك تلقى امرا من القيادة العامة بالتحرك شمالا. وقيل له بأنه لن يكون هناك تدريب لأنه يتوجب على اللواء ان يحتل مواقع على خط الجبهة حتى السابع من تموز اي قبل انتهاء الهدنة بيوم واحد، واحتج دونكلمان عبثا وطلب مهلة زمنية للانتظام، فتوجهت الوحدات نحو اهدافها واما القائد فقد اسرع الى مطار عسكري للطيران بطائرة خفيفة من اجل مراقبة المنطقة التي كان على اللواء ان يعمل فيها. وارتاح دونكلمان لقلة الطرق والممرات بين جبال الجليل. ومن نافذة طائرة «الاوستر» الصغيرة كان من السهل على قائد اللواء الجديد ان يدرك الوضع الاستراتيجي في الجليل الغربي. فقد تبين له ان اليهود يسيطرون على منطقة الساحل الضيق والمأهولة بالسكان ابتداء من خليج حيفا وحتى الحدود اللبنانية، واما العرب فقد كانوا يرابطون على التلال والجبال داخل المنطقة. وعليه فان التفوق الاستراتيجي كان للعرب. وبدا أنه كان من المستحيل احتلال المناطق الجبلية عن طريق عملية هجوم واما (جيش التحرير العربي) بقيادة فوزي القاوقجي وبه (فلسطينيون وعراقيون وسوريون وغيرهم) فقد كان بإمكانه من مواقعه العالية المسيطرة على الشريط الساحلي، ان يهدد ميناء عكا وطريق حيفا ـ عكا وهو محور المواصلات الرئيس في المنطقة.

وكان العرب يحتفظون ايضا بمنطقة بارزة في الشريط الساحلي نفسه وهي

ـ تل كيسان الذي كان يسيطر على قسم هام من السهل الساحلي وعلى محور الحركة الهام الى الجبال. وطالما ظل تل كيسان بأيدي رجال القاوقجي، كلما ظل يهدد مواقع الجيش الاسرائيلي ويستخدم موقعا خارجيا يدافع عن المراكز السكانية العربية الرئيسة، ومن الاعلى ارتاح دونكلمان عندما رأى ان الخنادق الدفاعية في التل حفرت فقط في الجانب الغربي امام خطوط الجيش الاسرائيلي، اما في الخلف من جهة الشرق لم تكن هناك مواقع دفاعية. وقال بن دونكلمان فيما بعد: لقد قلت اننا اذا اقتربنا من التل من الخلف في الظلام، فاننا سنستطيع احتلاله بسهولة.

عندما وصل اللواء السابع الى الشمال خصصت الكتيبة ٧١ بقيادة يهودا واربر للدفاع عن عكا من هجوم عربي كان متوقعا في نهاية الهدنة، ولكن الآن امره قائد اللواء بالتوجه لمهاجمة تل كيسان.

وفي ظل الظلام قاد يهودا واربر جنوده في رحلة طويلة ومضنية من خلف خطوط العدو. ففاجأوا واحتلوا تل كيسان بدون مقاومة تقريبا. وتسبب هذا النجاح في (كهربة) الكتيبة واللواء كله، وقال الجنود لا بد واننا سنستطيع دحرهم. وبعد احتلال تل كيسان سيطر الجيش الاسرائيلي بشكل كامل على الشريط الساحلي وفتحت امامه الطريق لمهاجمة مواقع العرب في الجبال، وكان دونكلمان متحمسا لاستغلال النجاح دون تأخير. وقال: لقد اسندت الينا مهمة دفاعية ولكن يجب اخذ زمام المبادرة من العدو وتقويض اتزانه..

وقد قطعت عمليات اللواء السابع الطريق الذي كان يوصل بين حوالي ١٢ قرية عربية، فطالت خطوط الامداد العربية وضعفت مواقعهم في الجليل الغربي، كذلك تم ابعاد التهديد العربي عن عكا.

اتفاق سري مع الدروز

كانت شفا عمرو هدفا هاما في عملية «ديكل» التي خططت في ذلك الوقت. ففي هذه القرية كان يقيم حوالي ٤٠٠٠ مواطن من الدروز والمسلمين، وكان هؤلاء يسيطرون من هذه القرية ومن ضواحيها على المنطقة. وكان الهجوم على شفاعمرو مهمة صعبة. فبالاضافة الى التفوقات الطبوغرافية لهذه القرية، كانت محاطة بسور عال, اقترح قائد اللواء السابع على قيادة الواجهة الشمالية خطة هجوم متدرجة،

تبدأ باحتلال شفاعمرو وتنتهي باحتلال الناصرة. وقد وافق قائد الواجهة الشمالية العميد موشه كرميل على خطة بن دونكلمان. وبموجب هذه الخطة كان على اللواء السابع ان يتقدم من مواقعه عند سفوح الجبال، لاحتلال شفاعمرو ويواصل تقدمه فورا بين الجبال. وقبل ان يدرك العرب نوايا الجيش الاسرائيلي، تكون القوات قد وصلت الى الناصرة من الجهة الشمالية، حيث كانت الدفاعات العربية ضعيفة جدا.

عندما اعطيت اللواء السابع الموافقة لبدء الهجوم، اتصل القائد مع الدروز في شفاعمرو ووعدهم بأنهم لن يتعرضوا لأي سوء اذا ساعدوا الجيش الاسرائيلي من الداخل في احتلال القرية. ووعد الدروز بتقديم المساعدة، وسلموا معلومات هامة لمخططي العملية. وقال الدروز، ان حماية القرية وزعت عليهم وعلى المسلمين. وكانت كل طائفة مسؤولة عن قسم من الخطوط الدفاعية. وعليه خطط اللواء السابع توجيه نيران الاسناد للواء السابع على الواجهات الاسلامية لاشغالها. وفي نفس الوقت تتقدم القوة المهاجمة نحو الجانب الدرزي ولكن تطلق النار للاعلى كما يطلق الدروز النار فوق رؤوس «المهاجمين».

وكانت تلك معركة صورية تنطوي على نسبة معينة من الثقة بين الجانبين. وقد بدت الخطة بأنها بسيطة جدا ولكن في اللحظة الاخيرة كاد يفشلها عمل اعتبره قائد اللواء وضباط آخرون على انه «خيانة». (انظر قصة مخفية من عملية ديكل في آخر الكتاب). ولكن حنكة قائد وحدة الاسناد في اللواء الرائد دان حيرام (كلبتر) وقائد اللواء المقدم بن دونكلمان، وسرعة ردهما افشلا العمل واعادا الخطة الى سابق عهدها، وقد ادير الهجوم على النحو التالي: في الوقت الذي جرى فيه قصف الخط الاسلامي، اقتربت القوة المهاجمة من سور القرية وكانت تلك القوة هي الكتيبة الآلية المدرعة ٧٩ وتساعدها سريتا مشاة من الكتيبة ٢١ بقيادة اهارون يريف، وقد اطلق المهاجمون والدروز النار في الهواء. ومر المهاجمون بسرعة عن الخطوط الدرزية وهاجموا المسلمين من الخلف. وتم احتلال القرية واسست الكتيبة/ ٧١ الخط خلف القرية.

وفي فجر يوم ١٤ تموز كان اللواء السابع مستعدا للقيام بتنفيذ المرحلة الثالثة والحاسمة في العملية: الهجوم على الناصرة.

سقوط الناصرة

بعد احتلال شفاعمرو بيومين بدأت المرحلة الثانية من العملية. فعندما كان اللواء السابع متقدما نحو الناصرة في ساعات الليل في الطريق الجبلي، نفذت قوات اخرى من القيادة الشمالية بقيادة حاييم لسكوب مجموعة من الهجمات في مناطق اخرى من الجليل لاشغال العرب وتحويل انظارهم عن الهجوم على الناصرة ولتشتيت قواتهم ومنعهم من ملاحظة الجهد الرئيس للجيش الاسرائيلي.

من اجل الهجوم على الناصرة تم تعزيز اللواء السابع بقوات مشاة من ألوية أخرى (كتيبة اهارون يريف وكتيبة ابراهام يافه وغيرهما). وكانت المرحلة الاولى من الهجوم تتمثل في قيام كتيبة ابراهام يافه باحتلال قرية عيلوط. وفي نفس الوقت تتقدم القوة الرئيسة من الغرب وتحتل تسيبوري. بعد ذلك تتقدم القوة الى القرب من الناصرة.

اما المرحلة الثانية من الهجوم فقد بدأت في الساعة ٢٣,٠٠ في ليلة ١٥ تموز، فقد خرجت القوات الامامية من شفاعمرو حيث اقام قائد اللواء السابع قيادته. وعندما وصلت تقارير حول تقدم يافه تحرك دونكلمان الى الامام لتوجيه القوات وتعجيل تقدمها. وقال قائد اللواء: لقد رأيت ان سائقي المدرعات قد توقفوا على بعد مسافة ما من شفاعمرو خوفا من مواصلة السير في الظلام. وقلت لهم ان الوقت غير مناسب للحذر، وامرت الجنود بالتقدم رويدا رويدا من خلال المخاطرة خوفا من السقوط في الهاوية او الاصطدام بصخرةٍ أو الوقوع في كمين للعدو. وقد سرت امام القوة مشيا على الاقدام اكثر من مرة كمستطلع وقائد، لأنه كان علينا ان نصل الى هدفنا قبل طلوع الفجر. فاذا طلع علينا الفجر ونحن في المنطقة المفتوحة سنكون معرضين لهجمات العدو..

لم تصطدم القوة بمقاومة حتى وصولها الى مثلث تسيبوري. وهناك تعرضت لوابل من نيران الاسلحة الخفيفة من اعالي الجبال. ولكن كلما تقدمت القوة على الطريق الجبلي كلما اصبحت الرماية هادفة اكثر. ودعت الحاجة الى النزول عن الطريق واحتلال مواقع رماية. ولم تكن هناك امكانية لتحويل الآليات الى الخلف. واصبح الوضع صعبا لأن القوة دخلت حوالي ١٥كم داخل اراضي العدو وكانت

معزولة تماما. وفي هذه اللحظة اقدم دوف يرمونوفيتش على مبادرة جديدة، فقد خرج ومعه سرية المشاة بقيادته (من كتيبة ٢١) في هجوم نحو اعلى الجبل لاحتلال تسيبوري وازالة حاجز عربي من الطريق. وبعد مرور وقت قليل اعلن: تسيبوري أصبحت بأيدينا..

تسبب احتلال تسيبوري في عزل المداخل الشمالية من النّاصرة ومكن من مواصلة التقدم، اقيمت القيادة الامامية للواء السابع عند المثلث. وأراد دونكلمان ان يجمع جميع قواته الاحتياطية قبل ان يبدأ الهجوم النهائي على الناصرة، ولكن القاوقجي امر بهذه الساعة سرية مدرعة من قواته بأن تشن هجوما من الشمال على قوة الجيش الاسرائيلي التي تهدد الناصرة. وكان القاوقجي يمتلك مدرعة ثقيلة وجديدة ومسلحة برشاشات ومدافع في حين ان جميع المدرعات التابعة للكتيبة ٧٩ كانت من صنع اسرائيلي وكانت اقل اهمية من مدرعات العدو باستثناء مدرعتين تم الاستيلاء عليهما من الجيش العربي. ورغم هذا فقد نجحت الكتيبة ٧٩ في معركة قصيرة ولكن نشطه في تدمير معظم مدرعات القاوقجي، واما المدرعات القليلة الباقية فقد انسحبت.

في هذا الوقت اصبحت الناصرة محاصرة، وبقيت مشكلة واحدة فقط: العرب ما زالوا يحتلون قلعة الشرطة الواقعة الى الجنوب من المدينة، وكان من الصعب جدا اقتحام مركز الشرطة، كما ان قصف المركز بالمدفعية لم يرد بالحسبان بسبب قدسية الناصرة عند العالم المسيحي. فقرر بن دونكلمان التقدم بدون غطاء مدفعي على امل ان يتمكن من السيطرة على المدينة دون الحاق الضرر بأماكنها المقدسة. وكانت الشوارع مهملة وهادئة. وكانت تسمع بين الحين والآخر طلقات قناص.

في ١٦ تموز وفي الساعة ٢٠,٤٠ بعث دونكلمان ببرقية عاجلة الى قيادة الجبهة قال فيها: «الناصرة بأيدينا».

ان عملية «ديكل» لا يمكن ان تعتبر عملية مدرعة، ربما كان اللواء السابع آليا، ولكنه لم يكن يمتلك دبابات، ومدرعاته كانت خفيفة وقليلة، ولكن في عملية ديكل عكس اللواء السابع روح الدروع، روح المبادرة والاندفاع والتقدم نحو الامام واستغلال النجاح. ومما لا شك فيه انه منذ هذه العملية فصاعدا اصبح اللواء السابع يستحق ان يكون لواء الدروع الرائد في الجيش الاسرائيلي. ولكن في هذه

الاثناء كانت تنتظر مدرعات الجيش الاسرائيلي العديد من الاختبارات الصعبة في حرب (الاستقلال)، التي كان الجيش الاسرائيلي يمتلك فيها اقل من ١٢ دبابة (من جميع الانواع) وكان يعتمد على نظرية دروع ما زالت في مهدها.

عمليـة (يوآب)

كان الوضع في النقب سيئا جدا، فقد كان النقب محاصرا من الجيش المصري منذ حوالي شهرين، وقد فشلت عدة هجومات كبيرة قام بها الجيش الاسرائيلي لفتح الطريق الى النقب. وزعم العرب انهم احتلوا النقب وارادوا عزله عن اسرائيل. وقد قبل برأيهم الوسيط الدولي الامير السويدي فولك برنادوت في تقريره الذي قدمه للامم المتحدة (والذي نشر في ٢٠ ايلول ١٩٤٨) اوصى بتسليم النقب للعرب.

قررت اسرائيل القيام بعملية هدفها فتح الطريق الى النقب، ولكن في هذه المرة لم تكتف بذلك فقد اقترح قائد الجبهة الجنوبية العميد يجآل ألون استخدام القوة التي ستوضع تحت تصرفه لتحقيق هدف اوسع: عزل القوات المصرية المرابطة على طول شاطىء البحر وعلى خط مجدل ـ جبل الخليل عن طريق دق اسفين في عدة اماكن على طول هذه الخطوط ودحر المصريين من النقب.

سميت العملية في البداية «عشر ضربات» وبعد ذلك اعطيت اسم «يوآف» نسبة الى الاسم الحركي لاسحق دوبنو عضو قيادة البالماح وعضو كيبوتس «نجبا» وقائدها، الذي سقط في المعارك التي دارت حول الكيبوتس.

وقد كلف اللواء الثامن المدرع (الذي سمي «لواء الختيار» نسبة الى لقب قائده التحببي اسحق ساديه) بشن هجوم على عراق المنشية باشراك قوات مشاة من لواء «النقب». وكان اللواء الثامن يضم آنذاك ثلاث كتائب تم اشراك اثنتين منها في خطة الهجوم وهما الكتيبة ٨٢ (دبابات) والكتيبة ٨٨ (اسناد). وكانت الكتيبة ٨٢ تضم ١٠ دبابات هونتكس (دبابات فرنسية قديمة طورت وانتجت في الفترة بين الحربين العالميتين الاولى والثانية) ودبابتين من نوع «كروموبيل» (دبابات بريطانية تعود الى الحرب العالمية الثانية). وكانت دبابات الهونتكس منظمة في سرية واحدة اطلق عليها اسم «الشركة الروسية» او (السرية السلابية) لأن معظم جنودها كانوا من خريجي الجيش السوفياتي أو الجيش البولندي، واما دبابات الكروموبيل فكانت

منظمة في سرية اطلق عليها اسم (الانجلو سكسونية) لأن جميع جنودها كانوا من مهاجري الدول الناطقة بالانجليزية، وكان مؤسس الكتيبة ٨٢ وقائدها الاول الرائد فليكس (رفائيل) بياتوس الذي كان في السابق ضابطا في الجيش الاحمر. اما قائد القوة الانجلو سكسونية فكان ليونال دروكر وهو متطوع يهودي من كندا.

من اجل تنفيذ العملية ضد عراق المنشية أُلحقت باللواء المدرع كتيبة المشاة السابعة من لواء النقب، بقيادة الرائد عوزي نركيس ونائبه أوري بن آري. وكانت الكتيبة السابعة حديثة العهد وكانت مكونة بشكل خاص من مهاجرين جدد وصلوا حديثا الى اسرائيل.

العقيد يعقوب زيسكيند، رجل سلاح الدروع الذي حقق في تفاصيل معركة عراق المنشية قال انه قبل الهجوم بعدة ايام جمع قائد اللواء اسحق ساديه القادة التابعين له وصعد معهم الى برج المياه التابع لكيبوتس جات ومن هناك راقبوا ميدان القتال القادم. وخلال عملية المراقبة شرح القائد للقادة خطة العملية وقال: ان القوة المهاجمة ستشمل سرية الدبابات التابعة للكتيبة ٨٢ وقوات مشاة من الكتيبة السابعة. واما قوة الاسناد فتشمل مدافع هاون من عيار ٨١ملم من الكتيبتين ٨٨ و٨٩ ومدافع الهاون التابعة للكتيبة ٨٢ نفسها وكذلك بطاريتي مدفعية من عيار ٦٥ملم و٧٥ملم، وخصصت سرايا مدرعة ومجنزرات من اللواء الثامن بقيادة الرائد باروخ بارليف (بوركا) كقوات احتياط.

بموجب نظرية القتال في تلك الايام سلموا قيادة العملية الى قائد المشاة، الذي كان عليه ان يتشاور مع قائد الكتيبة ٨٢، وقد تواجد هذان القائدان اثناء تنفيذ العملية في موقع قيادة يقع على مسافة ما من ميدان القتال في حين كان نائب قائد الكتيبة السابعة اوري بن آري يدير العملية في الميدان ومعه القائد الفرعي لقوات الدروع، واما قائد اللواء اسحق ساديه فكان عليه ان يشترك في العملية اثناء مرحلة استغلال النصر.

صدمة الدروع

تقرر ان ينفذ الهجوم في ساعات فجر السابع عشر من تشرين اول، ونصت الخطة على البدء بقصف مدفعي يبدأ في الساعة ٥,٥٠، وينتهي في الساعة ٦,٢٠،

وفي نفس الوقت يقوم سلاح الجو بقصف اهداف في منطقة الهجوم، وكذلك حشود العدو ومدافعه في الفالوجة، وعندما يبدأ الهجوم تخرج هياكل دبابات وتتجول امام انظار المصريين في منطقة حته ـ كرتيه ـ الفالوجة من أجل تضليل وتحويل اهتمام قوات الدروع عن ميدان القتال الحقيقي.

إن اسحق ساديه الذي كان مؤيدا «لقبضة الدروع» وصدمة الدروع قبل ان تصبح الدروع القوة الدفاعية العبرية في (ارض اسرائيل) هو الذي استنبط اسلوب العمل في معركة عراق المنشية، ولهذا كان من الطبيعي عندما شكل لواء الدروع الاول (اللواء الثامن) ان يوضع ساديه على رأس هذا اللواء والآن اصبح بامكانه ان يطبق افكاره عمليا.

حتى عملية «يوآف» كان الجيش الاسرائيلي يتفوق بالعمليات الليلية، وحتى هذه العملية خطط لها في الاصل ان تنفذ في ساعات الليل، ولكن ساديه اقنع قيادة الواجهة الجنوبية بأن يشن الهجوم في وضح النهار واستغلال «صدمة الدروع» اي ظهـور قوة دروع اسرائيلية كبيرة لأول مرة في ميدان القتال وذلك من اجل التسبب في انهيــار القوات المصرية بسرعة. والاكثر من ذلك، اقنع ساديه قيادة الجبهة بعدم الانتظار حتى تتحقق جميع عمليات العزل المخططة وانما يجب التقدم والمهاجمة بواسطة قوات الدروع فور دق الاسافين في الليلة الاولى. وقد قبلت القيادة باقتراحاته وفي الخامس عشر من تشرين اول صدر امر عملية معدل للواء الثامن، وجاء في هذا الامر ان الكتيبة السابعة من لواء النقب ستقوم باحتلال عراق المنشية وتتمركز فيه، وحددت السادسة والثلث من صباح يوم ١٦ تشرين اول كساعة الصفر لبدء العملية، واما الكتيبة ٨٢ من اللواء الثامن فتساعد في احتلال عراق المنشية وتخصص قوة احتياطية وتمثل ظهور دبابات في منطقة حته ـ كرتيه وتقوم بحماية مدافع الهاون التابعة لكتيبة الاسناد اللوائية وتبدأ عملها الساعة ٦٠٠. واما القوة الاحتيــاطيــة التــابعة للواء فتستخدم احتياطا لاحتلال عراق المنشية، واذا كان بالامكان تستغل النجاح لاحتلال خربة الراعي.

وكان اللواء المصري الرابع الذي يضم معظم القوات النظامية المصرية يرابط في شريط العزل المقرر على خط مجدل ـ بيت جبرين. وجاء في التقرير الاستخباري الذي حصل عليه اللواء الثامن انه يوجد في عراق المنشية وضواحيها حوالي ٣٥٠

جنديا مصريا وحوالي ١٠٠٠ محارب محلي بالاضافة الى رشاشين واربطة مدافع هاون ومدفعية من عيار ٢٥ رطلا.

كانت القريتان عراق المنشية والفالوجة تشكلان خطا دفاعيا تكتيكيا واحدا قرر العدو المحافظة بأي ثمن على الصلة بين اجزائه. ولهذا الغرض احتفظ بالتلة بين القريتين ـ التي كانت تطل على الطريق الواصل بينهما ـ وحدد لمدافعه مهام وصلت حتى مواقع عراق المنشية.

في خطة هجوم اللواء الثامن جاء ان اثنين من الفئات الخمس التابعة للكتيبة السابعة تقومان باحتلال المدرسة الريفية الواقعة على جانب الطريق من الشمال الغـربي لعراق المنشية. وكلفت فئتان اخريان باحتلال الشيخ الريني واما الفئة الخامسة فكلفت باغلاق الطريق بين عراق المنشية والفالوجة.

خصصت للفئتين اللتين كلفتا باحتلال المدرسة الريفية اربع دبابات هونتكس. واما فئة الغلق فقد حصلت على ثلاث دبابات من هذا النوع. وكانت كل دبابة مزودة برجلي طاقم فقط وتسليحها شمل مدفعا قصير السبطانة من عيار ٣٧ملم (يطلق قذائف خارقة للدروع فقط) وبرشاش. واما الاتصال الداخلي في الدبابة فقد اجري بواسطة التلفون الذي لم يعمل دائما بانتظام، وكان قائد الدبابة الذي كان يعمل كقائد ومعبىء وعدد مدفع (احد افراد الطاقم)، يوجه سائقه بواسطة الركلات والصرخات.

وخصصت للفئات التي كلفت باحتلال التل دبابتان من نوع «كروموبيل» التي كانت ذات تصفيح سميك نسبيا وكانت كل واحدة منها تضم خمسة افراد طاقم. وكانت دبابة الكروموبيل مسلحة بمدفع من عيار ٥٧ملم وبرشاشين. وفي معركة عراق المنشية استخدم هذه الدبابات رجال دروع بريطانيون تم (شراؤهم) مع شراء الدبابات الذي جرى بصورة سرية وذلك عشية خروج الانكليز من فلسطين.

أخطـاء ... أخطـاء

في السادس عشر من تشرين أول وفي الساعة ٢,٣٠ صباحا وصلت قوات المشاة الى اماكنها وبدأت بالتخندق. وتقرر ان يكون خط البدء قرب سكة الحديد القديمة، غرب وجنوب كيبوتس جات على بعد ٨٠٠ متر فقط من المواقع المصرية،

وكل قوة اشرت بأشرطة بيضاء نقاط الدخول للدبابات التي كانت لا تزال في (الجسير) من اجل الاعتناء بها. وكان من المقرر ان تصل في وقت لاحق قبل طلوع الفجر، وبقيت في (الجسير) القوة الاحتياطية في المجنزرات التي تم شراؤها من الخارج على دفعات صغيرة وهربت الى فلسطين في أواخر الانتداب البريطاني تحت غطاء ماكنات زراعية. وقد سلحت برشاشات مختلفة منها على ابراج متحركة ومنها على مثلثات فقط. وقد اثار دق الاسفين الذي به فتحت العملية، انتباه المصريين في المنطقة. وكان هذا هو اول خطأ نرتكبه ولكنه لم يكن الخطأ الوحيد، وبسبب خلل وقع في احدى طائرتي بوفايتر اللتين كان يجب عليهما ان تقصفا عراق المنشية الغيت ايضا طلعة القاذفة الثانية من ذلك الطراز. واما الطائرتان من نوع مصر شميدث اللتين كلفتا بالقيام بعملية استطلاع في منطقة الفالوجة فقد نفذتا مهمتهما بنجاعة ولكن القوات المهاجمة خسرت اسناد القصف الجوي.

بعد مرور حوالي عشرين دقيقة وفي الساعة ٦,٢٠ وبتأخير نصف ساعة عن التخطيط الاصلي، بدىء القصف المدفعي، وقد وفر رجال المدافع من الذخيرة، لأنهم ابلغوا بأن احتلال القرية والتل ليس إلا مرحلة أولى من هجوم واسع النطاق ومتعدد المراحل. ولهذا خصصت لكل مدفع ما بين ٢٥ ـ ٤٠ قذيفة فقط. وكان اخراج اي ذخيرة اخرى يتطلب موافقة رئيس الاركان. في البداية كان الاسناد ناجعا وحققت اصابات جيدة في التل نفسه، ولكن لم يتم قصف مواقع مصرية امامية.

واجهت الدبابات التي انتشرت في ساعات الليل خلف التلة رقم ١١١,٢ مصاعب في الحركة وتأخر تقدمها. وفي الساعة ٦,٣٠ فتحت مدافع العدو نيرانها وامطرت قذائفها على قوات الجيش الاسرائيلي وعلى كيبوتس جات، وفي الساعة ٧,٠٠ اطلقت قيادة الكتيبة السابعة قذيفتي انارة بيضاء، رمزت الى خروج الدبابات للعمل. وكان من المقرر ان تتقدم الدبابات بغطاء من المدفعية، ولكن في هذه اللحظة تشوش الاتصال التلفوني مع احدى البطاريات وانكسر الزناد في احد مدفعي الهاو الثقيلين (عيار ١٢٠ملم).

تقدمت الدبابات حتى مواقع المشاة المحفورة وواصلت تقدمها، في حين كان جنود المشاة يسيرون راجلين خلفها حتى التلة رقم ١١٩,٨ التي استخدمت نقطة انتشار للمهاجمين، في ذلك الوقت تم استخدام خمسة هياكل دبابات في عملية

تضليل في واجهة الفالوجة.

دبابات الهونتكس الثلاث وفئة المشاة التي اعدت لاغلاق الطريق الواقعة بين الفالوجة وعراق المنشية توجهت غربا وتحركت في الوادي حتى جسر الحجارة الواقع على سفح التلة ١٢٣,٦، وهنا اصيبت احدى الدبابات وتضررت، اما دبابتا الكرومويبل وفي اعقابهما فئتا مشاة، فقد تحركتا نحو تل الشيخ الريني، وتسببت عمليات قصف مدفعي شديدة من جانب المصريين في الحاق خسائر جسيمة للقوة خلال عدة دقائق.

دبابات الهونتكس الاربع تحركت في وسط الواجهة مع فئتين من المشاة، وحتى هذه القوة تضررت بشدة على ايدي المدفعية المصرية ونيران الرشاشات التي اطلقت من التلة ١٢٣,٦.

الدبابات، التي كانت سرعتها اكثر من سرعة جنود المشاة، خلقت فجوة أخذت تتسع، والاتصال بين الدروع والمشاة، الذي اعتمد على اشارات الايدي والصرخات قطع. واعلن احد قادة الدبابات ان الذخيرة نفذت لديه. وتطلع القائد حوله ولم يشاهد جنود مشاة بالقرب منه فأمر سائقه بأن يناور في المنطقة حتى ان تصل قوة المشاة. وتوقفت احدى دبابات الكرومويبل بسبب خلل اصاب محركها. وفي دبابة اخرى انفجرت قذيفة عمياء داخل سبطانة مدفعها، فتصدعت الدبابة اما المدفع فقد تعطل نهائيا. كما تمكنت قذيفة من نوع «فيات» من شل حركة احدى دبابات الهونتكس. واستمرت المدفعية المصرية في تعطيل دباباتنا في ميدان القتال، واخذ عدد المصابين يزداد باضطراد.

في الساعة ٧,٤٠ وصل عدد من جنود المشاة الى المدرسة ولكن هؤلاء جوبهوا بنيران كثيفة. ورغم انه وصلت تقارير حول ظواهر هروب للعرب من عراق المنشية، فان الهجوم الاسرائيلي تحطم وخاصة بسبب ازدياد الخسائر البشرية، فأصدر احد قادة المشاة امرا بالانسحاب، وتحول الانسحاب الى عملية فرار. وبعد ذلك اعطي امر بالانسحاب للدبابات، وعندما شاهد جنود المشاة الذين صعدوا على التل ان القوة المركزية قد انسحبت، انسحبوا هم ايضا. ونقلت دبابة الكرومويبل التي تصدع مدفعها منسحبين على ظهرها وحاولت ايضا بواسطة جنزير جر الدبابة التي تعطل محركها، ولكن الجنزير انقطع. وفي هذه الاثناء امطر المصريون وابلا من

نيرانهم على الدبابات التي اصبحت هدفا بارزا في المنطقة فأصيب الجنود الذين كانوا على الدبابات أو حولها. من بين ٦٠٠ جندي من المشاة شاركوا في المعركة اصيب ١١٥ جنديا، ومن القوة التي تقدمت الى التل عاد فقط اربعة جنود سالمين بأجسامهم. وفي الساعة ١٠,١٥ وصل آخر المنسحبين الى قاعدة انطلاقهم. وابقيت ثلاث من الدبابات في ميدان القتال. ومن اجل منع سيطرة المصريين عليها امطرت مناطقها بوابل من نيران مدافع الهاون، واعيدت الدبابات الى القوات الاسرائيلية فقط بعد ان تم احتلال المنطقة كلها.

ان الجيش الاسرائيلي، والحق يقال، قد تمكن من استخلاص العبر بسرعة وطبقت في حرب (الاستقلال) نفسها، وفي حين كانت العبر تستخلص في الواجهة الوسطى استخدمت قوات مدرعة (ليست دبابات) في معارك حركة انبعثت فيها روح الدروع بصورة غريبة.

عملية حيرام

المقدم جبرائيل لوري حقق في نشاطات اللواء السابع في عملية (حيرام). وتبين من بحثه الصورة التالية:

كانت خطة العملية مقسمة الى قسمين: في المرحلة الاولى ـ مرحلة الاختراق ـ امرت القوات بالعمل من ٢٨ تشرين اول وحتى سقوط سعسع في الليلة التالية. وبعد ذلك تأتي مرحلة استغلال الانتصار. في الليلة الاولى كلف اللواء السابع باختراق خطوط العدو في منطقة الجش ـ صفصف والوصول الى مثلث سعسع. وتقرر انه اذا نفذت الخطة حسب ما هو مرسوم وتتحقق عملية الاختراق حتى في منطقة ترشيحا، يواصل اللواء عملية تطهير طريق الشمال نحو مالكية. واذا لم تتحقق يقوم اللواء باحتلال ترشيحا من الخلف من اتجاه بلدة سعسع. واما تطهير منطقة الجليل فسيتم في وقت لاحق.

وقد توقع قائد اللواء السابع، بن دونكلمان، ان تكون المقاومة الاساسية في سعسع ومالكية، وبنى هجومه على عامل السرعة علماً منه ان قدرة المناورة في المنطقة الجبلية محدودة جدا، وآمن، بأن التقدم الآلي ـ المدرع السريع سيفكك الدفاعات الخلفية، وبموجب الخطة، كانت الخطوط الخلفية للواء المخترق مأمونة عن طريق

احتلال «ميرون» وقطع الطريق بواسطة نسف جسر ميرون. بعد ذلك كان على القوة الرئيسـة ان تتقدم بسرعة الى صفصف والجش واحتلالهما. واعدت قوة اخرى للتحرك على الطريق الترابية والسيطرة على «قديتا» لحماية الجناح الشرقي ومنطقة الانتشار للمدفعية بالقرب من عين زيتون. وقد كلفت هذه القوة باشغال العدو في منطقة «الجش» وصفصف من ناحية الشرق، وهو الاتجاه الذي كان المدافعون العرب مستعدين له، وقد قصد بهذه العملية ان تكون عملية تغطية للجهد الرئيس الذي سيأتي من الجنوب، وقد اسندت مهمات التطهير والتمركز في جميع المنطقة [ميرون ـ قديتا ـ الجش] الى قوة ثالثة.

وعليه فقد تم توزيع اللواء الى ثلاث قوات: القوة الاولى اعتمدت على الكتيبة ٧٩، بقيادة باروخ فريدمان اراز، وعلى سرية من الشركس وسرية من حملة البنادق. وتكونت الكتيبة من سريتين مدرعتين تمتلكان ١٩ مدرعة من انتاج اسرائيل (وهي مصفحة بسماكة ٨ملم ومزودة ببرج ورشاش ماج٣٤) ومن مدرعتين بريطانيتين (مرمون هارنجتون) ومن مدرعة بريطانية (د،ايملر) وهذه المدرعات الثلاث مسلحة بمدافع عيار ٢ رطل، كما كانت في الكتيبة ٧٩ سرية مشاة آلية و١٢ مجنزرة، وسرية اسناد وفئتان مدرعتان. وهذه القوة قسمت الى ثلاث قوات فرعية تشتمل كل واحدة منها على فئتين من المدرعات، وفئة من المشاة الآلية، وأُلحقت بالكتيبة مجنزرتان مسلحتان بمدافع مضادة للطائرات من عيار ٢٠ملم. وكان هذا التنظيم ارتجالا اسرائيليا محضا نجم عن النقص في الاسلحة المضادة للدبابات التي تستحق الذكر.

اما القوة الثانية فقد شكلت من الكتيبة ٧٢ والقوة الثالثة شكلت من الكتيبة ٧١، وقد نظمت عملية حركة سريعة وحشد اللواء في صفد وضواحيها جيدا، وقد جرى كل ذلك بسرية تامة، وفي احدى الحالات اعيدت على اعقابها قافلة تحركت في منحدر سحيق وهي مضيئة مصابيحها بشكل كامل. ولم يسمح للجنود بالخروج في ساعات النهار من اماكن حشدهم، وقد تمت تخفية جميع القوات وموهت جيدا.

كانت الواجهـة معـروفـة جيـدا لجميـع القادة في اللواء، بفضل عمليات التحضيرات الاولية ونتيجة لعمليات الاستطلاع الجوي التي جرت فوقها.

وبعد انسدال الظلام يوم ٢٨ تشرين اول بدأت في صفد نشاطات كادحة، وخرجت الآليات من مخابئها وتحركت القوات الى الطريق المؤدية غربا واستعدت

عليها في صف متراص. وفي الوقت الذي كان فيه الرتل الاساسي قد استعد وبدأت وحدات الهندسة باعداد الطريق للحركة، خرجت القوة الثانية (كتيبة ٧٢) مشيا على الاقدام الى ميرون لاحتلالها ونسف الجسر، وبسبب اخطاء وتشويشات تم احتلال ميرون فقط في السابعة صباحا، والزم الوضع الذي تكون قائد اللواء السابع باتخاذ قرار جريء جدا وهو مواصلة التقدم قبل ان تتم حماية المؤخرة من هجوم قد يتم من الجنوب الغربي.

بدأت الكتيبة ٧٩ حركة سريعة نحو مثلث ميرون واتجهت شمالا الى صفصف وهي معرضة لعمليات قنص بأسلحة خفيفة من رؤوس التلال. وبدأت المدافع بقصف صفصف والجش وفي مداخل صفصف تم احتلال موقع عربي وبه مدفع مضاد للدبابات فرنسي من عيار ٣٧ملم كان موجها الى الطريق الواقع امام صفصف، وبدأت فئة المدرعات التابعة لقوة رأس السهم والتي كانت مرابطة على الطريق، باطلاق النار من كافة رشاشاتها على القرية، واما فئة المشاة الآلية فقد انطلقت من مجنزراتها واحتلت القرية في معركة قصيرة، واستمرت الكتيبة في تقدمها دون تأخير نحو الشمال الى الجش التي تبعد كيلومتر واحد فقط عن صفصف. اما قوة رأس السهم التي كانت مشكلة من فئتين مدرعتين وفئة مشاة آلية فكانت بقيادة الملازم الاول عاموس بنيان.

عندما اقتربت القوة من قرية الجش اطلقت عليها نيران غزيرة من التلة التي تقع القرية عليها، وقد توقف الرتل وبدأت الدروع باطلاق النار على التلال، وبدأ جنود العدو ينحدرون نحو الرتل، وألقت طواقم المدرعات عليهم قنابل يدوية. وارسلت فئة المشاة الآلية لتطهير البيارات القريبة من الطريق.

في ذلك الوقت اطلقت على القوة النار من اسلحة مضادة للدبابات من مدرعتين كانتا ترابطان في مدخل القرية. ولمواجهة مثل هذه الحالة اعدت القوة مناورة ثابتة؛ تنطلق المجنزرة التي تحمل المدفع ٢٠ملم من الرتل وتطلق النار على مدرعة العدو.. وهكذا تم في مداخل الناصرة في عملية (ديكل). ولكن الطريق امام قرية الجش كانت ضيقة ووقفت امام مجنزرة المدفع مدرعتان تعطلت احداهما، وتحت رماية العدو دفع جنود القوة المدرعة المعطلة الى جانب الطريق، فانطلقت مجنزرة المدفع نحو الامام واسكتت مدرعات العدو.

احتلال قرى في لبـنان

في هذه الاثناء ازدادت قوات المشاة الحربية التي نزلت عن المنحدر واقتربت من الطريق، بين اشجار البيارات، وقرر نائب عاموس بنيان، اشير شلانك، ان يقتحم داخل القرية بواسطة مدرعات، فأرسلت مجنزرة واحدة الى ما وراء المنعطف لاغلاق الطريق امام نجده من جهة سعسع فاندفعت المدرعات نحو منطقة البيادر في مدخل القرية، وفتحت نيرانها الغزيرة واما المجنزرة التي ارسلت لاغلاق طريق النجدات اصابت شاحنة ذخيرة عربية وهذه بدأت تحترق، فانفجرت الذخيرة، واصيب رجل مدفع المجنزرة بصورة خطيرة بقدمه وخلال وقت قصير تعطلت الآلية تماما.

في هذه المـرحلة وصلت الى الجش نجـدة ارسلهـا قائـد الكتيبة ٧٩ من صفصف، وكان قائد المدرعات قد طلب النجدة لمهاجمة القرية عن طريق الالتفاف عليها من الشرق واحتلال القسم المسيطر فيها تحت غطاء من نيران المدرعات، وقد ضعفت مقاومة العرب في قرية الجش ورفعوا الاعلام البيضاء على بعض المنازل، ولكن في هذه المرحلة اقتربت قوة للعدو من اتجاه سعسع، ونجح قائد فئة مدافع الهاون ابراهام ليني وتحت رماية معادية شديدة في نصب مدافعه بين الاشجار الواقعة الى الشمال من الطريق وسرعان ما اصابت هذه المدافع بشدة نجدة العدو التي توقفت وانسحبت، ولكن المقاومة في قرية الجش ما زالت مستمرة لأنه في ذروة القتال وصلت الى هناك نجدات سورية، وفقط في الساعة ٦,٣٠ من صباح يوم ٣٠ تشرين اول سقطت قرية الجش في اصعب وأحلك معركة وقعت في اطار عملية «حيرام».

بعد احتلال الجش فورا ظهر قائد اللواء في المكان وبدأ عملية اعادة التنظيم، وكـان هناك خوف من هجوم معاكس وكان لا بد من البدء بالتحضير لاستغلال الانتصار، وبعد سقوط سعسع والجش اصبح واضحا بأن القتال لاحتلال الجليل قد حسم، اذن بقي الانتقال لمرحلة التطهير، وليس فقط ان هذه المرحلة نفذت بسرعة وانما في غمرة حماس استغلال الانتصار تغلغلت قواتنا في لبنان ورحلت حتى نهر الليطاني واحتلت حوالي ١٢ قرية.

الـدورات

في ذروة حرب الاستقلال، وبعد عملية «داني» التي نفذت في تموز ١٩٤٨ واشتركت فيها لأول مرة قوات مدرعة اسرائيلية على نطاق حقيقي شمل (دبابتين بريـطانيتـين من نوع كرومـوبيـل وكتيبة آلية) اتخذ قرار البدء باسرلة الدروع الاسرائيلية، ولم يكن شاؤول يافه قائد الكتيبة ٨٢ (وهي كتيبة الدبابات التابعة للواء الثـامن الذي كان يقوده اسحق ساديه) راضيا عن قسم كبير من الطاقة البشرية في كتيبته. فالاشخاص في هذه الكتيبة كانوا غرباء عن هذه الارض وعن طرقها ولغتها ولم يكن بالامكان تقدير خبراتهم الحقيقية والكاملة في مجال الدروع، وفي ذلك الوقت عقدت في مدرسة الدبابات بقيادة روهتين رون دورة مستجدين لقوات من الجدناع ولكن لم تكن هناك دورة ضباط في الدروع، وقد افتتح الرائد يافه هذه الدورة التي حصلت على اسم «الدورة أ» وضمت حوالي عشرة تلاميذ وكانوا رقباء وضباطا تم جمعهم من وحدات مختلفة من الجيش وكان جميعهم اسرائيليين وقد اعد لهؤلاء ان يكونوا قادة لقوات الجدناع في نهاية فترة المستجدين، وقد تم تجنيد مدربي الدورة أ من مدرسة الدبابات ومن مشغل الدروع الأول (الذي عمل في اطار اللواء الثامن) ومن سلاح المدفعية وسلاح الاتصالات وغير ذلك، وقد اديرت الدورة كندوة تعلم فيها التلاميذ بمساعدتهم انفسهم اكثر مما هي دورة عادية.

قال شاؤول يافه: «لقد اردنا ان نضع تحت تصرف سلاح دروعنا اشخاصا ممن يعرفون طرق البلاد وخبراء في لغة البلاد وطابعها (الارضي والبشري) ومنهم تنبض روح الجيش الاسرائيلي ويعرفون انظمته وتعليماته، وقد افتتحنا دورة ضباط وجئنا اليها بأشخاص مثل امنون حينسكي وهو ضابط متفجرات من لواء البالماخ «هـرئيل» وتلميذي في دورة قادة حضائر عقدت في البالماح، جدعون غوردن من جبعاتي وعوزي بئيري من ياغور ويوسي كيرشنر، وباروخ فاينر، ودافيد اسحاقي، الذي عين قائدا رسميا للدورة لأنه اجتاز في حينه دورة باشراف فليكس بياتوس وكان في نظرنا مخولا كبيرا في شؤون الدروع. وقد جرح دافيد في احدى المعارك التي خاضها اللواء المدرع في قرية نعنه، وجاء للدورة فور شفائه من جراحه، وعين شموئيل ترايبش نائبا لدافيد.

وقال جدعون غوردون من الذين شاركوا في الدورة أ ان هذه الدورة افتتحت

فعلا في مطلع كانون ثان ١٩٤٩ بعد عملية «حوريب» التي انتهت في السابع من كانون ثان، وقد تعلمنا المهن بصورة منتظمة جدا بمساعدة مدرسة الدبابات التي يقودها روهتين، وقد علمونا مواضيع الاتصالات والمدفعية واما الموضوع التكتيكي فقد تعلمناه بقوانا الذاتية وخاصة اعتمادا على ما تعلمناه في دورة ضباط المشاة. ولم يعطونا دبابات للتدرب عليها ولهذا فقد تدربنا على مدرعات، وكنا نخرج بها الى منطقة كولا حيث نسير ضمن تشكيلات مختلفة.

هؤلاء في اطارات «الشيرمان»

قام بإعطاء دروس السواقة «يحئيل التمان» رجل مشغل الدروع في تل ليتفينسكي (تل هاشومير) وقال له قائد الكتيبة: يجب عليهم ان يعرفوا كل ما تستطيع دبابة ان تفعله، وتلقى يحئيل الامور حسب نصها، فقد قام بترميم دبابتين وقدمهما لتلاميذ الدورة أ وسمح لهم ان يتصرفوا بهاتين الدبابتين كما شاؤوا، وقال جدعون غوردون: لم تبق هناك بيارة او بناية الا ومررنا بها او عليها. وفي ذلك الوقت كانت في تل هاشومير سيارات خردة كثيرة من جميع الانواع والاحجام، وقد قرأنا في الكتب وشاهدنا في الافلام، ان الدبابات تدوس كل شيء يعترض طريقها، وجربنا ذلك، واكثر من مرة صعدنا على هيكل سيارة ولم نستطع النزول من عليه لأن الجنازير بقيت في الهواء.

قام الضباط الروس والبولنديون في الكتيبة ٨٢ بتعليم تلاميذ الدورة أ على دخول الدبابات بالجرابات فقط. هذا ما تذكره التلاميذ الذين قالوا اننا فعلنا ذلك من اجل عدم الحاق الضرر بالدهان ومن اجل احترام الآلية، وبما انه لم يكن هناك طلب لتسجيل ساعات المحرك، كان التلاميذ يسيرون مئات الساعات، وعندما اعد العرض العسكري الكبير عام ١٩٥٠ سافرت الدبابات من تل هاشومير نحو تل ابيب وعلى طول الطريق كانت محركاتها تطلق اصوات انفجارات لأنها لم تكن موجهة بشكل مناسب. وقام ضابط فني يدعى الياهو بست بترجمة مادة تدريب من اللغة الروسية للدورة أ.

وفي الصباح كان ينظم طابورا للتلاميذ ويقول لهم: هذه دبابة شيرمان تسير بمحرك كونتيننتال، وأول امر يجب عمله هو تزويد المحرك بالماء والزيت وبعد ذلك

تعبئة الاطارات بالهواء. وكان هو نفسه ينفجر من شدة الضحك، بعد ان تعلم كل واحد من افراد الدورة أ بصورة اساسية كل مهنة شرع في تدريبهم كطاقم، وطيلة انعقاد الدورة أ كان شاؤول يافه يكثر من زيارتها ويتحدث مع افرادها. ومنحهم الدعم والثقة، وقد شكل تلاميذ الدورة أ الهيكل القيادي لسرية الدبابات الاسرائيلية الاولى.

تدريبات على مدارج اقلاع

لقد تقرر فتح الدورة (ب)، وقال شاؤول يافه: بعد ان انتهت المعارك الكبيرة في الجنوب فورا وشرع في تشريح جنود كثيرين من الجيش الاسرائيلي، كانت هناك حاجة لخلق نواة دائمة للدروع، وقد ارسل الضباط الذين اعدوا للمشاركة في هذه النواة الى الدورة(ب)، وقد جاء كثيرون منهم من لواء النقب الذي الحقت به الكتيبة ٨٢ مؤقتا ومن ضمنهم ابراهام ادان (برن) ومناحم مارون (ماندي) وميخا غروتس وتسفي شبيط وغيرهم، وقدمت الكتيبة للدورة كل طاقاتها في المعدات والمدربين. وكانت الدورة مكثفة جدا، وقد قام التلاميذ برحلات في انحاء (البلاد) واجروا سلسلة من التمارين في رمال خلوصة..

لم يتحمس جميع تلاميذ الدورة(ب) للعمل في الدروع مع انهم جاؤوا بمحض ارادتهم، وقال برن بصراحة، كان شاؤول هو المدرب بالنسبة لي بالحركة، وعندما حلوا اللواء الثامن ونقلوا الكتيبة ٨٢ الى لواء النقب التقيت بشاؤول في قيادة اللواء، واقترح عليّ الانتقال الى الكتيبة ٨٢ والعمل في اطار الدبابات. وقد ذهلت، فأنا الذي امضيت كل ايامي احارب وانا ازحف في حقل مفتوح، واهجم من الجناح وآخذ ملجأ خلف صخرة، سأدخل في صندوق مصفح اذا اصابه العدو فلن يستطيعوا اخراج لحمي منه. ولهذا رفضت الاقتراح، وتحدث شاؤول مع قائد اللواء ناحوم شريج وهذا بدوره ألح عليّ ان اجرب طريق الدروع.

ترددت كثيرا، وقد تذكرت الانتكاسات التي منيت بها المدرعات اثناء احتلال بئر السبع وفي عملية حوريب، ولم اتحمس كثيرا لما رأيت ولكنني اقتنعت بأنه يجب علي ان اجرب، فكلفني شاؤول بأن اجمع خريجي البالماح الذين هم على استعداد لدراسة الدروع وان نعقد معهم دورة ضباط للدروع، فأخذت «ماندي» وميخا من

لواء النقب وبايجله وغيرهم من لواء هرئيل، وبعض الاشخاص من لواء كرميلي وبعد مرور اسبوعين كان عدد الاشخاص كافيا لعقد الدورة. سألت شاؤول: من سيكون قائد الدورة؟ فأجابني فورا: انت. رغم انه لم تكن لدي خطط ومع هذا كانت لدي خطوط عامة بناء على التجربة التي اكتسبتها في الدورة(أ).

جلست ووضعت برنامج تدريب للسواقة بناء على محادثات مع مدربين وبناء على التجارب التي اكتسبتها من عمل في سلاح المشاة. وبما اننا لم نكن نمتلك جميعا رخص قيادة سيارات قررنا الذهاب من الخفيف الى الثقيل. وتعلمنا السواقة على شاحنة ومن اجل توفير الوقت ونجاعة السواقة وضعنا جهاز اتصال في كل شاحنـة وخلال اعطائنا لدروس السواقة كنا نستخدم اجهزة الاتصال من اجل تنسيق محاور الحركة وكنا نقود الشاحنات بين (١٠ ـ ١٢) ساعة في اليوم، وبعد ذلك انتقلنا للتدريب على قيادة المجنزرات، وضمن اسلوب من الخفيف الى الثقيل قاد تلاميذ الدورة(ب) حتى في مناطق المناورات، فأولا قادوا في مناطق مفتوحة وبعد ذلك في مناطق جبلية وصخرية وفي المناطق المليئة بالكثبان الرملية، ومن المفهوم ان التمارين اجريت على جميع انواع المجنزرات والمدرعات.

وقــال شاؤول للتــلاميذ: «انكم دورة اسرائيلية صرفة، وعليكم ان تضعوا الاساس لقوات الدروع الاسرائيلية، فأنتم الطلائعيون!».

اما دروس المدفعية فقد تلقاها تلاميذ الدورة(ب) من داني شبيرا وهو خبير في الاسلحة المضادة للدبابات، وقد درب رجال المدافع في الدبابات على كيفية الرماية بمدفع ميدان من عيار ٦ أرطال، وقد طبق التلاميذ هذه النظرية بمدرعات تحمل احداها مدفعا من عيار ٢ رطل والثانية ذات مدفع من عيار ٣٧ملم، ومن اجل اطلاق النــار بواسطة الرشاش المقابل كان لا بد من الانتقال الى مدرعة تحمل رشاشا متوسطا فرنسيا، وفي ذلك الوقت لم تكن هناك تعليمات امن رماية وتعود التلاميذ على اطلاق النار على دبابة شيرمان متحركة من اجل التعلم على الرماية على اهداف متحـركـة، وقد اصيبت الشيرمان المسكينة بجروح في جسمها لكن العيارات لم تستطع اختراقها، وهذا الامر ترك اثرا بالغا على التلاميذ.

وعندما حان وقت التدرب على قيادة الدبابات حصلت الدورة(ب) على سائقي دبابات اثنين من الكتيبة وقد قام هذان السائقان بتدريب التلاميذ على قيادة دبابة

كروموبيل ولكن اين؟ لقد تم التدريب في مدارج الاقلاع والهبوط في مطار اللد، فقد كان المطار المكان الاكثر امنا من الحوادث. وفي مرحلة متقدمة جدا قاد التلاميذ الدبابات على طريق اللد ـ الرملة، وكان السواقون المدنيون الذين قادوا سياراتهم امامهم يصابون بالخوف والذعر منهم.

بيت يسقط على دبابة

تمثل عنوان الدورة(ب) في اللقاء مع خريجي الدورة(أ) فقد جلب هؤلاء لأفراد الدورة(ب) ثلاث دبابات من نوع شيرمان م/٣، وبعد ذلك تلقت الدورة(ب) دبابة شيرمان م/٤ تم نقلها من وادي الخردوات البريطاني الواقع على سفح بيت اورن، وكان البريطانيون قد دمروا مدفعها. ولكن تم اصلاحه. واستدعي مدربو الدورة(أ) للتدرب في الدورة(ب) على تشكيلات الفئة. قال برن: سافرنا بين الرملة ومستوطنة قريبة وذلك على مسافة ٤كم ذهابا وايابا، واجرينا تشكيلات فئة مختلفة وكثيرة، وبما اننا كنا نغير بسرعة صورة التشكيل كنا بحاجة الى سيطرة سريعة على الدبابات و لاستجابة سريعة من جانب الطواقم، ولهذا غيرنا نظام الاتصال الذي تعلمناه في سلاح المشاة فقد اعتقدنا اننا لن نستطيع السيطرة على الدروع اذا لم نتحدث باختصار، وفي نهاية الدورة طلب ضابط الاتصال في الكتيبة بأن يقدمني شاؤول للمحاكمة لاهمالي في مجال الاتصالات.

في نهاية التدريب التكتيكي على تشكيلات الفئة اقترح «برن» على شاؤول يافه ان يعطي استراحة مدتها ثلاث ساعات وذلك من اجل اعداد مناطق لتدريب تكتيكي واقعي: هجوم على مستوى الفئة، وسفر على مستوى الفئة والدفاع، والاشغال، وغير ذلك، بناء على نظرية سلاح المشاة مع ادخال تعديلات لأغراض الدروع. وقد اعطيت اجازة للتلاميذ اما المدربون فقد استخدموا نشرات امريكية مزودة بكلمات غلاف؛ صحيح وغير صحيح، ولم تكن هناك حاجة لفهم اللغة الانجليزية جيدا من اجل فهم هذه الاشارات. فالشخص الذي وضع المادة وكان بمثابة كنز معلومات للدورة(ب) كان بولنديا يدعى ازراحي. فقد كان هذا الشخص سائقا لمجنزرة واصبح مدربا، وفي دروس السواقة كان يوقف الآلية ويسأل تلميذه: هل تفهم لماذا يخرج هذا صوتا؟ ويسهب في اعطاء المحاضرات في موضوع الميكانيك،

وبمساعدة ازراحي الذي ترجم مادة تدريب من اللغة الانجليزية كتب برن وزيفي تسفريري نشرة تدريب لفئة دبابات ولسرية دبابات ومع هذه المادة نزل برن، وزيفي، وانسون وجدعون الى منطقة خلوصة واعدوا هناك تمارين تعبوية لفئة دبابات ولسرية دبابات بموجب نشرات التدريب والتجارب التي اكتسبوها في سلاح المشاة. وقال برن: هناك شيء واحد تعلمناه جيدا في الدورة الثانية ـ مثلما تعلمناه في الدورة الاولى ولكن بكثافة اكثر، وهو ماذا تستطيع الدبابة عمله. وعليه فقد دخلنا طرف القـرية العربية «نعنه» بالقرب من الرملة وقلنا للمدربين ان ينتظرونا في الطرف الثاني. فأغلقنا النوافذ وسرنا في خط مباشر، فسقط المنزل الاول على الدبابة فحطم هوائيا، والمنظار وجهاز الاتصال ولم يعد هناك اتصال ولا رؤية، وحاول الطاقم فتح النوافذ ولكنه لم يستطع، فسرنا بشكل اعمى، وصعدت المجنزرة التي سارت امامي على منزل مكون من غرفتين، وكادت مجنزرة اخرى ان تسقط في جورة، وقد استمرت التمارين التعبوية في منطقة خلوصة شهرا كاملا، وقد بدأنا هذه التمارين بسرية وانهينـاهـا بفئة لأن عددا من الدبابات اصيب بأعطال مختلفة، ولكن في نهاية التمارين اصبحنا مزودين بمعلومات كافية حول قدرة الدبابات.

وقال برن: ان الدورة(ب) التي استمرت (٨) أشهر كانت المشتل الذي نما فيه قادة الدروع للسنوات القادمة.



اسحق ساديه
مؤسس سلاح الدروع

العميد الاحتياط اسحق ساديه عين في شباط ١٩٤٨ رئيسا لمجموعة المدرعات في منظمة الهاجناه. في تموز ١٩٤٨ رفع الى رتبة عميد وعين قائدا للواء الثامن، اللواء المدرع الاول، لقد ساهم اسحق ساديه مساهمة هامة وحاسمة في بلورة نظرية الحرب لمنظمة «الهاجناه» والجيش الاسرائيلي على مدى سنوات طويلة وثقف جيلا من المحاربين والزعماء العسكريين ـ بينهم موشه ديان ويجآل ألون. وكان هو مؤسس سلاح الدروع في الجيش الاسرائيلي ورائد نظرية الحرب المدرعة في الجيش الاسرائيلي.

لقد أيد العميد ساديه ودعا طيلة حياته لاتباع اسلوب الهجوم المباشر وغير المباشر، وانعكس نهج العميد ساديه الهجومي بصورة ملموسة في فترة (الاحداث) بين عامي ٩٣٦/٩٣٩ عندما ايد «الخروج الى خارج السياج» وفي فترة اقامة البالماح عام ١٩٤١ وهي القوات التي اعتمدت على مبدأ القوة المحاربة المتحركة والهجومية. وقد أسس اسحق ساديه الذي اطلق عليه لقب «الختيار» في نهاية عام ١٩٤٧ مدرسة الدروع الاولى التي عملت في تل ابيب بدون دبابات، وفي فترة الهدنة الاولى في حرب (الاستقلال) عام ١٩٤٨، شكل كتيبة الدبابات التي اشتركت في عملية احتلال مطار اللد.

ولد اسحق ساديه في لوبلين عام ١٨٩٠، وكان أحد أفراد الهجرة الثالثة، وانتمى الى كتيبة العمل بقيادة يوسف ترومبلدور من عام ١٩٢٠ الى عام ١٩٣٦. وفي عام ١٩٢١ عين قائدا لدورة القادة الاولى التابعة لمنظمة الهاجناه. في عام ١٩٣٦ عين قائدا لمنطقة (هارطوف) وتبنى اسلوب التنقل والنشاطات الهجومية في المنطقة، وعينته القيادة القطرية للهاجناه، مؤسسا وقائدا لسرايا الميدان، وبناء على نظريته الهجومية تمكن من ابعاد الحرب عن منطقة المستوطنات اليهودية نحو القرى العربية.

في عامي ١٩٣٩/١٩٤٠ عين قائدا لوحدات العمليات الخاصة، وفي عام ١٩٤١ شكلت السرايا الضاربة ـ البالماح ـ وفي شهر ايار ١٩٤١ عين ساديه

مسؤولا عن تأسيس وتدريب وتنظيم قوات البالماح، واصبح القائد الاول لقوات البالماح، وتحت قيادة ساديه تعاظمت قوات البالماح من ٦ سرايا مستقلة عام ١٩٤١ الى ٤ كتائب تشتمل على ١١ سرية نظامية واحتياطية عام ١٩٤٢، وفي الفترة بين تشرين اول ١٩٤٥ وصيف ١٩٤٧ عمل ساديه رئيسا لأركان منظمة الهاجناه. وفي شباط ١٩٤٨ عين رئيسا لمجموعة المدرعات في الهاجناه وبعد ذلك في الجيش الاسرائيلي، وفي تموز ١٩٤٨ رفع الى رتبة عميد وعين قائدا للواء الثامن. اشترك في عمليات كثيرة في حرب (الاستقلال) - في مشمار هاعيمق، وفي منطقة القدس، واحتلال منطقة اللد والرملة، وفي معارك عراق المنشية وشرطة عراق سويدان (عملية يوآب) وفي معارك العوجا ورفح (عملية حوريب).

توفى اسحق ساديه في ١٩٥٢/٨/٢٠ عن عمر يناهز ٦٢ عاما.

بن دونكلمان

هو رجل اجنبي من كندا، سمي في الجيش الاسرائيلي باسم بنيامين بن دافيد. وقد قاد اللواء السابع الآلي في عمليات «ديكل» و«حيرام». وقد بدأ دونكلمان طريقه في الجيش الاسرائيلي كمستشار لمدافع الهاون الثقيلة بفضل تجاربه القتالية التي اكتسبها في اوروبا في الحرب العالمية الثانية.

وبعد فشل اللواء السابع في معارك اللطرون تسلم قيادة هذا اللواء وقاده من نصر لآخر - من احتلال الناصرة وحتى احتلال ١٢ قرية عربية في لبنان وحتى نهر الليطاني.

دروس في عملية حيرام

من عملية «حيرام» استخلصت عبر كثيرة في حرب (الاستقلال) نفسها، وابرز هذه العبر والدروس كانت المرونة العالية في العملية. وقد تمثلت في تغيير المهام وفي نقل القوات من واجهة لأخرى من قبل قيادة الواجهة التي عملت بسرعة ومن خلال اظهار قدرتها على اتخاذ القرارات. وقد اديرت العملية دون فقدان عامل الزخم ولو للحظة واحدة. وكانت الاستخبارات جيدة. كما ان التعاون بين القوات كان جيدا. وكان هناك توازن سليم بين المدرعات وقوات المشاة الآلية في طواقم الكتيبة ٧٩. وفي قرية صفصف والجش كان التنسيق جيدا وعملت القوة كوحدة متجانسة

واحـدة، ورغم ان اللواء الســابع شكل فقط في ربيع ١٩٤٨ فقد حقق انجازات تستحق الثنــاء. ومن المهم ان نذكـر ايضــا مستوى القيادة ونوعيتها في عملية «حيرام»، وفي اللواء المهاجم الذي قام بالمهمة الرئيسة (اللواء السابع الآلي المدرع) كانت القيــادة ابتداء من قائد اللواء وانتهاء بقادة الطواقم المدرعة تتمتع بروح التقدم الى الامام. وقد بذلت كافة الجهود لاعطاء الدروع حرية الحركة والمناورة. وكــان القادة دائما في المقدمة في المكان الذي منه استطاعوا اثبات شخصياتهم وصحة قراراتهم، ولم يكن اللواء السابع يمتلك دبابات في عملية حيرام. كما ان مدرعاته لم تكن ذات تسليح جيد، ولكن روح الدروع نبضت في اللواء الذي نفذ اصعب مهمة القيت عليه خلال ٦٠ ساعة من القتال المتحرك.

الفصل الثاني

(البـناء والتنظيم)
(عبر الدروع ـ ١٩٤٨)

(نظرا للمصطلحات المعمول بها اليوم، فانه لا يمكن الحديث عن سلاح دروع في حرب (الاستقلال). فعندما نتحدث عن الدروع، فاننا نتحدث عن دبابات وعن الوحدات المدرعة المنظمة بصورة متجانسة في اطار القوة المدرعة، في عام ١٩٤٩، كانت بحوزة الجيش الاسرائيلي دبابات قليلة جدا، من انواع مختلفة وذات نوعيات متدنية جدا. وفي معظم الحالات استخدمت كمدفع متحرك اكثر منه كآلية مقاتلة، مدرعة. وبشكل عام، رأوا بالدبابة سلاحا، يوجد به ما يزرع الخوف في قلوب العدو (مثلما ان مدفع هاون «ديفيد كا» الذي تم صنعه في (البلاد) أخاف العدو اكثر مما الحق به خسائر حقيقية). وعليه فلم تستغل في حرب عام ١٩٤٨ جميع ميزات التنقل والحركة السريعة وكثافة النار المتوفرة في الدروع.

ورغم هذا كله، كانت نظريـة الدروع في الجيش الاسرائيلي الفتي، وروح الدروع (أي معرفة عامل الاختراق السريع والتطويق وعامل الصدمة الذي ينطوي عليه عامل الاختراق وكثافة النار) الاساس لعمل الكثيرين. وقد استخدمت الدروع في عمليات كبيرة ومتحركة، وفي معظم الحالات حققت انتصارا وكانت احد العناصر التي حسمت القتال أو المعركة.

في عملية «حوريب» التي تغلغل فيها الجيش الاسرائيلي في شبه جزيرة سيناء في اعقاب الجيش المصري المهزوم والمنسحب، نفذت تحركات عميقة الى ما وراء رأس قوات العدو، واتبع اسلوب القتال الآلي في مناطق مناسبة، وفي عدة حالات اديرت معارك دروع ضد دروع. وفي عملية «حيرام» التي وصل فيها الجيش الاسرائيلي حتى نهر الليطاني في جنوب لبنان استخدمت آليات مقاتلة (بعضها مصفح) في معركة انتهت خلال ٦٠ ساعة وذلك بفضل الاستخدام الواعي للآليات.

وقد استخلص مستخلصو العبر من عمليات الدروع في حرب (الاستقلال)، أنه مما لا شك فيه أن عمليات الدروع قربت بنسبة كبيرة النهاية الناجحة للحرب

وقد احتفظت هذه العمليات بمكانة محترمة كعناصر من عناصر الهزيمة النهائية للجيوش العربية التي غزت اسرائيل (فلسطين).

بعد الحرب كان من الممكن التوجه نحو بلورة نظرية دروع للجيش الاسرائيلي. وقد قام بالعمل الطليعي في هذا المجال «طاقم العمل» الذي اقيم في مطلع عام ١٩٥٠ بعد اشهر قليلة فقط من توقيع اتفاقية الهدنة الاخيرة (مع سوريا) في اواخر تموز ١٩٤٩.

(طاقم العمل)

حرب الاستقلال انتهت. وكانت هناك حاجة للاستعداد للمستقبل ـ سواء للهدوء بروح اتفاقيات الهدنة او للحرب بروح تصريحات المتطرفين في العالم العربي الذين سارعوا لوصف هذه الاتفاقيات بانها هدنة فقط نحو (الجولة الثانية). وفي نهاية الحرب تم تسريح الكثيرين من قادة الجيش الاسرائيلي. وغيرهم اعتزل الخدمة لاسباب شخصية او سياسية. وكانت هناك حاجة لاعادة بناء الجيش ولهذا السبب عين رئيس الاركان، الجنرال يعقوب دوري، «طاقم العمل» الذي كلف بوضع نظرية تنظيم وادارة، وتطبيق تكتيك وعمل قيادة واركان في الوية المشاة والدروع النظامية والتأكد من اسلوب توحيد القوات البرية». وكذلك كلفه لاقامة دورة تشمل الف تلميذ لاعداد سلك قيادي مزدوج لستة او لثمانية الوية احتياط. وكان على هذا السلك ان يعمل ابتداء من نيسان ١٩٥٠.

اقيم طاقم العمل في مطلع عام ١٩٥٠ وكان مكونا من مجموعات مدربين وقيـادات. وكانت له قيادة تنسيق وقيادة مهنية كاملة، وكذلك مجموعات مدربين للجنود. وهذا الطاقم الذي برز فيه المقدم برتيس شالوم، والمقدم حاييم لسكوب اعد مادة تدريب نظرية وتعبوية وفنية وزعت في اكثر من ٣٠ نشرة تدريب. كذلك اعدت برامج تدريب ومناورات تكتيكية لجميع الوحدات والالوية والقيادات المختلفة.

(الدروع بدأت بالقدم...)

في نهاية حرب (الاستقلال) تنفست اسرائيل الصعداء. فقد هزم العرب في ميدان القتال، ووقعت اتفاقيات هدنة مع الدول العربية المجاورة لاسرائيل وقيل عنها

بصراحة «انها مرحلة على طريق السلام». وكان من الممكن الافتراض، بان العرب ادركوا ان اسرائيل اصبحت حقيقة واقعة وان الاسرة الدولية اعترفت بها وان قوتها معها لحماية وجودها.

في شهـر شباط ١٩٥٠ وقعت بالاحرف الاولى اتفاقية الهدنة بين اسرائيل والاردن. ووقعت اتفاقية مشابهة مع مصر، بالنسبة للمنطقة المجردة في نيتسانا. وفي نيسان من ذلك العام ضمت المملكة الاردنية اليها بصورة رسمية المناطق الواقعة غربي نهر الاردن، التي سيطرت عليها قواتها في حرب (الاستقلال). وقد بدا ان العرب ادركوا الواقع وان اتفاقيات الهدنة بالفعل اصبحت مرحلة على طريق احلال السلام في الشرق الاوسط. وفي ٢٥ ايار صدر «البيان الثلاثي» للولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا، بالنسبة للمحافظة على السلام والحدود القائمة في الشرق الاوسط.

في اسرائيل تم تسريح عشرات الآلاف من محاربي عام ١٩٤٩. وطرأ مصطلح جديد - الاحتياط - وهي قوة ما زالت في مهدها انذاك. وبدأ الهيكل القيادي في الجيش الاسرائيـلي باستيعـاب جمـاهـير المهـاجرين الجدد. وأصبحت الملابس العسكـريـة ملابس الجيش الاسرائيـلي ولكن الذين ارتدوها كانوا يختلفون عن سابقيهم. وكانوا اشخاصا لم يعرفوا لغة البلاد وتاريخها ولم تكن لديهم تجارب في الصمود ضد جيران اعداء وكانت اللياقة البدنية للكثيرين منهم متدنية جدا.

بما ان سلاح المشاة كان ملك ميدان القتال، في الجيش الاسرائيلي منذ ايام الحركات السرية وحرب الاستقلال، وبما ان سلاح الدروع كان ضعيف المعدات والطاقة البشرية وبحاجة الى من هم اصحاب عضلات (لمعالجة الدبابات وتحميل القذائف وما شابه ذلك) كانت ميول لارسال خبرة المجندين اليه. ولكن قوات الدروع التي كانت محشودة في الجنوب وما تبعه للقيادة الجنوبية فقد وضعت في المنطقة التي كثرت فيها عمليات التسلل عبر الحدود من جانب العرب. وبسبب تنقله وحشده في الجنوب اكثروا من استخدام سلاح الدروع في مهام الامن الدارج ولسوء الحظ اصبح هذا الموضوع ملحا جدا من يوم ليوم.

حواجز على الطريق الى ايلات

بدأ اللاجئون العرب يجتازون الحدود لجمع الفواكه، ولرعي مواشيهم ولسرقة المعدات الزراعية. وفي اعقابهم جاء مهربون مهنيون، ورجال استخبارات، واخيرا (مخربون) زرعوا الغاما والقوا قنابل يدوية. ومن هنا يلاحظ انهم لم يكتفوا بهذا كله، بل بدأت الدول العربية بضرب اسرائيل. ففي ٢٩ تشرين ثانٍ ١٩٥٠، اي بعد عام ونصف من التوقيع على اتفاقية الهدنة مع الاردن وبعد عامين من الموافقة على مشروع التقسيم من قبل الجمعية العمومية للامم المتحدة، اقام الاردنيون حاجزا عند الكيلو متر ٧٨ على الطريق الى ايلات بحجة ان الخط الاسرائيلي للطريق يمر عبر الاراضي الاردنية. وعبثا حاول الضباط الاسرائيليون ورجال الامم المتحدة عرض خرائط دقيقة توضح جميعها ان الطريق كله يمر في الاراضي الاسرائيلية. وقرر الاردنيون مضايقة اسرائيل ومنعها من تطوير ميناء ايلات. واما اسرائيل من جانبها فقد قررت ايقاف الاردنيين فورا عند حدهم وازالة الحاجز. والقيت المهمة على عاتق اللواء السابع المدرع بقيادة العقيد شموئيل غودر. وخصصت قيادة اللواء لهذه العملية التي سميت «كسلو» كتيبة المشاة المدرعة بقيادة هارون (اولك) نحشون كوبرشتوك. وكانت هذه الكتيبة مكونة من ثلاث سرايا حربية تستخدم المجنزرات.

خرجت الكتيبة من معسكرها في حتسور في ٣٠ تشرين ثانٍ وقطعت مسافة ٢٣٠كم في حركة مستمرة معظمها على طرق ترابية مستعملة. وبعد استراحة ليلة في عين ياهف وبعد ان تزودت بالوقود وتعززت بمدرعات ومدافع مضادة للدبابات وخبراء متفجرات استأنفت مسيرها. وتقرر السير خفية الى منطقة غرندل لمهاجمة الاردنيين من الجنوب، من جهة غير متوقعة.

في الاول من كانون اول وفي ساعات الصباح انتقلت الكتيبة الى بير ملوحة (بئير منوحا) حيث تموهت. ومن خلال جولة قامت بها مجموعة من القادة اكتشفت حاجزين اردنيين يبعدان ٨٠٠ متر عن بعضهما بعضا ومعمولين من كثبان رملية وأسلاك شائكة ووضعت عليهما قارمات باللغة العبرية والعربية حذرت من أن المنطقة ملغومة.

وكانت ترابط بجانب كل حاجز قوة اردنية تضم اربع مدرعات وسيارات جيب وجنود مشاة. وقوات أخرى انتشرت في أماكن مرتفعة تبعد حوالي ٢٠٠ متر عن

الحواجز قبل بدء العملية وجه قائد القيادة الجنوبية العميد موشه ديان انذارا للقائد الانجليزي للاردنيين طالبه فيه ازالة الحواجز. وبما ان القائد الانجليزي رفض الانذار، توجهت اسرائيل بقيادة الرائد موشه باركوخبا (بريل) لاقتحام الحاجز بالقـوة. وانضم الى السرية خبراء متفجرات مزودون بأدوات جر لازالة الاسلاك الشائكة. وقد تمت إزالة الحاجزين دون أن يردّ الاردنيون. وفي ساعات الليل انتشر الجيش الاسرائيلي للدفاع في منطقة تسيطر على منطقة اغلاق الطريق. وفي فجر الثالث من كانون اول، اتضح، ان الاردنيين قد وضعوا حواجز اخرى جديدة اقوى من الحواجز السابقة. وعليه فقد تقرر ارسال خمس مجنزرات لاختراقها. وفي قوة الاحتياط كمنت قوة المدرعات، لاستخدامها اذا ما دعت الحاجة الى تعزيزات. وقامت المجنـزرات الخمس باختراق الحواجز في حركة خاطفة جرت في الساعة ٣٠ر٨. صباحا. ومن اجل اظهار السيادة تحركت القوة ذهابا وايابا ثلاث مرات في منطقة الغلق، وعندها اطلقت النار عليها. وردت قوات التغطية الاسرائيلية على النار بالمثل واضرمت النار بمدرعتين اردنيتين. ومني سلاح المشاة الاردني بخسائر وانسحب الى الجبال. وفتحت الطريق الى ايلات ولم تغلق ثانية. كانت تلك اول عملية دروع تجري بعد حرب (الاستقلال). وبعد ذلك طلب من رجال الدروع العمل راجلين، لانهم ارسلوا لتنفيذ اعمال انتقامية خلف الحدود ولم ترغب اسرائيل في ان تخلق تصعيدا عن طريق القيام «بغزو» آلي.

لقد نجمت الحاجة الى القيام بعمليات انتقامية عن تسلل العرب الذي أخذ يزداد باستمرار، في البداية كانت تجاوزات العرب للحدود متواضعة جدا، حيث كان الفلاحون العرب يتجاهلون اتفاقيات الهدنة ويقومون بفلاحة اراضي (اسرائيل). وكان من السهل عليهم أن يفعلوا ذلك، بسبب أن سلسلة المستوطنات الحدودية لم تقم بعد، ولأن الجيش الاسرائيلي كان اضعف من ان يغلق الحدود كليا. ولكن كان لا بد من اظهار الوجود والسيادة. وكانت المنطقة واسعة والقوات قليلة. ولهذا استخدمت بشكل خاص قوات استطلاع آلية مكونة من الدروع.

في عام ١٩٥٠ ردت اسرائيل على تجاوزات الحدود من قبل الفلاحين. ففي عملية «كتسير» كلفت وحدة مدرعات بقيادة قائد السرية الحنان سيلع، بنقل خبراء متفجرات الى خربة كُرتين في منطقة تل عراد وهذه الخربة كانت مركزا للفلاحين

المتسللين، وبحراسة الخبراء الى ان يمحوا القرية من على الارض. ومنذ ذلك الوقت اصبحت المدرعات من نوع «مرمون هارينغتون» البريطانية تتجول في مناطق النقب والقيام بزيارات للشيوخ العرب والبدو.

تركت قوات الدروع سريعة الحركة وكثيرة التسليح انطباعا شديدا على العرب وحاول الشيوخ كبح جماح رجالهم عن المساس بامن اسرائيل.

ولكن عمليات التسلل لم تتوقف. وانتقلت الى مجال عمليات التهريب الكبيرة بين الاردن ومصر وزراعة الالغام بين المستوطنات الجديدة التي اعيد بناؤها انذاك، ومعظمها مستوطنات، حدودية اقيمت للمهاجرين الجدد. واهتم الحنان سيلع، الذي اكتسب في حينه تجارب في قوات استطلاع الدروع التابعة للجيش الفرنسي وفي الجيش الاسرائيلي كان قائدا لسرية استطلاع مدرعة لالقاء القبض على قطعان الماشية وقطعان البقر للمتسللين.

وكان المتسللون يقومون بزرع الالغام في طريق الدوريات على طول الحدود، أو أنهم كانوا يحفرون حفرا فيها، لكي لا تستطيع الآلية السير بكامل سرعتها. فالى ان يقوم رجال الدورية بازالة الالغام، او بتجاوز الحفر يكون المتسللون (المهربون والمخربون او اللصوص) قد انسحبوا من المنطقة. وقد اوجد رجال الدوريات ردا لهذا الوباء ايضا: فقد كانت قوة اسرائيلية تقوم بالاختباء في ساعات الليل بجانب الطريق وتموه نفسها جيدا وكانت تترك المتسللين يعبرون الحدود الى داخل اسرائيل وعندما تظهر الآلية الاسرائيلية ويحاولون الهرب كانوا يصطدمون بالحاجز الذي اقيم خلفهم.

عندما صعب على المتسللين وضعهم، بدأت المواقع المصرية في قطاع غزة بمساعدتهم عن طريق توفير التغطية النارية لهم وعن طريق زرع الالغام. فأصدر قائد القيادة الغربية العميد موشه ديان امرا صريحا قال فيه: في جميع الظروف يجب عليكم انهاء الحادث وايديكم هي العليا. فإذا قمتم بمطاردة فاجتازوا الحدود.

واذا طرأت مشكلة سياسية اخرى، اتركوا معالجة الجانب السياسي لمن هم اكبر منكم!.

رجال الدروع كجنود مشاه

لكن جميع العمليات لم تردع العرب وواصلوا عمليات التسلل. وعليه بدأ الجيش الاسرائيلي القيام باعمال انتقامية ضد قرى عربية تقع خلف الحدود، كانت تقوم بايوائهم لدى عودتهم من الاراضي الاسرائيلية. وقد نفذ معظم العمليات الاولى جنود المشاة الآلية في الجيش الاسرائيلي الذين استخدموا كجنود مشاة. وعندما اشتكى قائـد كتيبة الدبابات باروخ بارليف، بانهم يظلمون رجاله، كلف ورجاله بتنفيذ عملية انتقامية ضد خربة مرسم. فقد قام جنود مدرعات اسرائيليون باجتياز الحدود مشيا على الاقدام، بقيادة شموئيل غورودیش غونن. ودخلوا القرية وامطروها بوابل من النيران واحرقوا متبنا كبيرا. ولم تكن الحاجة انذاك تدعو الى خبرة عالية ونفذت المهمة بسهولة كما قال شموئيل غونن الذي اكتسب خبرات اثناء حرب (الاستقلال).

ولكن حتى مستوى التنفيذ المتوسط كان اعلى من قدرة الوحدات، التي كانت مكونة من مهاجرين جدد وقد كلفت احدى كتائب المشاة الآلية بمهمة القيام بعملية انتقامية ضد القرية الاردنية الصافي الى الجنوب من البحر الميت. وطلب قائد الكتيبة «اريبه شفارتسمان شاحر» من عميد القيادة الجنوبية موشه ديان ان يشكل القوة من القادة فقط. لكن ديان عارض ذلك وقال: «ان الجيش الاسرائيلي لا يستطيع العمل بواسطة فرق مختارة فعندما يطلب تنفيذ مهمة من فئة فيجب على كل فئة من اي سرية في كل كتيبة في الجيش الاسرائيلي ان تكون قادرة على تنفيذ المهمة». وقد توجهت الفئة النظامية في طريقها لكنها لم تصل الى الهدف وعادت دون أن تنفذ المهمة. وبعد مرور وقت وخلال اجتماع للقادة ذكرّ ديان بفشل عملية الصافي وقال مصمما: «ان جميع عمليات الدروع حتى الآن انتهت الى الفشل». وفي الواقع كانت هناك نجاحات اخرى. فكتيبة اريبه نفذت قبل ذلك عملية ليلية واسعة (حسب مفاهيم تلك الايام) كان هدفها نسف حوالي ٢٠ بئرا في قطاع غزة ردا على نسف ابار في الاراضي الاسرائيلية. وفي تلك الليلة شكل اريبه المجموعات من القادة فقط، ونجح معظمها في الوصول الى اهدافها ونفذت مهامها وعادت سالمة.

في تشرين اول ١٩٥١ اصطدمت مجموعة من الضباط من القيادة الجنوبية،

كانت تقوم بجولة على طول الحدود أمام قطاع غزة بمجموعة الغام. وقد قتل بعضهم وغيرهم اصيبوا بجروح.

وردا على العملية كُلف اللواء السابع المدرع بالقيام بعملية انتقامية سميت «عملية ياجف». والقى قائد اللواء العقيد شموئيل غودر مهمة تنفيذ العملية على كتيبة المشاة المدرعة ٧٩، بقيادة اهارون نحشون. وكان هدف العملية: الاغارة على الضاحية الشرقية من مدينة غزة وعلى مضارب البدو في منطقة البريج وضرب الاهداف البارزة هناك. مهمة الاغارة على المضرب البدوي القاها قائد الكتيبة على السرية الثانية بقيادة الملازم الاول موشه باركوخبا (بريل). واما الاغارة على الضاحية الشرقية من مدينة غزة فالقاها على السرية الاولى بقيادة النقيب جاك ليفي. وقبل التنفيذ باربع وعشرين ساعة الغيت الاغارة على مضارب البدو ووسعت العملية ضد غزة ووزعت على سريتين من المشاة الآلية. فقد كلفت السرية الاولى بتطهير ونسف عدة منازل في القسم الشمالي من الضاحية، واما السرية الثانية فقد كلفت بنسف عدة مبانٍ رئيسة في القسم الجنوبي الشرقي من الضاحية.

كان (المخربون)، الذين اعتادوا على تنفيذ عمليات داخل اسرائيل مسلحين باسلحة وكانوا يقيمون في مبانٍ تقع على جانبي الطريق بين القبه ـ وبيت حانون. ونظمت هذه المنازل كقواعد واعدت للحرب عن طريق استحكامات حفرت بينها وبجانبها. وبالاضافة الى ذلك بنيت مواقع مسلحة باكياس رمل في نقاط رئيسة واقيمت مواقع رماية على سطوح المنازل وزودت بحراس.

وكلفت السرية الثانية بنسف ثلاثة مبان: مبنى مكون من ست غرف ومبنى من طابقين ومبنى من ثلاث غرف وجميعها كانت مبنية من الاسمنت المسلح. وكان امام القوة يوم وليلة للاستعداد للمهمة الجديدة وقال قائد السرية موشه: اكتملت الخطة في الليل وصادق قائد الكتيبة عليها. وقبل طلوع الفجر خرجت لاستطلاع المنطقة.

«تم تسليم المحاربين ٥٠ طلقة، قنبلتين يدويتين، وشرشور احتياط لرشاش ماج ٣٤. وزود كل رشاش صغير بثلاثة مخازن و٦٠ طلقة احتياط. وزود جنود قوة الاحتياط برجاجتي مولوتوف لكل واحد. واعطي كل محارب شريط تأشير أبيض وضعه على ظهره وعلى صدره كاشارة تمييز لقواتنا. واخذت من الجنود جميع الوثائق

والشهادات التي تثبت شخصيتهم ووضعت قائمة اسماء لجميع الذين شاركوا في العملية».

في الساعة ١٤٫٠٠ اجتمعت السرية للتفتيش. وتم فحص استعداد كل جندي للعمل الليلي. وبعد ذلك درست المهمة على طاولة رملية شرح خلالها القادة اساليب تنفيذ مهامهم. وفي النهاية اعطى قائد السرية توجيها حول تنفيذ العملية برمتها وفي الساعة ١٦٫٠٠ خرج المحاربون من المعسكر. وفي ساعات الليل وبدون انوار دخلوا «ناحل عوز» حيث استعدوا للعمل الليلي واعطي التوجيه الاخير من قبل قائد اللواء وقائد الكتيبة. وفي الساعة ٢٠٫٠٠ خرج المحاربون من باب المستوطنة نحو الحدود.

تقدمت السرية، التي كانت مكونة من ٦٠ محاربا في صف واحد وكانت تسير بمقدمة الصف القوة الاولى. وشملت القوة الاولى تسعة محاربين بقيادة الملازم الاول بنيــامين اوشري. وخلف قوة رأس السهم تحركت مجموعة القيادة للسرية وبعدها القوة الثانية، التي استخدمت كقوة احتياط للسرية. في هذه القوة التي قادها الملازم ميلر كان تسعة اشخاص وقد اعدت القوة لدخول الحرب في حالة اصطدام قوة رأس السهم بقــوة اكبر منها ولم تستطع التغلب عليها لوحدها. خلف القوة الاحتياطية تحركت قوة الغلق الثالثة. وبها ستة محاربين بقيادة رقيب. وقصد بقوات الاغلاق لحماية مناطق العمل من جهتي غرب وجنوب مدينة غزة واختيرت مناطق الغلق بالقرب من جسور حجارة يمكن عندها وقف تقدم قوات آلية.

في اعقاب قوة الغلق تحركت قوة الاختراق الرابعة وبها ١٨ محاربا منهم ٨ خبراء متفجرات بقيادة نائب قائد السرية. وكلفت القوة بتطهير ونسف المبنى المكون من طابقــين والمبنى المكــون من ثلاث غرف وحمــاية منطقة العملية نحو الجهة الشمالية، وزودت هذه القوة بـ ١٢٠ كيلو غراما من المواد الناسفة. وتحرك اربعة خبراء متفجرات آخرون ومعهم ٧٠ كيلو غراما من المواد الناسفة في اطار القوة الرابعة كقوة احتياط للسرية. اما قوة الاختراق الخامسة التي تحركت في آخر القوات فقد ضمت ١٢ محاربا منهم اربعة خبراء متفجرات بقيادة وكيل. وكانت مهمة هذه القوة تطهير ونسف المبنى الرئيس. وقد حملت هذه القوة معها ١٠٠ كيلو غرام من المواد الناسفة.

(مصنع ثلج يطير في الهواء)

قوات الاقتحام الرئيسة، التي كانت محملة بالمواد الناسفة تحركت في نهاية الصف، لكي لا تدخل القتال في وقت مبكر، وهو حادث من شأنه ان يشوش دخولها المنظم في محاربة الاهداف الرئيسة. فيما بعد قال موشه باركوخبا: «عندما وصلنا نقطة التوزيع، اتجهت قوة الغلق الجنوبية نحو مدينة غزة والمواقع المصرية في المنطقة. وفي الساعة ٢١٫٣٠ تقريبا سمعنا اصوات تبادل اطلاق نار شديد من جهة واجهة سرية جاك ليفي وطارت العيارات النارية فوق رؤوس افراد سرتينا.

واصيب رجل اللاسلكي الذي سار بجانبي بالذهول واستلقى على الارض وزحف نحو مكان آمن. وعندما فعل ذلك انكسر هوائي جهاز اللاسلكي وقطع الاتصال بيننا وبين الكتيبة. وعرفنا اننا فقدنا عنصر المفاجأة. واسرعنا في تقدمنا. واطلقت النار علينا من عدة منازل وسطوح ومن داخل ساحات المنازل التي كانت محاطة بالاسوار. وردت قوة رأس السهم على النار بالمثل وهجمت وهي تلقي قنابل يدوية. وتم احتلال المنازل الاولى. وتمسكنا بمداخل المنطقة المبنية. وتوقفت مجموعة قيادة السرية والقوة الاحتياطية عند نقطة توزيع وحدات السرية».

خلال تنفيذ عملية تطهير المنازل الاولى من قبل قوة رأس السهم استدعى قائد السرية قائد القوات المهاجمة وأشر معهما الاهداف وانطلقا مع قواتهما نحو الاهداف. فتقدموا وهم يقاتلون، وفجأة اطلقت عليهم من الجناح رماية شديدة من رشاش وبنادق. وغطيت طريق التقدم بالعيارات النارية وتوقفت القوات. ومع ميلر، قائد القوة الاحتياطية، حصر موشه مصدر الرماية وكان مصنعا للثلج وعدة منازل بالقرب منه. وتلقى قائد القوة الاحتياطية أمرا للهجوم واسكات مصادر الرماية. وقد عمل ميلر، وهو احد القادة المتفوقين في السرية كقائد فئة رغم انه كان برتبة رقيب ولم ينه دورة الضباط. وحظي بوظيفة بفضل قيادته الطبيعية ومبادرته. وفي هذه المرة نفذ مهمة بسرعة وبنجاعة وبدون اصابات وعندها استأنف المهاجمون تقدمهم نحو اهدافهم. قوة رأس السهم بقيادة اوشري، التي بقيت بدون مهمة محددة، ارسلت لاعداد مصنع الثلج للنسف. والحقت بها مجموعة خبراء متفجرات ومعها ٤٠ كيلوغراما من المواد الناسفة واما القوات المهاجمة فتقدمت في خطوط موازية. ووضعت القوات الناسفة في اماكنها، وابلغ القادة ان الاهداف جاهزة للتفجير واعيد

الجنود الزائدون الى مكان تجمع السرية وانتشروا هناك للحماية.

تم تفجير المنازل على مراحل. وقد تم تفجير او احراق حوالي عشرين منزلا من خلال تنفيذ العملية. وكان الانفجار الضخم هو تفجير مصنع الثلج.

وفيما بعد قال قائد السرية موشه: «ونحن نشعر بالارتياح اجتزنا الحدود عائدين الى اسرائيل ولم يكن جنود السرية مخيبين للآمال. فقد نفذنا المهمة بكاملها وعدنا بسلام». هذه العملية الانتقامية ادت الى تهدئة المنطقة لفترة طويلة وارتفعت معنويات سرية سلاح المشاة الآلية جدا. وقال موشه باركوخبا: «لقد تحولوا من جنود خدمة اجبارية الى محاربين. وقد تذكرت كيف وصلوا الى الكتيبة والسرية قبل ذلك بعام. فقد كانوا مهاجرين جددا من اليمن والعراق. وكان بعضهم يخشى الاقتراب من جهاز اللاسلكي لانهم اعتقدوا ان عفريتا يتحدث من داخله. وكانوا يخشون القفز من داخل المجنزرة وهي متحركة. كما ان الكت الثقيل كان يلوي ظهورهم. اما الان فقد نبضت فيهم روح جديدة. فقد انتصبت قاماتهم واصبحت نظراتهم قوية جدا. وتطورت علاقات جديدة بينهم وبين انفسهم وبينهم وبين قادتهم. واثبتوا لانفسهم ولغيرهم، انهم يعرفون كيف يحاربون ليس فقط من الآليات المتحركة وانما كجنود عاديين فعلاً. وقد كنت فخورا بالتحول الذي طرأ على مأموري».

واما القائد اولك فقال: «لقد عرف الجيش الاسرائيلي غارات جريئة وناجحة حتى منذ عهد قوات البالماح. ولكن البلماح كان قوة مختارة في حين لم يكن الجنود النظاميون في الجيش الاسرائيلي في السنوات الاولى (لدولة) اسرائيل من قوات البالماح. وقد دعت الحاجة الى وقت والى طول نفس من اجل تحويلهم الى محاربين متفوقين. ولم يكن بالامكان فعل ذلك في ظروف السلام. وقد اجتاح الامن الدارج لاشراكهم الفوري في العمليات. وعليه فقد تم صقلهم خلال العمل والحرب».

وتراكمت العبر: فقد حققت «ليلة الابار» التي نفذتها كتيبة ارييه شاحر نجاحا كونها استخدمت فيها قوة فوق المعدل. وقد نجحت سرية موشه بريل لان قائدها كان متحمسا جدا للياقة البدنية ولم يتوقف عن صقل محاربيه في المسيرات والمباريات الرياضية. والنتيجة: الى ان يستطيع الجيش الاسرائيلي كله التوصل الى مستوى عالٍ من التنفيذ كان لا بد من اقامة «منتخب» يطور حربا مناسبة ضد عمليات التسلل (والتخريب). ولهذه الغاية اقيمت الوحدة «١٠١» القوة الطليعية لقوة

المظليين المتجددة في الجيش الاسرائيلي.

عندما اقيمت هذه الوحدة، اعفيت قوات الدروع في الجيش الاسرائيلي من هذا الجـزء من الامن الدارج وتفـرغت للتركيز على تطوير نظريتها، نظرية حرب الدروع التي تلائم الجيش الاسرائيلي والمعدات المتوفرة لديه وللطاقة البشرية فيه وللمنطقة وللعدو امامه. وكانت السنوات التي نفذ فيها المظليون العمليات الانتقامية (١٩٥٤/١٩٥٦) كانت السنوات التي صقلت فيها القبضة الفولاذية في الجيش الاسرائيلي في رمال الجنوب وعلى طرق الشمال الى ان تمكنت قوتا الدروع والمظليين من ابراز قدراتهما سواء عن طريق الهبوط بالمظلات في المتلا وفي الحرب لاحتلال هذا الممـر. أو عن طريق احتلال قطاع غزة وشبه جزيرة سيناء واجتياز المنطقة المصرية بسرعة ١٠٠كم/ساعة الى السويس.

(الـطـاقـم «أ»)

في عام ١٩٥٤ قدر قائد قوات الدروع، العقيد الاحتياط اسحق فونداك، أنه حان الوقت لاستخدام الدبابات في الجيش الاسرائيلي في اطار كتائب (أكثر من سريتين) بقيادة متحركة تسيطر على القوات وتوجهها طبقا لميدان القتال وتطوره. وهذه القيادة تتحرك بمجنزرة وليس بآلية عادية. وحتى ذلك الوقت اجريت المناورات والتدريبات على مستوى الفئة والسرية، وقد اصبح التحول ممكنا عن طريق شراء الدبابات معظمها دبابات شيرمان، تم اصلاحها وترميمها في مشاغل في اسرائيل وعن طريق تراكم الطاقة البشرية والخبرات في قوات الدروع.

من اجل احداث التغيير الذي بدا حيويا في نظر العقيد فونداك، تم حل اللواء السابع (الذي كان انذاك اللواء المدرع النظامي في الجيش) وتحويله الى طواقم مقاتلة مدرعة بناء على النموذج الذي تعلمه في فرنسا. وهذا الطاقم المدرع مبني على دبابات ومعزز بدبابات او بمجنزرات (مع جنود مشاه آلية) حسب الضرورة والمهمة. وفي هذه الطواقم أعد اكبر عدد من الجنود لدراسة نظرية استخدام الدروع بعدد قليل من الآليات المقاتلة المدرعة.

من أجل تنفيذ المهمة تم عقد اجتماع لقادة الكتائب وقادة السرايا القدماء في سلاح الدروع واعدوا مادة مكتوبة بناء على مصادر اجنبية وخاصة فرنسية

وامريكية. وبعد ذلك اعد برنامج تدريس وتمارين في النقب. ومن اجل تمرين الطاقم على بلورة نظريات لادارة الدروع في النهار والليل، الحقت سرية دبابات وسرية مشاة آلية ووحدات هندسة واستطلاع ومدفعية واتصالات وجمعت كلها في طاقم قتالي مدرع. ومـع بعض التمـارين اضيفت سرايا وفي النهاية اجريت مناورة اجمالية بمشـاركة كتيبتين وبامرة قيادة واحدة. وكانت منطقة التمارين الرئيسة مجموعة الحفريات التركية الى الجنوب من بئر السبع.

ركز الطاقم «أ» الذي برز فيه الرائد عموس بنين بقيادته وميزاته، على القوة النظامية، وقام الطاقمان «ب» و«ج» بتدريب رجال الاحتياط. وكانت الرغبة تدور حول تكوين ثلاثة طواقم جاهزية على الاقل، لكل دبابة كان سلاح الدروع يمثلها. وفي نهاية عمل الطواقم اجريت مناقشات باشتراك الكثيرين من الضباط الكبار في الجيش الاسرائيلي، بما فيهم موشه ديان، الذي كان رئيسا للاركان العامة.

في الطاقم أ، الذي اجرى تمارين حول اختراق المواقع المحصنة واساليب اختراق الحدود في النهار والليل - عمل موشه بريل مدربا للدبابات، ويوسف بن ميمـون اهتم بسلاح المشاه المدرع، وركز ايلي دورون على عمليات الاستطلاع وساهم هرتسل شبير وغيرهم في ترتيب الجوانب التنظيمية النظرية.

ولاول مرة في تاريخ الجيش الاسرائيلي خصصت قذائف كثيرة للاستخدام في تمارين الرماية - كما قال عموس بنين، فقد تدرب الطاقم أ ، على الحركة والتماس استعـدادا لخـوض معـارك دروع ضد دروع، وخلق تماس، والاختراق للهدف المحصن بمساعدة جنود المشاه المدرعة، او تقديم اسناد دبابات للمشاة الآلية اثناء هجـومهـا على الهـدف. ودمج وحدات الاسناد قبل المعركة وفي المعركة وبعدها. واستخدام جميع عناصر الدروع في المعارك ليل نهار. وقال عموس بنين: «لم نكتف بالحركات الليلية. فقد قمنا بعمليات هجوم على مستوى الكتائب من خلال الحركة على الهدف وهجمات على الهدف على مستوى الكتائب». ومن كل تمرين استخلصنا عبراً، واجريت تعديلات وتم تعجيل العمل. وادرك افراد الطاقم أ ان الموضوع الذي اطلق عليه في حينه إسم (اشغال - نار - حركة)، يتسبب في تجميد الزخم في حرب الدروع. وأن الحركة السريعة افضل من التغطية المتبادلة. وكان الاختبار العملي لهذا الاسلوب في عملية «قادش».

(أول لـواء دروع)

في اواسط عام ١٩٥٢ تقرر، أن الوقت قد حان لاقامة لواء الاحتياط المدروع في قوات الدروع وذلك في إطار بناء الجيش الاسرائيلي كله على ثلاثة عناصر هي: نواة صغيرة من الجيش الدائم وجيش نظامي وجيش احتياط. وقد اعطي اللواء الاول في قوات الدروع رقم ٢٧. وكان اول قائد لهذا اللواء هو العقيد الاحتياط اسحق فوندك. وكان نائبه ميخائيل تشيتشك. وكان دافيد ريشف ضابطا للعمليات (بعد أن كان قائدا لوحدة الاستطلاع في اللواء السابع وضابطا للتدريب في القيادة الجنوبية) واما يهودا غراف فقد عين ضابطا للامداد والتجهيز.

وكان أفراد اللواء الجديد جنود احتياط من اللواء السابع. وحتى اقامة اللواء ٢٧ الحق كل رجل دروع سرح من الخدمة النظامية، كرجل احتياط في الكتيبة التي خرج منها (أي رجال الدبابات الحقوا بكتائب الدبابات ورجال المشاة الآلية الحقوا بكتائب المشاة الآلية. ونتيجة لذلك اصبحت كتائب اللواء السابع مضخمة جدا بالطاقة البشرية. ومع اعادة التنظيم حولت البقية الى لواء الاحتياط. واعطيت لقيادة اللواء امكانية تشخيص جنود من وحدات (النقص العام) لالحاقهم بوحدات اللواء وبسرية القيادة. وقد اقيم المعسكر الاول لهذا اللواء في الجليل.

لم يكن لكتيبة الدبابات في لواء الاحتياط في البداية قائد وعمل الرائد زيفي تسفرير نائبا لقائد الكتيبة. واما قيادة كتيبة المشاة المدرعة فقد اسندت الى المقدم باروخ فريدمان اراز (سابقا قائد الكتيبة ٧٩) واما قائد كتيبة المشاة الآلية فقد كان سفارين (سابقا قائد الكتيبة التاسعة).

لم يكن قائد اللواء فوندك رجل دروع. ولهذا قرر أن يدخل جميع ضباط اللواء دون استثناء مدرسة الدروع لكي يكون لهم قاسم مشترك استعدادا لتدريب اللواء. وفي هذه الاثناء نظمت دورات مختلفة لجنود اللواء، ليس في اطار وحدات اللواء نفسه.

في تشرين أول ١٩٥٢ عاد المقدم زئيف اشكولون من دورة انعاش في فرنسا، حيث تدرب انذاك رجال الدروع في الجيش الاسرائيلي، وعين ضابطا لعمليات اللواء. اما دافيد ريشف الذي اكتسب خبرة في مجال الادارة فقد عين ضابطا للادارة في اللواء.

وفي مطلع ١٩٥٣ شرع في تدريب الوحـدات ـ في البداية الضباط وضباط الصف ـ وعقدت دورة لقادة الحظائر في المشاة المدرعة. وبناء على قرار من قائد اللواء اجتاز جميع جنود اللواء دورة قادة حظائر للمشاة المدرعة. وحتى نهاية العام اجريت مناورة كتيبة وانتقلت قيادة اللواء الى المعسكر الجديد في حتسور.

في ٢٢ كانون اول ١٩٥٣ عين العقيد الاحتياط اسحق فوندك قائدا لسلاح الدروع. واجرى تنظيما جديدا للواء على ضوء النظرية التي درست في حينه في فرنسا. فقد تم حل الالوية وبدلا منها اقيمت طواقم قتالية مدرعة. (على سبيل المثال، كتيبتا دبابات وكتيبة مشاة مدرعة، او كتيبتا مشاة مدرعة وكتيبة دبابات، ووحدات الاسناد المناسبة). وكانت قيادات الالوية مسؤولة عن تدريب الطواقم الجديدة. وعالجت احدى القيادات شؤون جميع كتائب المشاة المدرعة في حين عالجت الاخرى شؤون كتائب الدبابات والثالثة عالجت شؤون المدفعية.

في هذه الاثنـاء تقرر شد الاحزمة على البطون. ففي (دولة) اسرائيل وفي الجيش اجريت تقليصات واقيل اشخاص كثيرون. وكانت التقليصات كبيرة خاصة في الوية الاحتياط التي أُقيمت لتوها. وتقرر انه لا حاجة لقائد كتيبة او لنائب قائد كتيبة في هذه الالوية. ولا حاجة لرجل لوازم ورجل ادارة وانما يكتفى بضابط واحد يستطيع اشغال المنصبين معا.

وبما أن اللواء ٢٧ استوعب جميع جنود الاحتياط الذين سرحوا من اللواء السابع فقد تكونت فيه خمس كتائب. واسندت قيادة هذه القوة الكبيرة الى المقدم يسرائيل كرمي، وكانت توزيعة العمل على النحو التالي: الطاقم «أ» كان مسؤولا عن التدريب، والطاقم «ب» كان مسؤولاً عن ادارة وحدات الاحتياط. وفي اواسط عام ١٩٥٥ عاد المقدم باروخ (بوركا) بارليف من دورة انعاش في فرنسا وعين قائدا للطاقم المهتم بالتدريب المتقدم الذي كان يقوده حتى ذلك الوقت المقدم عموس بنين.

وعن احدى المناورات التي اجراها للمشاركين في التدريب المتقدم قال بوركا: استدعينا غطاء جويا ملازما لقواتنا المهاجمة. ورفع رجالنا رايات بيضاء على حرابهم لكي يؤشروا لطائرات سلاح الجو الى اين وصل المهاجمون وطلب من الطائرات ان تلقي قنابلها بالقرب من هذا الخط تماما. وحددنا مراحل: قبل ان يقوم جنودنا باختراق الاسلاك الشائكة ـ تقوم طائراتنا بضرب الهدف كله. وعندما يدخل جنودنا

القسم الاول من الهدف ـ توجه الطائرات ضرباتها للقسم الثاني... وكان سلاح الجـو يستخـدم انـذاك طائرات «موستانغ» وكان طياروها قناصين جيدين. وقد اعتمدنا عليهم اكثر من قادتهم الذين خشوا من تقديم اسناد جوي ملازم الى هذه الدرجة».

فيما بعد اعترف «بوركا» ان هذه المناورة كانت جريئة جدا، ولكنه قال: في ذلك الوقت قدرنا ان كل خطأ قد ترتكبه الطائرات سيحدث امام قواتنا، وان عدد الاصابات التي قد نتعرض لها نتيجة للاسناد الجوي الملازم لقواتنا سيكون اقل مما سنتعرض له في الهجوم على هدف للعدو بدون هذا الاسناد».

في عام ١٩٥٥ اجريت مرة اخرى ، اعادة تنظيم لقوات الدروع، فقد اعيد تنظيم الطواقم في الالوية، وعاد اللواء ٢٧ للحياة من جديد، وتقرر ان يكون العقيد حاييم بارليف قائدا لهذا اللواء في اوقات الطوارىء واما القائد الفعلي فكان المقدم باروخ بارليف. وفي شهر ايار اجريت مناورة على مستوى اللواء. وكانت هذه المناورة كبيرة ومعقدة. واتضح ان المناورة كانت كبيرة جدا ومعقدة جدا، بالنسبة للوضع الفني للدبابات التي وضعت تحت تصرف اللواء. بحيث ان دبابات قليلة فقط وصلت الى خط النهاية واصيب قادة الجيش الاسرائيلي ووزارة الدفاع الذين كانوا يراقبون المناورة بخيبة امل كبيرة.

وكان لخيبة الامل هذه دور كبير في التقدير الذي تبلور في ذلك الوقت في رئاسة الاركان الاسرائيلية والذي قال ان سلاح الدروع ما زال غير جاهز للقيام بالدور الرئيس في ميدان القتال. واعطي هذا الدور لسلاح المشاة المنتخب الممثل بلواء المظليين، الذي اظهر رجاله المرة تلو الاخرى قدرتهم الحاسمة في تنفيذ العمليات الانتقامية. وكانت النتيجة: في مراحل تخطيط عملية «قادش» التي جرت في تشرين اول ١٩٥٦ اسندوا لقوات الدروع دور المساند اما مهام الاختراق واحتلال اهداف العدو فقد اعطيت للواء المشاة.

ولكن رجال الدروع ـ نظاميين واحتياطيين معا ـ ادركوا ان قوتهم وكفاءتهم ما زالت معهم. فلم ييأسوا ولم يهنوا. فالمرة تلو الاخرى نزلوا الى ميادين التدريب وطبقوا نظرية الحرب التي بدأت تتبلور. وقال قادة وجنود السلاح: عندما يحين الوقت المناسب فسنصمد في الاختبار وانتظروا اللحظة المناسبة.

الاردنيـون قادمـون...

خطط التصاميم الأساسية لدبابة « امكس ١٣» اعدت في الواقع، على ايدي الالمان في اواخر الحرب العالمية الثانية. ولكن الفرنسيين استولوا على هذه الخطط وعلى نماذج التجربة في مصنع فرنسي، عمل به خبراء المان في سنوات الحرب. وفي عام ١٩٥٠ شرع الفرنسيون في اكمال الفكرة، وفي عام ١٩٥٤ اثمرت جهودهم وانتجـوا دبابة وزنها ١٤ طنا. وعندما ادخلت على الدبابة الجديدة كل التحديثات والتحسينات، اضيف الى هذا الوزن نصف طن. ورأى بها الكثيرون دبابة حديثة ومتطورة جدا. وكانت دبابة سريعة وتحمل مدفعا من عيار ٧٥ ملم دقيقا جدا وسرعة قذيفته ١٠٠٠ متر في الساعة.

واما اسرائيل ، التي كانت في عام ١٩٥٦ بحاجة للدروع للمشاركة في سباق التسلح الذي بدأتـه مصر في صفقـة اسلحتها مع تشيكوسلوفاكيا (اي الاتحاد السوفياتي) وجدت في دبابة «امكس ١٣» ميزة هامة: فقد كانت فرنسا مستعدة لبيعها للجيش الاسرائيلي في حين رفضت دول اخرى الاستجابة لمطالب المشتريات الاسرائيلية. العقيد اسحق فوندك قائد قوات الدروع، والمقدم اهارون نحشون، قائد مدرسة الدروع سافرا الى فرنسا لفحص الدبابة مرة اخرى. وبعد عودتهما درست جميـع التقـديـرات وتقـرر شراء الدبابة. وكلف المقدم يعقوب هوبرمان شيفوني «الضابط الفني، واحد طلائع الدروع في الجيش الاسرائيلي، بالاتصال مع منتجي «امكس ١٣» والتـأكـد من أن الدبـابـات، التي سيتم انتـاجها لصالح الجيش الاسرائيلي، ستتناسب متطلبات سلاح الدروع الاسرائيلي. وفتحت شركة (سباك) (شنايدر كروزو) منتجة «امكس ١٣» ابوابها على مصراعيها أمام يعقوب وحتى رجال «دافا» (البحث وتطوير التسليح في فرنسا) اظهروا معاملة مؤيدة جدا. ومع هذا لم يخف الفـرنسيـون مخاوفهم، من أن يشوه الهواة الاسرائيليون الدبابة الفرنسية عن طريق التغييرات التي طلبوا ادخالها فيها.

وبالفعل، كان من الواضح أنه سيطلب ادخال تغييرات، لملاءمة الدبابة للمناخ وللساحة (جبال، صخور، ووادي عربة الذي تكثر فيه الرمال). ورافق الدبابات الاربع التي ارسلت لتجربتها في الجيش الاسرائيلي ضابط دروع فرنسي اكتسب خبرة في عرض الدبابة، ورجل تسليح ورجل نقل وميكانيكي عام. ومقابلهم شكل

وعمل طاقم دروع اسرائيلي. والقي تنفيذ التجارب على عاتق قائد الكتيبة ٨٢ في اللواء السابع المقدم هرتس. وعلى الضابط الفني، يعقوب شيفوني.

وتسلم كل من هرتس وشيفوني وقادة السرايا شموئيل غوردويش غونن، وحاييم بنئيل، دبابة واحدة تحت اشراف فرنسي ملازم. وبما ان شيفوني فقط كان يعرف قيادة هذه الدبابة (منذ فترة وجوده في فرنسا) عقدت دورة سياقة سريعة في المطار الانكليزي القديم في بيت داراس. وبعد ذلك باشرت القافلة الصغيرة مسارها. وكانت التجربة الاولى تجربة طريق. وكان خط المسير قد بدأ من جوليس، الى بئر السبع مرورا بتل يروحام، عين حتسيبا، والبحر الميت ومرتفع العقاري وبالعودة. وفي بئر السبع تعطل محرك احدى الدبابات فتركوه هناك والبقية واصلت طريقها. ووصلت الدبابات الى عين حتسيبا في الليل. وعندما سمعوا اصوات المحركات وصوت الجنازير ورأوا انوار المصابيح الصفراء في الدبابات الفرنسية خاف سكان المستوطنة الصغيرة واعتقدوا أن الاردنيين قد هاجموهم وبالاضافة الى ذلك جاء دور رجال الدروع بالنسبة للخوف. فقد انفجر مبرد الزيت في احدى الدبابات. فسارعوا الى المقدم الاحتياط يوحنان بيلش (احد رجال الدروع الاسرائيليين في حرب ١٩٤٨ وكان يدير مصنع الفوسفات في حقل في عربة وفي مشغل مصنعه تم اصلاح العطل.

أما التجربة القادمة فكانت تجربة الرماية، وجرت في منطقة خلوصه، وفي البداية برزت مشاكل في جهاز التضليل الاوتوماتيكي التابع للمدفع. كانت دبابة امكس تشتمل على يد خاصة للتعبئة وصندوقي قنابل الامر الذي يمكن منه اطلاق ١٢ قذيفة بشكل متتالٍ. وبعد ايجاد الحل للمشكلة ارتاح رجال الدروع لعملية اطلاق النار. واما الذين شاهدوا الرماية ومنهم قادة الجيش الاسرائيلي ووزارة الدفاع فقد ارتاحوا جدا لسرعة الرماية ودقة الاصابة في الاهداف. وكان العارضون الفرنسيون الوحيدين الذين اخطأوا في الرماية.

بعد ذلك جاء دور التجربة الثالثة والاصعب التي جرت الى الجنوب من بئر السبع. وكانت هذه التجربة تدور حول اختبار صمود الدبابة في الغبار الذي تمتلىء به المنطقة. وبما ان دبابة امكس كانت واطئة وسريعة، وبما أن الحركة نفذت ضمن رتل مسير وكانت المسافات بين كل دبابة واخرى قصيرة لم يكن بالامكان مشاهدة شيء باستثناء الدبابة الاولى ومن خلفها اعمدة غبار سميكة وطويلة. ودخل الغبار

في كل دبابة بما في ذلك رئات افراد الطواقم. وفي نهاية التجربة اخرج بنئيل من صندوق دبابته عشرات الصفائح المعبأة بالغبار.

فقد فاجأت الدبابة مستخدميها بحركتها السهلة نسبيا على الرمال...

هـكذا انظـر ... وجـدد

في نهـاية التجارب جلس الاسرائيليون لاجمال ملاحظاتهم وصياغة نتائج واقتراح تجديدات. وشملت القائمة الاولى لا اقل من تسعين اقتراح تغيير. فوافق الفرنسيون على التقرير الاسرائيلي وعندها وقع اتفاق الشراء. والتزم الفرنسيون تزويد اسرائيل بالدبابات ضمن مجموعات كل مجموعة تشمل عشرين دبابة والقي الاشراف على الانتاج، على شيفوني الذي حصل على مساعدين هما زئيف بسلر ومردخاي الون. ولم يكن الاسرائيليون زبائن مريحين. فقد اهتموا بكل شيء وكانوا متشـددين جدا. واختاروا المتعهدين الفرعيين الذين انتجوا القطع المختلفة ولم يكونوا مستعدين للتساهل في كل ما يتعلق بدقة العمل ونوعيته.

عنـدمـا كان الفـرنسيون يقومون بانتاج المجموعة الاولى لصالح الجيش الاسرائيلي، بدأت تصل الى فرنسا مجموعات من رجال الدروع الاسرائيليين للتدرب على دبابة امكس ١٣. واعجب الفرنسيون من سرعة تغلغل الاسرائيليين الى جذور المسائل الفنية والمهنية والتكتيكية الخاصة بالدروع. والأكثر من ذلك فإن النظرية التي درسـوها في فرنسا كانت بالنسبة لهم بمثابة: «هكذا انظر... وجدد» وليس «هكـذا انـظر... وقدس». وعلى سبيل المثال نشر شموئيل غونن مقالا في «مجلة الدروع» وصف فيه التشغيل المناسب لدبابة امكس ١٣ في الحرب. فخلافا للنظرية الفرنسية التي تقول إن هذه الدبابة الخفيفة والسريعة هي قانصة دبابات قال غونن إن هذه ليست دبـابـة، وليست مبيدة دبابات، وانما هي بمثابة جيب استطلاع وكوماندو مدرعة وظيفتها التغلغل في عمق الاراضي المعادية ـ بالتنسيق مع هجوم شامل، وتشويش محاور الاعصاب (محاور الامداد، والاتصالات) ولمهاجمة قيادات. وطبقا لهذه النظرية اعطيت دبابات امكس الاولى لوحدات الاستطلاع التابعة لقوات الدروع. وعندما استوعب دبابة امكس ١٣ واصل الجيش الاسرائيلي السير على طريقه: فهو لم ينقل نظرية اجنبية مهما كانت ولم يشتر معدات قبل ان تتم ملاءمتها لظروف المنطقة.

بعد استيعاب دبابات امكس ١٣ في وحدات الاستطلاع في قوات الدروع. شرع في تحـويـل رجال الدروع من ادارة المجنزرات وسيارات الجيب ومدرعات «ستاغهاوند» البريطانية لادارة هذه الدبابة. وفي البداية اجريت التدريبات في اطار اللواء السابع النظامي. فقد شكل طاقم تدريب خاص، برئاسة بيغالا. وكان حجم التدريب بطيئا بالمقارنة مع عدد الدبابات التي تقرر ان تستوعبها اسرائيل والوقت القصير الذي بقي حتى الاصطدام القادم مع العرب، الذي بدا في الافق. وفي احد الايام استدعى «اولك» «بينكو» لمقابلته وقال له: «يجب عليك ان تنتقل الى المدرسة وان تقيم فيها شعبة خاصة لدراسة دبابة امكس ١٣. وبما انهم تسلموا في البداية عشر دبابات فقط، ودعت الحاجة الى تدريب المئات من رجال الدروع، خصصت ساعات عمل كثيرة لاعداد خطة تدريب تمكن من استخدام الدبابات كاستخدام الآلات في المصنع وهي الالات التي خرجت منها المنتوجات النهائية (افراد الطواقم).

وكانت الوحدة الاولى التي استوعبت دبابات الامكس ١٣ سرية الاستطلاع بقيادة اسحق (ايشيك) بن آري. ومن هذه الوحدة خرج مدربون للمساعدة في تدريب طواقم اخرى. وتدفق رجال الدروع على مدرسة الدروع من جميع انحاء اسرائيل. وخلال ثلاثة أشهر أُعد في مدرسة الدروع افراد ثلاث كتائب لدبابات امكس ١٣.

هذه العملية السريعة تطلبت تجديدات كثيرة. فمثلا اجري طابور تخريج لم يشهد له تاريخ الجيش الاسرائيلي مثيلا. وتلقى خريجو المدرسة بلاغا بانه في غداة اليوم التالي سيأتي ضباط من احدى كتائب اللواء السابع لاستلام طواقم مدربين مع دباباتهم. ولم يكن هناك متسع من الوقت لتشكيل طواقم سلفا. فماذا فعلوا؟ نظمـوا طابورا وقف فيه رجال المدافع في صف، والسواقون في صف ثان وقادة الدبابات في صف ثالث وتلوا الاسماء من القائمة العامة: المدفعي فلان والسائق فلان والقائد فلان. فتقدم الثلاثة الذين تليت اسماؤهم معا نحو المنصة الصغيرة وسمعوا الكلمات التالية: «لقد اصبحتم جاهزين للعمل في اطار طاقم». وقيل لقائد الدبابة: ان دبابتك تحمل رقم كذا. فزودها بطاقمها وقف في الصف. وهكذا فعلوا مع الاخرين حتى تسلم قادة السرايا تسفيكا داهف، وبنيامين اوشري وحاييم ديم سراياهم جاهزة.

لقـد كان هذا طابـورا فريدا من نوعه. كما قال بينكو. فقادة الدبابات لم

يتسلموا في نهاية الدورة شهادات تخريج بل تسلموا دبابات حقيقية ومع هذه الدبابات خرجوا من المعسكر برتل واحد.

في هذه الاثناء بذلت جهود طائلة في ملاءمة الدبابة امكس/١٣ لمتطلبات الجيش الاسرائيلي. وعلى سبيل المثال كان مكيف الهواء الاصلي «جافا» والغبار اغلقه. وكان لا بد من فكه وتنظيفه من الغبار مرة كل اربع ساعات في المساء. ولهذا الغرض كان لا بد من تطوير عدة لوحات فولاذية ثم تثبت كل واحدة منها بعدة براغ (احيانا تختلف مقاساتها عن بعضها بعضا) لتخفيف حرارة المحرك كما ادخل لدبابة امكس ١٣ مكيف زيتي يشبه المكيف الذي كان في المدرعة «ستاغهاوند».

لذلك كانت ملاءمة الموجهات معقدة وصعبة وكان لا بد من القيام بعدة حركات يدوية لتوجيه التلسكوب. كما قال رجال الدروع.

وكانت تنقص يد واحدة على الاقل لتدوير البرغي والبرغي المضاد والبرغي الاصل. واثناء الغلق النهائي كان يتحرك شيء وهنا تعطل التوجيه السليم ولم يعد بالامكان اطلاق النار نحو الهدف. وتم ايجاد حل لهذه المشكلة مثلما تم ايجاد حل للصادم الاوتوماتيكي.

كذلك كانت معدات البرج في دبابة امكس ١٣ تنطوي على خطر على السائق. فسبطانة المدفع طويلة وكان لا بد من تحويلها الى الخلف عندما يراد قطع عائق ضيق وعميق لئلا يضرب طرف المدفع بالجانب المواجه.

كما كان لا بد من توجيهه الى الخلف من اجل الرماية. ولكن الطرف الخلفي من البرج كان طويلا بشكل خاص بسبب ارتداد المدفع وعندما يتم توجيه البرج الى الخلف فان طرفه الخلفي يمر فوق فتحة السائق. ولهذا كان يجب على السائق ان يقوم بتوجيه البرج الى الخلف لئلا يخرج رأسه من فتحته اثناء التسديد. وفي نهاية جميع التجارب والترميمات والتحديثات والتدريبات، كان الجيش الاسرائيلي يمتلك رجال دروع كثيرين يعرفون امكس ١٣، وحان الوقت لاستلام الدبابات الكثيرة التي وعدت فرنسا تزويدها لاسرائيل وحان وقت عملية «يونا».

عملية «يونا»

«امس قمت بزيارة لقيادة قوات الدروع واستوضحت ماذا يمكن عمله

للاسراع في تدريب الطواقم للدبابات الاخرى التي تسلمناها» ـ هذا ما سجله في مذكرته رئيس الاركان الجنرال موشه ديان في السابع من ايلول ١٩٥٦، قبل شهرين من بدء معركة سيناء. في ذلك الوقت لم تنشر هذه السطور التي نشرت فقط عام ١٩٦٥ في كتـاب ديان «مذكرات حرب سيناء» ولهذا لم يسأل احد: ماذا كانت الدبابات المقصودة؟

كان ذلك سر «عمليـة يونا» التي كانت جزءا من رد اسرائيل على التعاظم العسكري للعرب ولخطابات الابادة التي ادلى بها زعماؤهم صبح مساء، في عامي ١٩٥٥/١٩٥٦، وخاصة بعد ايلول ١٩٥٥ عندما اعلن على الملأ ان مصر وقعت على صفقة اسلحة كبرى مع تشيكوسلوفاكيا.

«لقد زودت الصفقة التشيكية معدات حربية سوفياتية وشرق اوروبية كثيرة لمصر. وشرعت اسرائيل بجهد لكسب اصدقاء كانوا مستعدين لتزويدها بالسلاح. وقد وجد شمعون بيرس نائب وزير الدفاع اذانا صاغية في فرنسا، ولكن استعداد الفرنسيين للاستجابة لمطالب المشتريات الاسرائيلية تمخض عن عدة مشاكل، كان يجب حلهـا قبـل ان تبدأ الصفقة. وكان الفرنسيون مستعدين لتزويد اسرائيل بدبابتهم الحديثة امكس ١٣ ولكنهم خشوا أن يفعلوا ذلك مباشرة. وعليه كان لا بد من اقامة شركة تنتج الدبابة لصالح اسرائيل دون خوف او وجل من المقاطعة العربية.

اما بالنسبة لدبابات شيرون، فقد كان وزير الدفاع الفرنسي، بورجيه مونري مستعـدا لتـزويد مثل هذه الدبابات لاسرائيل، بعد أن وعده نائب وزير الدفاع الاسرائيلي شخصيا، بانه اذا اصبحت فرنسا بحاجة الى هذه الدبابات فانها ستعاد اليها خلال ٧٢ ساعة منذ اللحظة التي تقدم فيها فرنسا طلب استعادتها. وفي النهاية اصبح هذا البند من المشتريات (والذي يقدر بعشرات الملايين من الدولارات) هدية شخصية من وزير الدفاع الفرنسي بورجيه مونري لنظيره الاسرائيلي. وقد جرت جميع الاتصالات بهذا الخصوص على الصعيد الشخصي، واطلع عليها فقط عدد من الاشخـاص، ومن ضمنهم رئيس الحكومة ووزير الدفاع دافيد بن غوريون، ورئيس الاركان الجنرال موشه ديان وممثل وزارة الدفاع الاسرائيلية في باريس، يوسف نحمياس.

«ســــريـــة»

بدأ الجيش الفرنسي بتجميع المعدات المطلوبة. وارسلت طائرات مقاتلة نفاثة لاسرائيل بطريق الجـو، أمـا الدبابات والمجنزرات، والمدافع، والآليات، وقطع الغيار والذخائر، فكان من الممكن ارسالها فقط بطريق البحر وقد تمخضت ضرورة فرض نطاق من السرية التامة على هذه المشتريات عن مشاكل وقيود ومصاعب منها:

- السفن الفرنسية التي نقلت المعدات وهي مكونة من ثلاث سفن انزال كبيرة، استطاعت الاقتراب من السواحل الاسرائيلية فقط بعد حلول الظلام وكان عليها أن تعود الى عرض البحر قبل طلوع الفجر. وعليه بقيت لعملية التفريغ، ساعات قليلة. وكانت هذه الفترة الزمنية معقولة، لو كان بالامكان تفريغ الحمولة في ميناء منظم، ولكن لاسباب تتعلق بالسرية لم يكن بالامكان القيام بذلك. وكانت هناك حاجة لايجاد قطعة شاطىء تتناسب وتنفيذ عملية التفريغ والعثور على منشأة مناسبة لذلك. فبدلا من ميناء مليء بالعمال المجربين وضع تحت المنفذين شاطىء قاحل وكفاءة تنظيم وتنفيذ والمزيد المزيد من الحماس.
- كان بامكان تفريغ الدبابات من سفن الانزال بقوة محركاتها. اي تم اجلاس سواقيها فيها وانزالها الى الشاطىء سيرا على الجنازير. واما بالنسبة لتفريغ قطع الغيار والذخائر، فقد تقرر استخدام اسطول من الشاحنات التي ستدخل الى داخل سفن الانزال ولتحمل داخلها. ولكن لم يكن بامكان توجيه سفينة الانزال بدقة يفتح جسرها مباشرة نحو خط مسير الشاحنة. وعليه فقد دعت الحاجة الى ارتجال خط مسير متحرك للشاحنات.
- المنفذون اخطروا لأن يأخذوا بالحسبان عامل البيئة ايضا. وكان من الواضح ان تكون هناك قرية قريبة من الميناء المرتجل مهما كان. وكان لا بد من عدم اثارة انتباه السكان عندما يسمعون اصوات المحركات وهدير الجنازير في ظلام الليل.

تمارين مضلّلة

في الوقت الذي كان فيــه الفرنسيون يجمعون المعدات التي تم شراؤها ويعدون مجموعة سفن انزالهم باشر الاسرائيليون في التخطيط لتنفيذ العملية التي اعطيت اسم «يونا» لان المعدات احضرت ببطون سفن نسبة الى النبي (يونا)

(يونس) ببطن السمكة الكبيرة (الحوت). القيت المهمة على عاتق العقيد اوري بن آري، قائد اللواء السابع المدرع. واجرى بن آري حساباته ووجد أنه سيكون بحاجة الى ٤٠٠ شخص لتنفيذ المهمة. وقد تم اختيارهم جميعا بدقة متناهية، من ناحية السرية، ومن ناحية كفاءتهم في التنفيذ. وتم تحليفهم جميعا للحفاظ على السرية وقد حافظوا على قسمهم سنوات طويلة. وضم الطاقم الكبير ابراهام ادان (برن) قائد الكتيبة المدرعة ٨٢، والمقدم اوري روزنبلوم روم قائد كتيبة في (سلاح المشاه المدرع) ومناحم مارون (ماندي) نائب برن، وبنيامين اوشري قائد سرية دبابات من اللواء السابع احد مأموري قائد الكتيبة اوري وغيرهم. وقد اكتسب مأموروهم خبرة في تحميل الدبابات بسرعة على الناقلات.

وقد بدأ القادة في معالجة حل المشاكل التي تنطوي عليها المهام التي القيت على عاتقهم. وفي البداية اختير مصب نهر «كيشون» كميناء التفريغ السري. وبعد ذلك طلب من سلاح البحرية ان يخلي مؤقتا احد معسكراته الصغيرة القريبة من الكيشون، واقام رجال الدروع في هذا المعسكر. واحضر (ماندي) الى هناك عدة دبـابات بطواقمها وبدأ تمارين تضليلية. فتركت دباباته في المنطقة طيلة ساعات الاربع والعشرين ساعة الى أن عودت اذان السكان في المنطقة لصوت المحركات ولاصوات الجنازير. وفي هذه الاثناء جمعت في المعسكر رافعات صغيرة لادخالها في السفن من اجـل الاسراع في تحميـل الشـاحنات كذلك جلبت للمعسكر معدات مساعدة اخرى متنوعة ومختلفة ابتداء من الكوابل التابعة لسلاح البحرية وانتهاء بمعدات هندسية.

وجمع قائد الكتيبة اوري صفائح خشبية تعلم رجاله على وضعها بجانب بعضـهـا بعضـا بسرعـة فائقـة وبدقة لتكوين مسارات سفر للشاحنات. واصبح بالامكان تكوين مثل هذه المسارات في كل مكان ضروري، او تغيير مكانه او انحرافه حسب الحاجة ومع هذا فقد بدأ اوري بتدريب مكثف لثلاثين سائق شاحنة يرتدون الملابس العسكرية.

تدريبات غريـبة

في ساحـة واسعـة جدا تم رسم مقاسات سفينة الانزال (دون أن يعرف

السواقون ذلك) ووضعت اكوام من الصناديق المملوءة بالتراب والحجارة تقارب في وزنها وحجمها صناديق قطع الغيار والذخيرة. وطلب من السواقين قيادة شاحناتهم بحركة الى الخلف لمسافة ١٠٠ متر (وهذه هي المسافة بين الطريق وجسر سفينة الانزال). والدخول بالضبط بين مجموعات الصناديق. وعندما وصلوا الى النقاط التي رسمت لهم قفز من الشاحنات طواقم الجنود وبدأوا بعملية تحميل سريعة للصناديق في الشاحنات. وفي نهاية عملية التحميل خرجت الشاحنات من المنطقة المؤشرة.

في اليوم الذي كان من المقرر أن تصل فيه سفينة الانزال الاولى الى الشاطىء، كانت هذه القوة مدربة بصورة كاملة. وعندما اعلن ربان السفينة الفرنسي فجأة من عرض البحر، أنه لن يسمح بدخول شاحنات تعمل بواسطة البنزين الى داخل سفينة الذخيرة، خوفا من وقوع كارثة. وعليه ذهب هباء كل التعب الذي خلفه التدريب المضني. وخلال ساعات قليلة كان لا بد من تجنب سائقين مدنيين يمتلكون شاحنات تعمل بواسطة الديزل. وجرت الفحوص الامنية للذين تم اختيارهم بسرعة فائقة. وتم جمع عشرين سائقا من منطقة الشمال وجمعوا في منطقة حيفا. وعندما وصل خبر قدوم سفينة الانزال الاولى، وكان مسمار الامان قد افلت والجهاز اشتغل. فخرج قائد الكتيبة اوري من منزله من ناعن ولم يقل حتى لزوجته الى اين هو متجه ومتى سيعود. وسلم قيادة كتيبته الى نائبه دون ان يشرح له سبب مغادرته. وبعد مرورسنتينقال برن: فجأة تخيلنا اننا عدنا الى فترة التصور السري التي تعود الى ايام الكفاح ضد الانجليز.

في الساعة التاسعة صباحا، ابحرت مجموعة سواقي دبابات من سرية الاستطلاع التي يقودها اسحق بن آري الى عرض البحر في قارب محرك لملاقاة سفينة الانزال الكبيرة. وصعد سواقو الدبابات على سفينة الانزال وابحروا معها نحو الشاطىء.

ضجة على الشاطىء

في هذه الاثناء كانت الضجة في ذروتها في قاعدة الشاطىء. وقد تناول الجميع وجبة عشاء خفيفة وعندما حل الظلام خرجوا الى الساحل منظمين ضمن مجموعات. وقد خرج اولا رجال الحماية. وقام هؤلاء باغلاق جميع الطرق المتشعبة من الطريق

القريبة الى الشاطىء وكونوا سلسلة من الحماية. وبعدهم خرجت مجموعة قادة الدبابات التي وقفت ضمن (ثلاثات) امام نقطة الانزال. وقد تم تزويد كل قائد دبابة بمصباح. وقامت مجموعة الموجهين بترتيب عشرات الناقلات في صف واحد استعدادا لاستيعاب المعدات. ووقفت ثلاث مجموعات من الجنود العتالين على الشاطىء للقيام بالعمل بالتناوب. وعلى طريق جانبي نظمت قافلة الشاحنات الثقيلة التي اعدت لتحميل مئات الاطنان من قطع الغيار والذخائر. كانت عقارب الساعة تسير ببطء. ومزق الانتظار الاعصاب. وكانت اعين الجميع متجهة نحو البحر الذي يسوده الظلام. وفي ذلك الوقت كانت اعين اخرى، فرنسية، تتجه من سفينة الانزال إلى الشاطىء. وعندما ظهرت انوار حيفا بدأ القائد يوجه سفينته. وصعد قادة الدبابات الاسرائيليون واحدا واحدا كل على دبابته. فجرت فحوص، وربطت البطاريات، وتم حل الكوابل التي ربطت الدبابات بمكانها ضد الاهتزاز الناجم عن امواج البحر. وقد ميز قائد السفينة الاشارات المتفق عليها وخلال ثلاث مناورات اوصل سفينته الى الشاطىء.

تفريغ اثناء الاستلقاء

في اللحظة التي فتح فيها جسر سفينة الانزال صعد عليها قادة الدبابات ركضا وصعد كل قائد على الدبابة المخصصة له. وبدأ الموجهون يشيرون بمصابيحهم على الشاطىء وانزلقت الدبابات من ضوء لآخر بحركة سريعة واسرعت من الشاطىء الى الطريق حيث تم تحميلها على الناقلات. وقامت الطواقم بتغطيتها بشبكات تمويه وخرجت قافلة الناقلات ترافقها شرطة عسكرية الى معسكر كباري شمال حيفا. وهناك انزلت الدبابات من الناقلات وتم تخزينها في مستودعات كبيرة. وقد انتهت المرحلة الاولى بسرعة وبتنظيم عجيب. وعندها بدأت المرحلة الثانية، والاصعب، وهي تفريغ قطع الغيار والذخائر. وسارع ناصبو الطريق المتحرك الى نصبه على جسر السفينة وقاد سواقو الشاحنات الكبيرة سياراتهم الكبيرة الى داخل السفينة. وبما ان مستودع سفينة الانزال كان مليئا بالصناديق كان من الممكن ادخال شاحنتين أو ثلاث شاحنات. واضطر الحمالون التابعون لاوشري للاستلقاء على صف الصناديق الاعلى وتفريغ الصناديق الاولى وهم مستلقون على بطونهم.

لعـدم وجود متسع. وبعد ذلك اصبح بالامكان ادخال شاحنات اكثر واستخدام رافعات صغيرة وفرت الكثير من العمل اليدوي.

ديان وبيرس ـ حمالون

الانفعال الشديد رافق كل من كان له اتصال مع «عملية يوْنا»، فالجيش الاسرائيلي، الذي اعتاد منذ ايامه الاولى على استيعاب معدات مستخدمه او قديمه، حصل هذه المرة على معدات جديدة بل وحديثه. فدبابتا امكس ١٣ وشيرمان كانت من احدث ما تسلمه الجيش الاسرائيلي حتى ذلك الوقت. وفي الليالي الاخيرة للعملية بدأ يزور المنطقة ضيوف محترمون. فدافيد بن غوريون الذي اصيب بالانفعال استـدعى الشاعر نتان الترمان لمشاهدة العملية وتخليدها في قصيدة. وكما ان شمعون بيرس وموشه ديان وغيرهم الذين زاروا الشاطىء عملوا كعتالين. واما قائد الكتيبة اوري الذي اشرف على عملية التفريغ فكان منفعلا ومتحمسا بشكل خاص ـ فقـد كان احد افراد الحماية في عملية «بلاك» عام ١٩٤٨. ففي تلك العملية احضرت من تشيكوسلوفاكيا الى اسرائيل، عن طريق الجو ـ البنادق والرشاشات الاولى لاستخدامها في عملية «نحشون» والان منح الفرصة للوقوف على الانقلاب الكبير الذي حدث على مكاسب مشتريات الجيش الاسرائيلي.

هكذا تم صقل الفولاذ

كان اوري بن اري قد تسلم قيادة اللواء المدرع السابع في الجيش الاسرائيلي في نهاية عام ١٩٥٥ بعد أن كان محاربا جريئا في حرب التحرير وقائدا للواء الدروع الاحتياط الذي تفوق فيه في مجال تنظيم وتدريب مأموريه.

قائد اللواء اوري بن آري قال للنقيب شمشون تسلنيكر الذي ارسل اليه للعمل كضابط امداد وتجهيز للواء. إجلس وحدثني عن نفسك.

فقـال شمشـون: انا مساعد لضابط الامداد والتجهيز في قيادة التدريب. فالدروع غريبة علي تماما ولهذا تلقيت من قائد سلاح الدروع موافقة للتجول في هذا المعسكر عدة ايام قبل ان اقرر...

وهنا قال له بن آري: لا يوجد ما تقرره. فالجو بدأ يسخن ولا يوجد وقت

«للتجول»، وينتظرك عمل في مكتبك الواقع في ثالث جناح من هنا. فهناك توجد مشاكل ويجب معالجتها دون تأخير. ففي الليلة سيعقد الاجتماع الاول لقيادة اللواء. وعلى فكرة عندما تكون في طريقك الى مكتبك اخلع قبعة السائق التي تعتمرها ـ وهو انتقاد لقبعة الضابط ذات المظلة من الامام ـ واعتمر قبعة سوداء. فمنذ الان انت رجل دروع.

قبل ان يعرف شمشون ماذا يحدث له اصبح رجل دروع غائصا من رأسه حتى اخمص قدميه بمشاكل الامداد والتجهيز التابعة للواء المدرع الذي اقيم على اسس جديدة بعد أن تم استبدال قيادة سلاح الدروع (في ٢٦ تموز ١٩٥٦ ودع العقيد اسحق فوندك سلاح الدروع وسلمه الى العميد حاييم لسكوب. وفي جلسة قيادة اللواء التي عقدت في الليلة التي تلت استقبال قائد اللواء لضابط التجهيز شمشون تسلنيكر، كان بمقدور الاخير ان يبلغ بوجود نقص في الوقود وفي الآليات، وبوضع صيانة غير مريح وبغياب جداول لوازم وكوادر لسرايا الامداد والمشاغل والخدمات الطبية.

وقد عرض الضباط الاخرون مشاكلهم والنتائج المترتبة على ذلك: فقد كانت الحاجة تدعو الى صياغة أوامر ثابتة وانظمة عمل لان القيادة تتأهب لأن تستوعب، بعد ثلاثة اسابيع الوحدات التي ستشكل اللواء والتي كانت حتى ذلك الوقت تابعة لقيادة قائد سلاح الدروع مباشرة. وكانت كل وحدة تسمى انذاك «طاقم مقاتل مدرع».

جرى العمل بجد ونشاط. وتجاهل الجميع ساعات العمل، والتعب، والاجازات، وعائلاتهم. وجرت مناورة قيادات. واصبح الوضع افضل بكثير مما كان عليه عندما انضم بن آري للدروع. ففي ذلك الوقت كانت القيادات تستخدم آليات خفيفة (ليست مدرعات وليست مجنزرات) وفي كل مكان يخيمون فيه كانوا ينصبون خياما ويفتحون طاولات وكراسي قابلة للطي. اما الآن فقد اصبحت القيادات متحركة ومزودة بكافة الاجهزة، ولكن بن آري لم يكن راضيا. فقد شاهد ادارة الدروع ضمن تحركات جريئة داخل اراضي العدو، وعلى محاور صعبة الحركة. وهذا الامر تطلب شبكة اتصالات متفوقة وجهاز امداد هادفا ومشاغل متحركة، تعيد باسرع وقت ممكن الآليات المصابة الى كفاءتها القتالية.

الشيء الذي تعلمه اللواء السابع نقل بسرعة الى الالوية الاخرى، وما تعلمته هذه الالوية بقواها الذاتية، وخلال المناورات التي اجرتها وخلال المناقشات التي اجراها قادتها نقل الى رجال الدروع في اللواء السابع. وازداد كنز المعرفة، ولكن لم يزدد معه كنز المعدات والآليات. فجميع ألوية الدروع كانت تفتقر الى طاقة بشرية والى معدات حربية تمكن من تطبيق النظرية الجديدة التي تبلورت في قوات الدروع.

أول تجربة رماية

في تلك الايام استوعبت قوات الدروع في الجيش الاسرائيلي سرية واحدة من دبابات «شيرمان» محسنة. وكان قائد هذه السرية النقيب موشه بريل (باركوخبا) الذي كان قبل ذلك قائدا لسرية المشاة المدرعة. وخلال وقت قصير اصبح موشه أحد رجال الشيرمان في الجيش الاسرائيلي وفيما بعد حققت القوات التي كانت بقيادته مكاسب جيدة في اطار استخدام هذه الدبابات، التي طورت ابان الحرب العالمية الثانية، ولكنها حسنت وادخلت عليها تحديثات عندما وصلت الى قوات الدروع الاسرائيلية. وفي ذروة عملية التعاظم هذه في مجال المعدات وبلورة النظرية والتدريبات، تعرض طاقم من رجال الدبابات امكس ١٣ لتجربة الرماية الاولى. فخلال العملية الانتقامية الكبيرة التي نفذت ضد شرطة قلقيلية في العاشر من ايلول ١٩٥٦ كلفت سرية الاستطلاع بقيادة تسفيكا داهف ان تسكت بمدافع دباباتها مواقع الرماية التابع للشرطة الاردنية، اثناء تقدم المظليين الى الهدف. وكان هناك مظليون كثيرون لم يتحمسوا لفكرة قيام المدافع باطلاق النار فوق رؤوسهم ولكن مدافع دبابات امكس ١٣ اطلقت نيرانها واصابت اهدافها بدقة المرة تلو الاخرى وكانت هذه اول مرة بعد الحرب العالمية الثانية التي عملت فيها قوات مشاه بالتعاون مع دبابات الا ان الدبابات كانت في الاراضي الاسرائيلية واما المظليون فكانوا خلف الحدود.

بصورة تدريجية تطورت قوات الدروع. واصبحت تحت قيادة بن آري كتيبتان من الدبابات، وكتيبة مشاه مدرعة وكتيبة مشاه آلية وسرية استطلاع (بقيادة اسحق بن آري). وقد استوعبت الوحدات معدات واشخاصا واهتم الجميع بالتدريب لصقل نظرية الدروع الاسرائيلية التي لم تتبلور بعد نهائيا. وكان لا يزال

في الجيش الاسرائيلي ضباط كبار آمنوا أن سلاح المشاة هو ملك ميدان القتال وان الدروع ما هي الا قوة اسناد. وراجت في ذلك الوقت آراء تقول، إن دبابات الجيش الاسرائيلي قليلة وإن حالتها الصيانية غير جيدة وان مفعولها قد يبطل بعد ايام قتال قليلة وتسبب في عرقلة عملية التقدم. ولهذا تقرر ان تقوم الدبابات فقط بدور الاسناد لسلاح المشاة، وان تظهر تواجدا وتعمل كمدافع متحركة.

«عملية قادش»

كما هو مفهوم، عارض رجال الدروع هذه النظرية. فقد وثقوا بقدرة وكفاءة معداتهم ورجالهم وايدوا حرب الدروع الكلاسيكية، الغاصة بالزخم، وعمق الاختراق، والغنية بالمناورة واعمال التطويق، من خلال استغلال كثافة رماية الدروع. وقد صقلوا قدراتهم عن طريق مجموعة من المناورات المتتالية والمضنية في مناطق النقب وانتظروا المناسبة التي سيثبتون صحة نظريتهم.

وكان ابراهام ادان (برن) أحد رجال الدروع الذين ركزوا على ذلك. فمنذ اليوم الذي عين فيه قائدا لكتيبة الدبابات ٨٢ في اللواء السابع في شهر اذار ١٩٥٦ لم يترك راحة لنفسه ولا لمأموريه. فقد كتب مادة تدريب لفئة ولسرية، واهتم بان يكتبوا اوامر قتال دائمة ورسم خطا احمر للحياة في معسكرات غير مموهة. وللمرة الاولى في تاريخ المدرعات الاسرائيلية توجهت كتيبة كاملة لاجراء مجموعة مناورات طويلة في النقب بدون خيام وبدون «شيد» لصبغ معالم الطرق.

في تشرين أول ١٩٥٦ كانت الكتيبة تتأهب للبدء بمجموعة مناورات كبيرة ولكن في التاسع والعشرين من الشهر بدأت حرب سيناء واحتلت الحرب الحقيقية محل برنامج التدريب.

شاؤول يافه

قائد سلاح الدروع كانون ثانٍ ١٩٥٠ ـ تموز ١٩٥٠

المقـدم (الاحتياط) شاؤول يافه عين اول قائد لسلاح الدروع الاسرائيلي واشغل هذا المنصب خلال الفترة الواقعة بين كانون ثانٍ ١٩٥٠ وحتى تموز ١٩٥٠، وقـد اقام المقدم يافه واسس قيادة سلاح الدروع. وكان يافه أحد كبار ضباط

الدروع في مراحله الاولى خلال حرب عام ١٩٤٨ وفي مطلع الخمسينات. وقد تسلح المقدم يافه بالافكار المبتكرة وبالمهنية. وعمل على تنظيف سلاح الدروع من العناصر الاجنبية التي سيطرت عليه حتى ذلك الوقت وبعث في عروقه دماء اسرائيلية (من رجال الهاجناه، والبالماح، كما أسس المقدم يافه دورات انعاش في اطار كتيبة الدروع العاشرة. وكان ابرز هذه الدورات دورة الدروع ودورة المدفعية / المضادة للدبابات.

ولد شاؤول يافه في (اسرائيل) عام ١٩٢١ وتخرج من كلية هرتسليا ومن المدرسة الزراعية مكفين يسرائيل وانضم لصفوف البالماح عام ١٩٤١. وعين نائبا لقائد الكتيبة الرابعة في البالماح التي لعبت دورا هاما في الكفاح ضد الانجليز. وفي تشرين ثان ١٩٤٧ شكل الكتيبة الخامسة في البالماح وعين قائدا لها. كما عين نائبا لاسحق ساديه قائد اللواء الثامن في حرب ١٩٤٨. وفي نهاية الحرب عين قائدا للكتيبة المدرعة ش/١٠. وتسرح من الجيش الاسرائيلي في تموز ١٩٥٠. وفي حرب الايام الستة خدم تحت قيادة العميد يسرائيل طال في مجموعة الدروع التي حاربت في شمال سيناء. توفي شاؤول عام ١٩٧٧.

موشه (موندك) بارتكفا (بسترناك)
قائد سلاح الدروع ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣

العقيد موشه بارتكفا من خريجي البالماح، عمل قائدا لسلاح الدروع في الفترة الواقعة بين تموز ١٩٥٠ وكانون اول ١٩٥٣.

كانت قوة الدروع في حرب عام ١٩٤٨ مقلصة وكانت مكونة في معظمها من المدرعات والمجنزرات ومن عدد يكاد لا يذكر من دبابات «كورموبيل» وهوتشيكنز. وساهمت حرب الاستقلال مساهمة جديدة وخاصة في مجال بلورة رجل الدروع في الجيش الاسرائيلي. في مطلع الخمسينيات اشترى الجيش الاسرائيلي دبابات شيرمان التي استخدمها الحلفاء مع الحرب العالمية الثانية ورممها سلاح التسليح وادخلت الخدمة الفعلية في سلاح الدروع. واقيمت اطارات جديدة لاستيعاب الدبابات لتدريب افراد الطواقم وقادة الدبابات. وفي مطلع الخمسينيات وعلى اساس المبادىء الاساسية التي اعتمدت بالتعاون مع رئاسة الاركان مثل وحدة النظرية

والاقتصاد في الطاقة البشرية وفي المعدات والتركيز على التعاون بين الاسلحة (اي التركيز على توفير الاسناد لقوات المشاة) تمت بلورة الدروع استعدادا لما يخبئه المستقبل. وعندما جاءت عملية قادش كانت قوات الدروع مستعدة وجاهزة لاحتلال مكانها في مقدمة القوات الاسرائيلية المحاربة.

اسحق فوندك

قائد سلاح الدروع الاسرائيلي من ١٩٥٣/١٢/٢٢ الى ١٩٥٦/٧/٢٦

العميد الثاني (الاحتياط) اسحق فوندك عمل قائدا لسلاح الدروع وقائدا لقوات الدروع خلال الفترة الواقعة بين ١٩٥٣/١٢/٢٢ وحتى ١٩٥٦/٧/٢٦. وعندما اقيمت قيادة قوات الدروع في ٣ شباط ١٩٥٤ عين اسحق فوندك اول قائد لقـوات الدروع في وضـع الاسس لاقامة سلاح الدروع بكافة اطاراته المحاربة كسلاح مركزي في الجيش الاسرائيلي وقد وضع فوندك الاسس لاعادة تنظيم مدرسة الدروع واعداد قيادة وطواقم الدبابات ورئس فوندك بقيادة قوات الدروع هيئة تسيطر على طواقم حربية بحجم كتائب مدرعة. ولد اسحق فوندك في بولندا عام ١٩١٣، وانضم الى صفوف الهاجناه عام ١٩٣٦. وفي حرب (الاستقلال) عمل قائدا لمنطقة الجنوب. كما عين قائدا لكتيبة في لواء جبعاتي. وفي عام ١٩٥٠ عين قائدا للواء النقب. وفي عام ١٩٥١ عين اول قائد لقوات الناحال. واشترك في دورة الدروع التي عقدت في فرنسا. وفي عام ١٩٥٦ اعتزل الخدمة في الجيش الاسرائيلي وفي عام ١٩٧١ استدعي للعودة للخدمة في الجيش من قبل وزير الدفاع موشه ديان وعين حاكما عسكريا لقطاع غزة وشمال سيناء ومنح رتبة عميد ثانٍ. وخرج من الجيش الاسرائيلي عام ١٩٧٣.

الفصل الثالث

(عمليـة قادش)

عمليـة «قادش» التي بدأت بعملية مشتركة لسلاح الجو وقوات الدروع، سجلت في تاريخ الجيش الاسرائيلي كمعركة، اصبح فيها سلاح الدروع الاسرائيلي القوة الضاربة الرئيسة في البر. ولكن في مساء التاسع والعشرين من تشرين اول ١٩٥٦ ما زال هذا التطور يكتنفه الغموض. فالالوية المدرعة الثلاثة التي اعدت للمشاركة في العملية ـ وهي اللواء السابع النظامي بقيادة العقيد اوري بن آري، ولواء الاحتيـاط السـابع والعشرون بقيادة العقيد حاييم بارليف، ولواء الاحتياط السابع والثلاثون بقيادة المقدم شموئيل غلنيكا بقيت في منطقة التجمع بانتظار الاوامر.

في هذه العملية تم الحاق اللواء السابع وجزء من اللواء ٣٧ بالمجموعة التي كان يقودها العقيد يهودا فالاخ، رجل لواء المشاة «جبعاتي» سابقا. اما اللواء ٢٧ فكان جزءا من مجموعة العميد حاييم لسكوب. وهذه المجموعة اعدت للعمل في قطاع غزة وعلى المحور الشمالي حتى القنطرة على قناة السويس. وخصص لمجموعة فالاخ المحور المركزي الذي يشتمل على واجهة أم كتف ـ ابو عجيلة.

بدأت عملية «قادش» بصورة مفاجئة تماما بالنسبة للقيادة المصرية. فكتيبة ٨٩٠ التابعة للمظليين لم تصطدم بمقاومة عندما وصلت الى الارض. وبما أن القوة انزلت خطأ على مسافة ٥ كيلومترات من الهدف، توجه المظليون في مسير سريع نحو نصب باركر الواقع في القسم الشرقي لمر المتلا، وتمكنوا من التمركز فيه قبل حلول الظلام وقام قطار جوي من الطائرات بانزال معداتهم الثقيلة التي شملت مدافع هاون وصناديق ذخيرة. وعندما كان المظليون متمركزين بالقرب من نصب باركر تقدم زملاؤهم بطريق البر الذي كان صعبا جدا وتعطلت فيه آليات كثيرة. وفي الساعة ١٧ر١٧ وصلت القوة الامامية الى موقع الحدود المصري كونتيلا. وبدأت سرية من دبابات امكس ١٣ باطلاق النار. وهجم مظليون بقيادة المقدم اهارون دافيدي على كتيبة الموقع. ففر المصريون، أما قائد المظليين المقدم شارون فبدأ بتجميع قواته

قبـل ان يستمر التقدم نحو تمد ونخل والمتلا. في الوقت الذي نفذت فيه عملية الاختراق هذه نفذت عملية اختراق اخرى. فقد توجهت وحدات من لواء المشاة ٩ بقيـادة العقيـد ابراهام يافه، من ايلات واحتلت في معركة قصيرة موقع الحدود المصري في راس النقب. وكان هذا اللواء قد اعد للتحرك على محور صحراوي نحو شرق الشيخ، بعد أن يبدأ الغزو البريطاني ـ الفرنسي لمصر. وفي هذه الاثناء تجمع في رأس النقب اللواء ٩ بكامل معداته.

اما عملية الاختراق الرئيسة فقد تقرر ان تتم في واجهة نيتسانا ـ قصيمه. وكان هدفها فتح المحور المركزي طريق اسفلت ضيق يعبر شبه جزيرة سيناء ويمر بابي عجيلة وبجبـل لبنى وبـير جفجفـة ويصـل الى القنـاة امام الاسماعيلية. واستخدمت القصيمة موقعا حاجزا لحماية منطقة ابو عجيلة المحصنة جيدا والقيت مهمة الاختراق في هذه الواجهة على عاتق لواء المشاة ٤ بقيادة العقيد يوسف هرباز (يوش). وبما ان معظم آليات اللواء ٤ (مثلها مثل معظم آليات الالوية الاحتياطية كانت مدنية وليست ذات دفع امامي وحالتها الميكانيكية متدنية، بقيت شاحنات ذخيرة كثيرة معطلة في الطريق ولم تستطع احدى كتائب اللواء المشاركة في هجوم اللواء لافتقارها الى الذخيرة. وكما ان كتيبة اخرى اعدت لمهاجمة قصيمة ضلت الطريق ووصلت الى نقطة الهجوم في الساعة الرابعة قبل الفجر (في يوم ٣٠ تشرين اول) وعندما وصلت الى هناك كانت منهكة ولم تكن معها اسلحة الاسناد. قائد القيادة الجنوبية، العميد اساف سمحوني، الذي تابع بقلق تقدم عقارب الساعة، قرر القاء الدروع في المعركة وامرها بالهجوم على قصيمة بدلا من قوات المشاة. فقد ارسلت وحدة من اللواء السابع لتنفيذ المهمة التي كلفت بها. وبما ان امر الحركة اعطي للدروع قرر العميد سمحوني عدم القائه وواصلت قوات الدروع تحركها.

ثلاثة طواقم مقاتلة

كان اللواء السابع ـ وهو لواء الدروع الاول الذي اجتاز الحدود ـ افضل لواء دروع في الجيش الاسرائيلي. اما لواء الدروع الاسرائيلي الذي يعود تاريخه الى حرب عام ١٩٤٨ فكان اللواء الثامن. وبعد الحرب تم تحويله الى لواء احتياط مشاة. واما كتيبة الدبابات التابعة له وهي الكتيبة ٨٢ فقد نقلت الى اللواء السابع.

وفي عمليــة قادش شملت الكتيبــة ٨٢ دبــابــات (ثقيلة) من نوع (شــيرمــان) (وسوبرشيرمان). وكان قائدها المقدم ابراهام ادان. اما الكتيبة الثانية وهي الكتيبة التاسعة التي كان يقودها المقدم ي. بيغلمان «بايغلا» فقد كانت في الأصل ـ في حرب ١٩٤٨ كتيبة اغارة آلية ضمن لواء النقب التابع للبالماح. اما الآن فقد زودت بدبابات امكس ١٣. وقاد الكتيبة الثالثة ـ كتيبة ٥٢، المقدم اوري روم. وكانت هذه الكتيبة في حرب ١٩٤٨ كتيبة مشاة ضمن لواء جعباتي. واما الآن فقد اصبحت كتيبة مشاة مدرعة تستخدم مجنزرات امريكية يعود تاريخها الى الحرب العالمية الثانية.

كانت هذه الكتائب الثلاث نظامية. وكان جنودها من شباب الخدمة الاجبارية. والى هذه الكتائب اضيفت كتيبة الاحتياط ٦١ بقيادة المقدم اشبر كونفروتس. وكانت هذه الكتيبة كتيبة مشاة آلية.

عندما كان اللواء يقوم باستيعاب الدروع الجديدة، التي وصلت من فرنسا في الاشهر التي سبقت حرب سيناء انكب قائد اللواء على دراسة خرائط سيناء وعلى وضع خطة العملية التي خصصت للوائه. فقرر تغيير تشكيل اللواء وتنظيمه في ثلاثة طواقم قتالية، يضم كل واحد منها العناصر المركبة للواء. وقد وضع على رأس الطاقم القتالي الاول المقدم اوري روم. وهذه القوة شملت سرية دبابات (سوبر شيرمان) وسريتين من المشاة المدرعة. واما الطاقم الثاني فكان بقيادة «برن» ابراهام ادان، وضم سرية دبابات (شيرمان) م/٥٠ ذات مدفع حديث بعيد المدى ودقيق وسرية مشــاة مدرعة. وفي ذروة المعركة الاولى التي ادارها الطاقم القتالي الثاني خلف الحــدود، عزز بسرية دبابات (شيرمان) م/٣ كانت قبل ذلك ملحقة بلواء المشاة العاشر الذي اقتحم موقع ام كتف. واما الطاقم القتالي الثالث الذي قاده بايغلا، فقد ضم سريتي دبابات امكس ١٣ وسرية مشاة مدرعة.

عندما تسلم قائد اللواء من قائد القيادة امر دخول المعركة، قبل الموعد الذي حدد في الجدول الزمني لحظة العملية، امر الطاقم الاول بالسير في المقدمة. فانطلقت في الامــام سيارات الجيب، والمجنزرات التابعة لسرية الاستطلاع اللوائية بقيادة الرائد اسحق بن اري.

وصل الطاقم الاول الى قصيمة في ساعات صباح الثلاثين من تشرين اول

وتوجه الى الطريق المؤدية الى ام كتف. وامر هذا الطاقم بالبقاء في المكان وتهديد الموقع المصري، واما وحدة الاستطلاع فارسلت للبحث عن محور تطويق، يمكن الدروع من الوصول الى طريق الاسماعيلية دون ان تصطدم بالعدو. وقد عرف قائد الاستطلاع ان مثل هذه الطريق توجد ضمن قصيمة حيث امتدت طريق ترابية تتجاوز ام كتف من الجنوب الشرقي، وتمر بممر هديقة وتتصل مع الطريق الى الاسماعيلية خلف ابو عجيلة. ولكن هديقة كان مضيقا جبليا صعبا جانباه سحيقا الانحدار وكان سهلا جدا للدفاع. وكان الافتراض أن المصريين قد اغلقوا هذا الممر. ولهذا تقدمت وحدة الاستطلاع بحذر شديد.

عندما اصبحت آلية الانقاذ على بعد ٢٠٠ متر فقط من بداية المضيق، سمع صوت انفجار وتصاعد غبار كثيف. وبعد مرور حوالي دقيقة شوهد ثلاثة جنود مصريين يتقدمون على ظهر جمال نحو بير حسنة الذي يقع في عمق شبه جزيرة سيناء. وواصل رجال الوحدة تقدمهم الحذر وسرعان ما اكتشفوا سبب الانفجار. لقد دمر المصريون عبارة في ممر هديقة. وقد تسبب هذا التفجير في اغلاق الممر في المضيق بوجه الاليات غير المجنزرة.

واستطاعت سيارات الجيب في الوحدة عبور الممر بصعوبة وتقدمت حوالي ١٥كم دون ان تصطدم بالعدو. ووصلت الى القرب من طريق ابو عجيلة ـ جبل لبني خلف اللواء السادس المصري. المنتشر في منطقة أم كتف ـ ابو عجيلة.

اتصل قائد الوحدة لاسلكيا مع قائد اللواء وابلغه بمكانه وبمكتشفاته. فأمره قائد اللواء بان يبقى في مكانه وان يغلق الطريق. وقد تمخض اتصال قائد وحدة الاستطلاع عن نشاطات مكثفة في قيادات اللواء والقيادة الغربية. فأمر قائد اللواء كتيبة المشاة المدرعة التي الحقت باللواء ان تحل محل الطاقم الاول أمام أم كتف. وامر قائد القيادة لواء المشاة العاشر الذي ما زال موجودا كقوة احتياط بالقرب من نتيسانا باجتياز الحدود ومهاجمة أم كتف من الشرق. وامرت الطواقم المقاتلة الثلاثة التابعة للواء السابع بعبور هديقة وبالانتشار في المنطقة كلها على النحو التالي: الطاقم الثالث يتحرك الى بير حسنه والطاقم الاول والطاقم الثاني يقومان بعملية تطويق ويهاجمان الاول منطقة ابو عجيلة والثاني القوات المصرية المرابطة حول سد روفه القريب من ابو عجيلة. وفي الوقت نفسه يقوم اللواء العاشر بمهاجمة أم كتف.

كذلك تتم في آن واحد مهاجمة جميع اجنحة اللواء السادس المصري. ومع احتلال منطقة هذا اللواء سيزال العائق المصري من على المحور المركزي، وعندها يتم تزويد الدبابات الاسرائيلية بالوقود لكي تتقدم بسرعة نحو الغرب.

كانت عملية العبور في مضيق هديقة في الظلام عن طريق العبارة المدمرة، تنطوي على اعمال شاقة لرجال الدروع المنهكين، الذين اضطروا لابقاء آلياتهم التي اعتادوا عليها خلفهم. ولكن في فجر يوم الاثنين ٣١ تشرين اول كانت الطواقم القتالية المدرعة الثلاثة قد وصلت الى مواقعها خلف المضيق.

لقد كانت عملية ارسال الطواقم القتالية الثلاثة الى ما وراء هديقة بمثابة مغامرة محسوبة من جانب القيادة الاسرائيلية لأن الآليات المدرعة وحدها هي التي اجتازت العبارة المدمرة. اما ثقل اللواء كله ـ الامداد، والمشاغل المتحركة والذخائر والوقود، فقد بقي في الخلف. وكان واضحا أنه اذا ظهرت دروع مصرية فجأة من جهة القناة فان اللواء السابع سيجد نفسه بين مطرقة الدروع المعادية وسندان المضيق الضيقة. وهذا ما حدث فعلا.

في ساعات الصباح الباكر انفصل الطاقم القتالي الثالث عن القسم الرئيس للواء واتجه نحو بير حسنه. واما الطاقمان الاخران فاجريا استعدادات اخيرة لشن الهجوم على ابو عجيلة. وفجأة وصل تقرير من سلاح الجو يقول: ان قوة مصرية مدرعة كبيرة شوهدت بالقرب من بير جفجفة وهي تتحرك نحو الشرق. وكان المغزى الاستراتيجي لهذا الخبر: أن القيادة المصرية قررت تجاهل الانذار البريطاني ـ الفرنسي ـ الذي نشر في هذه الاثناء ـ ورأت بشبه جزيرة سيناء ساحة الجهد الرئيس. لكن هذا المغزى أشغل بال القيادة العليا الاسرائيلية وليس اللواء السابع بقيادة العقيد بن آري. فامامه لاح تساؤل تكتيكي ملح: الى اين تتجه الدروع المصرية؟ وكان هناك احتمالان: الاول هو المتلا ـ حيث ضغط المظليون نحو قناة السويس وهم يستخدمون سرية دبابات امكس ١٣ مقلصة جدا او موقع ام كتف ـ ابو عجيلة الذي هدده الخطر من عدة اتجاهات.

خلال دراسة سريعة للخرائط قرر قائد اللواء: القاء مهمة الطاقم القتالي الاول السابق (مهاجمة سد روفه) وتوجيهه غربا نحو طريق الاسماعيلية. واذا اتجهت الدروع المصرية نحو المتلا تصطدم بالطاقم الثالث وعندها يهاجمها الطاقم الاول

من جناحها. واذا اتجه المصريون الى ابو عجيله يصطدمون وجها لوجه مع الطاقم الاول وعندها ينحرف الطاقم الثالث ويضربهم من الخلف. هذا الاستخدام المرن والسريع للقوات وتوزيعها للسيطرة على المنطقة وتجميعها للقيام بضربة قاضية ضد قوات العدو والسيطرة عليها من مسافة بعيدة، جعل من الدروع القوة الحاسمة والرائدة حتى في المعارك البرية في المستقبل. لكن قرارات قائد اللواء هذه تركت الطاقم القتالي الثاني وحده أمام المواقع المصرية في ابو عجيلة وسد روفه وفي هذه الاثناء فقدت الدروع الاسرائيلية المهاجمة عنصر المفاجأة.

القوة المصرية التي تحصنت في منطقة ابو عجيله ـ ام كتف وكانت مكونة من كتيبتي مشاة من اللواء السادس (الذي كان لواء دائما في الجيش المصري) وكتيبتين من لواء احتياط ولواء مصغر من الحرس الوطني. والى هذه القوات اضيفت كتيبة مدفعية ميدان (٢٤ سبطانة من عيار ٢٥ رطلا وكتيبة مدافع مضادة للطائرات و٢٣ مدفعا مضادا للدبابات (ارتشر). وكانت هذه المنطقة تسيطر على منطقة طولها حوالي ١٠كم وعمقها ٤سم تمتد من ام كتف حتى ابو عجيله (الاخيرة هي مثلث طرق هام يمر بها طريق نيتسانا ـ الاسماعيلية والطريق الى العريش).

في تلك الايـام لم يتبن المصريـون بعـد نظرية القتال السوفياتية وقد بني انتشارهم على مواقع قيادة كان اكبرها في ام كتف. ولكن حتى مواقع ابو عجيله وسد روفه الذي اقامه البريطانيون في وادي العريش لاختزان مياه الامطار) كانت محميـة جيدا وكانت تتواجد فيها مدافع مسددة سلفا. وفي المنطقة الواقعة بين المواقع اقيمت معسكرات ومستودعات للحرس الوطني.

عندما اقترب الطاقم القتالي الاول من ام كتف من جهة قصيمة عرف القائد المصري أنه اصبح مهددا بهجوم واسع النطاق. وعندما ابلغته المراقبات الغربية من هديقـة بانها سمعت طيلة الليل اصوات مسير دبابات من هذا الاتجاه كان بامكانه ان يتكهن باتجاه الهجوم والاستعداد له. وبالفعل فعندمـا دخلت مدرعات الطاقم الثاني في مدى رماية مدفعية ابو عجيله اطلقت عليها فورا رماية كثيفة من مسافة ٣ـ٤كم.

عمل جيد

بعد تقدير سريع امر «برن» قائد سرية المشاة الآلية التي تحركت معه، النقيب بن حيل ان ينزل من الآلية وان ينصب حاجزا أمام موقع السد لمنع هجوم معاكس من هذا الجناح. واما القائد نفسه فقد واصل التقدم على رأس سرية الدبابات (بقيادة النقيب موشه بريل باركوخبا) وسرية المشاة المدرعة (بقيادة النقيب ساسون اسحاقي). وعندما وصلت طلائع الدبابات لمسافة ٣٠٠ متر من الاسلاك الشائكة التي تحيط بموقع ابو عجيله تكاثفت النيران المصرية. فأمر برن قائد سرية الدبابات ان يرسل فئة دبابات من ناحية اليسار وان يحاول دخول الموقع من ناحية طريق العريش. ولكن عندما وصلت الفئة الى ضفة الوادي ادرك قائدها ان المنطقة منحدرة ولا يمكن اجتيازها. فانتشرت الفئة على ضفة الوادي ومن هناك تكشف امامها مجال رماية جيد لتقديم الاسناد للقوة الرئيسة ولاغلاق طريق امدادات مصرية من جهة العريش.

في هذه الاثناء شنت سرية المشاة المدرعة هجوما مباشرا على طول الطريق. وكان الامر الذي تلقته هو عدم التأخر والاقتحام باي ثمن. وبالفعل نفذ الاقتحام. وقد اصيب عدد من المجنزرات ولكن المجنزرات الاخرى واصلت تقدمها. واخترقت مجنزرة القائد الاسلاك الشائكة ووقفت على بعد عدة امتار من موقع مصري. وفي هذه المجنزرة كان يوجد الجندي بنحاس ليفوفتش الذي قال فيما بعد: «فجأة بدأوا بامطارنا بوابل من النيران من كافة الاتجاهات. فاصيب نائب القائد وعدد من الجنود. ولاحظت ان الموقع المصري القريب منا يطلق النار بكثافة ودون توقف. فزحفت واقتربت منه دون ان يشاهدني المصريون فوجهت رشاش الستن داخل الموقع وضغطت على الزناد لكن الرشاش لم يعمل... وتذكرت انني احمل قنبلتين يدويتين... فسحبت مسمار الامان من احداهما ووقفت والقيتها داخل الموقع. فسمعت صوت انفجار. وبعد ذلك ساد صمت وبدأت ازحف متراجعا وفجأة دفعني شيء لانظر خلفي فرأيت مصريا ينظر من داخل قناة اتصال. فالقيت عليه القنبلة الثانية».

لقد انقذ الجندي ليفوفتش الوضع وزملاءه في السلاح ولهذا فقد منح وسام تقدير في نهاية المعركة. الى جانب المجنزرات اقتحمت الموقع دبابات النقيب موشه

وفي طاقم احدى الدبابات كان الجندي شاؤول دافيد وعندما اقتربت دبابته الى المواقع المصرية انطلق من داخلها جنود مصريون يحملون مدافع بازوكا. وكانوا قريبين من الدبابة ففتح الجندي شاؤول دافيد برج الدبابة وحاول اطلاق النار على حملة البازوكا المصريين من رشاش ٥ر٠ انش وعندما ادرك أنه لا يستطيع خفض سبطانة الرشاش بشكل كافٍ تركه وامسك برشاش عوزي واطلق النار على المصريين. فانقذ الدبابة وحظي الجندي شاؤول دافيد بوسام تقدير.

من جهة موقع السد انطلق حوالي ٦٠ شخصا من حملة البنادق المصريين. وحاول عدد من حملة مدافع البازوكا مهاجمة الدبابات من جوانبها. وشاهدهم القائد من مسافة بعيدة وارسل وحدة من المشاة المدرعة لمواجهتهم فتمكنت من اجبارهم على الهروب.

كانت المعركة قصيرة جدا. ففي الساعة ٣٠ر٦ صباحا اقتحمت الدبابات والمجنزرات ابو عجيله ـ قلب الموقع المصري وبدأ الجنود المصريون يخرجون من استحكاماتهم رافعي الايدي. ولم يكن هناك وقت بل ولم تكن هناك قوة لاسرهم ولهذا قيل لهم أن يذهبوا الى العريش مشيا على الاقدام.

قبل ان يبلغ قائد القيادة، قائد اللواء السابع بعدة دقائق بان سلاح الجو مستعد لقصف ابو عجيله من اجل المساعدة في احتلاله، اعلن قائد الطاقم المقاتل الثاني بان ابو عجيله اصبح في ايدينا. وعندها رد بن آري على قائد القيادة بقوله: اننا لم نعد بحاجة للقصف الجوي. ولكن خلال وقت قصير اتضح ان الاحتفاظ بموقع ابو عجيله اصعب من احتلاله. فقبل ان يتمكن الطاقم من إعادة تنظيمه للدفاع، بدأت المدافع المصرية الموجودة في ام شيحان بقصف الموقع وبدأ هجوم معاكس قامت به قوات تعزيز ارسلت من العريش وشملت قوة التعزيز جنود مشاة محمولين على حمالات رشاشات برن ومدمرات دبابات «ارتشر». وحاولت هذه القوة مرتين اقتحام الموقع من الجهة الشمالية ولكن تم صدها بنيران الدبابات الموجودة على ضفة وادي العريش. وعندما حاول المصريون مهاجمة الموقع للمرة الثالثة تدخل ايضا سلاح الجو الاسرائيلي وتمكن من دحرهم الى الخلف. وبقيت في ميدان المعركة آليات مصرية مشتعلة. وامتدح قائد اللواء، قائد الطاقم الثاني وقال له: لقد قمتم بعمل جيد واضاف: ولكن يجب ان لا تتوقفوا، وعليكم ان تحتلوا سد روفه كله،

وكان السبب واضحاً وهو انه كان في موقع السد قوة مصرية وكانت تهدد القوة التي احتلت ابو عجيله والمنطقة كلها.

كان افراد الطاقم القتالي الثاني من جنود وضباط مرهقين بعد ثلاثة ايام من النشاط وبعد يوم طويل من القتال. وكان هذا واحدا من سببي العمل بسرعة. واما السبب الثاني فهو قرب حلول المساء. وقد اكتفى القائد بجولة خاطفة لمراقبة موقع ألسد وبعقد اجتماع قصير جدا لتوجيه الاوامر. ووضع سرية التعزيز من اللواء العاشر كقاعدة رماية واما عملية الهجوم فقد القاها على عاتق الدبابات والمشاة المدرعة التي فرغت لتوها من القتال لاحتلال ابو عجيله. وخطط هجوما مباشرا من ابو عجيله مباشرة نحو السد وخصص مواجهة لكل سرية وامرهم بالتحرك. فتقدمت المدرعات الهجوم. وقال النقيب موشه قائد سرية الدبابات لرجاله ببساطة وباختصار: لا تعتمدوا على اجهزة اللاسلكي فاذا طرأ تشويش على اللاسلكي فسيروا خلفي!».

عندما اقتربت المدرعات من منطقة السد، امطرت بنيران غزيرة من عشرة مدافع مضادة للدبابات وعشر مدمرات للدبابات «ارتشر» وستة مدافع ميدان عيار ٢٥ رطلا. وفي احدى المجنزرات اصيب جميع المحاربين. كما اصيبت آليات كثيرة وتوقفت سرية المجنزرات بسبب كثافة الرماية عليها ولكن الدبابات استمرت في تقدمها الى الامام. فاصيبت واحدة منها وتلتها اخرى. فحل الظلام ولم يكن بالامكان تمييز المواقع المصرية. وتشوش الاتصال بين الدبابات ولكن رجال الدروع رأوا جيدا مدرعة قائد السرية. فتقدم النقيب موشه نحو الامام من خلال اختصاره طريق الوصول الى الهدف من اجل أن يعرض نفسه وقتا اقصر بقدر الامكان لرماية العدو وان يصل الى الهدف باسرع وقت ممكن. فاقتحم الى الامام وتبعه جنوده منفذين للأمر الذي وجهه اليهم في بداية الهجوم.

لم تجتز سياج الموقع سوى اربع دبابات وتعطلت اثنتان بالقرب منه. وقد تقدمت الدبابتان الاوليان وهما دبابة قائد السرية ودبابة يقودها العريف يعقوب مايا وهو مهاجر جديد من تركيا، وكانهما مصابتان بالجنون بين المواقع المصرية تطلقان النار وتدوسان وتحركان مستودعات الذخيرة...

بعد القتال تحدث العريف مايا فقال: نحتاج سرعة. واردنا ان نطلق النار اثناء هجومنا ولكن قفل المدفع لم يغلق. وحتى الرشاشات توقفت عن الرماية الواحد اثر

الآخر. وقلت ان الدبابة التي ستقف ستعتبر مفقودة. ولهذا يجب ان نتحرك ولم يطرأ ببالي ان اتحرك الى الخلف. فتحركت نحو الامام. وكانت دبابة القائد دبابتي اول من وصل الى القناة المضادة للدبابات التي طوقت الهدف. فاجتزناها واجتزنا الأسلاك الشائكة الممدودة خلفها، ودخلنا الموقع ولكن موقع دبابتي ورشاشاتها كانت عاطلة عن العمل. وبدأنا نهاجم برشاشات العوزي وعندما نفذت الذخيرة القينا قنابل يدوية ودعسنا المواقع بجنازير الدبابة».

اثناء الهجوم على سد روفه اصيبت جميع الدبابات المهاجمة ولم تبق ذخيرة في جميعها. وفي آخر مرحلة من القتال على الهدف حارب رجال الدروع بواسطة الرشاشات الصغيرة وبالقنابل اليدوية وبجنازير الدبابات. وهكذا تم احتلال الهدف ـ بروح الدروع التي ادخلت في قلوب رجال الدروع الاسرائيليين وخاصة في العام الذي سبق حرب سيناء. وبعد احتلال الهدف بدأ رجال الدروع يضمدون جراحهم على انوار مصابيح سيارات الجيب. وبعد ذلك تقدموا لاصلاح الدبابات.

عندما بدأ المصريون في الساعة التاسعة ليلا هجوما معاكسا من جهة أم كتف كان الطاقم المقاتل الثاني جاهزا للدفاع. فتم صد الهجوم المصري للخلف وبقيت في ميدان المعركة اربع مدمرات دبابات وجثث ٣٧ مصريا. ومرة اخرى عولجت الدبابات وما ان بزغ الفجر حتى كانت جميع دبابات الطاقم الثاني (باستثناء ثلاث) صالحة لمواصلة الحرب.

وفيما بعد، عندما قلد قائد سلاح الدروع انذاك العميد حاييم لسكوب الاوسمة للمحاربين الذين تفوقوا في معركة السد قال: اذا استعرضت احداث الجيش الاسرائيلي، فانني ساجد معركة واحدة تقترب من معركة الدروع الحقيقية. فقد برهنت السرية الاولى في هذه المعركة ان الدبابة قادرة ليس فقط على قطع المسافات. فهي تقتحم وتخترق وتحتل ايضا. فلأول مرة في تاريخ الجيش الاسرائيلي فازت السرية الاولى التابعة للكتيبة ٨٢ من اللواء السابع بوسام تقدير. كذلك حصل على اوسمة التقدير كل من قائد السرية موشه باركوخبا وعدد من اصحاب الرتب الاخرى.

لم يتحقق امل القيادة الاسرائيلية في ان يؤدي سقوط مواقع ابو عجيله وسد روفه وقطع خط الانسحاب المصري للاسماعيلية وللعريش الى انهيار مدافعي ام كتف. وفي تلك الليلة هاجم اللواء العاشر ام كتف وتم دحره. وبقي هذا الموقع

المصري يغلق طريق نيتسانا ـ الاسماعيلية واصبحت قوة الدروع الاسرائيلية خلف الخط الاول للعدو بدون محور امداد.

سلاح الجو يهاجم الدروع

عندما كان الطاقم المقاتل الثاني يدير المعركة على مثلث ابو عجيله، كان الطاقمان المقاتلان المدرعان الآخران يواصلان البحث عن الدروع المصرية في انحاء سينـاء ولم يجداها. فقد وصل الطاقم القتالي الثالث بعد رحلة عديمة الاحداث استمرت ٦ ساعات الى مداخل بير حسنه. وهناك تعرض للهجوم من قبل طائرات سلاح الجو الاسرائيلي، التي لم تحاول البحث عن قوات مصرية في عمق الاراضي المصرية واصيب احد قادة السرايا هو النقيب بنيامين اوشرى بعملية القصف هذه وحل محله نائبه باروخ هرئيل. وبعد احتلال بير حسنه اصبح بيد الطاقم الثالث طريق أخرى نحو لواء المظليين في المتلا. فلو حاولت قوة مصرية مهاجمة المظليين فقد اصبح يوجد هناك من يهب لنجدته. اما الطاقم المقاتل الاول فقد تقدم الى جبل لبنى وهناك امر بالتوقف والانتظار. وكانت نية القيادة اصطياد الدروع المصرية التي ستظهر من منطقة القناة بواسطة عملية مقص يقوم بها الطاقمان المقاتلان. ولكن الدروع المصرية لم تصل. واكتشفتها طائرات سلاح الجو بين بير جفجفة وبير الحمة وامطرتها بوابل من النيران. وحتى ساعات الظهر اصيبت حوالي ٩٠ آلية من الرتل المصري فتوقف عن التقدم. ومن الناحية الاستراتيجية وكعبرة للمستقبل، كان هذا العمل دمجا جيدا بين المناورة المدرعة والقوة الجوية على معارك حركة لاغراض التقدم والمطاردة وتدمير قوات العدو.

والآن تم تغيير الامر. فبدلا من الانتظار في منطقة الكمين امر الطاقم المقاتل الاول بالتوجه نحو القوة المصرية التي بقيت من الهجوم الجوي ومهاجمتها. وابلغ رجال الاستكشاف في سلاح الجو أن الرتل المصري انسحب وزاد رجال الدروع من سرعتهم على أمل اللحاق على الاقل بالحرس الخلفي المصري.

لكن المصريين كانوا اسرع... وفي الساعة الثامنة مساء دخل الطاقم المقاتل الاول بير الحمه ووجده خاليا وبعد حوالي ساعة انضم اليه الطاقم الثالث. لذلك وصل قائد اللواء اوري بن آري للتخطيط ليوم القتال التالي.

لقد وضعت تحركات الدروع المصرية خلال النهار ذهابا وايابا بين بير جفجفه وبير الحمه علامات استفهام بالنسبة لنوايا قائدها. فهل من الممكن ان ينصب كمينا للدروع الاسرائيلية ويغريها في تعميق دخولها في قلب سيناء بعيدا عن قاعدة الامداد التابعة لها؟ ورغم هذا الاحتمال قرر قائد اللواء بن آري مواصلة المطاردة.

في الاول من تشرين ثانٍ وفي الساعة ٣٠ر٦. دخلت وحدة الاستطلاع المدرعة منطقة بير رود سليم. وتضم مستودع امداد ومخزنا للوقود للمصريين. وعلى مسافة قريبة من هناك شوهدت ثلاث دبابات مصرية من نوع تي ٣٤. كانت تختبىء بين التلال. فتقدمت دبابات سوبر شيرمان بقيادة شموئيل غونن واصابت احدى الدبابات وأجبرت الاخريين على الفرار.

واستمرت الدروع الاسرائيلية في تقدمها. وقبل منطقة بير جفجفه بحوالي ١٥كم اقدم المصريون على محاولة اخرى لوقف الدبابات التي تطاردهم. كانت هذه المحاولة المصرية الجديدة والوحيدة لادارة معركة دروع ضد دروع. فقد قال احد ضباط الدروع الاسرائيلية: في الساعة العاشرة قبل الظهر بدأت المعركة. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر قطع المصريون التماس وبدأوا انسحابا سريعا. وتركوا خلفهم دبابة مدمرة ومدمرتي دبابات وعددا من ناقلات الجنود المدرعة. والقى جنود مشاتهم معداتهم وولوا هاربين. في اشتباكين فقد المصريون ٨ دبابات تي ٣٤ في منطقة اعدت على ما يبدو، لتجميع طاقمهم اللوائي المدرع استعدادا لشن هجوم معاكس على ابو عجيله. وفي غداة اليوم الثاني ٢ تشرين ثانٍ دخلت القوة المصرية بير جفجفه، وابلغ رجال استكشاف الجو ان الرتل المصري المنسحب موجود على بعد بضع عشرات من الكيلو مترات من هناك فصعد رجال الدروع على آلياتهم وتقدموا لاشتباك آخر مع المصريين قبل ان يجتازوا منطقة القناة. وخلال ساعات نهار ذلك اليوم اشتبك هذا الطاقم المقاتل أكثر من مرة مع مؤخرة القوات المصرية واصاب دبابات اخرى في حين كان سلاح الجو يقصف من الاعالي الرتل المصري المنسحب. واستمرت عملية المطاردة حتى ساعات الليل. وكان رأس الرتل المصري قد وصل الى القناة. واجتاز الرتل المصري كله القناة في ساعات الليل. وفي صباح الثالث من تشرين ثانٍ تحركت طلائع اللواء السابع الى مسافة ١٥كم من قناة السويس (وهو الخط الذي رسم كخط نهائي لتقدم الجيش الاسرائيلي) وابلغ

القيادة. (اصبح محور الوسط مطهرا كله من قوات العدو).

وبعد هذه المعركة اتضح أنه كان أمام المصريين سبب مزدوج للانسحاب السريع من شبه جزيرة سيناء وهو:

أ ـ الضربة التي تلقوها من الجيش الاسرائيلي.

ب ـ الغزو الانكليزي الفرنسي الذي تم شنه على مصر والذي اجبر القيادة العامة المصرية على استدعاء قواتها من شبه جزيرة سيناء.

في هذه الاثناء استمرت المعركة حول أم كتف، حيث عمل الطاقم المقاتل الثاني من اللواء السابع الى جانب اللواءالعاشر. وبعد أن فشل اللواء العاشر في محاولة لاحتلال (الجيب) المصري في الهجوم الليلي، عزل رئيس الاركان قائد اللواء وكلف خلفه، العقيد يسرائيل تال بالقيام بهجوم آخر. ولهذا الغرض تم تعزيز اللواء العاشر بوحدات من المشاة المدرعة ومن دبابات من اللواء المدرع (الاحتياط) ٣٧.

واستعد قائد اللواء ٣٧ ، المقدم شموئيل غلينكا وهو رجل بالماح سابق في حرب (الاستقلال)، لمهاجمة أم كتف بكتيبة دبابات وبسريتي مشاة مدرعة وبمجنزرات وكتيبة مشاة آلية محمولة بشاحنات، وتقرر ان يبدأ الهجوم في الساعة الثالثة فجرا، ولكن دبابات اللواء ٣٧ تأخرت في الوصول. وعندما اعطيت لها الاوامر بالانضمام للهجوم على أم كتف كانت بعيدة عن هذا الهدف وما ان بدأت تحركها وقطعت المسافة نحو الهدف، حتى نفذ صبر قائد اللواء فقرر عدم الانتظار وبدأ الهجوم بقوة المشاة المدرعة فقط. كما ان ضعف سلاح المدفعية في الجيش الاسرائيلي في ذلك الوقت لم يمكنه من تقديم الاسناد لهذا الهجوم.

اشتباك مأساوي

في اليوم الذي توقف فيه الهجوم على أم كتف في الاول من تشرين اول تلقى المدافعون المصريون عن أم كتف امرا بالانسحاب، فأمر القائد المصري، الذي عرف انه لن يستطيع اختراق مناطق الغلق الاسرائيلية على محاور الطريق الى العريش والاسماعيلية، رجاله بالتخلي عن جميع معداتهم الثقيلة والتسلل راجلين الى العريش. واثبتت قوة صغيرة في (الجيب) للتغطية على عملية الانسحاب بواسطة اطلاق نيران المدافع والرشاشات. ولم يدمر المصريون المعدات التي تركوها خلفهم

من أجـل تضليل القوات الاسرائيلية المحيطة بهم. وفي غداة اليوم التالي اصبح الجيب صامتا. فتجسست قوة من الجيش الاسرائيلي ووجدت الموقع خاليا.

في تلك الساعة انتظمت قوة استطلاع (سرية دبابات من لواء ٣٧) واجتازت بسرعة موقع أم كتف المهجور وتوجهت الى مثلث ابو عجيله حيث كان ينتشر الطاقم المقاتل الثاني التابع للواء السابع. ولفتت جلبة المحركات واصوات المجنزرات التي سمعت من جهـة الجيب المصري انتبـاه رجال الدروع الاسرائيلية عند المثلث. فحذرتهم القيادة من امكانية قيام المصريين المحاصرين في أم كتف بالاختراق نحو العـريش عن طريق مثلث ابو عجيله. فعبأ رجال مدافع الطاقم الثاني مدافعهم واوقفوا انفاسهم، ووضعوا أصابعهم على أزندة الاطلاق.

وفجأة ظهرت دبابات من جهة المثلث المصري فخرجت نحوهم من خلف تلة تبعد حوالي ٨٠٠م من موقع المثلث وكانت مغطاة بالغبار الى حد انه لم يكن بالامكان تشخيصها. وكانت تسير في مقدمتها سيارة جيب مصرية تم الاستيلاء عليها فاطلقت قوات الموقع النار وكانت الاصابات دقيقة جدا حيث أنه خلال دقيقتين احترقت ٨ دبابات من بين ٩ دبابات تابعة للواء ٣٧. وكان هذا الاشتباك المأساوي العملية الحـربيـة الاخـيرة حول ابو عجيله. واستخلص الجيش الاسرائيلي منها العبرة للمستقبل سواء بالنسبة للتعاون بين القوات وبالنسبة لتحسين اجهزة الاتصال واساليب الاتصال بين قوات الدروع.

وجد الجيش الاسرائيلي غنائم كثيرة في منطقة أم كتف وابو عجيله. ولكن الاهم من ذلك أنه وجد فيها الطريق من نيتسانا الى الاسماعيلية. وفور احتلالها بدأت قوافل الوقود والذخيرة الاسرائيلية تسير على هذا المحور نحو منطقة القناة.

الهجوم على شمال سيناء وعلى قطاع غزة بدأ فقط مع فجر الاول من تشرين ثانٍ اي بعد اكثر من ٤٨ ساعة من انزال المظليين في منطقة المتلا وبعد أن بدأت المعارك في الواجهة الوسطى. ومن الواضح ان عنصر المفاجأة لم يعد قائما. كذلك لم تتوفر هنا امكانيات الحركة والمناورة التي كانت متوفرة لطواقم القتال المدرعة في الواجهة الوسطى. وكانت المنطقة الرئيسة في الخط الدفاعي المصري في شمال سيناء هي منطقة رفح. ففي المنطقة الضيقة نسبيا الواقعة بين رمال ضفة البحر وبين تلال منطقة خلوصة تمركز لواء مشاة كامل تسانده قوات تعزيز اخرى: كتيبة

مدافع ومدمرات دبابات (ارتشر) وكتيبة مدافع مضادة للطائرات وسريتان محمولتان من حرس الحدود. وكان هذا الخط عبارة عن شبكة من المواقع المنتشرة بين البساتين واسيجة الصبر. وكان كل موقع محصنا ومحاطا بالغام ويغطي بالرماية على المواقع المجاورة له. وكان طرف هذا الخط من الشمال يرتبط بطرف الخط الدفاعي لقطاع غزة. في الجنوب كان يتصل بالمواقع الخارجية التابعة للعريش. ولم يكن بالامكان هنا القيام باي عملية تطويق. وكان لا بد من تقسيم الوحدات المهاجمة الى وحدات ثانوية خصص لكل واحدة منها هدف خاص. وكانت المنطقة تفتقر الى تضاريس طوبغـرافيـة بارزة. والمنطقة كانت ساحلية رملية. ولم تكن امام المهاجم امكانية للاقتراب خلسة وكان من السهل ارتكاب اخطاء في تشخيص الاهداف وخاصة في ساعـات الليـل. ومن خلال الاخـذ بعين اعتبار قوة خط رفح خصصت القيادة الاسرائيلية لاحتلالها لواءين: الاول مشاة والثاني مدرع. وهما لواء جولاني، لواء المشاة النظامي والمجرب بقيادة العقيد بنيامين جيبلي الذي عزز بكتيبة رابعة وسرية دبابات من اللواء ٢٧ المدرع (احتياط) واللواء ٢٧ بقيادة العقيد حاييم بارليف، الذي بعد أن خصص طاقما قتاليا لاحتلال قطاع غزة بقي مع كتيبة مشاة آلية واربع سرايا دبابات احداها تضم دبابات امكس ١٣ واخرى تضم دبابات شيرمان م٥٠ وأثنتان تستخدمان دبابات (سوبر شيرمان) تم الحاق واحدة منهما الى لواء جولاني.

تم توزيـع خطة هجـوم المجموعة، بقيادة العميد حاييم لسكوب على ثلاثة محاور. فقد تم تخصيص المحورين الجنوبي والوسط للواء (جولاني) كتيبتان على كل محور، والمحور الشمالي خصص لكتيبة المشاة الآلية التابعة للواء ٢٧. وكانت المهمة: فتح طريق بين مواقع العدو لتمكين سرايا الدبابات الثلاث من الوصول الى طريق الساحل والتقدم غربا. واخذت بعين الاعتبار امكانية فتح محورين فقط في الليلة الاولى وربما محور واحد، ولكن اتفق سلفا على ان تستغل الدروع الثغرة التي سيتم فتحها فورا.

وكـانت معركة الاختراق معركة مشاة نموذجية باسناد ملازم ومستمر من الدبابات ـ اي معركة نار وحركة. وتقدم رجال المتفجرات ببطء نحو حقول الالغام التي طوقت المواقع المصرية وبدأوا بتفكيكها. وفي اعقابهم تحركت القوة الرئيسة.

منذ البداية تشوشت الخطة. فقد اكتشف المصريون رجال المتفجرات وبدأوا باطلاق النــار عليهم. ومن اجــل الخلاص من الرماية عجلت القوات في تقدمها وصعدت على الغام. ومكنت الآليات المحترقة العدو من التسديد جيدا. وبدأ عدد المصابين يزداد باضطراد. وخيم خطر من ان يطلع الفجر وتنكشف القوة الاسرائيلية وهي ما زالت متورطة بحقول الالغام. وكانت سرية الدبابات بقيادة النقيب حاييم ليفسكي تمير تسير داخل الرتل بالقرب من مقدمته في حين كانت الدبابات ملازمة وتقوم بمساعدة رجال التفجير الذين واصلوا عملهم لفتح طرق التقدم. وفي النهاية تم فتح طريق وانتشرت سرايا المشاة في حالة هجوم على الاهداف. ورافقت مئات الدبابات المهاجمين واحيانا كانت تقوم بنقل جنود المشاة الى القرب من الاهداف. واحتلت الدبابات مواقع على بعد مئات الامتار من المواقع المصرية، ودمرت اهدافا، وقدمت التغطية لهجوم قوات المشاة وساندتها بالحركة وبالنار. وكان التعاون جيدا واعتبر درسا للمستقبل في عمليات وحدات الدبابات والمشاة وفي الاسناد الملازم والمشاركة التامة في احتلال الاهداف.

لقد كانت أصعب الطرق ، هي الطريق التي سلكتها كتيبة المشاة الآلية. فمحور تقدمها الشمالي مر بالتلال الرملية الواقعة بين بير اسحق ومخيمات رفح. وتحركت الكتيبة بآلياتها واجتازت الكثبان على طريق (سمرفيلد) وهي شبكة الحديد التي مدها رجال التفجير على الرمل بطول اربعة كيلومترات. وفي الساعة الرابعة فجرا وعندما كانت الكتيبة على بعد ٥ر٢كم من اهدافها، اكتشفتها المدفعية المصرية. وفي أول موجة من الرماية اصيب العشرات من جنود الكتيبة ومن بينهم قائد سرية وثلاثة قادة فئات.

وبعد المعركة قال القائد: واصلنا التقدم وطلبت من المدفعية ان تقصف مواقع العدو. فقصفت. وبعد تقدم استمر ٥٠٠ متر اشتدت رماية العدو واضيفت اليها رماية مضادة للدبابات ورماية من الاسلحة غير المرتدة. وعندما وصلنا الى مسافة تتراوح بين ٨٠٠ ـ ١٠٠٠م قررت انزال الكتيبة من الآليات ومواصلة العملية مشيا على الاقدام. وهنا طلع الفجر.

رئيس الاركان امر بالتوقف

في ذلك الوقت كانت الحاجة تدعو الى اخلاء المصابين واعادة تنظيم الكتيبة. وخلال التقدم والتعرض لاصابات اخرى تسلم قائد السرية الثانية قيادة السرية الاولى ايضا التي اصيب قائدها وبالاضافة الى فئة دبابات هجم على الموقع المصري الاول. وتجاوزت القوة موقعا مصريا آخر واقترب في ظل صف من اشجار الصنوبر من الهـدف. وهنا توقف لأنه وجد أمامه موقعا محصنا ومحميا بمدافع مضادة للدبابات غطت برمايتها خط التقدم.

وقد جاء التغلب على موقع ٣٤ المصري بمبادرة مجموعتي بازوكا زحفتا حتى مسـافة ناجعة من المواقع ودمرتاها عن طريق اطلاق عدة قذائف عليها فهجمت السرية على الموقع وبدأت بتطهيره. ولكن طول الموقع كان ٦٠٠ متر ولم تستطع السرية لوحدها من احتلال الموقع كله. فطلبت نجدات. وفي هذه الاثناء دعت الحاجة الى التسريع في ادخال الدبابات في المعركة على هذا المحور ايضا. وقد حدث ذلك عندما تعرضت كتيبة المشاة الآلية الى الضربة النارية وهي في طريقها الى اهدافها وطلبت النجدة، فأمر قائد اللواء بارليف الطاقم القتالي بقيادة المقدم زيفي تسفريري بالاسراع لنجـدة الكتيبـة المعرضة للقصف. وعندما اقتربت الدروع طلع الفجر واصبح الرتل مكشوفا أمام المصريين فقصفها المصريون بشدة واصيبت مجنزرة القيادة. فقتل المقدم تسفوري كما اصيب نائب قائد اللواء ٢٧ المقدم باروخ بارليف بجروح. ورغم ذلك واصل الطاقم القتالي تقدمه وساند السرية الثانية من اجل اكمال احتلال الموقع ٣٤. ومرة اخرى برزت القوة المدرعة في معارك الاختراق والاحتلال.

في صباح الاول من تشرين ثانٍ، وفي الساعة ٦ر٣٠. كانت كتيبة المشاة الآلية تحتفظ بجميع مواقع العدو شرقي طريق الساحل. ومر عن طريق مواقعها طاقمان مقاتلان وسارا على طريق مخيمات رفح واتجها جنوبا وغربا دون ان يتأخرا لادارة معارك رماية مع مواقع مصرية ظهرت في طريقهما. وفي الساعة العاشرة وصل الطاقم الثاني من اللواء ٢٧ الى مثلث رفح واتصل مع قوات جولاني. وكان الانفعال كبيرا وتعانق رجال جولاني مع رجال الدروع. وبعد مرور وقت قصير وصل الى المثلث قائـد لواء ٢٧ وفي اعقابه وصل رئيس الاركان ورئيس اركان القيادة الجنوبية. وهؤلاء ألحوا على القوات أن تواصل تقدمها اذ ان مجلس الأمن اجتمع وكان من

المتوقع ان يتخذ قرارا بوقف اطلاق النار.

وفي الساعة ١٠ر٣٠ جدد اللواء ٢٧ تقدمه بواسطة الطاقم القتالي الاول الذي كان يقوده المقدم الحنان سيلع. واما الطاقمان الاخران فانشغلا بالتزود بالوقود. فارسلت كتيبة من جولاني شمالا لاستبدال كتيبة المشاة الآلية التي اعدت للانضمام الى القوة الرئيسة للواء المدرع واصطدمت القوة بمقاومة حقيقية فقط من قبل موقع الجرادي المصري. وكانت تحتفظ بهذا الموقع سرية مشاة مصرية مزودة بمدمرات دبابات ومدافع هاون ١٢٠ ملم. وبدلا من ان تهاجم مباشرة قامت الدروع الاسرائيلية بعملية تطويق وعندما ظهرت من جنوب المصريين ولى هؤلاء هاربين نحو الكثبان الرملية.

عندما غابت الشمس أمر رئيس الاركان بالتوقف. وكان يعرف أنه يدافع عن العريش ـ خلف الجرادي لواء مشاة مصري معزز بسرية دبابات. كما كان يعرف أن اللواء الآلي المصري الاول المعزز بقوات دروع خرج في الصباح من منطقة القنطرة متوجها نحو العريش (ولكنه لم يعلم بان هذا اللواء تضرر جدا من قصف سلاح الجو الاسرائيلي). ولهذا أمر رئيس الاركان اللواء ٢٧ بالتوقف على بعد حوالي ٦كم من العريش وان يجتمع ويضع خطة التقدم مع الفجر.

خلال ساعات الليل انسحب المصريون من العريش بصورة غير منظمة. وتركوا في المستشفى العسكري في العريش جرحاهم على طاولة العمليات الجراحية. واستولى الضباط على السيارات لصالحهم وحكموا على الجنود ان ينسحبوا مشيا على الاقدام.

وفي صباح الثاني من تشرين ثانٍ دخلت الطواقم المقاتلة التابعة للواء ٢٧ العريش. وبما انهم وجدوها مهجورة استمروا في تقدمهم. وفي ذلك اليوم سجل اللواء رقما قياسيا بالنسبة لسرعة المطاردة. فحتى غياب الشمس قطعت الطواقم المقاتلة في اللواء حوالي ١٢٠كم ووصلت الى رماني. ولم يحاول المصريون تأخيرهم ورجال اللواء من جانبهم لم يتأخروا لأخذ اسرى او لجمع غنائم.

وكانت عملية اللواء ٢٧ على طول المحور مثلا لمعارك مشتركة سريعة في قتال تقدم ومطاردة على محور واحد.

في صباح الثالث من تشرين ثانٍ تقدمت الطواقم المقاتلة مسافة ٣٠كم اخرى

وتوقفت على مسافة ١٥كم من القناة، امام القنطرة. وتم تطهير شمال سيناء من قوات العدو ولم يبق سوى جمع الغنائم الضخمة واقامة حكم عسكري في قطاع غزة الذي اكتمل احتلاله قبل ذلك بيوم واحد من قبل لواء المشاة الحادي عشر وطاقم القتال المدرع التابع للواء ٢٧.

بضغط من الامم المتحدة، كان على الجيش الاسرائيلي ان ينسحب من شبه جزيرة سيناء ولكن هدف حملة السويس تحقق: فقد تم ضمان حرية الملاحة الاسرائيلية في مضائق تيران وعلى مدى اكثر من عشر سنوات ساد الهدوء الحدود الاسرائيلية الجنوبية واما بالنسبة لصفوف الجيش الاسرائيلي فقد ساعدت حملة السويس (قادش) على اعطاء مكانة جديدة لقوات الدروع. فمنذ ذلك الوقت اعترفوا انها سلاح حاسم في الحرب البرية. وفي «قادش» اثبتت الدروع سيطرتها على مناطق واسعة وعلى مسافات بعيدة. وأظهرت الدروع مرونة في العمل والانتقال السريع من الانتشار والمناورة الى تجمعات قوة حاسمة. واظهرت الدروع انها قادرة على احتلال مواقع محصنة بقواها الذاتية واثبتت حيويتها حتى في مجال عمليات قوات المشاة وقدرتها ليس فقط على الاندماج فيها وانما قيادتها.

كذلك اظهرت قوات الدروع قدرتها على عبور جميع انواع الارض والمناورة فيها. واثبتت قدرتها في المناطق المفتوحة وفي مضائق الجبال ـ ابتداء من كثبان غزة ورفح مرورا بجبال أم كتف وابو عجيله وحتى مضيق المتلا. وعلمتنا الدروع ان التكنولوجيا والفكر قادران على خلق اجنحة حتى للمعدات الحربية الثقيلة. وبحق تقرر يوم بدء المعركة على انه عيد لسلاح الدروع لأنه في هذه المعركة ارتقت الدروع الاسرائيلية الى قمم حربية جديدة ورفعت معها الجيش الاسرائيلي كله.

حاييم لسكوب

قائد قوات الدروع في حرب سيناء ٩٥٦/٧/٢٤ ـ ١٩٥٦/١١/٩

الجنرال «الاحتياط» حاييم لسكوب عين قبيل حرب سيناء قائدا لقوات الدروع واشغل هذا المنصب من ٩٥٦/٧/٢٤ حتى ١٩٥٦/١١/٩. وتميزت فترة خدمة حاييم لسكوب القصيرة كقائد لقوات الدروع باعداد سلاح الدروع، بكامل مجموعاته للحرب وتحويل سلاح الدروع من سلاح مساند الى قوة برية رئيسة ذات

قدرة اختراق وحسم. ووضع حاييم لسكوب الاسس لتدريب حرب الدروع على نطاق مجموعة دروع ـ في المرحلة الاولى لواء وفي المرحلة الثانية مجموعة (فرقة). وقد أيد لسكوب معارك الحركة من خلال استغلال كثافة نيران الدروع والمحافظة على قوات احتياط.

ولد حاييم لسكوب في روسيا عام ١٩١٩. وهاجر الى اسرائيل عام ١٩٢٥. وقد قتل العرب والده عام ١٩٣٠. وتخرج في مدرسة هرئيلي في حيفا وانضم الى صفوف الهاجناه في سن مبكرة وعمل نائبا لقائد (السرية الخاصة) التابعة للهاجناه في حيفا وخدم في السرايا الليلية بقيادة اوردفينجيت. وتجند لسكوب عام ١٩٤٠ للجيش البريطاني وخدم في الكتيبة الثانية في اللواء اليهودي ووصل الى رتبة رائد. وفي عام ١٩٤٧ عين ضابط تدريب في الهاجناه واعاد من جديد تنظيم جهاز التدريب في منظمة الهاجناه. وفي حرب (الاستقلال) حارب لسكوب في واجهة اللطرون. وقاد الكتيبة المدرعة الاسرائيلية التابعة للواء السابع وقاد اللواء السابع في عمليات «ديكل» (وحوريب) في الجليل. وبعد حرب (الاستقلال) عين رئيسا لشعبة التدريب في الجيش الاسرائيلي برتبة عميد ووضع الاساس لجهاز التدريب في الجيش. وفي عام ١٩٥١ عين قائدا لسلاح الجو. وفي عام ١٩٥٥ عين نائبا لرئيس الاركان ورئيسا لشعبة العمليات. وفي عام ١٩٥٦ عين قائدا لقوات الدروع. وفي معركة سيناء قاد لسكوب المجموعة ٧٧ التي حاربت في سيناء وفي عام ١٩٥٧ عين قائدا للقيادة الجنوبية خلفا للعميد اساف سمحوني الذي قتل في حادثة طائرة. وفي عام ١٩٥٨ عين رئيسا للاركان. وفي عام ١٩٦١ اعتزل الخدمة في الجيش. واثناء عمله كرئيس للاركان بادر الى خطط مشتريات وتطوير والى دعم سلاح الدروع كسلاح مركزي في الجيش الاسرائيلي. وفي عام ١٩٧٣ عين مسؤولا عن شكاوى الجنود في وزارة الدفاع. وفي عام ١٩٧٤، بعد حرب (يوم الغفران)، عين ضمن لجنة اغرانات التي حققت في احداث تلك الحرب.

مئير زورياع

القائد الثالث لقوات الدروع ١٩٥٦/١١/٩ ـ ١٩٥٦/١٢/٢٣

عمل العميد مئير زورياع قائدا لقوات الدروع من ١٩٥٦/١١/٩ الى ١٩٥٦/١٢/٢٣. وتميزت فترة خدمته القصيرة كقائد لقوات الدروع بتأسيس وتعميق اسس التدريب ومبادىء حرب الدروع.

العميد زورياع ولد في رومانيا عام ١٩٢٣ وكان نشطا في صفوف الهاجناه من سن مبكرة. وتجند للجيش البريطاني في الحرب العالمية الثانية واشترك في معارك اللواء اليهودي ضمن الكتيبة الثانية. وتوصل الى رتبة نقيب. وكان قائدا لمصنع عسكري تابع للهاجناه. وفي عام ١٩٢٧ انضم الى جهاز التدريب في الهاجناه. وفي حرب (الاستقلال) عمل قائدا لكتيبة في القدس واشترك في معارك القسطل. وعين مئير زورياع رئيسا لشعبة التدريب في رئاسة الاركان ووضع الاسس لمدرسة القيادة والاركان. واعتزل الخدمة في الجيش الاسرائيلي عام ١٩٥٣.

في عام ١٩٥٦ استدعي للخدمة في الجيش الاسرائيلي وعين نائبا لقائد قوات الدروع. وفي ٩٥٦/١١/٩ عين قائدا لقوات الدروع. وفي حرب سيناء كان نائبا لقائد القوات التي عملت على المحور الشمالي في سيناء. واعتزل الخدمة ثانية من الجيش الاسرائيلي ولكن صديقه رئيس الاركان حاييم لسكوب استدعاه للعودة للخدمة وعين رئيسا لشعبة الاركان (العمليات) ورئيسا لشعبة التدريب في الجيش. واضطر للاعتزال بسبب تجنيد احتياط خاطىء اطلق عليه اسم (ليلة الاوز). وعين زورياع قائدا للقيادة الشمالية وتميز بعلاقاته مع سكان الاستيطان العامل وفي شق الطرق الحدودية. وفي عام ١٩٦٢ اعتزل الخدمة في الجيش الاسرائيلي بسبب خلافات في الرأي. وثكل مئير زورياع اثنين من ابنائه في حروب اسرائيل احدهما في حرب الايام الستة والثاني في حرب (يوم الغفران).


al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الرابع

الانتظــام للحــرب

بعد عملية «قادش» اجملت قيادة قوات الدروع بقيادة العقيد اوري بن آري، عبر الدروع من هذه العملية. وكانت هناك عبر تتعلق بالسلاح وعبر تتعلق بالجيش الاسرائيلي كله. وفي ١٩٥٧/٢/٢٥ اصدر العقيد بن آري اجمالا للعبر على مستوى الجيش الاسرائيلي كله: عبر تكتيكية ونظرية، وعبر تشكيلية، وعبر تجنيد وادارة وعبر تتعلق بالمعدات الحربية والوسائل الحربية.

وجاء في الاجمال أنه يتوجب على فئة الدبابات ان تتكون من خمس دبابات، وسرية الدبابات تتكون من ثلاث فئات ودبابة قائد سرية اي يتوجب على السرية ان تتكون من ١٦ دبابة. ونص الاجمال انه يجب ان تلحق بكل كتيبة دبابات سرية مشاة مدرعة متجانسة. وان يعزز عنصر الاستطلاع في اللواء المدرع. وعلى هذا العنصر ان يشمل اربع حظائر تستخدم سيارات الجيب، بدلا من ثلاث وان تضاف اليه فئتان من المجنزرات. اما بالنسبة للمعادلة بين الدبابات والمشاة المدرعة فاقترح في الاجمال ان توضع خمس سرايا مشاة مدرعة مقابل ٦ سرايا دبابات. واقترح أن تلحق قوة محاولات لتركيب رشاشات مقاومة للطائرات على دبابات امكس ١٣. وتقرر تعزيز الدروع بواسطة مدفعية متحركة، لان المدفعية المجرورة بطيئة بالنسبة لحركة الدروع.

وكتب في الاجمال ما يلي: «هناك حاجة الى ٦ مدافع هاون ١٢٠ملم مجرورة او محمولة على شبه مجنزرات، في كتيبة المشاة المدرعة من اجل خلق قاعدة لوائية قوية. كما ان هناك حاجة الى اقامة سرية اقتحام مدرعة من الهندسة تستخدم دبابات جرافة ودبابات لازالة الالغام. واقترح اخراج كتائب المشاة الآلية من الوية الدروع وعرض طلبا لزيادة نجاعة المشاغل اللوائية.

لقد كانت السرية الطبية اللوائية غير مستقلة بما فيه الكفاية في عملية قادش. ولهذا فقد جاء في الاجمال: ان مجموعة الدروع قد تكون معزولة كما ان محاور الاخلاء من شأنها ان تكون طويلة وصعبة الحركة ولهذا يجب تخصيص مجموعة

عمليات جراحية للسرية الطبية اللوائية». لذلك طلبت قوات الدروع تخصيص دبابات انقاذ لكل كتيبة مدرعة ولكل مجموعة مدرعة.

لذلك تناولت العبر مستودعات الطوارىء التابعة لقوات الدروع: فقد قيل انه يجب ملء مستودعات الطوارىء المدرعة بجميع المعدات الضرورية بدءا بالآليات المقاتلة المدرعة والآليات الاخرى وانتهاء باصغر اداة تابعة لسلاح الامداد وتقرر ان آليات الاحتياط رديئة وغير مناسبة لقوات الدروع ولهذا يجب تجنيد آليات قادرة على عبور العوائق ومن انواع حديثة وموحدة بقدر الامكان. لذلك يجب العمل على أن تكون جميع آليات الدروع عسكرية وذات دفع امامي ويجب ان تلقى مسؤولية التزويد على منشآت رئاسة الاركان.

وجاء في التوصيات ايضا: ان على وحدات الدروع أن تحتفظ بمستودعات الطوارىء بشراشير ذخيرة معبأة وموضوعة بصناديق محكمة الاغلاق. ويجب في حالة تزويد الذخيرة للرشاشات خلال المعركة، ان يعتمد المزود ايضا على شراشير معبأة. فلهذا الأمر أهمية من الدرجة الاولى بالنسبة للكفاءة الحربية ولاستمرار زخم الهجوم المدرع.

«نحيله» ـ تحول في الدروع

في شهر تموز ١٩٦٤ تم لاول مرة تشغيل ناقل المياه القطري وهو انبوب المياه الضخم الذي قصد به نقل مياه بحيرة طبريا الى النقب الظمآن. وكان يعتمد على هذا المشروع، الذي كلف حوالي ٤٠٠ مليون ليرة اسرائيلية (في الستينات الاولى) تطوير النقب واستيعاب قسم كبير من الهجرة لاسرائيل.

ورغم ان نقل المياه الى الجنوب كان سينفذ في اطار مشروع امريكي لتنظيم توزيعة المياه في الشرق الاوسط فقد عارضت الدول العربية تدشين ناقل المياه القطري وقررت التصدي لهذا المشروع.

وفي مؤتمر قمة عربي طلبت سوريا شن الحرب على اسرائيل. واما الرئيس المصري جمال عبدالناصر فقد زعم أن الدول العربية غير مستعدة بعد لمحاربة اسرائيل. وهنا تم التوصل الى حل وسط: تقوم الدول العربية التي لها حدود مشتركة مع اسرائيل وتسيطر على مصادر نهر الاردن الرئيسة اي: بنان وسوريا وبعدهما

الاردن ـ على نهـر اليرمـوك، بتمويل مصادر البانياس والحاصباني وهكذا تمنع اسرائيل من ان تستخدم حصة الاسد من مياه نهر الاردن التي تصب في بحيرة طبريا وتخرج منها بواسطة ناقل المياه القطري. فاعلنت اسرائيل انها لا تسكت على اي محاولة عربية لتحويل مياه نهر الاردن. وهنا هدد خطر (حرب المياه) الشرق الاوسط.

بدأت سوريا اعمال التحضير لحفر قناة لتحويل مصادر البانياس الى سد المخيبة الذي يعتبر مشروع مياه مشترك لسوريا والاردن. وفي نفس الوقت استمرت سوريا في ازعاج المزارعين الاسرائيليين الذين فلحوا اراضي في الشمال (وخاصة في منطقة الماغور ـ كورزيم). وقام الجيش السوري الذي تمتع بتفوق طوبغرافي في هذه المنطقة ـ ولكونه متمركزا ومتخندقا في هضبة الجولان) باطلاق النار على الدوريات الاسرائيليـة التي كانت تحرس فلاحة الاراضي في المناطق المنخفضة في الاراضي الاسرائيلية. واما اسرائيل فمن جانبها قامت باعداد طرق دوريات قريبة جدا من خط الحدود، وحاول المزارعون الاسرائيليون فلاحة الاراضي حتى منطقة الحدود تماما.

وبين الحين والآخر وقعت حوادث حدود ـ وبشكل عام كانت هذه الحوادث تقع عندما يقوم موقع سوري باطلاق النار على دورية عسكرية اسرائيلية ردا على جرار زراعي اسرائيلي. وكانت اسرائيل تحاول اسكات مصادر الرماية عن طريق اطلاق النار من اسلحة خفيفة ومتوسطة. واكثر من مرة كانت الحوادث تتطور وكانت المدفعية الاسرائيلية تقوم بوقف نيران العدو حتى الحادث المقبل.

كانت احدى المناطق المعرضة لأعمال الشغب اكثر من غيرها تقع حول تل دان. ففي هذه المنطقة اعدت شركة الصندوق القومي الاسرائيلي. طريقا ترابيا وقامت كيبـوتسات المنطقة بزراعة مناطق بالاشجار بواسطة الجرارات الزراعية. وكانت المنـطقة معرضة بشكل خاص للاعتداءات من قبل المواقع السورية الموجودة في منطقة قرية «نحيله». وفي تل عزيزات وهو سلسلة من التلال تسيطر على الغور، يقول «شبتاي تيبت» الذي حقق جدا في هذا الموضوع. إن قائد قوات الدروع في تلك الايام العميد دافيد (دادو) العازار زعم ان الدبابات من شأنها ان تسكت الرماية السورية، التي تطلق هي ايضا من دبابات متمركزة في خنادق. والآكثر من ذلك كان

«ددو» مقتنعا بان الدبابات التي تطلق مدافعها الى اهداف محددة تستطيع ان تقوم بذلك افضل من المدفعية ذات الرماية القوسية وغير المباشرة. وقد وافق رئيس الاركان الجنرال اسحق رابين على طلب قائد قوات سلاح الدروع القيام بمحاولة لاثبات نظريته فعلا. وفي اواخر تشرين اول ١٩٦٤ امر «دادو» العقيد شموئيل غوردوش غونن، قائد اللواء السابع المدرع بارسال سرية دبابات (سنتوريون) للواجهة السورية. والقى غونن المهمة على عاتق كتيبة المقدم بنيامين اوشري وهي كتيبة دبابات السنتوريون.

وكان اوشري قد عين قائدا لهذه الكتيبة قبل ذلك بوقت قصير - في ايلول ١٩٦٤. ولم يكن متحمسا للمعدات التي سلمت له. فقد دخلت الدبابة البريطانية سنتوريون الخدمة في الجيش الاسرائيلي عام ١٩٦٠. وفي البداية انفصل عنها رجال الدروع في الجيش لانها على اية حال، دبابة بريطانية حديثة جدا، وتحمل مدفعا متفوقاً من عيار ١٠٥ ملم ولكن في سنوات خدمتها في الجيش كثر التذمر منها. وقالوا ان محركها يسخن بسرعة. وقالوا انها سهلة الاحتراق وقالوا ان دبابة سنتوريون لا تصيب اهدافها. ووصل المقدم اوشري الى حافة اليأس وفي احدى جلسات قيادة اللواء قال غاضبا: ان دبابة السنتوريون هي عبارة عن كتلة فولاذية: فهي لا تسير ولا تصيب اهدافها». وقالوا له: انه عندما كان قائد اللواء غونن قائدا لسرية السنتوريون الاولى التي وصلت الى الجيش الاسرائيلي، كانت دبابة السنتوريون تصيب اهدافها بدقة في كل رماية دبابات. وقد ارسلت الى الواجهة السورية سرية دبابات سنتوريون بقيادة النقيب شماي كبلان. فارسل كبلان فئة الملازم الثاني افيجدور كهلاني الى واجهة تل دان. وقال للقائد الشاب. يجب ان تعرف أنه اذا وقع الان حادث رماية، فان هذا قد يكون العرض الاول القتالي للمدفع البريطاني ١٠٥ ملم في الشرق الاوسط. واختار مواقع الرماية للدبابات الملازم الاول ايلان يكوئيل، ضابط العمليات في الكتيبة. فوافق قائد الكتيبة نفسه على المواقع بحضور العقيد ارئيل شارون اركان القيادة الشمالية. كانت مواقع رماية دبابات السنتوريون مخفية عن انظار السوريين خلف الخطوط. فاذا اطلق السوريون النار على الجرار الزراعي الذي يقوم بالسير على طريق الدوريات ستسرع الدبابات الى احتلال مواقعها وتقوم باسكات مصادر الرماية في الموقع السوري في «نحيله». ووجه

النقيب كبلان رجاله بقوله: اولا يجب ضرب دباباتهم. فالسوريون توجد لهم دبابتان احداهما في الجانب الشرقي من القرية والثانية في الجانب الغربي. وبعد ذلك نقوم بضرب مواقع المدفعية المضادة للدبابات والمدافع غير المرتدة. وفي النهاية توجه الرماية بشكل مكثف على مواقع القيادة السورية وعلى مواقع الرشاشات. وساقوم انا بمراقبة الرماية.

في فجر الثالث من تشرين ثانٍ ١٩٦٤ توجهت الجرافة لتمهيد الاراضي. وتحركت امامه دورية تنقل شبه المجنزرات وفي المقدمة سار بحذر جنود الهندسة وهم يحملون اجهزة كشف الالغام. وتابع النقيب شماي كبلان ما يحدث بواسطة منظاره من منعطف الطريق الذي كان نقطة احداث. ومن مسافة ٨٠٠ متر شاهد كيلان موقع «نحيله» على مستوى سطح الارض وكانت توجد هناك دبابتان من نوع «بانتسر» الالمانية التي يعود تاريخها الى الحرب العالمية الثانية، وكانت الدبابتان مستحكمتين هناك ولم تظهر منهما سوى ابراجهما وفوهات مدافعهما. واخفى السوريون مدفعين غير مرتدين في ظل البيوت. ورأى النقيب كبلان ان مواقع المدافع المضادة للدبابات بقيت في اماكنها كما كانت عليه بالامس، ومثلها ايضا مواقع مدافع الهاون والرشاشات والبنادق.

وفي الساعة ١٢٫٠٠ اطلقت الرشاشات السورية النار على دورية رجال سلاح الهندسة. وخلال خمس دقائق احتلت دبابات السنتوريون مواقع رمايتها في عملية انتشار تبعد الواحدة عن الاخرى خمسين مترا فقط. فاطلقت الدبابة اليسرى النار على مواقع مدفع مضاد للدبابات وفي لحظة امتلأ الجو بشظايا وعيارات نارية متطايرة واعمدة غبار ودخان. فانضمت الى الرماية السورية من «نحيله» مدافع الهاون السورية عيار ٨١ملم التي كانت في موقع تل الحمرا والدبابة والاسلحة الخفيفة من موقع بانياس ومدافع الهاون عيار ١٢٠ ملم من موقع عزيزات كذلك شاركت في الرماية الدبابتان السوريتان في قرية نحيله.

سيجري تحقيق

قال شبتاي تيبت: اطلقت دبابات السنتوريون دون توقف وكانت كل قذيفة تثير غبارا كثيفا امام الدبابة نتيجة قوة الصدمة وانطلاق القذائف. وكانت القذائف الخارقة للدروع تنطلق من فوهات المدافع بسرعة ١٤٧٠ مترا للثانية واذا كانت تصيب الهدف فانها تصيبه قبل حدوث غبار الرماية.

وقد استمرت المعركة مدة ٩٠ دقيقة حتى ان تدخل المراقبون الدوليون واوقفوها. واسفرت المعركة عن إصابة ٨ جنود بجروح طفيفة. وأصيب جراران زراعيان وجرافة واحدة. وبعد مرور وقت قصير وصل الى مكان الحادث العميد يسرائيل تال، القائد الجديد لقوات الدروع. وكان قد تسلم قيادة قوات الدروع في الاول من تشرين ثان ١٩٦٤ من العميد العازار الذي عين قائدا للقيادة الشمالية وكان اول سؤال طرحه العميد تال: كم عدد الدبابات السورية التي اصيبت؟ واجابه المقدم اوشري: ولا دبابة ايها القائد» وسأل تال: كم من القذائف اطلقتم؟ فاجابه اوشري: ٨٩ ايها القائد.

وعندها قال تال: سنجري تحقيقا. وفي التحقيق زعم تال انه كان من الممكن جدا اسكات الرماية السورية بواسطة رماية مباشرة من مدافع السنتوريون البريطانية الذي يعتبر مدفعا دقيقا جدا. ولكن الذي تبين في حادث «نحيله» في الثالث من الشهر هو ان الجيش الاسرائيلي غير قادر على اسكات نيران العدو بدون المدفعية.

وكانت النتيجة: وضعت المسؤولية على عاتق الاشخاص وليس على الدبابة. فجمع العميد تال ضباط الدروع من رتبة مقدم فما فوق. وكانت هذه اول مرة يظهر فيها امامهم في منصبه الجديد. وبكلمة قصيرة وواضحة حلل امامهم حادث نحيله وقال: من هنا فصاعدا تعتبر دبابات العدو هي الهدف الاول لدباباتنا. فباشر القادة والطواقم فورا بتنفيذ المهمة العاجلة التي القيت على عاتقهم وهي: تحسين المستوى والخبرات وخاصة بالنسبة لرجال مدفعية الدبابات. وفي المنطقة نفسها اجريت استعدادات لمواجهة الحادث القادم. كان وقوعه متوقعا جدا. ودارت علامة الاستفهام فقط حول موعد وقوعه. لتلاشي الفشل في هذه المرة ايضا احضرت الى المكان فئة من دبابات شيرمان. واعطيت فئة دبابات السنتوريون وظيفة ثانوية وهي

دخول المعركة فقط اذا لم تتمكن دبابات الشيرمان من حسمها. والسبب في ذلك هو أن الجيش الاسرائيلي رأى في كل حادثة حدود منذ القدم ذا اهمية بالنسبة للمعنويات لا تقل عن الاهمية العسكرية. وكان على الجيش الاسرائيلي ان يحافظ على عامل الردع ضد العدو. وكان من المعتقد ان دبابات شيرمان لن تخيب الامال. وكانت هذه الدبابة قد دخلت الخدمة في الجيش الاسرائيلي في حرب (الاستقلال) وفي الخمسينات تم شراء كمية كبيرة من النماذج الحديثة لهذه الدبابة رغم انها جميعا كانت تعود للحرب العالمية. وفي الجيش الاسرائيلي ادخلت عليها تغييرات كثيرة بقيادة قائد سلاح التسليح العميد عموس حوريب. فقد تم تركيب محرك افضل في دبابة شيرمان واستبدل مدفعها بمدفع فرنسي عيار ١٠٥ ملم. صحيح ان هذا المدفع كان ذا سبطانة اقصر من سبطانة المدفع البريطاني من نفس العيار وذخيرة المدفع الفرنسي كانت اضعف من ذخيرة المدفع البريطاني ولكن على المدى القصير والمتوسط اثبتت دبابة شيرمان ان مدفعها جيد. فعلى مسافة ٨٠٠م (من تل دان الى نحيله) كان هذا المدفع قادرا على اختراق دبابة «بانتسر» السورية. ومن جهة اخرى فان مدافع الدبابات السورية استطاعت ان تخترق من هذه المسافة تصفيح دبابة شيرمان. وعليه كان يجب ان تكون المعركة متعادلة في حين ان العنصر البشري هو الحاسم.

وكان قائد فئة دبابات الشيرمان وفئة دبابات السنتوريون معا، النقيب شمعون. واما قائد فئة الدبابات السنتوريون التي تقرر ان تكون فئة احتياط الملازم الاول كهلاني.

في يوم الجمعة، ١٣ تشرين ثانٍ ١٩٦٤ وقع حادث نحيله الثاني. وكانت قد مرت عشرة ايام فقط منذ الفشل الذريع الذي تعرض له الجانب الاسرائيلي في الحادث الاول. وكان رجال الدروع مستعدين جدا. كيف سينتهي هذا الاختبار هذه المرة؟ وقد بدأ السوريون اطلاق النار في الساعة ١٣٫٢٥. فامر النقيب شمعون فئة دبابات شيرمان باحتلال مواقع رمايتها. وفي هذه المرة كانت عملية الانتشار واسعة جدا. وكان الهدف الاول والرئيس هذه المرة ايضا الدبابات السورية المستحكمة على جانبي نحيله. فهذا الهدف كان القسم الاعلى من برج الدبابة يرتفع الى ٦٠سم فقط وكان عرضه ١٫٢٠متر. وكان استحكام الدبابة الغربية بالقرب من اشجار صبر

اخفت نصف عرض برج الدبابة السورية. مرت ثلاث دقائق فقط منذ اللحظة التي اطلق السوريون النار فيها وحتى ان دخلت دبابات شيرمان مواقع الرماية. وقد وقع خلل في احداها وبدأت تتدهور في المنحدر الصخري. وكانت هذه فرصة لفئة دبابات السنتوريون. فعندما شاهد دبابة شيرمان المتدهورة أمر الملازم كهلاني دبابته باحتلال موقع الرماية الخالي. فاطلق رجل المدفع في الدبابة النار وبدأ يصيب اهدافه.

بدأت مدافع الهاون المتوسطة، والمدافع غير المرتدة والدبابات السورية باطلاق نيران مكثفة على القوات الاسرائيلية في تل دان. وقام افيجدور كهلاني بتوجيه رجل مدفعه بواسطة اتصال داخلي واما الجندي شالوم كوهن فاطلق النار واصاب. واشتعلت النار في الدبابة السورية المستحكمة الى الشرق من نحيله. وبعدها اشتعلت الدبابة الغربية وفي هذه اللحظة انضمت الى المعركة طائرات سلاح الجو الاسرائيلي. وفي الساعة ١٥ر٣٠ طلب السوريون من قيادة المراقبين الدوليين ان تقنع الجيش الاسرائيلي بوقف اطلاق النار.

وفاة / مشروع التحويل

في حادث نحيله قتل ثلاثة جنود اسرائيليين وجرح ١١ جنديا ورجل كيبوتس. واما راديو دمشق فاعلن أن الجيش السوري مني بسبعة قتلى و٢٦ جريحا. ولكن من وجهة نظر الدروع في الجيش الاسرائيلي كانت الاصابات السريعة والدقيقة بالدبابات السورية هي الاهم فقد قال العميد تال: هذا نصر وتحت قيادته بدأت قوات الدروع بتطوير الكفاءة العسكرية لكل واحد من رجال طواقم الدبابات.

وخلال وقت قصير تم استنباط مصطلح «قناص» في مدفعية الدروع. وكان الجندي شالوم كوهن رامي المدفع في دبابة الملازم افيجدور كهلاني احد ابطال هؤلاء الصيادين. وفي حرب الايام الستة التي وقعت في حزيران ١٩٦٧ دمر شالوم كوهن عشرات الدبابات المصرية وحصل على وسام تقدير من رئيس الاركان.

عشرة ايام فقط مرت بين حادث نحيله الأول والحادث الثاني. وفي هذه الايام العشرة حدث تحوّل في قوات الدروع. فاذا تم التركيز حتى ذلك الوقت على التزايد الكمي وعلى التطوير وبلورة نظرية حرب الدروع لكي تحارب الدروع في الليل والنهار

واجـريت مناورات كبيرة استخدمت فيها قوات دروع كبيرة، فانه منذ الان وجه الاهتمـام لزيادة خبرة وجاهزية كل واحد من رجال الطاقم في الدبابة في القوات النظامية وفي قوات الاحتياط معا. وقد انعكست النتائج في البداية (في الحرب على المياه) وبعد ذلك في حرب الايام الستة.

كانت الحرب على المياه استمرارا للحوادث التي بلغت ذروتها في حوادث نحيله في تشرين ثانٍ ١٩٦٤ ولم تكن اسرائيـل معنيـة بتصعيد التوتر على حدودها او بتسخين الحدود الشمالية ولكنها ارادت التخفيف من الحماس السوري لاطلاق النار على الجنود وعلى المزارعين الاسرائيليين وإحباط خطط تحويل مياه نهر الاردن. وبمشاورات مع قائد القيادة الشمالية ومع قائد سلاح الدروع رسم رئيس الاركان خطة عمل تستغل الحوادث في المستقبل عن طريق استخدام الجيش الاسرائيلي كخنجر وليس كقطاعة.

بعد ذلك بوقت قصير قتل السوريون سائق تراكتور اسرائيليا. فطلب الجنرال رابين وتسلم من وزير الدفاع موافقة للرد بصورة يلحق الضرر بمشروع التحويل السوري. ووعد «ددو» و«طليك» رئيس الاركان أنه في حالة وقوع حادث رماية محدود ستستطيع مدافع دبابات الجيش الاسرائيلي اصابة اهداف محددة على مدى يزيد عن ٢ كم اي حتى لو كانت هذه الاهداف تقع على سفوح جبل الشيخ. وبهذه الطريقة لن تكون هناك ضرورة لاستخدام مدفعية او طائرات ولن يحدث تصعيد خطير للوضع على الحدود.

وقد اعطى السوريون الجيش الاسرائيلي الفرصة لاثبات هذه النظرية. فبعد يوم من مقتل سائق التراكتور الاسرائيلي، اطلق السوريون النار على دورية اسرائيلية عندما كانت تسير على الطريق الى تل دان. والجيش الاسرائيلي، كعادته رد على النار بالمثل لانقاذ الدورية ولكن بهذه المناسبة أطلقت دبابات اسرائيلية النار على معدات التحويل عند سفوح جبل الشيخ وقد احرقت هذه المعدات الهندسية الثقيلة من على مسافة ٢٥٠٠م!

والسوريون، الذين ادركوا أن الجيش الاسرائيلي يريد ضرب مشروع التحويل التابع لهم، فنقلوا عملية حفر النفق من منطقة سفوح جبل الشيخ وهي منطقة مكشوفة للجيش الاسرائيلي الى مكان ابعد وخفي. قال شبتاي تيبت في الواجهة

الجديدة الواقعة فوق جسر بنات يعقوب، كان السوريون متفوقين طوبغرافيا وكانوا اعلى من الاسرائيليين الموجودين في الغور وكانوا محميين بمجموعة من المواقع المحصنة. ولهذه الواجهة نقل السوريون ساحة افتزازاتهم وبدأت المواقع الواقعة فوق جسر بنات يعقوب باطلاق النار على الدوريات وعلى المزارعين الاسرائيليين بالقرب من الحدود.

في هذه المرة لم يرد الجيش الاسرائيلي بنيران المدفعية لأن السوريين كانوا أعلى ولأن احدا لم يكن معنيا بتصعيد الموقف. ولكن نقطة مراقبة اسرائيلية تابعت اعمال التحويل فاكتشفت أن عمل السوريين كان من جانبي بيت الجمرك الواقع فوق جسر بنات يعقوب. على طول مفترق المياه فوق السلسلة الجبلية.

وفي المنطقة الشمالية كان قسم من النفق مكشوفا جدا. وكان المدى ستة كيلومترات وهو مدى ابعد بكثير من المدى المعمول به بالنسبة لمدفع الدبابة. والأكثر من ذلك، اذا استخدمت دبابات اسرائيلية ضد معدات التحويل السورية، ستكون هناك حاجة لاسكات نيران المواقع السورية، التي كانت تنطلق من دبابات ومدافع غير مرتدة.

في ١٣ أيار ١٩٦٥ لوحظت تحركات كثيرة في المواقع السورية بالقرب من بيت الجمرك. وبدا أن السوريين، يستعدون لاطلاق النار. وفور ذلك استدعي الى المنطقة العميد طال، واما النقيب شماي كبلان، الذي كان في ذلك الوقت قائدا لقسم دبابات سنتوريون - في دورة دروع، استدعي لقيادة دبابات السنتوريون في الحادث الذي اصبح وقوعه وشيكا. خلال ثلاث دقائق من فتح النار من الجانب السوري كانت الدبابات الاسرائيلية في مواقع رمايتها. ووجه رجال (المدفعية مدافعهم نحو معدات التحويل الواقعة على بعد ٦ كيلومترات ولكن لخيبة الامل اختفت المعدات الثقيلة عن الانظار. وشوهدت فقط الشفرة المقلوبة للجرافة، التي كانت فجأة داخل حفرة. ونحو هذه الشفرة وجهت القذائف في خط رماية قوسي لكي تسقط على الاهداف من الاعلى وبهذه الطريقة اصيب تراكتوران وجرافة سورية. وهربت جرافة ثالثة بين الكثبان الترابية.

وفي نهاية «حرب المياه» الحقت مدافع الدبابات الاسرائيلية الضرر بمشروع التحويل السوري حتى من مسافة بعيدة. وهكذا لفظ المشروع العربي لتحويل مصادر نهر الاردن انفاسه الى الأبد.

اوري بن آري

قائد قوات الدروع من ٩٥٦/١٢/٢٣ الى ١٩٥٧/٧/٢١

العميد الثاني «الاحتياط» اوري بن آري عمل قائدا لقوات الدروع من ٩٥٦/١٢/٢٣ الى ١٩٥٧/٧/٢١ وذلك خلال فترة بناء سلاح الدروع بعد عملية «قادش» وتحويله الى سلاح مركزي في الجيش الاسرائيلي. وقد منح اوري بن آري مؤيد حرب الدروع، لسلاح الدروع جرأة وزخما وقدرة على الارتجال والتنقل وهي امور اصبحت اسسا في نظرية الحرب المدرعة. وينتمي الى كبار قادة قوات الدروع وأحد واضعي نظرية الحرب المدرعة في الجيش الاسرائيلي. وخلال فترة عمله كقائد قوات دروع. استخلصت وطبقت عبر عملية ونظرية من معارك عملية (قادش) وبلورت نظرية الحرب وبنى الفرق الحربية المدرعة الاسرائيلية.

ولد بن آري في المانيا عام ١٩٢٥ وهاجر الى (اسرائيل) مع هجرة الشبيبة عام ١٩٣٩ وتثقف في كيبوتس عين جف وفي كيبوتس معجان ميخائيل. وفي عام ١٩٤٦ عين قائدا لسرية في البالماح. وفي عام ١٩٤٨ عين قائدا لكتيبة في لواء «هرئيل» حاربت في مداخل القدس. وفي عام ١٩٥١ عين نائبا لقائد اللواء السابع، وهو اللواء المدرع في الجيش الاسرائيلي. وفي عام ١٩٥٦ عين قائدا للواء السابع وتحت قيادته حارب اللواء في معركة سيناء وقام بعمليات اختراق لعمق الاراضي المعادية. وفي عام ١٩٥٧ عين قائدا لقوات الدروع. واضطر اوري بن آري لاعتزال الخدمة في الجيش الاسرائيلي بسبب تغاضيه عن جريمة فساد ارتكبها احد مأموريه. وفي حرب الايام الستة عاد للخدمة العسكرية وعين قائدا للواء الاحتياط المدرع «هرئيل» الذي حارب في الواجهة الاردنية.

وفي حرب (يوم الغفران) عين مساعدا لعميد القيادة الجنوبية العميد شموئيل غونن ورفع الى رتبة عميد ثانٍ.

حاييم بارليف

قائد قوات الدروع من ١٩٥٧/٧/٢١ الى ١٩٦١/٦/٢٥

الجنرال الاحتياط حاييم بارليف كان قائدا لقوات الدروع من ١٩٥٧/٧/٢١ الى ١٩٦١/٦/٢٥. وخلال فترة قيادته اصبح سلاح الدروع قوة الحسم البرية

الاولى وتعزز بوحدات جديدة. وفي نهاية عملية استخلاص عبر معركة سيناء وبلورة نظرية حرب الدروع شرع في اقامة مجموعات الدروع والوحدات المساعدة لها، التي كان من المقرر أن تساهم في حرب المستقبل. وخلال عهد بارليف شرع في تنفيذ برنامج مشتريات شامل لمعدات حربية متنوعة وجديدة والتي شملت دبابة السنتوريون ودبابة باتون م/ ٥٠ كما شرع في تطوير دبابة م/ ٥١، واشترى السلاح معدات خاصة للحرب الليلية. وتم تطوير نظريات حرب مختلفة شملت معارك دروع ضد دروع والحرب في المنطقة الجبلية، والحرب الليلية.

ولد بارليف في النمسا عام ١٩٢٤، وهاجر الى اسرائيل عام ١٩٣٩ بعد أن امضى طفولته في يوغسلافيا. وتعلم بارليف في المدرسة الزراعية مكفين يسرائيل. وفي عام ١٩٤٢ التحق بقوات البالماح. وفي عام ١٩٤٥ قاد فئة في مستوطنة بيت هاعربا في شمال البحر الميت. وشارك في عمليات ضد الانجليز وكان قائدا للعملية التي تم خلالها تفجير جسر اللنبي عام ١٩٤٦ وفي عام ١٩٤٦ عين قائدا لاول دورة قادة فئات في البالماح. وفي عام ١٩٤٨ قاد الكتيبة الثامنة في لواء النقب التابع للبالماح. وفي حزيران ١٩٤٨ عين ضابطا للعمليات للواء النقب وفي تشرين اول عين قائدا للكتيبة التاسعة وهي كتيبة اغارة آلية. وفي عملية (حوريب) ادار اول معارك الدروع التي خاضها الجيش الاسرائيلي وفي عام ١٩٥٢ عين اركانا للقيادة الشمالية وقائدا للواء جعباتي في عام ١٩٥٤. وفي عام ١٩٥٦ ارسل حاييم بارليف للمشاركة في دورة إنعاش في انجلترا. وفي معركة سيناء قاد لواء الدروع ٢٧ الذي اخترق طريق قطاع غزة واحتل المحور الشمالي من رفح وحتى القرب من قناة السويس. ومنذ عام ١٩٥٧ وحتى ١٩٦١ عمل قائدا لقوات الدروع وفي ختام وظيفته خرج لدراسة الادارة والاقتصاد في الولايات المتحدة. وفي عام ١٩٦٤ عين رئيسا لشعبة الاركان في رئاسة الاركان عندما كان اسحق رابين رئيسا للاركان. وفي ايار ١٩٦٤ اشترك في دورة في فرنسا. وفي ايار ١٩٦٧ استدعي للعودة الى اسرائيل وعين نائبا لرئيس الاركان عشية حرب الايام الستة. وفي كانون ثانٍ ١٩٦٨ عين رئيسا للاركان وقاد الجيش الاسرائيلي في واحدة من احلك الفترات التي مر بها وهي فترة حرب الاستنزاف على قناة السويس ومحاربة (المخربين) على طول نهر الاردن، والحدود السورية والحدود الشمالية مع لبنان. وخرج من الجيش الاسرائيلي عام ١٩٧١ وعين وزيرا في حكومة

غولده مئـير. وفي حرب (يـوم الغفـران) استدعي للخدمة وعين مستشارا لرئيس الاركـان دافيد العازار وفي البداية ارسل للقيادة الشمالية. وفي ١٠ تشرين اول ١٩٧٣ انتقل للجبهة الجنوبية وعمل قائدا لها حتى نهاية الحرب.

دافيد العازار
قائد قوات الدروع من ١٩٦١/٦/٢٥ حتى ١٩٦٤/١١/٢

الجنـرال «الاحتيـاط» دافيد العازار كان سادس قائد لقوات الدروع من ١٩٦١/٦/٢٥ وحتى ١٩٦٤/١١/٢. وتميـزت فترة عمله كقائد لقوات الدروع بمـواصلة تعـاظم هذه القـوات، بالمعـدات والمجموعات، وببلورة نظريات الحرب واسـاليب التدريب. فخلال عهده تم شراء دبابات من نوع سنتوريون ومن نوع شيرمان، وتم استبدال محركاتها ومدافعها بحيث اصبحت دبابات حديثة. وفي فترة عهده تم ايضا تحويل قوات المشاة الى مجموعات مدرعة وآلية. ووضع الاساس لاقامة مركز التدريب للسلاح من أجل توحيد اساليب التدريب في السلاح. كذلك تمت بلورة نظريات حرب جديدة للدروع في اطار الجيش الاسرائيلي من خلال التركيز على معارك الدروع في اطار مهام الاختراق بالاشتراك مع قوات الاسناد ـ الهندسة والمدفعية ـ وذلك على ضوء استعدادات قوات العدو بناء على النظرية السوفياتية. وتدربت قوات الدروع على الحرب الليلية والحرب في المناطق الجبلية والصحراوية وعلى تطوير الحرب المتحركة.

ولد دافيد العازار في يوغسلافيا عام ١٩٢٥ وهاجر الى اسرائيل ضمن (هجرة الشبيبة) وانضم الى كيبوتس (شاعر هاعماكيم) وبعد ذلك انتقل الى كيبوتس عين شيمر. وفي عام ١٩٤٦ طلب الانضمام الى قوات البالماح ولكن الكيبوتس منعه من ذلك. لكن دافيد العازار انضم الى البالماح ورحل عن الكيبوتس. واشترك في دورة قادة حظائر ووضع في السرية «ز» وهي سرية الاستطلاع في البالماح.

وفي حرب (الاستقلال) ، بعد أن اشترك في دورة قادة حظائر اشترك في عملية «نحشون» لفتح الطريق الى القدس وجرح في معركة ديرسان سيمون في نيسان ١٩٤٨ وعـين «دادو» قائدا لسرية وقادها اثناء محاولة اقتحام البلدة القديمة في القدس. واشترك في معارك الرادار واللطرون وعملية «حوريب». وعمل قائدا للكتيبة

السادسة في البالماح. وفي نهاية حرب (الاستقلال) اشترك في دورة قادة كتائب وبقي ليدرب في الدورة وعمل مدربا رئيسا في مدرسة قادة الالوية. وعين ضابطا لعمليات القيادة الوسطى عام ١٩٥٢. ودرس في الجامعة العبرية وانضم الى رئاسة الاركان كرئيس لقسم النظريات الحربية. وخلال عام ١٩٥٦/٩٥٥ اشترك في العمليات الانتقامية.

وفي حرب سيناء عين قائدا للواء هاري في قطاع غزة وفي عام ١٩٥٨ عين قائدا للواء السابع. وفي عام ١٩٥٩ عين نائبا لقائد قوات الدروع وفي عام ١٩٦١ عين قائدا لقوات الدروع. وفي عام ١٩٦٤ عين قائدا للقيادة الشمالية وأشغل هذا المنصب في الفترة الصعبة التي سبقت حرب الايام الستة. وخلال هذه الفترة وقعت حوادث مع السوريين وبدأت الحرب ضد (المخربين). كما وقعت حرب المياه وحرب الزراعة. وفي حرب الايام الستة وحرب الاستنزاف التي تلتها قاد المنطقة الشمالية. وفي عام ١٩٦٩ عين رئيسا لشعبة الاركان في رئاسة الاركان. وفي عام ١٩٧٢ اصبح رئيس الاركان التاسع في الجيش الاسرائيلي وبذلك كان رئيسا لاركان حرب (يوم الغفران). وقد حظي بتقديرات كثيرة للطريقة التي قاد بها الجيش الاسرائيلي الى النصر بعد المفاجأة. ووجدت لجنة اغرانات التي شكلت للتحقيق في الاحداث التي سبقت الحرب واندلاع المعارك ان الجنرال العازار كان مسؤولا شخصيا عما حدث عشية الحرب. واوصت اللجنة بانهاء عمله كرئيس للاركان وفي اعقاب نتائجها قدم العازار استقالته للحكومة، وقد توفي الجنرال العازار عام ١٩٧٦.

الفصل الخامس

حرب الأيام الستة

اندلاع الحرب

احتفل المواطنون الاسرائيليون بيوم (الاستقلال) التاسع عشر وهم يشعرون بالبهجة والارتياح. حيث كان الهدوء يسود جميع حدود (الدولة). والحرب على المياه انتهت وسحب السوريون ايديهم من محاولاتهم لتحويل مصادر نهر الاردن. وكانت مصر متورطة في حربها في اليمن البعيد، حيث لم يظهر جيشها قدرة كبيرة في محاربته لرجال القبائل المسلحين باسلحة بدائية فقط. ولكن تحت هذه المياه الهادئة كانت تتدفق تيارات مائية شديدة.

فالزعماء العرب ابرموا حلفا بينهم الى أن خلقوا طوقا من الفولاذ حول اسرائيل. وفي اواسط شهر ايار اعلن الرئيس المصري جمال عبدالناصر اغلاق مضائق تيران وفي الايام التي تلت ذلك بدأ بارسال قوات كبيرة من جيشه الى شبه جزيرة سيناء. فاصيب المسؤولون عن أمن اسرائيل بالقلق والهلع.فأمروا بتجنيد قوات الاحتياط وبدأ الجيش الاسرائيلي بتكثيف قواته على طول الحدود.

وبما ان التهديد الرئيس لاسرائيل جاء من الجنوب، من جانب مصر اكبر الدول العربية المحيطة باسرائيل، وضعت معظم القوات الاسرائيلية تحت تصرف القيادة الجنوبية ابتداء من ليلة ١٥ أيار ١٩٦٧. وقد تم تنظيم هذه القوات في ثلاث فرق مجحفلة. وأبقيت عدة مجموعات ووحدات تحت القيادة المباشرة لقائد القيادة الجنوبية العميد يشعياهو جفيش «شايكا». وكان للجبهة الجنوبية ايضا خط جبهة مع الاردن يمتد من العقبة وحتى جبل الخليل.

من بين الفرق الثلاث التي وضعت تحت قيادة عميد القيادة الجنوبية كانت انذاك قيادة نظامية للفرقة ٨٤ فقط. وكانت هذه القيادة هي قيادة قوات الدروع بقيادة العميد يسرائيل طال (طليك) التي اسندت بعض وظائفها مع اقامتها الى نائب قائد السلاح الذي كان في بداية اندلاع الحرب ضابطا رئيسا لسلاح الدروع (واشغل هذا المنصب العقيد ابراهام ادان (برن) ولكنه فضل وظيفة حربية وعين

نائبا لقائد فرقة ابراهام يافه. ولهذا اسند منصب ضابط سلاح الدروع الرئيس الى العقيد مناحم مارون (مندي).

وضعت الفرقة ٨٤ في حالة تأهب عن طريق مكالمة هاتفية جرت بين رئيس الاركان الجنرال اسحق رابين وقائد قوات الدروع العميد يسرائيل طال مساء عيد (الاستقلال) يوم ١٥ ايار ١٩٦٧. وفي نفس المساء اجتمع «طليك» مع رابين في منزله، ورئيس الاركان امر في اعقاب دخول الجيش المصري الى سيناء، بان على الفرق ان تدخل في حالة تأهب قصوى وان تكون مستعدة لصد هجوم يقوم به العدو، في هذه الاثناء اصدر ضابط العمليات في قوات الدروع المقدم كلمان ماجين امر إنذار لضباط وجنود قيادة الفرقة. وقد تبدت مما ورد اعلاه صورة لعمليات استعداد جرت على قدم وساق في ايام انتظار نظمت خلالها وحدات، ونقلت وحدات من مجموعة لمجموعة ومن فرقة لأخرى وتغيرت قائمة موجودات المعدات القتالية في معظم الوحدات. وبالفعل، فقد عكست هذه الصورة الوضع في ايام الاستعداد للحرب. ولكن في النهاية وفي الاول من حزيران بلورت القيادة الجنوبية خطة هجومية. كانت تعتمد على استخدام معظم القوات في المرحلة الاولى بهدف احتلال مشارف سيناء وتدمير الجيش المصري في هذه المنطقة. وهذه الخطة التي اطلق عليها اسم «نحشونيم» هي التي نفذت اخيرا في حرب الايام الستة. ولكن بين المصادقة عليها، وبين اصدار الامر لاخراجها الى حيز التنفيذ كان التوتر الشديد يسود على طول الخط. فعلى سبيل المثال تأهبت فرقة طال اربع مرات لبدء الحرب وفي المرات الاربع لم يعط لها الامر النهائي. وبدأ ضباط في قيادة الفرقة يجرون مناورات على الورق داخل القيادة.

ووجد قائد الفرقة أنه من الضروري الاجتماع مع مأموريه ليزيد بينهم الوعي بالنسبة للخطر الذي لم يمر بعد وانما تزايدت حدته. ولكن هذا الخطر بدأ يتلاشى لدى الجنود بسبب طول عملية الانتظار. واوضح العميد طال اكثر من مرة في أحاديثه مع ضباطه وجنوده بانه يتوجب على الفرقة ان تظل في حالة طوارىء قصوى طيلة الوقت لتمكين الحكومة من استنفاذ كافة الوسائل والنشاطات المتوفرة لديها. وكانت خطة «نحشون» التي وضعت وادخلت عليها تغييرات كثيرة طيلة ايام الانتظار تتضمن مايلي: احتلال مشارف سيناء حتى خط العريش - جبل لبنى - بير حسنه -

قصيم. وتدمير الجيش المصري في هذه الواجهة ومواصلة عملية التأهب لاستمرار تطوير الهجوم في منطقة سيناء وقد اعتمدت خطة الهجوم التي وضعتها القيادة الجنوبية على ثلاثة جهود رئيسة (كل جهة على مستوى فرقة) تنفذ على اربعة محاور: الفرقة ٨٤ تتقدم على محورين نحو رفح والعريش والفرقة ٣٨ ترابط على الخطوط الخلفية لمنطقة ابو عجيله. والفرقة ٣١ تتحرك على محور حردين نحو بير لحفان. وكذلك يستخدم لواء مدرع لمناورة العدو وتأخيره ومشاغلته في واجهة كونتيلا للحيلولة دون عزل منطقة ايلات. وحشد الجيش الاسرائيلي استعدادا للحرب في الجنوب حوالي ٦٠٠ دبابة.

من خلال الادراك بان هذه ستكون اول معركة برية ضد الجيش المصري في حرب اصبح وقوعها وشيكا، وعليه ستكون هذه اول معركة اختبار بالنسبة لمعنويات الجيشين، فقد وزع العميد طال في الرابع من حزيران التوجيه التالي على مأموريه: بما اننا لم نلتق بالجيش المصري منذ ١٠ سنوات، وبما ان هذه اول معركة برية *يخوضها الجيش الاسرائيلي في هذه الحرب، فان هذه المعركة* ستكون معركة الاختبار بيننا وبين الجيش المصري. فالجانب المنتصر في هذه المعركة فانه لن يحقق فقط هدفا عينيا يتمثل في احتلال منطقة وتدمير قوات، وانما أولا سيحقق هدفاً نفسيا معنويا والمنتصر من الناحية المعنوية سينتقل الى الهجوم وأما الجانب الخاسر فانه سيلجأ الى الدفاع...

إن عملية الاقتحام الاولى في معركة الاختراق هذه سيقوم بها افضل لواءين في الجيش الاسرائيلي وهما: اللواء المدرع الافضل ولواء المظليين الافضل مستخدمين مجنزرات وكتيبة دبابات باتون مختارة. وعليه يتبين أنه إذا لم تستطع هذه الفرقة تنفيذ المهمة فان هذا يعني أن الجيش الاسرائيلي كله لن يكون قادرا على تنفيذ مهاماته. وعليه كانت التوجيهات على النحو التالي: «يتوجب على كل واحد أن يهجم حتى النهاية بغض النظر عن عدد المصابين وستكون المعركة فاصلة إما حياة وإما موت... وفي المعارك القادمة... وبعد ان ننجح في عملية الاختراق فسنحاول الامتناع عن الدخول في معارك استنزاف.

لقد نجمت الرغبة في الاختراق باسرع وقت ممكن، عن المعلومات الاستخبارية التي وصلت ومفادها ان المصريين حشدوا في منطقة الفرقة لواءي مدفعية. وهذه

القوة تستطيع اطلاق خمسة أطنان من الذخيرة في الدقيقة. وهذه الكمية من الرماية من شأنها ان تعرقل حركة تقدم القوات الاسرائيلية وحربها.

بساط احمر

في صباح الخامس من حزيران صدر الامر: بساط احمر تحرك: تحرك! انتهى!»

فاشتغلت محركات الدبابات، وتصاعدت اعمدة الغبار عندما اجتازت مراكب الحرب الاسرائيلية الحدود في طريقها الى العدو. ونفذت المرحلة الصعبة الاولى من اختراق مواقع الجيش المصري بهجومين مباشرين على المواقع المحصنة الكبرى التي دافعت عن مداخل شبه جزيرة سيناء وتم الهجومان على المحورين الرئيسين. فقد قامت فرقة العميد طال بمهاجمة منطقة رفح على المحور الشمالي واما فرقة العميد شارون فقامت بمهاجمة منطقة ام كتف ـ ابو عجيله على محور الوسط. وخلال ذلك تم ادخال نصف فرقة العميد يافه الى المناطق الرملية بين المنطقتين الآنفتي الذكر والتي كان المصريون يعتقدون انها غير قابلة للعبور. وعملية التغلغل هذه عزلت المصريين عن بعضهم بعضا وصدت تقدم قوات تعزيز مصرية كبيرة.

وحمل الهجوم طابع عملية اقتحام مباشر وهو اسلوب فاجأ المصريين. فقبل اندلاع المعارك بعدة ايام، نقل المصريون قواتهم المدرعة الامامية والتي تقدر بفرقة الى منطقة الكوريا الى الجنوب من قصيم. وكانت عملية النقل هذه ترتبط بخططهم لعزل النقب ومنع الجيش الاسرائيلي من دخول سيناء عن طريق كونتيلا (وهو المحور الذي سار عليه لواء المظليين في معركة سيناء في اواخر عام ١٩٥٦). وعززت نشاطات التضليل التي قام بها الجيش الاسرائيلي في واجهة كونتيلا التقدير المصري بان الجيش الاسرائيلي ينوي فعلا مهاجمة هذه الواجهة وبما ان الجيش الاسرائيلي اختار ان يهاجم ويقتحم في الشمال في منطقة المواقع المصرية المحصنة جدا وتنازل عن عملية التطويق من الجنوب. تفاجأ المصريون ولم يلاحظوا قبل فوات الاوان الجهد الرئيس. وما ان ادركوا خطأهم حتى كانت قوات الدروع الاسرائيلية قد وصلت الى ظهورهم. عملت فرقة طال في الجناح الايمن للقوات الاسرائيلية التي اقتحمت سيناء. وحاربت باتجاه، العريش. وكانت هذه ثالث مرة يحارب الجيش

الاسرائيلي فيها في رفح. فلأول مرة حلت القوات الاسرائيلية الى مداخل رفح في حرب (الاستقلال). وفي المرة الثانية تم احتلال البلدة على ايدي لواء جولاني واللواء المدرع ٢٧ في عملية سيناء. وكان المصريون يدركون ان رفح هامة كنقطة يستطيع العدو فيها ان يعزل قطاع غزة من الجنوب وكبوابة تقود الى العريش عاصمة سيناء وكبوابة شمالية شرقية لجميع القوات المصرية في مشارف سيناء. ففي منطقة رفح يوجد شريط ارضي يبلغ عرضه بين ١٠-١٥كم يمتد بين رمال الشاطىء ورمال الصحراء وفي هذا الشريط يستطيع العدو التحرك فيه. وقد اغلق المصريون هذه البوابة بشبكة دفاعية مكونة من لواءين. وامتدت تحصيناتهم الدفاعية من رمال الجنوب وحتى البحر في الشمال وشملت اسلاكا شائكة وحقول الغام ومواقع مدفعية واسلحة مضادة للدبابات، ودبابات وعلى الطريق من رفح الى العريش وفي هذه المدينة نفسها نشر المصريون فرقة مشاة معززة بقوات دروع.

اللواء السابع

اقتحمت فرقة طال مدينة رفح بقوتين رئيستين: اللواء السابع، بقيادة العقيد شموئيل غونن، ولواء المظليين الآلي بقيادة العقيد رفائيل (رفول) ايتان، الذي اشتمل على وحدة من الناحال المظلي وعزز بقوة من دبابات باتون، بقيادة المقدم اوري. ورافقت هذه القوات لاغراض الحماية والتعزيز، قوة غرانيت ولواء «من». وكلف غونن بان يخترق بسرعة الدفاعات المصرية، وأن لا يتأخر للقيام باعمال تطهير والتقدم بسرعة نحو العريش. وقام اللواء باقتحام المواقع المصرية امام خانيونس، واجتاز منطقة عسكرية معززة بقوة فلسطينية شملت لواء معززا بكتيبة دبابات ووصل الى المنطقة الدفاعية في رفح من الشمال الشرقي. وبعد أن اخترقت القوة خط الدفاع الاول اصبحت امام خط دفاعي مضاد للدبابات ويشتمل على دبابات متخندقة ومدافع مضادة للدبابات بالعشرات. وقد تم احتلال هذا الموقع وهو موقع مثلث رفح بعد معركة ضارية قامت خلالها دبابات السنتوريون باشغال العدو من الامام في حين قامت دبابات الباتون بمهاجمته من الخلف عن طريق الكثبان الرملية. وبعد اختراق هذا الخط الدفاعي لم تتأخر قوة غونن لتطهيره وانما واصلت تقدمها نحو الغرب نحو العريش. وبعد ان اجتاز مثلث رفح بمسافة حوالي ١٠كم وصل اللواء

السابع الى منطقة لواء مصري آخر وهي منطقة الشيخ زويد التي كـان يرابط فيها لواء مشاة معززا بالدبابات. وتمت مهاجمة هذه المنطقة العسكرية بواسطة ثلاث قوات: فقد قامت قوة من دبابات السنتوريون بمشاغلة العدو من الامام ودبابات الباتون طوقته من الشمال عن طريق الكثبان الرملية وقوة دبابات الـباتون بقيادة المقدم اوري فطوقت المصريين من جهة الجنوب. وذلك بعد أن انفصل عن لواء المظليين الذي رافقه حتى تلك المرحلة. وقد تم تدمير الدبابات المصرية ولذلك امكن اقتحام المعسكر فتوجهت القوة الاولى من اللواء السابع، بقيادة نائب قائد اللواء المقـدم باروخ هرئيـل نحو العريش بعد أن ارسل الى الخلف وحدة من دبابات السنتوريون لمساعدة المظليين في معارك التطهير.

على مسافة ١٠كم شرقي العريش كان المصريون منتشرين في خطوط دفاعية محصنة جدا وذلك في منطقة الجيرادي. وقد دارت حول احتلال هذه المنطقة معركة ضارية وتم احتلالها عدة مرات لأن المصريين عادوا في كل مرة واغلقوا طريق رفح ـ العريش الى ان تم تطهير المنطقة كليا. وكان هذا الغلق خطيرا جدا لأن الطريق تمـر بين الكثبـان الرملية والآليات العادية لا تستطيع التنحي عن هذه الطريق ومواصلة مسيرها. ودعت الحاجة الى الاحتفاظ بهذا المحور مفتوحا مهما كلف الثمن من أجـل ارسال الامدادات لقوات الدروع التي واصلت تقدمها. كانت دبابات السنتـوريون اول من اخترق موقع الجيرادي فوصلت الى العريش وبدأت هناك معركة تطهير لكن المصريين عادوا واغلقوا المحور من الخلف. وعليه فقد اضطرت دبابات الباتون لاختراق موقع الجيرادي من جديد. وقد جرت عملية الاختراق هذه بعد معركة ضارية لان المصريين لم يعودوا مفاجئين واستعدوا جيدا لعملية الدفاع والصد. وحتى بعد أن مرت دبابات الباتون باتجاه الغرب استمر العدو في الاحتفاظ بالموقع وامطار القوات الاسرائيلية بالنيران منه. عند ذلك ارسل شموئيل غونن لمنطقة الجيرادي وحدة المشاة المدرعة التابعة له (التي شاركت في معركة رفح) ودبابات السنتوريون التي اعيدت من الشيخ زويد.

وقامت هذه القوات بتطهير الموقع. وقد وصلت دبابات السنتوريون الى المكان قبل المساء ودخلت المنطقة المصرية وسيطرت على الطريق. وفي منتصف الليل وصلت قوات المشاة المدرعة ومع دبابات السنتوريون والباتون وباسناد مدفعي بدأ جنود

المشـاة التابعون للدروع بخوض معركة تماس متواصلة وصعبة لتطهير المنطقة المصرية التي كان عرضها حوالي ١٠كم. وعندما طلع الفجر كانت الطريق مفتوحة أمام حركة آليات النقل التي نقلت الوقود والذخيرة لدبابات اللواء السابع التي كانت في العريش. ولكن معركة التطهير استمرت حتى مساء يوم السادس من حزيران. مقابل المعركة التي خاضها اللواء السابع عملت قوة دروع اخرى من جهة الجنوب. وقد قادت هذه القوة في المرحلة الاولى المظليين ودبابات الباتون التابعة لهم الى الجهة الخلفية من المنطقة المصرية في رفح. وبعد ذلك وعندما توجه المظليون الى الشمال استمرت هذه القوة ـ قوة غرانيت ـ مع لواء «من» نحو الغرب. وقد تحركت القوة على محور صعب الحركة وهي تجابه تضاريس طبيعية صعبة الى ان وصلت الى المداخل الجنوبية من العريش.

في الصباح ، وبعد انتهاء اربع عشرين ساعة من القتال المتواصل، واصلت فرقة العميد طال الحرب على المحورين المؤديين من العريش غربا نحو القنطرة على قناة السويس، وجنوبا نحو مثلث بير لحفان حيث تتفرق الفرق الى ابو عجيله وجبل لبنى. واستمر زخم الحرب دون توقف.

في اليوم الثاني للحرب انقسمت فرقة طال الى قوتين. قوة توجهت في الصباح جنوبا نحو مطار العريش. وفي الساعة ٢٢٫٣٠ توجهت قوة ثانية على طول محور الشمال، نحو القنطرة. وكانت امامها طريق طولها حوالي ١٥٠كم وهذه الطريق ضيقة تقع بين البحر في الشمال وبين الكثبان الرملية في الجنوب ولا توجد فيها ممرات جانبية او تشعبات. ولهذا عملت هذه القوة وحتى نهاية الحرب في الجنوب كقوة مستقلة. وشملت قوة (غرانيت) ومظليين من لواء «رفول».

امـا القوات الاخرى من الفرقة، وعلى رأسها اللواء السابع فتقدمت نحو الجنوب. ووقعت معركة الدبابات في ذلك اليوم في مطار العريش وفي نهاية المعركة فتحت الطريق الى بيرلحفان، وهي منطقة عسكرية مصرية كان لواء العقيد يسكار شدمي في مداخلها الجنوبية منذ ١٢ ساعة فأكثر. وادارت المعركة على بيرلحفان قوة من فرقة طال ومن خلال تكتيك جديد في المرحلة، تم قصف المنطقة بالمدفعية من بعيد الى أن تم تدمير كل الخط الامامي للمصريين. وبعد ذلك تقدمت دبابات السنتوريون المصرية على محور الطريق واما دبابات الباتون فطوقت المنطقة المصرية

من الشرق من خلال اجتيازها مناطق رملية غير صالحة للحركة. فانهارت القوات المصرية في هذه المنطقة. واستمرت فرقة طال تواصل تقدمها نحو المثلث وتوجهت الى الجنوب الغربي واتصلت مع لواء شدمي.

آمال مصرية فاشلة

انتهى اليوم الثالث من الحرب. وكانت القوات المصرية في شبه جزيرة سيناء قد شوشت وانهارت. واصبح الجيش المصري في حالة انسحاب شامل غير منتظم. وتقـدم رأسا السهم لفرقة طال، احدهما على المحور الشمالي العريش ـ القنطرة والثاني على المحور المركزي ـ المؤدي الى الاسماعيلية، بسرعة ولم يصطدما سوى بوحدات مصرية متفرقة. وتوقفت كتيبة المقدم زئيف من اللواء المدرع/ ٦٠ والتي كان يقودها العقيد مناحم (من) ابيرام لاستراحة ليلية. ولكن راحة المحاربين لم تستمر وقتـا طويلا. فقد اطلقت عليها قذيفة معادية خلال الظلام. وهكذا بدأت معركة تختلف عن جميع المعارك الاخرى في حرب الايام الستة.

فخـلافا لمعارك الدروع الاخرى، التي كان الجيش الاسرائيلي يمتلك فيها عنصر المفاجأة والتركيز والزخم والاختراق، فقد وقف في هذه المعركة عدد قليل من رجال الدروع الاسرائيليين الذين يستخدمون دبابات خفيفة وصغيرة أمام قوات مدرعة مصرية تفوقهم عدة وعددا ونوعية. وكان عنصر المفاجأة ملكا للمصريين الذين استعانوا باجهزة للرؤى الليلية تعمل بواسطة اشعة ما تحت الحمراء.

وهكذا تطورت الامور:

كتيبة الدبابات التي كان يقودها المقدم زئيف والتي كانت مكونةمن دبابات امكس ١٣ كانت تعمل في ذلك الوقت كقوة رأس سهم بعد ان حلت محل كتيبة السنتوريون التي اخترقت المواقع المصرية وأدارت معظم المعركة في اليومين الاولين من الحرب. وكانت كتيبة زئيف جزءا من اللواء المدرع الذي كلف بقيادة فرقة طال الى قناة السويس. وفي مراحل الحرب الاولى خاض هذا اللواء صراعا شديدا ضد المناطق الرملية وهناك لم يكن العدو يتوقع مجيئه. وقد تمكن ذلك اللواء من تصفية عدة مواقع مصرية محصنة ونظف وحدات دروع مصرية اعترضت طريقه او طريق القوات الاسرائيلية الاخرى التي كانت تسير في اجنحة المحور الرئيس الذي تحرك

عليه هذا اللواء. وكانت هذه المعركة الاولى بالنسبة للكثيرين من افراد اللواء فقد مرت عليهم ثلاثة ايام من الحركة والحرب ولكن معنوياتهم كانت عالية فلم يبق أمامهم سوى القليل حتى ان يصلوا الى القناة وهناك ستنتهي الحرب بالنسبة لهم وكانت تقديرات القيادة الجنوبية وفرقة طال، ان المصريين سيحاولون وقف الدروع المصرية على محور الاسماعيلية. وبعد الحرب اتضح، أن هذا التقدير كان صحيحا وأنه كان امام المصريين أمل آخر لا أساس له في ظروف اليوم الرابع للحرب في شبه جزيرة سيناء، وهو الاستعداد للقيام بهجوم معاكس مدرع وتنظيف المحور الشمالي من القوات الاسرائيلية من اجل تمكين القوات المصرية من الانسحاب الى ما وراء القناة بعد أن اغلق الجيش الاسرائيلي محوري الانسحاب الرئيسين ـ محور المتلا ومحور الجدي.

ظهور شاحنة مصرية

على ضوء تقدير الوضع هذا والظلام الذي اصبح قريبا، أمر العميد طال العقيد (من) ان يوقف قوته. فقال قائد اللواء لقائد الكتيبة زئيف: توقف لاستراحة ليلة ولاغلاق الطريق. في ذلك الوقت كان زئيف وهو من اوائل رجال الدروع في الجيش الاسرائيلي على رأس طي رملي. فاوقف كتيبته وتحرك قليلا الى النصف واقام نقطة التجمع الليلية في منخفض يقع عند سفح الطي الرملي. وكان هذا المكان مخفيا وخاصة بالنسبة للدبابات ذات الابراج المنخفضة مثل امكس ١٣ ومنه يمكن مشاهدة خط الافق ومنه يمكن ان يظهر عليه.

انتشر جنود المشاة المدرعة حول نقطة المبيت فتغلبوا ثانية على ارهاقهم وبدأوا يقومون بصيانة الدبابات. وفي حوالي منتصف الليل تفرغ آخر رجال الدروع للاستراحة. وقام قائد السرية امنون من كيبوتس جات ونائب قائد السرية يهودا من كيبوتس برعام بتوزيع رجالهما البعض للاستراحة الفورية والبعض الآخر للحراسة بينما هما انزويا في الياتهما وغطا في النوم. وكان احد افراد فئة الدبابات ويدعى شيلا وهو رسام كريكاتيري وصحفي ما زال صاحيا. وحول ما حدث قال شيلا.

«سمعنا صوت محرك من الخلف، ورأينا انوارا تسير بسرعة نحونا واصبحت شاحنة مصرية محملة بالجنود داخل نقطة الاستراحة التي يلفها الظلام. وعندما

لاحـظ السائق المصري رجال الدروع الموجودين على الطريق وعلى جانبيه اوقف سيارته بسرعة. ولاحظ الجنود المصريون سبطانات البنادق الموجهة اليهم واسرعوا الى النزول من شاحنتهم. وبعد ان تم اخذ اسلحتهم منهم امروا بالذهاب الى التلال الرملية خارج نقطة الاستراحة اذ انه لم يكن بالامكان القيام بحراسة اسرى في ذلك الوضع. وبعد مرور وقت ظهرت شاحنة مصرية اخرى وتكرر ما حدث بالنسبة للشاحنة الاولى وعندها سمعت اصوات من بعيد اصوات تنذر بالسوء فقد كانت اصـوات محـركـات كثـيرة واصوات جنازير. وقدرت بعشرات الدبابات. واقتربت الاصوات الى ما وراء منعطف الطريق المواجهة لنقطة المبيت.

«الغمـوا الطريق» هذا ما قاله زئيف لقـائد فئة الهندسة تدي من مواليد ترياست ومن لاجئي الكارثة في اوروبا وخريج كلية الجيولوجيا في جامعة القدس بتفوق. واسرع تدي، الذي اعتاد على القول: ان اليهودي يستطيع ان يعيش بفخر وان يموت بشرف في اسرائيل فقط، اسرع مع رجاله الى مجنزرة المتفجرات وقام بفك الاحزمة الشديدة التي تربط الغامه.

كرصاصة لعبة

في هذه اللحظة شوهد رتل من المصابيح الصغيرة يتقدم فوق الطي الرملي وينحدر نحو المنحدَر الخلفي للطي الرملي الذي كانت نقطة المبيت في منحدره الآخر، وكانت الدبابات المصرية تسير على نور خافت ولم تضىء مصابيحها بشكل كامل. ورغم هذا كانت تسير بسرعة ٤٠كم في الساعة فهي مزودة بأشعة ما تحت الحمراء، وساد ادراك بأن الدبابات القادمة هي دبابات سوفياتية من نوع تي٥٥.

وقفت مجنـزرة الرائـد يجـآل قائد وحدة الاستطلاع على الطريق لمواجهة القادمين، ووجه عدد الرشاش رشاشه امامه، واما دبابة قائد الفئة غيورا فكانت بالقرب من المجنزرة التي يقودها يجآل ووجهت مدفعها نحو الطريق.

وعندما ظهرت الدبابة المصرية الاولى على خط الافق وانحدرت بسرعة فائقة نحو نقطة المبيت حدثت ثلاثة امور: اطلق رشاش يجآل صلية طويلة، واطلق مدفع غيورا قذيفة خارقة للدروع، وفي نفس الوقت اطلقت قذيفة من مدفع دبابة تي٥٥، فنيران الرشاش لم تسبب سوى خدش اللون الاصفر الصحراوي للدبابة تي٥٥

واما قذيفة امكس ١٣ التي اطلقت من مدى بضع عشرات من الامتار انزلقت من على تصفيح الدبابة الروسية وكأنها رصاصة لعبة واما قذيفة الدبابة الروسية فقد اصابت مجنزرة الهندسة الاسرائيلية، وتسبب الانفجار الشديد الذي صدر عن تفجير المجنزرة الاسرائيلية المليئة بالالغام اقلقت نقطة المبيت الاسرائيلية بكاملها فأضيئت كضوء نهار كامل، وبعدها توالت الاحداث بصورة مثيرة جدا. فقد اتصل غيورا بقيادته وأبلغهم بأن خللا حدث في مدفعه وتعطل عن الرماية، فانسحب قليلا الى الخلف وحاول الطاقم التغلب على الخلل، واما الدبابات الاخرى فبدأت بإمطار الدبابة المصرية الامامية بوابل من القذائف كما امطرت الدبابة التي ظهرت خلفها، ولم تستطع قذائف الدبابات الاسرائيلية التي اطلقت بصورة مباشرة على دبابات تي٥٥ من احداث شيء الى ان قامت دبابات امكس١٣ الخفيفة بمناورة سريعة فتمكنت من اسكات نيران الدبابات المصرية عن طريق ضربها من جوانبها ومن خلفها، ولكن قبل ان تتعطل الدبابات المصرية الاولى عن العمل اصابت قذيفة اطلقت منها المجنزرة التي كانت تحمل مدافع الهاون، فقتل اعداد مدافع الهاون نتيجة انفجار مجنزراتهم التي كانت محملة بالقذائف، فاقتحمت الدبابات المصرية نقطة الجيش الاسرائيلي وازداد عدد الاصابات، وكان من بين المصابين ضابط الاسناد المدفعي وضابط الاسناد الجوي، ومن هنا احتاج زئيف لاتصالات اللواء للحصول على اسناد مدفعي وجوي، وفي هذه الاثناء وقف وحيدا في المعركة.

سمح رجال الدبابات لجنود وحدة الاستطلاع والمشاة المدرعة باخلاء المصابين، اما هم انفسهم فلم يرتدعوا مطلقا من حقيقة ان قذائفهم لم تخترق دبابات العدو، فبسرعة وبكفاءة انتشرت دبابات امكس١٣ امام العدو وحاول افراد طواقمها ان يصيبوا الدبابات المصرية من جوانبها، وبين الحين والآخر شوهد جنود مصريون يتركون دباباتهم مذعورين بعد ان اصيبت بقذيفة متفجرة (فهذه القذيفة لا تخترق تصفيح دباباتهم ولكنها تصدم بشدة جسم الدبابة وتهزها وتزيد من حرارة الموجودين فيها.

هذا المشهد شجع طواقم دبابات امكس١٣ بالاضافة الى ان قائد الكتيبة لم يعط امراً بالانسحاب. وفي الواقع صادق العميد طال على انسحاب تكتيكي وترك قائد اللواء «من» الخيار بأيدي قائد الكتيبة زئيف، ولكن كانت لزئيف تقديراته

الخاصة، فمركزه كان مريحا وعملية الانسحاب تضع دباباته ودبابات العدو في منطقة منبسطة، يكون فيه التفوق للدبابات السوفياتية التي وزنها اثقل من وزن الدبابات امكس١٣ كما ان تصفيحها افضل ومدافعها تستطيع اختراق اي درع كان، وقد اصيب الكثيرون من جنود السرية الاسرائيلية نتيجة الضربة الاولى ولم يكن بالامكان التخلي عنهم، كما ان الانسحاب كان من شأنه ان يضعف المحاربين.

وقد تبين ان التقدير صحيح، وقد حارب رجال الدبابات الاسرائيليون رجال الدبابات المصريين ككلاب الصيد التي تقتنص الخنازير البرية، فحتى كلب الصيد يعرف انه لا يستطيع اقتناص خنزير البر ولكنه يعرف انه يستطيع ايقاف الخنزير حتى وصول الصياد، وفي حالة نقطة المبيت الليلية اهتم قائد اللواء بالحصول على اسناد ثلاثي: فقد ارسلت كتيبة من دبابات الشيرمان المحسنة لمساعدة دبابات امكس المتورطة في الحرب، كما استدعى القائد اسنادا مدفعيا وجويا، ولم يمكن خط الصد الذي شكلته الدبابات امكس١٣ الدبابات المصرية من التقدم، وعندما سمع صوت محرك ثقيل في طرف الجناح الايمن من نقطة المبيت وكان هناك خوف من عملية تطويق حرك قائد السرية امنون فورا دبابته الى اليمين وشل عمل دبابة مصرية من نوع اس يو١٠٠.

صمود قوي

لم يقم المصريون بأي محاولة اختراق، فالرماية السريعة، والمكثفة والشديدة التي قامت بها قوة الصد الاسرائيلية اوقفتهم، وقد اصيبت الدبابات المصرية الاولى الواحدة تلو الاخرى، واما الدبابات الاخيرة فانسحبت الى الوراء، وقد نفذت كتيبة زئيف الصغيرة مهمة الصد حتى طلوع الفجر، وعندها ظهرت دبابات شيرمان في الجناح الايسر وبدأت تطارد الدبابات المصرية التي كانت خارج ساحة القتال الليلية. وأدرك قائد اللواء الذي وصل مع الفجر، ان رجاله قد صمدوا في الاختبار.

انتهت المعركة، ولم تنفذ الفرقة المصرية مهمتها، فقسم منها انسحب الى ما وراء قناة السويس وتركت اعدادا كثيرة من الدبابات في الجانب الشرقي للقناة.

عندما سئل قائد اللواء، العقيد مناحم ابيرام كيف يفسر حقيقة الصمود القوي لدبابات امكس امام دبابات تي٥٥ المصرية قال: ان الدور الرئيس لعبته

شجاعة القائد زئيف الذي قدر الوضع بشكل صحيح ولم ينسحب حتى بعد ان اعطي امكانية القيام بذلك..

واما زئيف فقد عزا هذه الشجاعة الى ضباطه فقال: لقد ادار امنون ويهودا القتال بواسطة رجالهما وكأن ذلك مناورة بين قوتين لا يجب ان تحدث فيها اصابات جسدية حتى في حالة قلة العدة والعدد. وقد سمعت اصواتهما في اجهزة اللاسلكي هادئة ومتزنة ومما لا شك فيه ان ذلك رفع معنويات المحاربين.

واما الضابطان امنون ويهودا فقد عزيا النصر الى مأموريهما. فقالا: انه من الصعب وصف شعور جندي الدبابة عندما تنزلق قذائفه من على دروع العدو على مسافة خمسين مترا. ولكن الزملاء صمدوا وناوروا دون توقف وحسنوا مواقعهم وجـربوا قذائف مختلفة وزوايا رماية مختلفة حتى ان وجدوا الاختراع وكشفوه لبعضهم بعضا، ان الحقائق تتحدث عن نفسها بنفسها؛ فطواقمنا لم يتخلوا عن معداتهم الصغيرة نسبيا واما الطواقم المصرية فقد تركوا في المنطقة حوالي ثماني دبابات كما ان دبابات شيرمان التي وصلت مع الفجر دمرت مثل هذا العدد.

على ضفة القناة

في ختام ٣٥ ساعة من القتال، انتهت مراحل الصد والاشتباكات مع المواقع المصرية المحصنة وفتحت ابواب سيناء أمام الدروع الاسرائيلية واصبحت محاور الحركة نحو الغرب والجنوب مفتوحة، ومن خلف قوات رأس السهم من الدروع استمرت عمليات التطهير ولكن المواقع المحصنة الضخمة الواقعة في مشارف سيناء، التي كانت تحتفظ بها ثلاث فرق مصرية، لم تعد تعمل كقوة محاربة، فالآلاف من الجنود المصريين قد قتلوا او اسروا او هربوا الى الجبال الرملية والى المدن العربية في الشمال، وفي ميدان القتال تركت دبابات مصرية كثيرة، مهملة ومحروقة والدخان يتصاعد منها.

وفي اليوم الثالث للحرب يوم الاربعاء الثامن من حزيران تغلبت قوة (غرانيت) على قوات المشاغلة المصرية التي نصبت كمائن في الرمال على جانبي المحور. واستخدم المصريون ما تبقى من طائراتهم بهدف صد هذه القوة الا ان الطائرات الاسرائيلية

تمكنت من طرد الطائرات المصرية وهكذا واصلت قوة غرانيت تقدمها نحو القنطرة. وكلما اقتربت من مدينة من مدن القناة كلما تزايدت المقاومة المصرية، وقد اصبحت هذه المقاومة شديدة عند الكيلومتر ١٥ امام مثلث القنطرة. وفي مداخل المدينة انتشرت قوة دبابات مصرية وشنت هجوما معاكسا، وبتمرين سريع تمثل في الرماية والحركة اشتركت فيه الدبابات والمظليون بالمجنزرات وسيارات الجيب المسلحة بمدافع غير مرتدة تم القضاء على الدبابات المصرية وتقدمت القوة في حالة اقتحام نحو القنطرة، وكانت قوة غرانيت اول قوة اسرائيلية وصلت الى خط الماء في قناة السويس وكان ذلك في صباح اليوم الرابع من الحرب.

اما القوة الرئيسة من مجموعة طال وهي اللواء السابع فقد استخدمت في اليوم الثالث من الحرب كجزء من هجوم شمل مجموعتين: فقد تحركت مجموعة طال من مثلث جبل لبنى نحو الغرب واما مجموعة يافه فتوجهت في البداية جنوبا الى بير حسنة ومن هناك سلكت المحور المؤدي الى بير تماده وممر المتلا. وكان اول موقع دفاعي مصري اعترض اللواء السابع في بير حمه وهي منطقة معسكرات كبيرة ومطار عسكري احتفظ فيها المصريون بلواء مشاة وكتيبة دبابات، وتم احتلال بير حمة في قتال قصير واستمرت القوة في تقدمها غربا حتى منطقة بير رودسليم حيث تغلبت على الدبابات المصرية التي اعترضت طريقها.

وفي المرحلة التالية حاربت مجموعة طال ضمن الدروع المصرية في منطقة بير جفجفة. وفي البداية ارسلت كتيبة من الدبابات الخفيفة على الطريق من بير جفجفة غربا لاغلاق المحور بوجه تعزيزات مصرية من شأنها ان تصل من جهة القناة، واما بقية القوة فتحركت جنوبا نحو سهول امليز حيث شوهدت من هناك اعمدة غبار صدرت عن حركة دبابات مصرية، وبعد المعركة اتضح ان ذلك كان لواء مدرعا مصريا اراد شق الطريق نحو مصر.

حسب خطة القتال، كان على احدى قوات الدبابات ان تتقدم وتغلق محور تقدم العدو في حين تقوم قوة اخرى بالتطويق من الشمال وتهاجم العدو من جناحه عندما يكون مشغولا في القتال مع القوة الاولى، وقد تشوشت الخطة عندما امتنع المصريون عن الرد عندما اكتشفوا ان الطريق مغلقة، وعليه فقد شنت القوتان هجوما على اللواء المصري ودمرتا حوالي ١٠ دبابات ومئات الآليات وقتلت المئات من الجنود

المصريين، واستمر القتال الذي بدأ في الساعة ١٧٠٠ اقل من ساعتين.

في صباح اليوم الرابع (والاخير) من الحرب في سيناء حولت مجموعة طال جميع قوتها المتواجدة على المحور المركزي نحو الغرب، الى قناة السويس. والى الغرب من بير جفجفة وضعت قوة من دبابات امكس١٣ لاغلاق الطريق بوجه تعزيزات مصرية في الوقت الذي كان يجري فيه القتال الضاري من الجنوب الشرقي، وفي الليلة التي تلت نهار المعارك في بير جفجفة حاول المصريون اختراق نقطة الغلق هذه من جهة القناة. ولمدة ساعتين صمدت دبابات امكس١٣ الخفيفة في قتال مرير ضد ٦٠ دبابة مصرية معظمها من نوع تي٥٥. وتم ايقاف المصريين الى ان وصلت الى المكان قوة دروع اقوى من مجموعة طال. وفي الصباح اتضح انه كان هناك لواء مدرع مصري كامـل، وكان يضم حوالي ١٠٠ دبابة، معظمها من دبابات تي٥٥ انتشرت في عمق ٧كم. ودارت المعركة حول محور ضيق جدا لم يكن بالامكان التناور فيه بسبب الكثبان الرملية المحيطة به. وقد اصاب رجال المدافع الاسرائيليون الذين تفـوقـوا كقنـاصين، الدبابات المصرية من مسافة تصل الى ٣٠٠٠ متر ودمروها الواحدة تلو الاخرى. وواصلت مجموعة طال التقدم نحو القناة وهي تدير معركتين ليليتين قصيرتين، وبعد منتصف الليل بحوالي نصف ساعة وصلت القوة الى القناة. وقد وقع آخر اشتباك مع العدو عند مثلث الاسماعيلية على بعد ٣كم من القناة، واما المرحلة النهائية من الحرب التي خاضتها مجموعة طال فقد تمثلت في الاتصال بين جزأي المجمـوعـة على الطريق الذي يمـر على امتداد الضفة الشرقية لقناة السويس. وهاجم المصريون القوات بنيران المدفعية والطائرات وبصواريخ مضادة للدبابات اطلقت من خلف القناة. وحول رد المجموعة قال العميد طال: قام المصريون باطلاق النار بعد وقف اطلاق النار الذي اعلن في الجبهة الشمالية. ورددنا بنيران مدفعية وبنيران دبابات الى معسكراتهم خلف القناة، وبما ان الحادث وقع بعد اعلان وقف اطلاق النار، وبما انني اصدرت اوامري لرجال المدفعية بالرد على كل قذيفـة مصرية بقذيفتين اسرائيليتين، شعر المصريون - واعتقد لأول مرة بشعور مستوطناتنا الحدودية على الحدود السورية وعلى حدود قطاع غزة، ففهموا الاشارة واوقفوا النار..

هنا انتهت حرب الايام الستة في الجبهة الجنوبية بالنسبة لمجموعة طال.

لـواء «يشـكا»

قال العقيد يسسكار [يشكا] شدمي قائد اللواء ٢٠٠ التابع لمجموعة العميد ابراهام ايفه: ان الامر «بساط احمر» والذي يعني المباشرة بالحرب قد تلقيناه في حوالي الساعة ٨,١٥ من صباح الخامس من حزيران، فقامت وحدة هندسية تابعة للمجموعة بتغطية وحدة استطلاع لوائية معززة بالدبابات باختراق حقل الالغام المزروع على الحدود، على طريق نيتسانا ـ رفح، بدون مقاومة، وفي الساعة ٩,١٠ اجتازت وحدة الاستطلاع الحدود، وفي اعقابها اجتازت المجموعة، وتقدم اللواء في رتلين: الرتل الاول كان طاقم استطلاع وبعده كتيبة دبابات بقيادة المقدم ابراهام برعام ووحدات هندسة ومدافع متحركة وقادة المجموعة. وهذا الرتل توجه شمالا نحو مثلث بير لحفان الذي من المقرر ان ينقسم فيه هذا الرتل الى رتلين متوازيين بين الكثبان الرملية. واما الرتل الثاني فشمل طاقم استطلاع وبعده تحركت كتيبة المقدم (فدله) بيلد وقوة مشاة مدرعة، وكلف هذا الرتل بالتحرك شمالا على طريق نيتسانا ـ رفح لكي يتصل بعد ذلك مع الرتل الاول. وكان الافتراض ان العملية على هذا المحور ستكون اسهل من العملية على القسم الاول من المحور المؤدي الى مثلث بير لحفان. ولهذا فان هذا الرتل سيتقدم بسرعة. ولكن اثناء التنفيذ اتضح ان الصورة ليست كذلك.

وبالفعل، فقد كانت بانتظار لواء «يشكا» مفاجآت كثيرة في حرب الايام الستة، وكـانت كتيبـة ابراهام برعام كتيبة احتياط، وكان قائدها فقط ضابط في الخدمة الدائمة. وكان المحور الذي خصص للواء يقع بين المحور الشمالي (حيث عملت مجموعة العميد طال ـ على طول قطاع غزة والشاطىء وحتى القنطرة في طرف قناة السويس وبين المحور المركزي (الذي عملت عليه مجموعة العميد شارون والذي يشمل مواقع ام كتف، وابو عجيلة). وكان هذا المحور صعب الحركة، وأشر عليه في الخارطة بأنه غير قابل للعبور. وكان معظم هذا المحور مكون من تلال رملية. وقدر المخططون في الجيش الاسرائيلي، ان العدو لن يحشد فيه قوات غلق كبرى وانه سيمكن للعميد يافه قائد المجموعة في الوسط، ان يشكل وان يظهر في اجنحته ومن خلف العدو المصري الذي سيصاب بالمفاجأة.

صحيح انه كان من شأن المدفعية الموجودة في مناطق العدو في الشمال وفي

منطقة ابو عجيلة في الجنوب ان تضرب هذا المحور الذي لا ينطوي على امكانيات انتشـار او الحصـول على ملجـأ، ولكن المخططين قدروا ان المصريين سيكونون مشغولين في محاولة وقف تقدم قوات طال وشارون. ولهذا قدروا ان العدو الذي سيضطر برعام للتغلب عليه في البداية سيكون الرمل. وكان الهدف الاول للواء، مثلث طرق وتلة رادار سيطرت عليه كان يجب احتلالها، وقامت كتيبة برعام باقتحام واحتلال هذا الهدف. وبما ان الظلام قد حلّ، انتشرت الكتيبة لقضاء تلك الليلة، ولكن لم تكن هناك امكانية للمبيت، فقد كان على الكتيبة ان تغلق المثلث، ومع هذا عليها ان تحذر من هجوم من جانب القوات المصرية في بير لحفان القريبة.

وفي اللحظة التي وصلت فيها الكتيبة الى المثلث تعرضت الى قصف شديد استمر حتى ساعات الصباح. وكان افراد الكتيبة بحاجة الى وقت حتى انهم تعودوا على اصوات الانفجارات، وعندما اعتادوا لم يعودوا يذعنون لعملية القصف، وكان كل اهتمامهم منصب على القيام بوظائفهم المختلفة، وبعد التمركز في المثلث في اقل من ساعة اعلن قائد احد السرايا، وهو النقيب حاييم انه يسمع صوت تقدم دبابات على الطريق، فأجابه القائد بقوله: عندما تبدأ برؤيتها ابدأ الرماية عليها.

"عدو يلحق بي!"

عندها ظهرت قافلة مصرية من جهة الجنوب، من جبل لبنى. وكانت القافلة طويلة ولا نهاية لها. وبينت ذلك الاضواء الخافتة الصادرة عنها ـ وبعد ذلك اتضح ان هذه القافلة هي اللواء المصري ١٤١، وهو لواء حرس الرئيس، وهو قوة مختارة تحرك معه لواء مشاة معزز بكتيبة مشاة ومدفعية. وكانت كتيبة برعام اصغر من ان تواجه مثل هذه القوة بقتال منظم. وكان لا بد من مفاجأة العدو ووقف تقدمه على مسافة ما من المثلث واطلاق النار عليه بكثافة عالية. وعملت الكتيبة بصورة تناقض اللقب الذي اطلق عليها وهو الكتيبة الخضراء، وتسببت الضربة الاولى التي وجهتها الدبابات والمدافع المتحركة (من نوع بريست، البريطانية من عيار ١٠٥ملم، في حرق حوالي ٦ دبابات وعدة شاحنات مصرية، فاطفأت القافلة انوارها فورا ولكن ألسنة النار التي تصاعدت من الدبابات التي كانت قبل ساعة آليات مقاتلة احدثت نورا مكّن رجال برعام من مواصلة اطلاق النار. وقد اصيبت الدبابات المصرية التي

كانت خارج دائرة الضوء بسبب وميض القنابل، وقد تطايرت القذائف في جميع الاتجاهات. في البداية كانت المفاجأة كلها من نصيب العدو، ولكن فجأة فوجىء الجنود الاسرائيليون ايضا، فقد بدأت دبابات من كتيبة برعام، كانت تقف في الظلام ولم تطلق النار مطلقا، ولهذا كان يجب ان لا ترى، تصاب الواحدة تلو الاخرى، ولكنها لم تدمر. وشعر المحاربون وكأن «ابن عاهرة» بدأ يخبط بمطرقة على صناديقهم الفولاذية، وكانت دباباتهم تصاب بالارتجاج واصبح الغبار يغطي افراد الطاقم داخل الدبابات، وكانت النتيجة ان الدبابات المصرية كانت مزودة بأجهزة للرؤيا الليلية اشعة ما تحت الحمراء، وقد طلع الفجر. وبواسطة جهاز اللاسلكي سمع برعام صوت قائد السرية النقيب جي يقول: يا الله. انظر كم عدد الدبابات. فصعد برعام الى موقع مراقبة وشاهد حوالي ٧٠ دبابة مصرية متحركة وحوالي ١٢ دبابة محترقة من القتال الليلي، وبدأت الدبابات الاسرائيلية، والمدافع المتحركة وسلاح الجو بمشاغلة القوة المصرية، فانسحب المصريون الى مسافة ٤٠٠٠ متر خارج مدى المدافع الاسرائيلية وتم انسحابهم في ساعة مريحة لبرعام لأن دباباته استنفذت الوقود والذخيرة واصبحت بحاجة الى صيانة، فأرسلت اليه سرية دبابات من الكتيبة الاخرى فرع اللواء وعندما كان يتبادل الرماية مع العدو بدأ برعام يدخل في الخط فئة جديدة ويسحب فئة اخرى للتزود بالوقود وبالذخائر.

كانت منطقة اعادة التنظيم تتعرض للقصف طيلة الوقت، وكانت هناك شاحنات محملة بالوقود وبالذخائر، واي اصابة لها كانت ستطير كل شيء الى الاعلى، ولكن رجال الرتب وهم العجز من رجال اللواء، واصلوا العمل وكأن شيئا لم يحدث حولهم، وفي كل مرة تصلهم فيها دبابة كانوا يركضون نحوها ويساعدون طاقمها في صيانة الدبابة.

وبعد ان استعرض قائد اللواء الوضع ووقف على مدى انسحاب العدو نحو جبل لبنى امر برعام بمطاردة العدو، وكانت الكتيبة قد اصبحت ضعيفة جدا. وصعدت دبابة على لغم في الطريق وانتظر طاقمها الى ان يتم اصلاح جنزيرها الذي تضرر. وكانت اربع دبابات في مرحلة انقاذ من الرمال واصيبت دبابة في برجها وفقدت القدرة على التسديد. واما كتيبة جي فقد احترقت، وبدا الارهاق على وجوه جميع المقاتلين. ولم يكن امام اي واحد منهم متسع من الوقت للنظر الى ساعته منذ

ان خرج الى القتال ولكن عضلاتهم آلمتهم والآلام بدت على وجوههم باستمرار، ورغم هذا كله كان عليهم ان يواصلوا حركتهم، وعزز قائد اللواء الكتيبة وألح على قائدها ان يبدأ بمطاردة المصريين. وبما ان سرية جي فقط فرغت من عملية التزود بالوقود والتسليح نادى برعام بواسطة الجهاز على كل من فرغ ان يتبعني.

خلف الدبـابات الاولى تحركت مجموعة القيادة لقائد اللواء، وفجأة نادى العقيد شدمي المقدم برعام قائلا ان عدوا يلاحقني فنظر برعام الى الخلف وساد الظلام عينيه، ففي اعقاب مجموعة القيادة سارت مجموعة من الشاحنات المصرية المحملة بالجنود المسلحين بالاسلحة الرشاشة ومن ورائهم كانت تسير دبابة، ولهذا فان قذيفة تطلقها هذه الدبابة ستقضي على جميع قيادة اللواء لو لم توجد شاحنات مصرية بينها وبين قيادة اللواء. ورد عليه المقدم برعام بفتور قائلا: افسح لي مجال رماية وتوجه الى الخلف، وفي اللحظة التي نزلت فيها مجموعة القيادة عن الطريق امطر برعام القافلة المصرية برماية شديدة، وفي البداية دمر الدبابة الخطيرة. وبعد ذلك اشعل النار بحوالي ٦ شاحنات مصرية وفقد قائد الشاحنة الاولى السيطرة على المقود واقتحم مباشرة دبابة القائد. واطلق عليه برعام النار من مسدسه، فانقلبت الشاحنة على جانب الطريق. انتظم الرتل من جديد وتقدم نحو جبل لبنى. وبسرعة فائقة انتظم اللواء في خط عرض: كتيبة برعام من الشمال و«يشكا» والمدفعية في الوسط وكتيبة «فدلة» في اليمين وكانت تتمركز امام كتيبة برعام في مواقع رماية جاهزة سلفا حوالي ١٦ دبابة مصرية. وكان من الصعب جدا اصابتها من الامام، فأمر برعـام «جي» ان يصل اليها من جناحها، ومع هذا زاد من رمايته المباشرة على الدبابات المصرية لاشغالها، وساعدته ايضا حقيقة ان المصريين كانوا يحاربون من داخل الدبابات ولم يلاحظوا ما يجري في اجنحتهم، ووصل «جي» ونائبه تسور الى جناح القوة المصرية وبدأ باطلاق النار. فأشعل تسور ٦ دبابات، واما الدبابات الاخرى فأصابها آخرون من الجناح ومن الامام، وفي جبل لبنى بقيت قافلة طويلة من الدبابات المصرية خاوية على عروشها.

قائد الكتيبة نزل من الدبابة

في مثلث قصيمه ـ جبل لبنى اجتمعت كتيبة برعام لاستراحة ليلية، فقد امضى

الجنود ٣٦ ساعة من الحركة المتواصلة والقتال. وفي هذه المنطقة بدأ رجال الدروع الاسرائيليون يرون اعمدة غبار متصاعدة وطويلة الى اليسار منهم. وقد احدثت هذه الاعمدة من الغبار قوافل معادية طويلة تحركت بسرعة نحو ممر المتلا. وقد ورد خبر من قيادة المجموعة يقول: انهم انسحبوا ويجب عدم السماح لهم بالمرور، اخرجوا فورا وأغلقوا طريقهم!.. فأجاب المقدم برعام قائلا: ولكن بقي لنا وقود يمكنا من المسير ٩٠ دقيقة فقط. ولم يتحدث مطلقا عن موضوع الارهاق. وكان الجواب: لا يوجد خيار. تقدم بقدر المستطاع وانصب حاجزا. وسنرسل اليك امدادات ونجدة. وهنا جمع المقدم برعام لديه كل دبابة تحمل كمية معقولة من الوقود وبلغ عدد هذه الدبابات ١٢ دبابة ولكن بعد ان قطع بدباباته مسافة كيلومتر واحد توقفت ثلاث دبابات منها. فقد نفذ الوقود من خزاناتها. واما البقية فواصلت المسير ومعها فئتان من المشاة المدرعة، وثلاثة مدافع متحركة وسيارتا جيب استطلاع، وكذلك دبابة قائد الكتيبة واربع مجنزرات قيادة. وجرت الحركة داخل بحر من جنود المشاة، والآليات والمدرعات التابعة للعدو. واطلق جنود برعام النار فقط على المدرعات لأنه لم يكن بإمكانهم ان يتأخروا ولم يكونوا يريدون تبذير الذخيرة، وكان يجب الوصول الى بوابــة المتلا واغلاقها بالرماية وليكن ما يكون. والا فان قسما كبيرا من الجيش المصري سينسحب من شبه جزيرة سيناء دون ان يتضرر، ويستطيع اعادة انتظامه من جديد خلف القناة. وعلى بعد ثلاثة كيلومترات من نصب باركر الواقع في بداية ممر المتلا توقفت دبابة جي، وقال برعام: لا تتركوا معدات في هذا المكان. وعليه قام الجنود بربط دبابة جي وجروها، وعند المثلث القريب من نصب باركر توقفت دبابة القائد، فعاد رافي عدان، قائد الفئة التي سارت امامه الى الخلف لجر الدبابة. وامام انظار الآلاف من المصريين المذعورين، والمنسحبين نزل قائد كتيبة الدبابات الاسرائيلية لربط دبابته بدبابة جر. ولم يطلق احد من الجنود المصريين النار على القائد، وربما اعتقدوا بأن تلك هي قوة دبابات سنتوريون مصرية كانت في الشمال وهي في حالة انسحاب. وكان من الصعب عليهم الايمان بأن الجيش الاسرائيلي قد وصل الى هذا العمق الكبير في سيناء. ولكن بعد ان عاد ابراهام الى دبابته عرف المصريــون هويــة القــوة الصغــيرة، فســددت دبــابة مصرية مدفعها نحو القافلة الاسرائيلية. فأمر برعام قائد السرية حاييم بضربه، فأطلق حاييم النار على الدبابة

المصرية وعلى شاحنة محملة بالجنود كانت بالقرب منها، وبدون ان ينتظر اي رد كان استأنفت القافلة الاسرائيلية حركتها بسرعة فائقة.

وبعد قطع مسافة قصيرة وجد قائد الكتيبة مراده: وهو بمثابة حفرة بقطر ٥٠٠م كانت تحيط بجانبي الطريق. وهنا كان يوجد موقع مصري محصن يشتمل على استحكامات وقنوات اتصال. وفي عملية مشتركة بين الدبابات وقوة المشاة المدرعة تم احتلال الموقع وتطهيره، وهناك وضعت الدبابات الاسرائيلية ووجهت مدافعها نحو حركة القوات المصرية المنسحبة. وتم توجيه دبابتين نحو الجهة الخلفية من الموقع لمنع تقدم مصري من هناك ولضرب المصريين الذين سينجحون في المرور من امام المصيدة الاسرائيلية.

نزل جنود المشاة المدرعة من المجنزرات وفتشوا وطهروا جوانب الحفرة وبعد ذلك احتل بعضهم مواقعهم على الدبابات واما الباقون فتمركزوا بين الدبابات وامامها لحراستها من قوات المشاة المصرية. وفي الوسط وضع برعام بطارية مدافع هاون من عيار ١٢٠ملم بدأت فورا باطلاق النار على المثلث. غابت الشمس، واشرف الجنود على الانهيار من شدة التعب بعد اكثر من ٦٠ ساعة من النشاطات المتواصلة. ومن الكتيبة كلها وصلت الى نقطة المصيدة تسع دبابات فقط كانت اثنتان منها خاليتين من الوقود وتستطيع فقط استخدام رشاشاتها، وتتطلبت عملية الغلق في الظلام وسائل انارة، فأرسل المقدم برعام احد ضباطه لقلب شاحنتين مصريتين في مدخل منطقة الغلق واضرام النار فيهما.

وبعد ان اشعلت الشاحنتان بدأت آليات مصرية تصل الى نقطة الاغلاق، ولم يسمح لهم بالوصول الى الحاجز المشتعل. فقد بذلت كل الجهود الممكنة لتدميرهم من بعيد ولكن الامر الذي فاجأ جنود نقطة الاغلاق لم يمنع المصريين من التدفق الى ممر المتلا وربما انهم لم يتصوروا وجود كمين اسرائيلي هناك. وبالاضافة الى ذلك كان المصريون مذعورين من الحرب المستمرة ومن الانسحاب المتسرع. في الواقع اطلقت بعض دباباتهم ومجنزراتهم النار على نقطة الكمين الاسرائيلي ولكن ذلك لم يكن هجوما منسقا ومركزا. فقد اطلقوا النار وتقدموا، ومن ثم عرضوا أنفسهم للتدمير. وهذا الامر انطبق على جنود المشاة الذين كانوا منسحبين افرادا وزرافات.

أسـلحة نـووية ؟

بدأ الارهاق يقهر أفراد الكمين، وفي حوالي الساعة الثامنة مساء ابلغ برعام بأن النجدة اصبحت قريبة منه. وشملت هذه النجدة بطارية مدافع متحركة وعدة آليات محملة بالوقود والذخيرة، ولكن قوة النجدة واجهت مشاكل. فعلى بعد حوالي كيلومتر واحد من نصب باركر اختلطت قافلة مصرية بالآليات الاسرائيلية. وسار الجميع على ضوء المصابيح العادية للآليات، في حين كان الملازم الاول عاموس قائد بطاريـة المـدافـع المتحركة (في الاحتياط) يعلم بأن مصريين يسيرون حوله واما المصريون فلم يكتشفوا من يسير بينهم.

اتصل به برعام وقال له: امام كميننا توجد شاحنتان تحترقان. وبعد ان تجتازهما قف جانبا واعرف آلياتك.

مر عاموس امام نقطة الحاجز المحترق وبدأ يتصل في الجهاز: الآلية الاولى - آليتي والثانية مصرية، فانطلقت قذيفة، فانضمت الدبابة المصرية الى الدبابات الاخرى التي دمرت واستمر الملازم بتمييز الدبابات المصرية واستمر تدميرها حتى ان مرت جميع القافلة الاسرائيلية، فتنفس الملازم عاموس الصعداء وامر سائقه بأن يسير في مؤخرة القافلة وينضم معها الى الكمين الاسرائيلي، وفي هذه اللحظة سمع صوت انفجار ضخم، واتضح ان واحدة من الشاحنات التي وضعت كحاجز كانت محملة بالالغام والمواد المتفجرة الاخرى قد انفجرت، وتحرك المدفع المتحرك الذي يستخدمه الملازم عاموس ووزنه حوالي ٢٣ طنا مسافة اربعة امتار الى الامام من شدة الانفجار واصيب جميع مستخدميه بهزة مروعة، بعد ان صحا عاموس قال هازلا: لقد اعتقدت لأول وهلة بأن المصريين يمتلكون سلاحا نوويا، بعد ذلك تفرغ برعام لعملية التزود بالوقود والذخيرة، وعندما كانوا يقومون بهذه المهمة سمع صوت مجنزرات على الطريق. وقد صدر هذا الصوت عن مسير دبابات كثيرة، وبما ان شاحنة الحاجز انفجرت وطيرت شقيقتها المحترقة، فتح الممر ولم يتمكن احد من اغلاق الطريق من جديد عن طريق اضرام النار بشاحنة اخرى، وهنا وجه برعام مدافـع الهاون التابعة له الى المنطقة الخلفية من نقطة الحاجز كاسناد لدبابات حاييم. ووجه المدافع المتحركة الى واجهة نقطة الحاجز وخاصة الى المثلث، واستخدم للانارة قنابل فسفورية يطلقها مدفع هاون صغير من مدافع المشاة المدرعة، وقد

اطلقت هذه القنابل من خلال حرص شديد لأن الليل ما زال في أوله.

في الوقت الذي اعـاد فيه جنود برعام تنظيمهم نظم المصريون أول هجوم حقيقي، وباسناد نيران المدفعية التي لم تكن هادفة جدا لأن مواقع افراد الكمين الاسرائيلي كانت جيدة، اقتحمت ممر المتلا عدة دبابات مصرية احداها من نوع تي٥٤ والاخـرى كانت مدافـع متحـركـة مضـادة للدبابات وللطائرات من نوع اس يو ١٠٠، وتمكنت الدبابة الاولى من المرور امام قوة الاغلاق كلها واصبحت خلف الدبابات الخلفية بقيادة حاييم.

في هذه الاثناء وصلت الآليات المدرعة المصرية الاخرى الى قلب نقطة الكمين، ولم تستطع الآليات المدرعة الاسرائيلية استخدام مدافعها خوفا من ان تخطىء آليات العدو وتصيب بعضها بعضا، وعليه فقد استخدمت فقط المدافع الرشاشة المركبة على الدبابات والمجنزرات، وعمل جنود المشاة للواء المدرع كجنود مشاة تماما - خارج المجنزرات، ومن داخل الخنادق والقنوات، فتمكنوا من اضرام النار بالدبابة المصرية الاولى. وعندما كانت تلتهب وصلت الى الجانب الخلفي من نقطة الكمين. وهناك اهتم بها حاييم. وحظيت الدبابات المتبقية باهتمام مشابه، وتلقى احد المدافع المتحركة كان منصوبا في وسط نقطة الاغلاق امرا بأن يعمل كدبابة. وقام المدفع باطلاق النار بواسطة تسديد مباشر وكان فتاكا جدا.

لقد تم تحطيم الهجوم المصري الاول ولكن بعد عشرين دقيقة اخرى تجمعت في مدخل الممر دبابات مصرية وارادت اختراقه، فلم يكن امامهم خيار لأن ممر المتلا كان المخرج الوحيد لهم نحو القناة ومصر. واستعدادا للهجوم المصري القادم سارع افراد الكمين الى تزويد آلياتهم بالوقود وبالذخيرة. وفي ذروة هذه النشاطات اتصل المقدم برعام بالعقيد شدمي واطلعه على الوضع. وفي الوقت الذي كان يتكلم فيه شوهدت انوار قافلة قادمة من جهة نصب باركر وسمعت اصوات محركات دبابات، وقال برعام: لقد غمرونا!..

وفي هذه اللحظة بالذات في حوالي الساعة الواحدة بعد منتصف الليل اطلقت النار على الآلية المصرية القريبة جدا. وقد اشتعلت النار بالآلية فنزل منها جنودها وتركوها فارين الى داخل الممر. ووصل حوالي عشرة منهم الى مجنزرة القيادة فخبط قائدهم بيده على المدرعة وسأل من انتم؟ فاتصل برعام قائلا: جنود من المشاة

المصرية دخلوا الى مجنزرتي وقطع المكالمة، وقد تصور «يشكا» بمخيلته نهاية هذه الكتيبة التي كانت منهكة من القتال ومرهقة ومحاطة بالاعداء. ولكن لم يكن هذا الوضع في نقطة الاغلاق، فانزل برعام جهاز الاتصال من يده واطلق من مسدسه النار على الضابط المصري الذي ضرب بيده على مجنزرته. وقضى على الآخرين بعملية جريئة الجندي يهوشع عوفاديا من قوة المشاة المدرعة.

سلاح الجو يصل ...

دخلت ناقلة جنود مصرية الموقع الاسرائيلي، فأمر قائد الكتيبة، جنود المشاة المدرعة بمهاجمتها، فهجم الرقيب الاول يركوني اكبر افراد الموقع سناً وكان قد حارب بقيادة يجآل ألون في حرب عام ١٩٤٨ وبقي في قوات الدروع الاسرائيلية كمتطوع، رغم سنه، على رأس مجموعة من اربعة جنود، وألقى قنبلتين يدويتين ورش ناقلة الجنود المصرية بصليات من رشاش عوزي كان يحمله، وحتى هذا الهجوم تم صده والقضاء عليه ولكنه لم يبق مزيدا من القوة لدى الجنود الذين بقوا على قيد الحياة. وساعد المصريون قائد الكتيبة على المحافظة على يقظة جنوده. فلم يتوقفوا عن مهاجمة الموقع وطالما عمل الجنود فان الفرح لم يقهرهم. جاء الفجر وصبغ باللون الوردي المضيق واحتمالات نجاة الكمين، فتلقى القائد خبرا بأنه ستصل اليه نجدة وان طائرات من سلاح الجو ارسلت لمساعدته، فنبض القلب لكن الوضع ظل متوترا، فتقدمت ٢٨ دبابة مصرية من ممر المتلا وفي اللحظة التي وصلت فيها قافلة العدو الى مدخل الممر اطلقت نيران كثيفة عليها، فهرب جنود المشاة المصريون من آلياتهم، وارسل برعام، جي لتدمير دبابات بدأت بالانتشار. وقد تمكنت السرية من تدمير اربع دبابات منها واتصل جي قائلا ان الدبابات المصرية المتبقية انتشرت لشن هجوم معاكس، فأمره قائد الكتيبة بالعودة فورا. فعاد جي وبداخل احد مدرعاته جنديان اصيبا بالاغماء لشدة التعب. واضطر رجل الاسعاف لجرهما من مقاعدهما لاسعافهما في استحكام قائد الكتيبة. وعندها وصلت طائرات سلاح الجو.

استمرت عملية الغلق حتى ساعات الظهر ولكن الضغط بدأ يخف وعندما وصلت قوة التعزيز سمح لكتيبة برعام بأن تخرج من مواقعها وان تعود الى بير تماده

وهي مرهقة تماما. لقد دمرت الكتيبة في ممر المتلا في اطول ليلة عاشتها حوالي عشرين دبابة، وقبل ذلك وخلال رحلة القتال التي استمرت حوالي عشرات الساعات دمرت الكتيبة حوالي ٥٠ دبابة اخرى. ولم يكلف شخص نفسه عناء حصي الآليات الاخرى او الجنود المصريين الذين اصابتهم الكتيبة، وخسرت الكتيبة خلال هذه الرحلة ٦ قتلى و١١ جريحا. وتعرضت اثنتان من دبابات الكتيبة لاصابات خطيرة. وكما ان جميع الدبابات الاخرى اصيبت ولكنها جميعا اعيدت للعمل وواصلت الحرب.

وفي بير تماده سمح لكتيبة برعام بالاستراحة بعد حوالي ١٠٠ ساعة من النشاطات القتالية. وماذا حدث بالنسبة لكتيبة الدبابات الثانية التابعة للواء؟

لقد اجتازت كتيبة المقدم «فدله» الخط الاخضر يوم الاثنين الخامس من حزيران ١٩٦٧. وخاضت هذه الكتيبة طيلة يوم كامل حربا ضد الرمال. وكان الخط الذي سلكته الكتيبة طريق متسللين. وفي المساء شاركت الكتيبة في الكمين الذي نصب بالقرب من بير لحفان وهو الكمين الذي قصد به منع ارسال نجدات مصرية من الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء الى مواقع بير لحفان والى قطاع غزة حيث عملت فرقة العميد يسرائيل طال. وفي حوالي منتصف الليل وضعت الكتيبة تحت قيادة العقيد ابراهام ادان نائب قائد الفرقة الذي اراد المساعدة في احتلال ابو عجيلة وهو موقع مصري كان قد احتله عندما كان قائدا لكتيبة في عملية قادش. وبما ان الكتيبة قضت الليلة الاخيرة من عمليات الاستعداد في حالة حركة كانت ليلة ابو عجيلة ثاني ليلة حراسة بالنسبة لها. فالكتيبة لم تشترك في معركة موقع ابو عجيلة لأن مجموعة العميد شارون قد احتلت الموقع. ولكن عندما عادت الى منطقة بير لحفان كلف قائد السرية دافيد بالبقاء في نقطة الكمين.

قال دافيد: تحركت مع السرية ضمن حركة محمية على محور الطريق دون ان اعرف اين ومتى سأشتبك مع العدو. فوجهت سريتي نحو ابو عجيلة، في حين توجهت الدبابات الاخرى نحو بير لحفان.

وعندما بزغ الفجر، ادركت انني موجود بالقرب من معسكر للعدو، فغيرت عملية الانتشار واحتللت عدة هضاب تمكن من السيطرة في اتجاه ابو عجيلة، وما ان انهينا عملية الانتشار حتى بدأت دبابات العدو تظهر من جهة ابو عجيلة. وفجأة

برزت من وراء احدى التلال دبابة من نوع تي ٣٤. وقد شوهدت على مسافة ٢٠٠م فقط، فانطلقت قذيفة من احدى دبابات السرية فدمرتها، وعلى مسافة أبعد ظهرت عدة دبابات من نوع تي ٣٤ واس يو ١٠٠. وقامت السرية التي رابطت في مواقع جيدة باطلاق نيران كثيفة وسريعة على هذه الدبابات واجهزت عليها، وبعد ذلك بحوالي ساعة ونصف ظهرت عدة دبابات من نوع تي ٣٤ على مسافة ٢٠٠٠م وتلقت هي الاخرى معاملة مشابهة، فقد تمكنا من تدمير حوالي عشر دبابات قبل ان يأمرني قائد الكتيبة في الساعة ١١,٠٠ تقريبا بالعودة والانضمام الى الكتيبة في منطقة بير لحفان.

عندما كانت سرية دافيد تقوم بايقاف دروع العدو وتدميرها في منطقة الكمين القريبة من ابو عجيلة لم تقف السرايا الاخرى في الكتيبة مكتوفة الايدي، ولذلك كانت كتيبة اخرى من اللواء تخوض معركة مع دبابات مصرية، من اللواء الذي تحرك من الجهة الجنوبية الشرقية، وقد نفذ منها الوقود والذخيرة فأدخلت سرية واحدة من كتيبة «فدله» ويقودها طوفيا، الى خط الرماية والمعركة دائرة ومكنت الكتيبة الاخرى من التفرغ للتزود بالوقود وبالذخيرة، وخلال ساعات الظهر من يوم الاربعاء، كانت كتيبة المقدم بيلد محشودة كلها في منطقة بير لحفان في حين ان سريتين منها انهتا لتوهما اليوم الاول من الحرب. وبعد ساعات الظهر تحركت الكتيبة من منطقة بير لحفان نحو جبل لبنى. وكانت منطقة العدو في هذا المكان واسعة وشوهدت فيها العشرات من الدبابات، ولهذا قرر قائد اللواء شن هجوم يشارك فيه اللواء كله.

المعركة اللوائية

انتشر اللواء بسرعة، وكأنه تمثيل في فيلم هوليودي: قوة من اليسار، وقوة في الوسط وكتيبة فدله في اليمين. وكانت اشعة الشمس مقابلة لأعين جنود الكتيبة الذين توجهوا نحو الجنوب الغربي، وقال قائد الكتيبة: ابلغت قادة السرايا بأننا سنهاجم وشرحت لهم الخطة. وقلت لهم انني سأسير في الوسط على ان تسير سرية طوفيا الى يميني وسرية موستر الى يساري، اما سرية دافيد فأرسلت الى الطرف الشمالي من الكتيبة المجاورة، وهكذا خرجت من واجهة كتيبتي.

وقد تمكنت السرايا الاخرى في الكتيبة من جباية ثمن باهظ من العدو. وكلما كانت المسافات ابعد، كانت قذائف الدروع الاسرائيلية لا تحدث اثرا في الدروع المصرية وواصل المصريون القتال، ولكن عندما شاهدوا ان حوالي ٦ دبابات تابعة لهم تحترق كانت تكفي ان تصيب قذيفة برج دبابة مصرية ليتركها طاقمها ويهرب منها مذعورا، وفي نهاية تلك المعركة دمرت كتيبة بيلد ١٦ دبابة معادية. عندما كانت المعركة في منطقة جبل لبنى دائرة على اشدها وصلت قافلة التموين، وتم اخراج الدبابات من خط القتال واحدة، واحدة للتزود بالوقود وبالذخيرة، وانتهت المعركة الكبرى في ساعات المساء حيث تم هناك تدمير العشرات من الدبابات المصرية.

دخلت كتيبة المقدم بيلد الى نقطة مبيت ليلي، وكان افرادها مرهقين من التعب حيث انهم لم يغمضوا جفونهم منذ يومين كاملين. ولكن املهم في الراحة سرعان ما تلاشى، فقد تعرضت نقطة المبيت لقصف مستمر، وفي غداة اليوم التالي تم القاء القبض على خمسة ضباط مراقبة امامية للعدو، واتضح ان هؤلاء من اماكن مراقبتهم الجيدة على رأس الجبل شاهدوا القوة الاسرائيلية وكأنها على كف اليد ووجهوا مدافعهم اليها. ولكن رجال المدفعية المصرية لم يكونوا جيدين كضباط مراقباتهم، ولهذا فانهم لم يلحقوا خسائر بالقوة الاسرائيلية في نقطة المبيت، غير انهم تمكنوا من ازعاج رجال الدروع فقط.

في ساعة متأخرة من الليل تلقت الكتيبة امرا بالتحرك نحو ابو عجيلة وفتح محور امام لواء آخر من مجموعة يافه. فتحرك المقدم بيلد ورجاله لتنفيذ المهمة. وعلى طول عشرات الكيلومترات التي قطعوها دمروا اعدادا كبيرة من المدافع المصرية المضادة للدبابات، ومدافع ميدان، وشاحنات محملة بمواد لوازم وجنود مشاة، وفي احدى النقاط على الطريق ظهرت من الامام شاحنة مصرية وهي تسير في حركة جنونية فاصطدمت بدبابة طوفيا، فوقف ركابها الذين بقوا على قيد الحياة بعد حادث الاصطدام ووضعوا أيديهم على أسلحتهم فسارع طوفيا لالقاء قنابل يدوية عليهم ورشهم بصليات من رشاش العوزي.

عندما اصبح في وسط الطريق الى ابو عجيلة، تلقى بيلد امرا بالتوقف، ومن مسافة بعيدة من جهة ابو عجيلة شوهدت دبابات تابعة للواء آخر في مجموعة يافه. وعلى طول الطريق كانت قوات العدو تسير في حركة انسحاب عشوائية وكل آلية

مصرية كانت تسير وكانت ذات قدرة قتالية، دمرت. كما تم الاجهاز على جنود المشاة الذين كانوا يطلقون النار. وتمكن جندي مصري واحد من اطلاق النار على قائد احدى الفئات وقتله.

مصري في دبابة رابينوفتش

تلقت كتيبة المقدم بيلد امراً بالعودة الى بير حسنة. وتحركت، وقبل ان تصل بير حسنة بمسافة ١٥كم توقفت للتزود بالوقود وبالذخيرة. وبعد ذلك تحركت نحو نقطة تجمع اللواء في بير تماده. وارسلت احدى السرايا لفرض النظام في بير حسنة وهو موقع للعدو تم احتلاله من قبل كتيبة اخرى في اللواء ولكن لم يتم تطهيره نهائيا، وقامت هذه السرية وهي سرية دبابات مرتجلة بتنفيذ مهمتها بصورة عادية، فقد اطلقت النار من اسلحة خفيفة، من خلال الحركة، في كل مكان اصطدمت به بقوة مشاة او بموقع معاد مضاد للدبابات. وبالقرب من بير حسنة نصبت السرية كمينا لقافلة جرارات مدافع، وتمكنت من تدمير آليات القافلة واما المصريون الذين رفعوا ايديهم فقد جردوا من سلاحهم، وتم تضميد جراح الجرحى بينهم. وتم ادخال الجميع في معسكر اسرى مرتجل، واستمرت حركة القوافل المصرية من الجنوب وكأنها كانت تسير في شارع ديزنكوف في تل ابيب، وقد اتضح ان المصريين لم يتصلوا بالقوات الخلفية ليبلغوها بما حدث معهم. وعندما وصلت الى المكان كتيبة ابراهام يافه، سمح للسرية بالعودة الى نقطة تجمع اللواء، وكان الثمن الذي دفعته السرية مقابل الخسائر البشرية الجسيمة التي الحقتها بالعدو يتمثل في اصابة اربعة جنود بجروح طفيفة اصيبوا نتيجة الارتجاج عندما اصطدمت دبابتهم في خندق وجندي آخر جرح عندما اصابت طلقة خوذته واصيب بجرح بسيط في رأسه.

عندما كانت السرية تتزود بالوقود وبالذخيرة وتستعد للاندماج بالقوة الرئيسة للكتيبة واللواء تلقى قائد الكتيبة امراً من قائد اللواء للمرور في ممر الجدي والتقدم نحو قناة السويس، وفي تلك الساعة ارسلت كتيبة برعام لاغلاق ممر المتلا، ولكن قبل ان يتمكن المقدم بيلد من المسير طويلا، الغى الامر السابق وارسلت الكتيبة لانقاذ سرية استطلاع شنت عليها قوات العدو هجوما في منطقة المطار في بير تماده،

وقد سارت سرية طوفيا في المقدمة وفي ساعات الليل دمرت المصريين الذين ضايقوا سرية رجال الاستطلاع.

والآن تلقى بيلد امراً لنصب كمين في مثلث بير تماده ـ المتلا ـ بير حسنة لتدمير قوافل العدو التي كانت تسير من جهة تمد ـ نخل.

خلال ساعات الليل دمرت العشرات من الشاحنات وقتل المئات من الجنود المصريين كما تم تدمير عدة ناقلات جنود ومدافع مضادة للدبابات واربع دبابات، وقد أضاءت الآليات المشتعلة الصحراء ـ وكأنها مشاعل عيد الحصاد. وفي ساعة متأخرة من الليل وصلت سيارة جيب مصرية الى داخل نقطة التجمع، وعندما اصطدمت بمنجزرة اسرائيلية صرخ الضابط المصري الذي جلس في الجيب: انا مصري! انا مصري! وكان مقتنعا بأنه وصل الى نقطة تجمع مصرية وخشي ان يطلق زملاؤه في السلاح النار عليه.

وعلى مسافة قصيرة من هناك توقفت سيارة شحن مصرية عند دبابة اسرائيلية اغلقت الطريق وصرخ سائقها باللغة العبرية قائلا: تحرك عن الطريق يا غبي، فانطلقت صلية من رشاش عوزي فأوقفته على خطئه. وهرب المصريون الذين كانوا يركبون في صندوق الشاحنة الى داخل نقطة التجمع وبما انهم جوبهوا بالرماية ارتبكوا جدا، فقفز احد المصريين الى داخل دبابة رابينوفتش.

بعد ان فرّ المصريون من الشاحنة التي اصيبت اضاء احد جنود الدروع بواسطة مصباح جيب على جوانب صندوق الشاحنة ولكنه لم يلاحظ شيئا، فعاد الى دبابته، وفي غداة اليوم التالي فوجىء عندما رأى اربعة من الجنود المصريين ينزفون دما في صندوق الشاحنة، فلو كانوا يتحلون بالشجاعة لتمكنوا خلال الليل من اصابة رجل الدروع الذي اضاء عليهم بمصباحه.

وبما ان عدد الآليات المصرية التي دخلت خطأ نقطة التجمع قد ازداد باستمرار، برزت امام المقدم بيلد مشكلة: كيف يمكن التمييز بين الصديق والعدو خلال هذه البلبلة العارمة؟ ووجد الحل في اضرام النار في عدة آليات مشطوبة من آليات العدو في نقاط مركزية حول نقطة التجمع. وبذلك امكن اضاءة المنطقة بكاملها.

ان النشاطات المكثفة التي فرضت على كتيبة المقدم بيلد طيلة ساعات الليل، قضت على الارهاق الشديد الذي كان يعاني منه رجال الدروع. وحتى القائد نفسه،

الذي قام بإجراء تمارين رياضية في نقطة التجمع الاولى للتخلص من النعاس الذي هدده رغم القصف المصري، لم يشعرِ بأي ارهاق في ساعات الغلق الطويلة.

في ساعات الصباح امرت الكتيبة بالتحرك عبر ممر الجدي نحو قناة السويس، وفي الواقع لم يعد بالامكان تسمية هذه القوة بأنها كتيبة، فقد ارسلت واحدة من سراياها لتعزيز كتيبة برعام التي وصلت ضعيفة الى نقطة الكمين في المتلا، واسندت الى سرية اخرى مهمة حراسة مدرج الهبوط في بير تماده، وارسلت فئة دبابات وفئة مدافع هاون لحماية مثلث بير تماده خشية من امكانية قيام العدو بمحاولة اختراق نحو ممر الجدي، وعندما توجه «فدله» الى مضيق الجدي كانت تحت تصرفه ١٦ دبابة فقط، وقد اصيبت اثنتان منها بأبراجِها واذا ارادتا اطلاق النار بواسطة المدفع فلا يمكن ذلك الا عن طريق توجيه الدبابة كلها [كالطائرة المقاتلة التي تريد ان تطلق النار بواسطة مدافعها او رشاشاتها]، ووضع الجنود لم يكن افضل من وضع الآليات فالجميع كانوا مرهقين جدا ويميلون الى النوم في كل لحظة يتوقفون فيها عن النشاط.

علم أزرق / أبيض

إن رجال الدروع لا يحبون الممرات الضيقة، التي لا تنطوي على مجال للمناورة ولامكانيات الانتشار السريع. وممر الجدي، ممر رهيب بشكل خاص، وليس عبثا ان اطلق عليه رجال الدروع (المتلا الصغير)، فهو عبارة عن واد عميق ترتفع جوانبه من ٥٠ إلى ٦٠ مترا وتشتمل على استحكامات مسلحة، ويرتفع الطريق في هذا الممر الى رأس الهضبة ومن هناك ينحدر الممر عند نهايته نحو قناة السويس، وعلى طول هذه الطريق الضيقة والملتوية التي تمتد حوالي كيلومتر واحد تستطيع ان تسير على الطريق آلية واحدة، وفي احسن الحالات تستطيع آليتان السير جنبا الى جنب، وهذا هو الوضع على طول الخمسمائة متر الاخيرة من ممر الجدي.

رغم ان قيادة اللواء ابلغت بأنه لا توجد اخبار حول وجود قوات دروع في المنطقة فقد نفذ «فدله» حركة رجاله في الممر بحذر شديد وجيد انه فعل ذلك، حيث انه اطلقت من بعض الاستحكامات المحفورة على جانبي الممر النار على القافلة الصغيرة، ولكن تم اغلاق «افواه العدو» فورا بالقذائف. وعلى طول بقية الطريق لم

تبد الاستحكامات ملامح حياة غير ان المقدم بيلد ورجاله لم يعتمدوا على العجائب وكانوا يضعون قذيفة داخل كل فتحة تبدو امامهم.

وصل فدله الى نقطة مراقبة تقع على رأس مضيق الجدي فتراءت امام انظاره منطقة غورية شاسعة على بعد يتراوح بين ١٨٠٠ ـ ٢٥٠٠م وفيها حوالي ٣٠ دبابة مصرية شوهدت وكأنها مهملة، فطلب الملازم الاول «شايتس» احد مأموري بيلد ان يطلق النار على احدى هذه الدبابات الموجودة في السهل. فوافق له، فأرسل الملازم شايتس قذيفة دقيقة نحو احدى الدبابات المصرية في السهل وفجأة دبت الحياة في هذه المنطقة الواسعة، كما تدب الحياة في عش «دبابير» ألقيت عليه حجرا، واتضح فورا ان طواقم بعض الدبابات المصرية كانوا في دباباتهم اما الذين كانوا خارجها فقد اعتلتها بسرعة فائقة طواقم ظهرت من خلف التلال حيث كانوا يتناولون الطعام او انهم كانوا يستريحون. وتم تشغيل الدبابات المصرية ولكنها لم تتحرك.

بما ان دبابة قائد الكتيبة اصيبت في برجها ولم تعد قادرة على اطلاق النار، حمل المقدم بيلد جهاز الاتصال وتسلق الى رأس التلة وعمل كضابط مراقبة ورماية للدبابات الثلاث الاولى التي يقودها طوفيا، وقد استطاع رجال الدروع بقيادة طوفيا اطلاق النار فقط على دبابات العدو البعيدة لأنهم كلما تقدموا نحو طرف التلال لاطلاق النار من هناك على الدبابات الأقرب، كلما اصبحوا مكشوفين لرماية العدو.

في هذه المرة كانت بانتظار فدله ورجاله مفاجأة ليست مريحة، فحتى بعد ان بدأت تصاب دبابات مصرية لم يخرج احد من المصريين من دبابته، ولم يكن من الصعب الاستنتاج بأن هذه قوة جديدة لم تتذوق بعد طعم قوة الدروع الاسرائيلية، وانها جاءت لتوها من مصر لتعزيز القوات المصرية في وسط سيناء.

طلب المقدم بيلد اسنادا جويا، ووعد بالاسناد ولكنهم ابلغوه مرارا وتكرارا بتأجيل تقديم الاسناد الجوي، واخيرا اعلنت قيادة اللواء، انه لن يكون هناك اسناد جوي لمخترقي الجدي، وقال قائد اللواء: عليكم الاكتفاء بالاسناد المدفعي، فسنرسل اليكم مدافع متحركة..

عندما كان فدله ينتظر وصول المدافع المتحركة ابلغه قائد اللواء: ستحصلون على اسناد جوي، فأعدوا قنابل دخانية لتأشير اماكنكم لطائراتنا. فألقى قائد الكتيبة حوالي ٦ قنابل دخانية على فترات متقطعة ولكن الطائرات تأخرت في

الوصول. وما ان وصلت حتى انتهى الدخان ولم تكن لدى الكتيبة قنابل اخرى، وعليه نشر فدله علما اسرائيليا ـ ازرق وابيض ـ ولوح به للطيارين، ولاحظ هؤلاء العلم وبدأوا بقصف الدبابات المصرية.

وعندما كان يقوم بتوجيه الطائرات نحو اهدافها في الوادي الصغير، الذي تصعب على الطائرات المناورة فيه، لاحظ المقدم بيلد بواسطة طرف عينه سبطانة مدفع وجهت اليه من على بعد بضع عشرات فقط من الامتار، فانبسط على الارض ومرت من فوق رأسه تماما صلية رشاش وقذيفة مدفع، وبشكل عام لا تميل الدبابة لمعالجة جندي وحيد عندما تكون هناك دبابات معادية قريبة ولكن يبدو ان المصريين لاحظوا نشاطات فدله النشطة وقرروا تصفيته.

فور اطلاق النار عليه، خرج جنديان من الدبابة المصرية وقاموا بعملية تطويق راجلة، وربما ارادا ان يتأكدا فيما اذا تم قتل القائد الاسرائيلي، وترك المقدم بيلد المصري الاول يصل الى مسافة خمسة امتار منه وعندها نهض واطلق النار عليه من مسدسه فأصيب المصري في كتفه وسقط سلاحه من يده، وطلب منه المقدم فدله باللغة العبرية ان يأتي ويجلس عنده، وفي هذه اللحظة وصلت دبابة الملازم شايتس الى المكان، فصعد فدله عليها واشار الى دبابات العدو. فأصاب شايتس احداها، وفي نفس اللحظة شاهد قائد الكتيبة ان المصري الجريح قد ركض نحو سلاحه الذي سقط من قبل ذلك، ولم يبق خيار سوى ان تتم تصفيته.

في هذه الاثناء احتشدت الكتيبة في الجانب الخلفي لمر الجدي، وقرر قائد الكتيبة استغلال الصدمة التي احدثها الهجوم الجوي ليقتحم عبر منحدر الطريق، وفي الواقع انه بسبب صعوبة المناورة الجوية في سماء الممر الضيق لم تصب طائرات سلاح الجو الا ثلاث دبابات من مجموع ثلاثين دبابة مصرية ولكن معنويات القوة المصرية تعززت في حين ارتفعت معنويات افراد كتيبة «فدله».

لقد كان الامر الذي اصدره المقدم بيلد بسيطا وخطيرا، في اللحظة التي يمكن فيها الانتشار في طرف المنحدر تتجه سرية نحو اليسار واخرى نحو اليمين وعندها نقوم بعملية اقتحام فورية..

بدأت القوة تنحدر بسرعة، وبدأ المصريون باطلاق النار عليها، واصيبت جميع الدبابات خلال عملية الاقتحام ولكن لم يتم تدمير او حرق او شل عمل اي واحدة

منها، وكانت نيران مدافع الدبابات الاسرائيلية فتاكة، فكلما شوهدت دبابة مصرية تطلق النار كانت تقوم دبابة اسرائيلية باطلاق النار عليها وتشعل النار فيها، وقد تمكنت احدى الدبابات الاسرائيلية من تدمير دبابة مصرية رغم ان برجها قد تعرض لاصابة اوقفت حركة المدفع.

عندما وصلت دبابات فدله الى السهل الواقع خلف ممر الجدي الذي تم أختراقه، شاهد افرادها ١٦ دبابة مصرية محترقة، وعندما نظروا خلفهم وجدوا ان المنحدر كله كان مليئا بالحفر التي احدثتها القذائف وهو دليل على القتال الصلب الذي خاضه العدو والذي لم يندحر بسهولة.

إذاً، تقدمت الكتيبة بحذر وباستعداد، وكان الاشخاص جاهزين من الناحية النفسية لضربة مفاجأة وهذه لم تتأخر في الحدوث، فقد اطلقت النار من الدبابات التي انسحبت من بوابة ممر الجدي، وكانت هذه القوة مكونة من خمس دبابات رهيبة من نوع اس يو٥٧ ومن مدفعين من عيار ٥٧ملم اعدا للدفاع ضد الطائرات ولكن عن طريق التسديد المباشر يستطيعان تدمير دبابات ممتازة (اذا ما استخدمتها اياد مدربة).

وهنا كانت المنطقة مفتوحة، وبدأ رجال الكتيبة هجوما شرسا، وتم تدمير جميع الدبابات المصرية التي كانت في هذا المكان، وهنا انتهت قضية (المتلا الصغير)، واصبحت الطريق الى قناة السويس مفتوحة امام الكتيبة المتآكلة التي يقودها المقدم بيلد.

في اجماله للقتال الذي خاضه اللواء قال العقيد «يشكا» شدمي: خلال ٩٦ ساعة منها ٨٢ ساعة من القتال المتوالي قطع اللواء ٤٠٠كم في حركة قتالية، وقد دمر اللواء ١٥٧ دبابة معادية، ومئات الآليات والمدافع، وكل ذلك ضمن معارك حركة وفي حالات عزلة وانقطاع ونقص في الوقود والمياه والذخيرة، تم تزويد البعض منها عن طريق الانزال من الجو والبعض الآخر عن طريق رجال الامداد، وفي ظروف صعبة جدا، وقد اكتملت مهمة اللواء في الموعد المقرر لها وذلك بفضل الروح القتالية للمحاربين على جميع المستويات، هؤلاء الرجال الذين ضمنوا السيطرة الكاملة والمتماسكة على مسافات غير معقولة.

أبـو عجيـلة

مجموعة ارئيل شارون «اريك» كلفت باختراق وباحتلال المعسكر المحصن الكبير الذي اقامه المصريون في منطقة ام كتف/ ابو عجيلة، لاغلاق محور الحركة المركزي في شبه جزيرة سيناء - محور نيتسانا الاسماعيلية. وهذا المحور يعتبر احدى «البوابات» القليلة لشبه الجزيرة، وفي هذا المكان تمر طريق في قاطع ارضي ضيق، يقع بين الرمال في الشمال وبين جبل دلفه في الجنوب، ويتراوح عرض هذا القاطع بين ٢ - ٥ كم.

في الطرف الشرقي لهذه «البوابة» يقع مثلث ام كتف، على بعد حوالي ٢٥كم من الحدود الاسرائيلية، ومن هذا المثلث تتشعب طريق الى الجنوب الشرقي نحو قصيمة، التي تقع على بعد ٢٤كم من هناك. وتتشعب طريق اخرى نحو الجنوب الغربي، الى نخل وتمر بمثلث ام كتف ثم تستمر غربا في المحور الرئيس، وتصل بعد ١٠كم الى مثلث ابو عجيلة، حيث تتفرع طريق الى الشمال الغربي باتجاه العريش. اما المسافة بين ام كتف وابو عجيلة والتي يبلغ طولها ١٠كم فتسيطر ايضا على البوابة المركزية لشبه جزيرة سيناء وعلى الطريق التي تعبر سيناء من الشرق الى الغرب.

تعتبـر هذه المنطقة ذات اهمية بالغة منذ الحروب السابقة التي خاضها الجيش الاسرائيلي في سيناء. ففي حرب الاستقلال تقدمت القوات الاسرائيلية من نيتسـانا الى ابو عجيلة، وتقدمت شمالا فوصلت الى مداخل العريش، وفي حرب «قـادش» عام ١٩٥٦، كانت هذه المنـطقة العسكرية معززة جدا، ولكن الجيش الاسرائيلي تغلب عليها بقواته المدرعة، وبعد عام ١٩٥٧ عزز المصريون جدا هذه المنـطقـة العسكرية الهامة، فقد بنوا معسكرات مليئة بالاستحكامات ومحصنة، امتدت من ام كتف حتى ابو عجيلة في الغرب (١٠كم) وحتى ام شيحان في الجنوب (٨كم) في حين تشكل الجبال والتلال الرملية حماية لأجنحة هذه المنطقة العسكرية، وقد اقام المصريون مناطق دفاعية امامية بين الحدود الاسرائيلية وام كتف في تارت ام بسيس وام ترفه. وفي منطقة القصيمة اقيمت منطقة دفاعية اشتملت على لواء مشاة، ولواء مدفعية وقوة دروع، وفي واجهة ام كتف تمركز لواء مشاة ومعه ٨٠ دبابة وعدد مشابه من المدافع.

وعليه كانت المنطقة العسكرية الواقعة بين ام كتف وابو عجيلة بعيدة عشرات الكلومترات عن الحدود الاسرائيلية، وكتب على مجموعة شارون ان تقطع مسافة طويلة قبل ان تشتبك مع القوة المصرية الرئيسة، وكانت تلك تشكل مشكلة لأن المصريين كانوا يمتلكون مدافع ثقيلة كثيرة بإمكانها ان تقصف مناطق التقدم، في حين كانت مجموعة شارون تمتلك مدافع قليلة، مداها قصير نسبيا، لم يمكنها من اسكات البطاريات المصرية، من اجل حماية رحلة التقدم للقوة الرئيسة. وكانت خطة الجنرال شارون للقضاء على معسكرات ابو عجيلة تشبه الحفلة الموسيقية التي قادها فيرتاوز والتي استخدمت الفرقة فيها معدات مختلفة، كلفت بعضها بالقيام بأدوار غير عادية، كما قال مؤرخ عسكري امريكي بعد حرب الايام الستة، وفيما يلي الخطة: من اجل اسكات المدفعية المصرية استخدم العميد شارون قوة مظليين، بقيادة المقدم داني ماط تم انزالها من طائرات عمودية خلف مناطق المدفعية المعادية، وقام هؤلاء بالقضاء على رجال المدافع المصرية وهكذا استطاعت مجموعة شارون ان تقترب من المنطقة العسكرية المصرية وان تشل عمل الخطوط الدفاعية التي اقامها المصريون على عرض محور التقدم المتوقع من جهة اسرائيل، وآنذاك استخدم شارون لواء مشاة بقيادة العقيد يكوئتيل (كوتي) ادام لتطهير القنوات المستخدمة من قبل جنود المشاة والذين كانوا مسلحين بأسلحة مضادة للدبابات بأعداد هائلة، وقد مكنت عملية التطهير هذه شارون من التقدم.

الفرقة الموسيقية المنتصرة

في البداية هاجم اللواء المدرع بقيادة المقدم مردخاي تسيبوري منطقة تارت ام البسيس واحتلها خلال ساعتين من معركة شاركت فيها الدروع وقوات المشاة المدرعة، وبعد ذلك تم الاستيلاء على ام ترفه. وبعد ساعات الظهر انتشرت الدبابات الاسرائيلية امام القوة المصرية الرئيسة وبدأت بقصف اهداف داخل مواقع هذه القوة، وفي هذه الاثناء جرى استقدام مدفعية المجموعة (الفرقة) الى خلف منطقة الدبابات وبدأت بقصف الاهداف المصرية.

في الوقت نفسه بدأت كتيبة دبابات بقيادة المقدم نتان (نتكه) نير عملية تطويق عن طريق منطقة التلال الرملية الى الشمال من المنطقة العسكرية المصرية، وهي

منطقة تعتبر غير قابلة لعبور الآليات المدرعة. وكان هدف هذه الكتيبة هو الوصول الى طريق العريش من شمال مثلث ابو عجيلة، وكانت الارض هي العدو الرئيس الذي جابهته قوة نتكه، وعندما اصطدمت القوة في النهاية بموقع كتيبة مصرية وبه دبابات ومدافع مضادة للدبابات، اجهز عليه ضمن قتال ضار ووصلت الى الطريق. وهناك اتجهت نحو الجنوب الشرقي، واقتحمت معسكر ابو عجيلة واحتلته ونصبت كمينا على مثلث نحو جبل لبنى وهي ما زالت تقاتل لاحتلال سد روفه خلف ام كتف، وفي هذه المعركة اصيب المقدم نير بجروح بالغة بكلتا ساقيه ولكنه استمر في القيادة حتى ان أكمل مهمته بكاملها.

عندما كان نتكه يقوم بتنفيذ مهمته، كانت المعركة على المواقع العسكرية المصرية الرئيسة على اشدها، فقد اقتحمت كتيبة الدروع بقيادة المقدم ساسون اسحاقي، من لواء تسيبوري المواقع المصرية في حين كان اللواء بكامله يسير في اعقابها.

اما المظليون الذين اجهزوا على رجال المدفعية المصرية وجنود المشاة الذين طهروا القنوات والدروع التي اقتحمت الجبهة بإسناد مدفعي حاسم جميع هؤلاء التقوا في قلب الهدف المصري في الساعة ٣,٣٠ تقريبا من صباح يوم الحرب الثاني، وقد حاربت الدبابات على طول محور الطريق حتى ان التقت كتيبة الدبابات بقيادة المقدم نتان نير، وفي الساعة ٦,٠٠، كان الطريق كله من ام كتف وحتى ابو عجيلة بأيدي الجيش الاسرائيلي، رغم ان معارك التطهير ما زالت مستمرة هنا وهناك في هذه المنطقة العسكرية المصرية الشاسعة.

وكانت لمقدمة محور الطريق اهمية بالغة، لأنه حتى ذلك الوقت كان يرابط في الجانب الشرقي من الحدود احد ألوية مجموعة العميد ابراهام يافه والذي كان من المقرر ان ينضم الى اللواءين الآخرين في المجموعة، اللذين «تسللا» تحت ستار الظلام الى عمق عشرات الكيلومترات في شبه جزيرة سيناء، وقبل طلوع الفجر وصلا الى الغرب من جبل لبنى.

في الساعة ٦,٠٠، تقريبا وصلت وحدة الاستطلاع التابعة لأحد ألوية مجموعة يافه الى مثلث ام كتف، حيث ابلغ المقدم تسيبوري مأموريه أن لواء من مجموعة أخرى سيعبر ميدان القتال، وقال تسيبوري لقائد اللواء من مجموعة يافه: هناك

حرب ولكن المحور مفتوح امامكم. وعندها تكشف مشهد نادر؛ اجتازت قوة كبيرة من الدبابات المصرية الهدف المعادي في حين كانت قوة اخرى من الدبابات الاسرائيلية تشتبك مع هذا الهدف.

ان لواء تسيبوري لم يتريث في موقع ام كتف/ ابو عجيلة حتى تم تطهيره نهائيا، فقد تقدمت الدبابات بسرعة مطاردة بقايا القوة المصرية التي انسحبت من ميدان القتال، وبالقرب من منطقة «نخل» ابلغ المقدم تسيبوري، ان قوة مصرية بحجم لواء تتحرك في المنطقة، وفور ذلك نصب كمين من الدروع ودخلته القوة المصرية، وفي معركة ضارية استمرت ساعات اجهز على القوة المصرية نهائيا تقريبا.

والآن اصبح بمقدور مجموعة شارون ان تعيد تنظيمها لمواصلة تقدمها واصبح من حق كل واحدة من وحداتها ان تتغنى بعجائب القتال الذي خاضته في اطار هذه «الفرقة الموسيقية» المنتصرة.

معركة سهل دوتان

الخامس من حزيران بدأ كغيره من الايام التي مرت على اللواء ٤٥ آلالي (الاحتياط) منذ ان جند في ايام الطوارىء التي شهدها شهر ايار ١٩٦٧: تدريب، وصيانة، ومراقبات، وقد تسلم قائد اللواء المقدم موشه باركوخبا (بريل) امر اندلاع الحرب قبل اذاعته براديو اسرائيل بوقت قليل، فجمع ضباطه فورا وابلغهم بالانتصارات الاولى التي حققها سلاح الجو الاسرائيلي، ورغم انه لم يعط بعد امر حركة للواء، فقد امر رجاله باعداد قواتهم، وقد بدا مليئا بالثقة ولكنه في الواقع كان يشعر بالخوف، فقد كان اللواء غريبا عليه، اذ انه عين قائدا له قبل ذلك بأشهر قليلة فقط. وقد تعرف عن كثب على جميع رجال اللواء فقط في اسبوعي الطوارىء.

كان هذا اللواء قد اقيم بعد حرب (الاستقلال) وفي حرب سيناء استخدم احتياطا للقيادة الشمالية ولم يحارب ولم يكن يتمتع بتراث حربي يبعث الحماس في قلوب جنوده الذين كانوا جميعا رجال احتياط معظمهم من سكان الشمال. ولكن المقدم بريل بنى آماله على حقيقة ان رجال الشمال، معظمهم من المستوطنات العاملة، وقد عرفوا بعضهم بعضا منذ ايام الصبا، وهذا التعارف من شأنه ان يحل محل الماضي القتالي المشترك الذي يؤلف بين افراد الوحدة العسكرية.

قبل ساعات الظهر جمع قائد اللواء مجموعة اوامر، شارك فيها ايضا قائد الفرقة العميد اليعاد بيلد، وبحثت امكانيات مختلفة لاستخدام اللواء، وكان الافتراض الاساس، ان اللواء سيعمل ضد السوريين وفي الواجهة الشمالية ـ الشرقية للضفة الغربية، وخلال اجتماع مجموعة الاوامر استدعي العميد للرد على مكالمة هاتفية، وعندما عاد كان عابس الوجه، وقال: «ان المدافع الاردنية بعيدة المدى تقوم بقصف مستوطناتنا وتهدد المطار في رامات دافيد، وعليكم الخروج لاسكات هذه المدافع، وهدفكم هو سهل دوتان».

عندما كان الاردنيون يسيطرون على سهل دوتان كانت تحت تصرفهم محاور حركة داخلية قصيرة، مكنتهم من نقل قوات من منطقة لأخرى في جبهة شمال الضفة الغربية، واذا تمكن الجيش من احتلال هذا السهل فانه سيتم تشويش الخطوط المعادية وسيتوفر امام الجيش الاسرائيلي مجال مناورة يتجه جنوبا نحو نابلس وشرقا نحو طوباس وغور الاردن، ومع هذا سيتم تطويق مدينة جنين وتعزل من جهتها الخلفية.

وقد أُلقيت مهمة حماية المنطقة الشمالية على عاتق لواء المشاة ٢٥ الاردني بقيادة الخالدي الذي كان يعتبر احد القادة الشبان والاكفياء جدا في الجيش الاردني، وكان هذا اللواء مكونا من ثلاث كتائب، مكونة كل واحدة منها من اربع سرايا من حملة البنادق. شمل اللواء ايضا كتيبة دروع شملت دبابات باتون، ورابطت سرية دبابات واحدة في جبال جنين وفي المدينة ذاتها، وسرية اخرى احتفظت بمثلث قباطية وبرقين، واكملت الخط الدفاعي الاردني في هذه الواجهة وحدات مدفعية ووحدات شبه نظامية، وفي نفس المنطقة كانت توجد مدافع «لونغ توم» بعيدة المدى وقد قصفت المستوطنات العبرية ابتداء من تعنك وحتى الخضيرة. وكما قلنا كلف اللواء ٤٥ بمهمة تدمير هذه المدافع.

وفي مرحلة تخطيط عملية اللواء، اتضح انه يرابط في منطقة جسر داميا اللواء المدرع الاربعون الاردني وليس كتيبتي دبابات ـ حوالي ٩٤ دبابة باتون محسنة، وكتيبة مشاة مدرعة وكتيبة مدافع متحركة.

تدمير مدافع اللونغ توم

خلال عشر دقائق اكمل المقدم موشه تخطيط عمليته الهجومية، وطلب ارسال

قوة دروع مختلطة بقيادة ليفي، قائد وحدة المشاة المدرعة التابعة للواء، الذي انهى لتوه مع وحدته مجموعة تدريبات وكان متعبا ومبحوحا وبنفس الوقت راضيا عن الكفاءة التي اظهرها جنوده اثناء التدريبات لمهاجمة بلدة يعبد من الغرب والتوجه من هناك الى سهل دوتان. وفي نفس الوقت ستقوم الوحدات الاخرى من اللواء باقتحام السهل من الشمال، ولكن ليس من اتجاه العفولة، كما حدث عام ١٩٤٨، وانما من مثلث مجيدو الى الجبال الواقعة غربي جنين، وقد فصلت بين الجبال وقـريتي يامـون وكفـردان طرق ترابيةونزلت الى السهل من الخلف.وقد ارتاح قائد الفرقة لخطة الهجوم رغم انه مال اكثر الى القيام بعملية تطويق من الشمال ومن شرق جنين، فقد خشي من ان يظهر اللواء المدرع الاربعون في ميـدان المعركـة قبل ان تتمكن الفرقة من ان تلتقي في المعركة بلواء آخر. وبما ان قائد القيادة الشمالية العميد دافيد العازار اعلن انه يريد زيارة قيادة اللواء، تقرر ان يختار هو الخطة النهائية.

تحرك اللواء، الى مثلث مجيدو، حيث التقى قائد الفرقة وقائد اللواء مع قائد القيادة العميد العازار واحضر قائد اللواء معه قادة كتائبه للاشتراك في مجموعة الامر الكبيرة هذه. وصادق العميد على خطة المقدم موشه، وفورا صدرت الاوامر لقادة الكتائب، فانفصل المقدم ليفي ومعه كتيبة المشاة المدرعة ووحدة دبابات بقيادة النقيب يوفال من القافلة الرئيسة وتوجه غربا، واما رتل اللواء فاستمر في التقدم على الطريق الضيقة التي قادت الى الحدود ـ الى المعركة، وقد استجيبت رماية المدفعية الاردنية فورا برماية مدفعية اللواء وتحت هذا الغطاء انتظمت وحدة الغلق التي احتلت مواقع على الطريق، وبدأت القوة الرئيسة تعبر طريق جنين وتوجه على الطريق الضيقةالمؤديةجنوبا الى قرية كفردان وهي قريةكبيرةمخفية بواسطةمزرعه زيتون على التلال الواقعة الى الجنوب من طريق مجيدو ـ جنين وعلى بعد حوالي ٢كم من الخلف كانت كتيبة الدبابات بقيادة المقدم ادولف الذي نفذ مناورة مشابهة وتوجه الى يمين الطريق نحو طريق تمتد بين كروم الزيتون الى قرية اليامون الواقعة على تلة تنحدر التلال من خلفها الى سهل دوتان.

بعد ان خصصت وحدات الدبابات بقيادة مردخاي ويوفال لمساندة المشاة المدرعة بقيت للمقدم ادولف ثلاث سرايا مصغرة من دبابات شيرمان تشتمل على

٣٠ دبابة فقط، وسارت سرية شلومو في المقدمة وخلفها سارت الكتيبة بسرعة على طول ٢كم حتى سفوح القرية، وجوبهت الدبابات بنيران رشاشات خفيفة، وبالقرب من القرية انضم الى هذه النيران «نباح» المدافع المضادة للدبابات ولكن شلومو لم يتوقف، فقد اطلقت الدبابات نيرانها على اشجار الزيتون واسكتت الرماية وواصلت تقدمها، واتجهت فئة مشاة اردنية كانت ترابط متخندقة بالقرب من القرية للانسحاب عندما اصيبت مواقعها. وبالقرب من هناك كانت تقوم خمس ناقلات جنود بحماية بطارية مدافع اللونغ توم الاردنية، وسارت مجموعة قيادة الكتيبة في اعقاب سرية السهم، ومن مجنزرته شاهد المقدم ادولف موقعاً لمدافع مضادة للدبابات بين الاشجار ونادى بواسطة الجهاز الوكيل موشه (موسى) كولتينوفسكي الذي كان في مؤخرة القافلة وقال له: بين الاشجار من اليمين توجد مدافع مضادة للدبابات ويبدو انها مهجورة قم بالقضاء عليها، وعندما كانت الدبابات تقوم باقتحام القرية اوقف الوكيل سيارته الجيب التي كان يستقلها ومعه حظيرة من شرطة الكتيبة وقال للسائق: انتظر لحظة, فدخل بين الاشجار وشاهد الموقع الذي اشار اليه القائد وعندها اطلقت النار عليه، فأطلق موسى النار من رشاشه العوزي واستدعى رجاله واقتحم. وقام رجال الشرطة العسكرية الخمسة المسلحون ببنادق بمهاجمة الموقع الاردني المحصن. وانضمت الى الهجوم مجنزرة تابعة لسرية المشاة المدرعة، فتم قتل ثمانية اردنيين وانسحب الباقون، واقترب موسى بحذر من المدافع ولاحظ انها ليست مدافع مضادة للدبابات وانما مدافع ثقيلة من نوع لونغ توم وهي من بين المدافع التي قصفت منذ ساعات الصباح مستوطنات منطقة تعنك.

رتل يتورط في الأزقة

لقد تمكن اللواء من تنفيذ نصف المهمة التي أُلقيت على عاتقه لتدمير المدافع الاردنية. وواصل اللواء تقدمه. اما دبابات الشيرمان بقيادة ادولف التي احتلت اليامون فقد اكتشفت في الظلام الطريق الترابي الذي يؤدي الى الجنوب نحو قرية «عركة» وتقدمت بحذر ووصلت الكتيبة الى عركة بعد ساعات قليلة ولم تصطدم بمقاومة وحاولت النزول الى الجانب الغربي لسهل دوتان. واتضح ان الطريق ما هو الا ممر حمير تعيقه قطاعات زراعية، وبعد عمليات تفتيش في الظلام الدامس

وبعد ان انقلبت عدة دبابات في هذه الطريق الضيقة ابلغ ادولف قائد اللواء انه لا يمكن الوصول الى السهل بواسطة هذه الطريق وطلب العودة والمسير في اعقاب الدروع التي يقودها رامي عن طريق قريةكفردان.فأعطيت الموافقة وبدأت العملية الصعبة التي تتمثل في تحويل وجهة رتل الدبابات الى الخلف على هذه الطريق الضيقة وفي الظلام. واخيرا اصبحت مؤخرة الرتل هي المقدمة وباشرت الكتيبة حركتها.

مصير مشابه كان من نصيب جزء من قوة رامي ومجموعة قيادة اللواء التي رافقت قائد اللواء في مرحلة الاختراق عبر محور كفردان وكان الملازم الاول مردخاي في الدبابة الامامية من بين قادة السرايا الذين احضرهم معه ادولف الى مجموعة الامر في مثلث مجيدو. وتذكر انه قبل قرية كفردان تتشعب طريق بين كروم الزيتون، وتتجاوز القرية من اليمين وتؤدي الى قرية كفرقود والى سهل دوتان. فبحث عن هذه الطريق ووجدها. وتحركت دباباته في اعقابه وسارت خلفها سرية من قوة رامي ومجموعة قيادة اللواء، واما الآلية التالية فكانت سيارة جيب استطلاع بقيادة الرقيب أ فقد وصلت الى المثلث بعد ان اختفت الدبابات بين اشجار الزيتون، وواصل(أ) تقدمه بسرعة على الطريق المعبدة واقتاد خلفه معظم قوات اللواء الى داخل قرية كفردان وهناك اغلقت الطريق بين الازقة. فرتل الدبابات الذي تورط في ساعات الليل في منطقة مغلقة داخل القرية لم يشعر بالارتياح، وقامت الدبابات بتدمير غرف من الطين وانقلبت دبابة واحدة واغلقت آلية مجنزرة طريقا ضيقة، وقوة مدافع الهاون ووحدة الهندسة والآليات الادارية التي سارت خلف قوات المشاة المدرعة اغلقت الطريق من الخلف، وبعد مرور ساعات ممزقة للاعصاب تحول اللواء الى الخلف وبدأ يسير ببطء غلى الطريق الصحيحة، وهي الطريق الفرعية التي تتجاوز كفردان وتؤدي الى كفرقود.

في هذه الاثناء تقدمت دبابات الملازم الاول مردخاي وسرية المشاة المدرعة على الطرف الاعلى من الطريق الذي كان في الواقع ارضية لواد متعرج، ولم يطلق احد النار على هذه الدبابات عندما تقدمت نحو مثلث طرق يقع على ظهر الجبل. وقادت طريق اخرى الى كفرقود التي تختفي بين الجبال من اليمين. واما الطريق الاخرى فقادت الى قرية برقين من جهة اليسار. وطريق ثالثة استمرت الى الامام نحو السهل

في الجنوب، ومن مسافة بعيدة شوهدت انوار سيارات على طريق نابلس ـ جنين، وكانت الساعة السابعة مساء، وبما انه مرت دقائق ولم تظهر آلية من الخلف فهم المقدم رامي ان خللا وقع في الخلف، وارسل سيارة جيب استطلاع لتوجيه قوة اللواء، فانقلبت سيارة الجيب في الطريق، ولم يعرف قائد الكتيبة ذلك واتجه لمواصلة المهمة حسب الخطة، واطلع قائدي السريتين الموجودين معه على تلال برقين. وقال هذا هو هدفنا. وبعد مرور ساعتين كاملتين استطاعت سرية يعقوب التخلص من الورطة التي تعرضت لها في كفردان وتعزيز دادي، وفي هذه الاثناء كان دادي يحتفظ بالموقع مع سريته فقط، عندما كانت الدبابات منتشرة عند سفح التلة باتجاه سهل دوتان. ولم يبلغ قائد السرية مردخاي بانه جرح، وعندما سئل فيما اذا كان لديه مصابون اجاب: واحد فقط، ولكنه يستطيع المواصلة، وفي ساعات الصباح نقلوه الى المستشفى، بعد ان خرجت القوة الرئيسة للواء من قرية كفردان وصل قائد اللواء ورجاله الى مثلث طرق ضيقة، وبعدهم سارت سرية يعقوب التي ارسلت فورا لنجدة دادي على تلة برقين. وفي اعقابها تقدمت سرية مدافع الهاون.

عندما كان قائد اللواء يخطط لنشاطاته القادمة ابلغه قائد القيادة بأن قيادة ليفي التي خرجت للقيـام بمهمة مستقلة في بلدة يعبد، جوبهت بمقاومة شديدة وتعرضت لخسائر وبحاجة الى مساعدة.

تقدمت وحدة المشاة المدرعة بقيادة ليفي، ومعها سرية دبابات النقيب يوفال، على طريق ترابية حتى قرية عرعرة في «المثلث الاسرائيلي» واجتازت القرية (بعد ان تورطت في شوارعها الضيقة) وبواسطة الانوار الخافتة اجتازت خط الحدود ودخلت مجـال رماية مدافع هاون اردنية وخرجت من هناك بقتيل واحد واربعة جرحى. ودمرت موقعا كان في طريقها وهزمت وحدة مدافع مضادة للدبابات مجرورة وسيارات جيب تحمل مدافع غير مرتدة، وصعدت القوة على الطريق الضيقة المؤدية الى بلدة يعبـد وتقدمت خلال تبادل الرماية مع العدو المنسحب، وامام بلدة يعبد تلتوي الطريق وتهبط الى واد وتعود وتصعد نحو البلدة، وهناك توقف الرتل وامر قائد الكتيبة باضاءة مصابيح الآليات على امل ان تؤدي اقصى الانوار الى بعث الرعب في قلوب المدافعين عن البلدة، ولكن القوة تعرضت فورا الى وابل من الرماية وقنابل المورتر فأمر باطفاء الانوار. سارت الدبابات في رأس الرتل، وكانت مهمتها احتلال الراقم

٣٣٣,٨ وجعله قاعدة رماية ضد يعبد وكان الافتراض ان هذا الراقم (التلة) الذي يسيطر على الطريق المتعرجة غير محتل، ولكن عندما اقتربت الدبابات منها فتحت عليها النيران من مدافع غير مرتدة، وكانت الرماية غزيرة واطلقت من التلة ومن جوانبها، فأصيب قائد السرية يوفال، وحاولت الدبابات الانتشار بجانب الطريق، وصعدت احداها على لغم واخرى انقطع جنزيرها فأمرها القائد بالتوقف، وقد تمركزت الدبابات على رأس الجبل وبدأت باطلاق النار على يعبد. وفي حوالي منتصف الليل، وعندما كان قائد اللواء يجمع قواته على مثلث الطرق امام قرية كفرقود، وكان اتصاله مع الكتيبة المرابطة امام يعبد مشوشا تبين ان المقدم ليفي بحاجة ماسة الى نجدة فتم تغيير خطط اللواء طبقا لذلك، فبدلا من التقدم نحو جبال جنين امر قائد اللواء المقدم رامي بانزال سرية دادي من على جبال برقين وطلب ان تتحرك مع سرية اخرى بقيادة النقيب برله لنجدة ليفي، كما امر قائد اللواء بانقاذ كتيبة المدفعية من عقدة قرية كفردان واستقدامها لمسافة ناجعة من يعبد.

انزل دادي رجاله من على تلة برقين وحملهم على مجنزرات، وتم استقدام مدافع الهاون الثقيلة ونشرت في القاعدة الضيقة الواقعة على مثلث الطرق. واما دبابات ادولف فتركت على الطريق المتجهة للاعلى من قرية كفردان. واما رامي فكان في طريقه الى قائد اللواء للحصول على اوامر اخيرة بالنسبة لعملية تقدمه الى يعبد، وفجأة سمع صوت النقيب يعقوب، قائد السرية التي بقيت على جبال برقين وقال: انا تحت الرماية، انهم يهاجمونني من سهل دوتان، وفي الواقع تعرضت للهجوم وحدة الاستطلاع اللوائية التي اصطدمت بكمين عند مثلث قباطية.

عندما تلقى قائد اللواء في المساء المهمة لمهاجمة جنين من الخلف، بعد ان اسكت المدافع الاردنية بعيدة المدى، اسرع لاخراج قوة غلق لاحتلال مثلث قباطية وحمايته من الخلف عندما يقتحم جنين، والقيت المهمة على عاتق وحدة الاستطلاع بقيادة الرائد يعقوب افيتار، وعززت سرية الاستطلاع بست دبابات ولكن جنزير إحداها تعطل في كفردان، وما ان وصلت السرية الى مثلث الطرق الفرعية قرب كفرقود في الساعة العاشرة ليلا حتى واصلت المسير في طريقها، فاجتازت سهل دوتان من الشمال الى الجنوب ووصلت الى طريق جنين ـ نابلس واتجهت خطأ الى اليمين بدلا من ان تتجه الى اليسار، ونجم الخطأ عن الشبه بين اسماء الشيفرة التي اعطيت لمثلث قباطية ومثلث عرابة.

طاقم الاستطلاع بقيادة الملازم يوسي تقدم بسرعة وترك الدبابات بعيدا خلفه. ومر الرتل امام مجموعة من المنازل على المنحدر الواقع الى اليسار من الطريق، وعلى بعد حوالي ٥٠٠ متر من هذه المنازل تحول الوادي الى مضيق عرضه بضع عشرات من الامتار ـ مضيق عرابة، والى جانب الطريق من اليمين ترتفع صخور عالية، وعندما اصبحت وحدة الاستطلاع تحت المرتفع الصخري اطلقت عليها نيران اوتوماتيكية شديدة وبأعجوبة لم يصب أحد. ولكن رجال الاستطلاع ادركوا خطأهم وتراجع الرتل وتحول الى مثلث قباطية، وبقيت مجنزرة واحدة لحماية دبابة تعطل جنزيرها، وعندما كانت الوحدة متجهة نحو قباطية ابلغت القوة التي بقيت في مثلث عرابة باقتراب اصوات محركات وجنازير دبابات من جهة المضيق. ووصل التقرير الى قاعدة اللواء عندما وصلت الى هناك كتيبة مدفعية، دبابات من جهة عرابة؟ فهم من المحتمل ان تكون كتيبة دبابات الجبهة الاردنية قد دخلت سهل دوتان؟ فأمر قائد اللواء قائد المدفعية المقدم داني باطلاق النار في هذا الاتجاه، فنظر داني الى الخارطة واختار المضيق حيث يمكن اغلاق سهل دوتان من الغرب، وبدأت مدافع الهاون باطلاق النار واطلقت ٣٠٠ قذيفة على داخل المضيق، وبعد ذلك عثر هناك على اربع دبابات باتون ومدفع متحرك واحد اصيبت وانسحب طواقمها.

دبابات شيرمان أمام دبابات باتون

عندما كانت المدفعية تطلق النار على مضيق عرابة كانت وحدة الاستطلاع تخوض قتالا دمويا عند مثلث قباطية، وقد اقترب رجال الاستطلاع بحذر نحو المثلث، ومن اليسار كانت الطريق يسودها الظلام، ومن اليمين شوهد معسكر للجيش ومن ورائه بيارة، فأوقف يوسي الرتل وامر رجاله بالاقتراب مشيا على الاقدام من المثلث، وابقي في الآليات السواقون ورجال المدافع، ومن مسافة مترين شاهد يوسي سبطانة دبابة برزت من البيارة القريبة من الطريق. وعلى برج الدبابة شوهد خيال شخص. فصرخ الخيال بذعر من هذا؟ وفورا قضي عليه، وفي نفس اللحظة اطلقت نيران اوتوماتيكية كثيفة فاشتعلت النار في مجنزرة يوسي، كما اصيبت سيارة الجيب القريبة منها، ونجت سيارة جيب اخرى ووجدت طريقا ترابية تقود الى برقين فأسرعت هاربة من المكان. واما يوسي فاختبأ وراء بيت صغير في المثلث وانضم اليه

معظم رجاله وكان بعضهم قد اصيب بجروح، وحاول اثنان الهرب نحو برقين فقتلا.

حوالي عشرين شخصا، نصفهم مصابون بجروح، اختفوا وراء البيت الصغير الموجود عند المثلث، بدون سلاح فعال وبدون جهاز اتصال، لأن الاجهزة بقيت في السيارات، ولم يستطيعوا طلب مساعدة او تحذير زملائهم من الكمين المنصوب عند المثلث، وتسلل عدد من المحاربين من مكانهم، وزحفوا الى سيارة الجيب والمجنزرة وشغلوها واتجهوا بسرعة الى ما وراء البيارة والى زملائهم في البيت الصغير ولم تتمكن الرماية التي طاردتهم من اصابتهم، واستخدم يوسي جهاز الاتصال الموجود في المجنزرة وابلغ قائده بالوضع الذي آل اليه، فأمره القائد الرائد افيتار بأن يلتحق بالوحدة الموجودة على بعد كيلومتر واحد غربي المثلث، وبنفس الوقت بدأت مدافع اللواء بقصف منطقة المثلث، وفي ذلك الوقت قال افراد سرية الاستطلاع انهم يسمعون اصوات دبابات من اليمين، خلف التلال التي تحيط بالسهل من الجنوب، فأرسل قائد اللواء فورا نجدة، وهي سرية الدبابات بقيادة النقيب شلومو.

في القاعدة الضيقة اللوائية حيث وصلت كتيبة ادولف بعد تأرجحات طويلة، جدد قائد اللواء خطته الاصلية، وطلب من قوة المقدم رامي مع سرية النقيب برله، احتلال جبال جنين الغربية واعدت كتيبة ادولف للتقدم في الجناح الايمن والسيطرة على مشارف جنين وهي المضيق الذي تمر به الطريق من نابلس الى جنين.

قبل طلوع الفجر وضع المقدم ادولف سرية النقيب حاييم من اليسار، وسرية الرائد ياريف من اليمين، ومجموعة قيادته في الوسط. اما سرية المشاة المدرعة التابعة للكتيبة فقد انتشرت في الخلف، وفي الساعة ٣,٣٠ بدأ التقدم شرقا تحت غطاء نيران ثلاث كتائب مدفعية قصفت مواقع جنين وكانت سرية حاييم في المقدمة، وتحركت على خط في منحدر سحيق لم يكن بالامكان الانتشار به، وعليه تحركت السرية ضمن رتل وفي مقدمته دبابة قائد السرية، وفجأة شوهدت دبابات اردنية في اسفل الهضاب من الامام.

فطلب حاييم من السائق ان يرجع الى الخلف، وبنفس الوقت بدأت معركة دمرت فيها دبابات الشيرمان الهرمة دبابات الباتون الحديثة الواحدة تلو الاخرى. ولكن حتى دبابات الشيرمان اصيبت، فقد اصابت قذيفة جهاز التلسكوب في دبابة قائد السرية، وقتل سائق الدبابة واصيب حاييم بجروح في وجهه ونقل القيادة الى

الملازم الاول جاد رفان الذي اكمل احتلال الاهداف وتدمير القوات المرابطة على الجبال.

في هذه الاثناء خرج حاييم من الدبابة وانسحب مشيا على الاقدام وفي هذه اللحظة وصلت فئة موشه التي سارت بأقصى سرعتها، وكانت هذه الفئة تابعة لسرية ياريف التي قطعت طريق جنين وتقدمت في خط متواز مع سرية حاييم، وعندما طرأت حاجة لتعزيز قوة حاييم ارسل اليه موشه، فقال له ياريف: عليكم ان تسرعوا، فأسرع موشه ولكن عندما كان في طريقه دمر سيارة جيب تحمل مدفعا غير مرتد.

وعندما وصل الى حاييم كانت الدبابات الاردنية قد قطعت التماس وانسحبت الى داخل جنين، واحتلت سرية ياريف تلة تطل على مثلث قباطية وتقدمت حتى حوالي ١٥٠٠م واصطدمت بقاطع صخري منحدر امام مشارف جنين، وكانت توجد على هذا القاطع الصخري اربع دبابات باتون، فأُصيبت منها اثنتان فورا وانسحبت الاخريان. وكانت مشارف جنين ومداخلها مكتظة بالبشر، وبما انه كان هناك الكثير من النساء والاولاد، امر ياريف مأموريه بعدم اطلاق النار، وقال للقائد ان دباباته اصبحت تفتقر الى الوقود وانه توجد مصاعب في التزود بالوقود لأن الاردنيين شنوا هجوما معاكسا كبيرا، وقبل ان يتطور هذا الهجوم المعاكس تمكن قائد اللواء من دخول جنين بقوة بقيادة الرائد يعنكله ابيتار، واطلقت دبابات اردنية النار على رتل الدبابات من البيارات وردت دبابات الشيرمان على النار بالمثل وهي متحركة واجتازت المدينة كالريح العاصفة.

كانت المدينة مستعدة للدفاع، وكانت توجد على مثلثات الشوارع رشاشات ودبابات «باتون» كانت تكمن بين المنازل، ولكن الاردنيين لم يتوقعوا هجوما من الجنوب ومر وقت حتى ان اصبحت مقاومتهم جدية.

تحـركت القـوة المقتحمة بناء على تعليمات حددت في مرحلة الاقتحام، في الشـارع الرئيس العريض تحركت القوة ضمن صفين وكانت الدبابات تسير الى الجانب الايمن، وقبل كل تقاطع طرق كانت الدبابة الامامية تقف في التقاطع وترش الشارع المتفرع بنيران الرشاش، في حين كانت بقية القوة تقوم بعبور التقاطع وهكذا دواليك، استمر القتال في المدينة حوالي ساعتين، وفي حوالي الساعة ٧,٠٠ انتشرت القوة امام مركز الشرطة، في المدخل الشمالي لجنين، وكانت قلعة الشرطة هذه قد

تمكنت من صد القوات الاسرائيلية في حرب عام ١٩٤٨، اما الآن فقد قصفتها نيران الدبابات، وعلى الرغم من ان نيران محطة الشرطة هذه قد جرحت قائد اللواء وعددا من مأموريه، فقد شعر المقدم موشه ان الرماية بدأت تقل، وبدأ رجال دادو الذين كانوا على الصخور المطلة على مركز الشرطة بالانحدار للانضمام الى الهجوم النهائي.

خلال الساعات الاربع عشرة التي مرت منذ اجتاز اللواء خط الحدود، تمكن هذا اللواء من تصفية كتيبة الدروع الامامية وشوش تماما لواء المشاة الخامس والعشرين واصبح قريبا من احتلال جنين.

في هذه الساعة ابلغ قائد المجموعة قائد اللواء ان اللواء المدرع الاربعين الاردني اصبح يقترب من جنين وقال العميد بيلد: عليكم ان تستعدوا فورا للدفاع، وبعد مرور وقت قصير اتصل قائد المجموعة وقال ان القوة تحركت من قباطية وهي مكونة من حوالي خمسين دبابة باتون حديثة من نوع م/٤٨.

ملجأ في مضخة

كان رجال قوة الغلق على مثلث قباطية، بقيادة الملازم الاول مناحم اول من لاحظوا قوات التعزيز الاردنية، وكان ذلك في الساعة ٦,٠٠، ففي البداية شوهدت ثلاث دبابات «باتون» تخرج من كروم الزيتون وتتقدم نحو المثلث، وقبل ان يتمكن الملازم الاول مناحم من ارسال تحذير الى الخلف ظهرت ثلاث دبابات اخرى، وخلفها ثلاث دبابات، وسرعان ما اصبحت قوة الغلق مكونة من حوالي ٢٠ دبابة تقدمت بحذر في جبهة واسعة، وكان ذلك هجوم كتيبة مخططا جيدا، بالاضافة الى سريتي الدبابات اللتين تقدمتا الى مثلث قباطية تحركت سرية مشاة مدرعة من يمين المثلث وكانت مخفية عن انظار قوة الغلق واحتلت قاعدة قوية على رأس تلة خربة جمال، واحتلت وحدة استطلاع الكتيبة التي كانت مكونة من دروع وسيارات جيب تحمل مدافع غير مرتدة تلة اخرى، بعيدة اكثر الى الجهة اليمنى، ومنها بدأت مدافعها بالرماية، وعندما بدأ الهجوم الاردني المعاكس، وضع الاردنيون السرية الثالثة من الكتيبة على تلة من الجهة اليمنى ومن هناك هددوا جناح الرائد يريف.

الصـورة كلهـا كانت غير معروفة، كما هو مفهوم، لقوة الغلق الاسرائيلية

الصغيرة المرابطة على المثلث، فقد كان الملازم الاول مناحم يعرف فقط ان قوة دروع متفوقة عليه بدأت تطبق عليه وطلب موافقة للانسحاب، فأعطاه قائده الذي كان متورطا في المعركة داخل جنين الموافقة ولكنه لم يتمكن من تمرير هذه المعلومات الى من هو اعلى منه، وعليه فقد تردد خبر الهجوم الاردني المعاكس الكبير عبر اجهزة اتصـالات السريـة فقط، واما السرايا الاخرى فلم تعلم بظهور العدو الجديد في الساحة. ولكن قائد اللواء وقائد المجموعة، استقبلا التقارير، ولهذا تسلم المقدم موشه امر الاستعداد للدفاع، وقرر قائد اللواء فورا الخروج من المدينة والانتشار خارجها في منطقة اعلى، وفي هذه الاثناء اصبح الحاجز الوحيد الفاصل بين القوة الرئيسة للواء وبين الهجوم الاردني المعاكس، مكونة من فئة استطلاع تستخدم اربـع دبـابات، وتمكنت هذه القوة من اصابة تسع دبابات باتون واوقفت تقدم الاردنيين حوالي ساعتين، وبعد ان اصيبت دبابة داني ودبابة اخرى تعطل جنزيرها، امر داني الدبابتين الباقيتين بالانسحاب، ولكن الى اين؟ فمنطقة السهل كلها كانت معرضة للرماية، وكان داني يعلم بأن القوة الرئيسة للواء قد اقتحمت جنين ولهذا اتجه نحو جنين، والتقى بسريته عندما خرجت من المدينة وانضم اليها رجال الدروع الذين احتلوا الجبال على جانبي الطريق الى جنين لم يكونوا يعرفون بعد ظهور الدروع الاردنية من خلفهم عند مثلث قباطية، وحاولوا التغلب على تدفق الآليات المدنية التي خرجت من جنين وهددت باغلاق محور الطريق. وكان اهتمامهم الرئيس منصبا على الوقود الذي بدأ ينفذ من خزانات دباباتهم. ومن خلال انتظارهم لقافلة الامـداد التي كانت ستصـل من جهة سهل دوتان، امر المقدم ادولف السريتين بالانسحاب الى السهل.

امـا رجال الدروع الذين اضطروا للتخلي عن دباباتهم بعد قتل بعضهم واصابة البعض الآخر بجروح خطيرة وجدوا ملاذا لهم في مضخة مياه تقع في وسط سهل دوتان، وقد حصل جادي رفن وسائقه، والجندي تسفي سدان بعد ذلك على اوسمة تقدير من رئيس الاركان لشجاعتهم وزعامتهم التي اظهروها في الساعات الطويلة التي قضوها في البيت المنعزل في منطقة تقع بين الخطوط.

المقـدم ادولف تحرك في مجنزرة القيادة على رأس سرية يريف، عائدا من مشـارف جنـين الى مثلث قباطية، وكان يعلم ان المثلث محتل من قبل قوة غلق

اسرائيلية وكان ينوي الوصول الى الطريق الترابية الممتدة من برقين والالتقاء بقافلة الوقود التي ستأتي من القاعدة الواقعة شمال السهل. وعندما وصل الى واد يقع على بعد ٢كم شرقي المثلث اوقف مجنزرته بانتظار دبابات يريف، وعلى بعد حوالي ٢كم الى اليمين منه من شمال طريق نابلس/ جنين شاهد دبابات حاييم (التي اصبحت الآن بقيادة الملازم رفن) كانت تسير الى الغرب بموازاته وفجأة شاهد ان دبابة باتون اردنية واقفة في الغابة القريبة من المثلث، في جناح رفن، وشوهدت دبابتا باتون أخريان تجتازان الطريق من الشمال، فنادى قائد الكتيبة بجهاز اللاسلكي الملازم رفن قائلا: الدبابات من خلفك! ولكنه كان متأخرا في ندائه. فقد بدأ الاردنيون باطلاق النار، وان الرائد يريف الذي سمع التحذير احتل فورا مواقف على رأس تلة وبدأ باطلاق النار، فدمر ثلاث دبابات باتون ولكن النيران الاردنية استمرت.

قام المقدم ادولف بابلاغ قائد اللواء بقوله: «ان المثلث بأيدي العدو» فأجاب المقدم موشه بقوله انه سيتصل به فورا، في هذه الاثناء حاول المقدم ادولف معرفة اين توجد الفئة الثانية التي لم ترد على النداء، فهدأت الرماية في منطقة المثلث ووصل الى قائد الكتيبة رجل دروع جريح من جنود الملازم «رفن» وابلغه بأنه اصيبت ثلاث او اربع دبابات وان طواقمها يختبئون في بناية تقع في قلب السهل وينتظرون انقاذهم. فأرسل الملازم الاول يورام، نائب يريف على رأس فئة مشاة مدرعة لانقاذ الناجين، فنشر جنود المشاة المدرعة خلف تلة ودخل السهل مشيا على الاقدام ووصل الى المضخة وعاد الى قائد الكتيبة وابلغه بالوضع، ومن تقريره استخلص القائد ان السهل كله احتله العدو وان الاتصال مع القاعدة الرئيسة للقوات قد انقطع، فعاد الملازم الاول يورام بمجنزرة الى المضخة واوقفها الى الجنوب من المبنى، باتجاه مثلث قباطية وبدأ باخلاء الجرحى، فأصيبت المجنزرة باصابة مباشرة وبدأت تحترق، وبعد ساعات صعبة تسللت فئة مشاة مدرعة مشيا على الاقدام الى السهل واخلت المصابين.

في هذه الاثناء تمكن نائب قائد اللواء، غرستون، من تخليص الدبابات من قرية كفردان وجمع قافلة الامداد في القاعدة الرئيسة، ونشر اربع دبابات شيرمان للدفاع، وفي الساعة ٧,٠٠ اصبحت قافلة الامداد جاهزة للتحرك الى جبال برقين والى مثلث قباطية، وبدأ رجال الهندسة بازالة الالغام وانتشرت قوة الهاونات للحركة،

وفي هذه المرحلة بدأت القذائف تمر فوق القاعدة الرئيسة، فأرسل نائب قائد اللواء فورا الآليات الخفيفة الى الوادي، ومشط المنطقة في نظراته وشاهد ما بين ٦ ـ ٨ دبابات باتون تتحرك داخل كرم زيتون على بعد حوالي ٦٠٠م من القاعدة الرئيسة، وبدأت دبابات الشيرمان الاربع فورا باطلاق النار، فاستطاعت دبابات الباتون من الاختفاء بين الاشجار ولم تسرع في الهجوم، واصيبت احدى دبابات الباتون واما الدبابات الاخرى فقد قطعت التماس وانسحبت.

« لن نتحرك من هنا ! »

لكن وضع اللواء اصبح سيئا جدا: فقد مضت على خوضه الحرب ١٧ ساعة واصبح بحاجة للتزود بالوقود وبالذخيرة وها هو يتوق لهجوم من لواء اردني يمتلك حوالي ٩٠ دبابة من نوع باتون حديثة، واما مدينة جنين التي اصبحت على حافة الاستسلام فقد استأنفت مقاومتها، ولكن قائد اللواء لم يسمح لأحد من جنوده ومأموريه ان يشعر بذلك. وكان القرار الاول الذي اتخذه هو رص صفوف اللواء والاستعداد للدفاع وصد الهجوم الاردني، وحتى ان تتمكن الدبابات من التزود بقذائف خارقة للدروع، قرر قائد اللواء القيام بدفاع ثابت، فاختار الهضاب الصخرية الواقعة الى الجنوب من برقين، امام مثلث قباطية، وهو مكان يستطيع منه مواصلة فصل جنين عن التعزيزات الاردنية، من خلال صد مثل هذه التعزيزات، وبدأت القوات تجتاز للطريق شمالا، فصعد المقدم ادولف على مجنزرة قائد اللواء لاجراء نقاش وشاهد المقدم موشه يتلوى من الالم بالقرب (من ضابط الاستخبارات) الذي جرح هو الآخر داخل جنين، فقال المقدم موشه: لن نتحرك من هنا! ولم يعرف المقدم ادولف من اين استمد قائد اللواء ثقته بالنفس، وتقدمت الدبابات الاردنية من مثلث قباطية وطوقت من الشرق واصابت السيارة الجيب لمجموعة قيادة اللواء وادت هذه الاصابة الى قتل رقيب العمليات كما احرق الاردنيون محاصيل الحنطة حول الدبابات، وكانت الدقائق الثلاث الاولى من اصعب اللحظات التي واجهها اللواء، فالجميع اطلقوا النار كالمجانين واحترقت الحقول، وتألم الجرحى وبعد حوالي ساعة تقريبا اصبح بالامكان اخلاؤهم الى معسكر القيادة ولكن تم صد الاردنيين.

في مرحلة اعادة التنظيم اهتم قائد اللواء بانقاذ ١٨ شخصا من رجال اللواء

تم عزلهم حوالي ١٠ ساعات عند ناقل للمياه في القسم الجنوبي من السهل بعد ان اشتغلوا في اصلاح دبابة اصيبت بخلل وعزلهم الاردنيون، وقاد عملية الانقاذ النقيب اهارون (جوني) ضابط الهندسة. ففي عملية كانت كلها (شجاعة واقدام) وتحت رماية قاتلة جرت عملية الانقاذ التي استمرت ساعات وكلفت ثمنا باهظا بالارواح، وبعد ان تم اخلاء المصابين وتناول المحاربون الطعام لأول مرة منذ ٢٤ ساعة بدأت المعنويات تتحسن، وفي هذه الاثناء اجرى قائد اللواء تقديرا للوضع وقدر القوة الاردنية المتواجدة عند مثلث قباطية بسريتي دبابات (١٥ ـ ٢٠ دبابة) والقوة الموجودة في عرابة في الجناح الايمن بحوالي كتيبة، وبعد المعركة قال قائد اللواء: لقد كانوا على الجبال وكان علينا ان نهاجمهم عن طريق السهل وتقرر تأجيل الهجوم الى فجر اليوم التالي والحصول على اسناد جوي ومدفعي وفي الليل حظي المحاربون براحة قصيرة وعالجوا آلياتهم جيدا، واستمدوا التشجيع من حجم الاسناد الذي وعدوا به.

بدأ الهجوم في صباح السابع من حزيران، وقد بدأت الهجوم طائرات سلاح الجو الاسرائيلي، وبعد ذلك لعلعت المدافع، واقتحمت خمس كتائب ميدان المثلث واحتلته خلال ٣ دقائق. وعندما هجمت الدبابات والمجنزرات سقط مثلث عرابة ومثلث قباطية من جديد بايدي لواء المقدم موشه وخسر الاردنيون عشرات الدبابات والباقون انسحبوا.

وفي ساعات الليل طلب من القوات الاسرائيلية أن تتوقف لئلا تصيب بعضها بعضا. وفي صباح الثامن من حزيران وجد جنود الاستطلاع التابعون للواء عشر دبابات باتون وكانت محركاتها لا زالت مشتغلة في كرم للزيتون قرب دير شرف. كما ان دبابات اخرى من اللواء الاربعين ضربت على ايدي اللواء ٣٧ الذي عمل في سهل الزبابدة القريب بقيادة العقيد اوري روم. ونجت من الكتيبة الرابعة الاردنية اربع دبابات فقط. وهذه الدبابات تمكنت من اجتياز جسر داميا الى الشرق قبل ان يصل اليه رجال هندسة اللواء لنسفه بوقت قليل.

خلال ٦٠ ساعة من القتال، دون توقف تقريبا، هزم اللواء ٤٥ الذي يستخدم دبابات شيرمان القديمة قوة اكبر منه بنسبة الضعفين وتتكون من لواءين اردنيين يمتلكان ١٢٠ دبابة باتون حارب بعضها اللواء المجاور في منطقة الزبابده. وبعد

الحرب جمعت وحدات الجيش الاسرائيلي الغنائم من ميدان المعركة التي اشتملت على حوالي ٨٠ دبابة باتون منها ٥٠ دبابة مصابة و٣٠ دبابة صالحة للاستخدام الفوري ضمن سلاح الدروع في الجيش الاسرائيلي.

كما كانت من بين الغنائم (٣) مدافع لونغ توم وكتيبة مدافع ميدان من عيار ٢٥ رطلا وبطاريتا مدافع متحركة. وكان الثمن باهظا جدا ففي معركة سهل دوتان، التي وصفت بأنها من اكبر معارك الدروع في حرب الايام الستة خسر اللواء ٤٥ الكثير من رجاله. كما دمرت العشرات من دبابات اللواء ومجنزراته. ولكن المهمة لم تنته بعد. ففي الساعة ١٣٠٠ من ظهر الثامن من حزيران وبعد ان تم نسف جسر داميه واصبح كتلا من الدخان الضخمة انحرف اللواء واتجه الى هدفه القادم ـ هضبة الجولان. فهناك نتأهب لبدء المعركة الثالثة والاخيرة في حرب الايام الستة ـ ضد العدو السوري.

داوود وجوليات في سهل الزبابده

عندما اشتد أوار الحرب في سهل دوتان، وعلم ان الاردنيين يعززون قواتهم في منطقة جنين، ارسل اللواء المدرع ٣٧، بقيادة العقيد اوري روم، لتهديد العدو ومهاجمته قرب جنين، للتخفيف على اللواء الآلي ٤٥ بقيادة المقدم موشه باركوخبا، الذي حارب هناك. وكان لواء روم أحد الوية الاحتياط الاولى التي جندت في اواسط ايار ١٩٦٧. ففي الليلة الواقعة بين الخامس والسادس من حزيران اجتاز اللواء المدرع الاربعين جسر داميه وانقسم الى محورين. فتحركت نحو طوباس، كتيبة دبابات «باتون» معها وحدة مشاة آلية وبطاريتا مدافع محمولة وسرية مدرعات، وذلك لتعزيز لواء روم بمنع تعزيز القوات في جنين.. ولكن لتنفيذ هذه المهمة فلم تكف الدبابات التي انزلها المقدم روم في البداية من الشمال، لأن معظمها كان دبابات خفيفة من نوع امكس ١٣ والقليل منها كان دبابات سنتوريون. ولهذا استدعى قائد اللواء بقية قوات اللواء، بما في ذلك قوة المشاة المحمولة، والمدفعية المتحركة وبقية وحدة الاستطلاع، باستثناء قوة مدرعة ابقيت منتشرة نحو الشمال في مهمة دفاع وصد.

العميد اليعاد بيلد، قائد المجموعة، أمر العقيد روم بان يحتل دير ابو

ضعيف، والقيام بعملية صد باتجاه قباطية والتحرك الى جلقموس لاحتلالها. ودير ابو ضعيف هي قرية كبيرة، تقع على بعد حوالي ٦كم شرقي جنين. وكان يوجد من فوقها موقعان اردنيان وفيهما كتيبة مشاة مزودة باسلحة مضادة للدبابات وبمدافع غير مرتدة. ومن هذه القرية تخرج طريق تتجه الى قباطية، التي تقع على بعد ٥كم جنوب جنين. وبواسطة هذه الطريق يمكن الاتجاه نحو قرى ام توت وجلقموس الواقعتين فوق دير ابو ضعيف. وقد اغلقت هذه الطريق بالواح من الباطون المسلح وبالالغام. كما اغلق ممر آخر، لم يكن يشكل طريقا حقيقيا هو الآخر بالواح باطون مسلح ولكن لم يكن ملغوما. واتضح ان الاردنيين لم يهتموا بجدية بامكانية الحركة على هذه الطريق. وكانت تسيطر على الحاجزين مواقع رشاشات متوسطة.

مفاجأة من الوادي

القوة الامامية وصلت الى الهدف مع الفجر، وانتشرت بسرعة ضمن انتشار واسع واقتحمت المنطقة. وتمكنت هذه القوة من تدمير اربع سيارات جيب تحمل مدافع غير مرتدة اخفيت في الاحراش. وارسلت قوات صغيرة من كتيبة المقدم رفائيل (رفول) شيفر الى القرى القريبة، لحماية منطقة العملية. وبدون تأخير ارسلت القوة الى ام توت الواقعة على رأس الجبل اغلقها الاردنيون بحجارة اسمنت مسلح وبالغام مضادة للدبابات وللافراد. وبالقرب من الحاجز انضمت الى قائد اللواء وحدة استطلاع اللواء، بقيادة يهودا جيلر والمدافع المتحركة بقيادة حاييم يركوني.

قائد وحدة الاستطلاع، يهودا، خرج للبحث عن طريق التفافية. واتصل بالخلف قائلا انه عثر على محور غير مريح لمرور الدروع، ولكنه ليس ملغوما ومغلقا بحجارة اسمنت ليست مسلحة بالحديد. ومرر يهودا سيارات جيب وبدأ بتسلق الطريق. وابلغ قائد اللواء بقوله: نستطيع المرور ونصل مباشرة الى جلقموس .

الى الاعلى من جلقموس وجدت طريق مستقيمة تمتد نحو منطقة سهلية مريحة لحركة الدروع. وكان من المجدي جداً اختبار هذا الاحتمال. فسارت عليه دبابات امكس ١٣. واتضح عن طريق هذه الحركة بان المفاجأة هي سلاح قيم جدا وان الطريق الالتفافية هي احيانا أقصر واسرع.

سيارات الجيب التابعة لوحدة الاستطلاع، وعدة دبابات امكس وعدة دبابات

سنتوريون بقيادة رفول ظهرت من المحور الى المنطقة العالية. وفورا شوهدت عدة دبابات باتون اردنية تتحرك بسرعة على عرض الجبهة وربما للقيام بعملية صد في مكـان أبعـد. فاصيبت دبابة اردنية واحدة واشعلت فيها النار. واحتلت دبابات السنتوريون مواقع افضل ودمرت دبابة اردنية اخرى. واما الدبابة الثالثة فانسحبت.

قوات المشـاة المـدرعـة بقيادة عميرام ارسلت لحماية المنطقة. واما وحدة الاسعافات الطبية بقيادة النقيب الدكتور دان فقد تمركزت في مكان مريح. والقوة الامامية دخلت قرية جلقموس ولم تواجه تقريبا اي مقاومة. ومن هناك تحركت على طريق من الدرجة الثانية الى القرية الصغيرة تلفيت. وكانت المقاومة الوحيدة قد شملت في عمليات قنص من الاجنحة.

عندما وصل العقيد روم الى تلفيت والتقى بقائد الكتيبة رفول، وجد نفسه في نقطة تطل على جميع المنطقة. وكان يمتد على سفح القرية سهل عميق جدا يبلغ حوالي ٤كم وعرضه حوالي ٣كم وهو سهل الزبابده.

وفي هذا السهل تمر طريق من جنين الى طوباس مخترقة قباطية. واما بلدة الزبابدة فكانت تقع على قارعة الطريق. والى الجنوب منها تقع قرى كفير وعقبه والى الجنوب منهما تقع بلدة طوباس. وهذه القرى تطل على المنطقة الواقعة أمام تلفيت.

ومن تلفيت تهبط الطريق الوحيدة الى سهل الزبابدة. وبين تلة عقبة وتلة تلفيت وقرية عقبه اقام الاردنيون حاجزا مكونا من حجارة الاسمنت المسلح طوله ٣كم وكان هدفه منع امكانية اجتياز السهل جنوبا نحو طوباس ونابلس.

ومن المعتقد ان الاردنيين لم يتوقعوا ظهور قوة دروع اسرائيلية في تلفيت، على ظهر الجبل، في المنطقة التي تطل على سهل الزبابدة وعزلتها فعلا عن سهل دوتان. وكان واضحا ايضا، ان الاردنيين لم يعرفوا كم كان حجم القوة الاسرائيلية وماذا كانت نواياها.

مأساة للآذان

لقـد كانت النية الاولى للعقيد روم هي تنفيذ البند الاول في مهمته، وهو، القضاء على امكانية ارسال نجدات إلى منطقة قباطية. وقد فعل ذلك بواسطة نيران

الدبابات والمدافع من منطقة تلفيت، بدون ان يهبط الى السهل الذي سيطر العدو عليه من الجبال المقابلة، والذي تمتع به الاردنيون بتفوق في المعداتِ ـ دبابات باتون امام دبابات امكس، وخلال وقت قصير توقف تقدم الاردنيين على طول الطريق.

واما النية الثانية للعقيد روم فكانت تهدف الى جمع اللواء كله في منطقة تلفيت. وفي الساعة الثانية بعد الظهر تجمعت معظم قوة اللواء في المكان.

تكون وضع غريب: العقيد روم سيطر على جانب واحد من سهل الزبابده ولم يمكن الاردنيين من ارسال قوات الى سهل دوتان، واما العدو الذي كان مرابطا في معسكر الزبابده وقرية الكفير وفي منطقة عقبة، لم يمكن اللواء الاسرائيلي من اجتياز السهل والتقدم نحو طوباس ونابلس. فلو انزل العقيد روم دروعه الى سهل الزبابده في وضح النهار، لكان قد القى بدبابات الامكس طعاما سائغا لدبابات الباتون الاردنية المتفوقة عليها ولتحركت القوة الاسرائيلية في منطقة طوبغرافية رديئة.

طرح اقتراح، للقيام بمحاولة لاجتياز السهل تحت ستار دخاني، مدفعي كثيف. واقترب وقت الغروب. وتحدث قادة الدبابات عن نقص في الوقود والذخائر. فارسلت بعض السرايا الى الخلف، للتزود بالوقود وبالذخائر، وفي هذه الاثناء رجحت الكفة لصالح القيام بعمل ليلي. وبعد ساعات الظهر اشتد وطيس الحرب بين الاردنيين والاسرائيليين مستخدمين نيران المدافع والدبابات، ولم تكن الرماية الاردنية دقيقة ولكن بين الحين والاخر اصيبت معدات واشخاص. استدعي سلاح الجو لمساعدة اللواء في تحسين مواقعه استعدادا للعملية الليلية، وربما ايضا لاجبار الدبابات الاردنية على الظهور، لكي تستطيع المدافع الاسرائيلية رمايتها. وفي الساعة السادسة مساء ظهرت ٦ طائرات اسرائيلية اثنتان من نوع اوراغان، واربع من نوع مستير. فامطرت الجانب الايمن من منطقة السهل بوابل من نيرانها. واصابت الطائرات اربع دبابات اردنية. وكانت الاضرار الحقيقية محدودة، ولكن آمال حاييم تحققت. فقد شاهد ايلي، ضابط مراقبة، الدبابات الاردنية التي غيرت مواقعها اثناء ساعة القصف الجوي ووجه المدافع لقصفها. وتم قتل الطواقم والجنود الاردنيين الذين انسحبوا اثناء القصف، من قذائف المدفعية، واشتعلت النيران في عدة دبابات اردنية. وهذه الشعل ساعدت بعد ذلك في توجيه القوات في الليل.

وقد جوبهت الطائرات بنيران مكثفة من طوباس، التي كان يبدو انها تشكل مركزا قويا للعدو، ويغلق الطريق الى نابلس. واثناء عملية القصف الجوي وجهت المدفعية نيرانها نحو معدات العدو. وراقب القادة منطقة السهل واما الوحدات فقد تزودت بالوقود وبالذخائر. وبلور العقيد روم خطة العملية. والتي اشتملت على ان تقـوم المـدافع باطلاق قنابل انارة لاضاءة الطريق أمام الدبابات التي ستقتحم السهل. وارسال وحدة الاستطلاع لجس نبض العدو حتى لحظة الاقتحام وانارة المنطقة بواسطة اطلاق قنابل انارة من مدافع الهاون المستخدمة من قبل رجال الاستطلاع واخيرا قيام الدبابات بالاقتحام عن طريق محورين. القوة الاولى تهاجم في الجانب الشرقي للسهل وخلف سور الباطون، والقوة الاخرى تتحرك الى معسكر الزبابده وقرية الكفير وعقبه حتى تتصل بالقوة الاولى خلف جدار الباطون، على الطريق المؤدية الى طوباس. وكل قوة تتكون من قوات ثانوية تقوم بمساعدة بعضها بعضا. واما قوة المشاة المدرعة بصحبة دبابات فاعدت لتطهير الجانب الأبعد من السهل، بعد ان تغمره الدبابات، واحتلال الزبابده ومعسكر الزبابده. وبعد ذلك تضع هذه القوة، قوة غلق على محور قباطية.

تم تشكيل طاقمي استطلاع. وقاد يهودا وحدة الاستطلاع المكونة من الطاقم الذي تحرك من تلفيت على طول الطريق التي تمر قرب قرية الزبابده والتي تصعد نحو الكفير. واما نائبه، حناني، فقد تحرك على طريق سلسلة التلال التي تطل عليها قريـة تلفيت باتجـاه سلسلة جبال الكفير، بهدف كشف ما يجري وراء الجبال. ووصلت الطواقم الى مسافة قريبة جدا من قوات العدو واستطاعوا ان يسمعوا جيدا الاصوات التي صدرت من هناك. وقال حناني للعقيد روم لاسلكيا: نريدك ان تتكلم بصوت منخفض فهم قد يسمعوننا.

«احدهم خرج عن طوره»

في الساعة العاشرة ليلا اجتمعت مجموعة الأمر التي اشرك فيها قائد اللواء ايضا قادة السرايا لكي يفهم الجميع خطة العملية المعقدة، التي تعتمد على الحركة السريعة في الليل. وعندما وزع العقيد روم المهام بدا له أنه يرسل الكثيرين من ماموريه الى الموت المؤكد. فقد كلفت القوة باجتياز السهل دون وجود اية امكانية

التفاف او اخذ ملجأ. وكان القادة مرهقين، وبدا لقائد المدفعية حاييم انهم كادوا ينامون وهم واقفون. ومع هذا فقد اعتمد قائد اللواء على مأموريه. فقد كان يعرف كل واحد من ضباطه. وكان من بينهم النقيب ران شريغ ابن ناحوم شريغ الذي كان قائدا مشهورا للواء في حرب (الاستقلال). وكان معهم دودين، احد سكان رمات يوحنان وابن ضابط كبير في الجيش الاسرائيلي. وكان من بينهم «جبَل» من كيبوتس جبع وكان رفول قائد الكتيبة، رجل لواء هرئيل في البالماح في حرب (الاستقلال) وضابطا في اللواء ٣٧ منذ يوم تشكيله. وكان قائد الكتيبة الثانية ميشكانهوراي رجل مستوطنة غنيغار ولواء هرئيل وكان كثيرون غيرهم لم يقلّوا عنهم شيئا.

في الدقيقة العشرين تقريبا بعد منتصف الليل اصدر قائد اللواء أمر الرماية للمدفعية. وكانت المدافع المتحركة قد صمتت عن سبق عمد واصرار منذ ان حل المساء، وكأنها قد استنفذت طاقتها في ساعات النهار. وفي هذه اللحظة تمت يقظة قوات العدو نيران مكثفة فتاكة وباعثة للرعب. فقد قال رجل دروع قديم: منذ بداية حياتي لم اسمع رماية مكتظة وقوية كما حدث في تلك اللحظة. والى لعلعة المدافع اضيفت اصوات محركات الدبابات التي انحدرت نحو السهل. ورغم الضجة العارمة في الخارج بدا لرجال الدروع بانه من الممكن الاستماع الى دقات قلوبهم التي سببها امر «تحرك!».

وقال الملازم الاول ران: «تصور مدى الانفعال». فانت ما زلت تذكر ما شاهدته في ساعات النهار، وتعرف بان للعدو عشرات الدبابات المتمركزة بمواقع افضل وانه يعرف بانك هنا وانك تنوي مهاجمته، وفجأة يصدرون لك الامر بالاقتحام مباشرة. فهنا تبدأ الشك في صحة وسداد رأي القادة. وعندما وصلنا الى السهل وسمعت بواسطة اللاسلكي امرا بانارة المصابيح والسير بانوار كاملة وبكامل السرعة، اقتنعت تماما ان احدهم قد فقد صوابه. وكنت في وسط الدبابات الثلاث الامامية وكنت واثقا بان قذيفة معادية ستصيبني فور اضاءة المصابيح. ولكن القذيفة لم تأت».

بعد المعركة قال قائد اللواء: لقد كان منظر المعركة جميلا. فكثافة النار، والانارة الجيدة، والسهل المزروع بمئات المصابيح، والسرعة وضجة جنازير الدبابات والمحركات، ازالت كل شك في قدرة هذه القوة على تنفيذ المهمة».

اطلقت مدفعيـة حاييم النـار على مدى ٢٢ دقيقة وامطروه قذائف فتاكة وقـذائف انـارة على فترات متقطعة، من اجل اصابة العدو، وانارة الطريق أمام المقتحمين. وعندما اقترب رجال الدروع من قوات العدو توقفت قنابل الانارة، ومرة أخرى خيّم الظلام على السهل. دخلت الدبابات الاسرائيلية قرية الكفير وتبادلت نيران المدافع مع العدو ولكنها لم تتوقف وواصلت التقدم نحو قرية العقبة. وهناك اتجهت الى الخلف، بموجب الخطة، وبدأت تدمير العدو من الخلف. وفي كل مكان مرت به الدبابات الاسرائيلية، ظهر جنود المشاة المدرعة وطهروا المنطقة. ولحماية المشاة المدرعة خصصت عدة دبابات سنتوريون لمقاتلة طواقم الدبابات الاردنية.

كان تقدير العقيد روم صحيحا: فمعظم افراد طواقم الدبابات الاردنية لم يكونوا في معداتهم عندما بدأ الهجوم فقد تسبب القصف المدفعي في اخراجهم منها. ولكن مع وقف نيران الاسناد المدفعي سارع الكثيرون منهم الى معداتهم لخوض غمار حرب شعواء من جديد ولكنهم كانوا متأخرين. فقد كانت القوة الاسرائيلية في وسطهم. وقد حاربت دبابات امكس الصغيرة والسريعة كمحاربة داوود لجوليات. ودمرت دبابات باتون افضل منها من مسافة بضع عشرات فقط من الامتار. وكان الارتباك في ميدان القتال مذهلا: فمن داخل دبابة اردنية لوحوا بمصباح لدبابة اسرائيلية لادخالها في موقع داخل الحرش. وهذه الدبابة الاردنية دمرت من مسافة ١٥ـ٢٠ مترا. وفي تلك الاحراش دمرت دبابات اردنية اخرى. وكان زخم الهجوم كبيرا جدا الى حد ان لواء العقيد روم وصل الى طوباس دون ان يتوقف تقريبا. وقد وصل قبل طلوع الفجر وكانت بلدة طوباس مهجورة.

«في نابلس هتفوا للنجدة»

بعد احتلال طوباس وصل أمر من قيادة المجموعة يقضي بالتقدم نحو نابلس لاغلاق المحاور الى نابلس وطلوزه. وفي تلك الساعة لم يكن واضحا، فيما اذا سيلقى احتلال نابلس على عاتق اللواء ٣٧ أم أن الهجوم سينفذ من اتجاهين، باشتراك لواء مدرع آخر. ونص الأمر على التقدم الى الامام. والقيت واجبات الغلق على كتيبة دبابات الامكس، وعلى طاقم الاغلاق بقيادة نائب قائد الفئة حناني. وفي الساعة ٨٠٠. نصبت الكمائن باتجاه طمون، ودامية وطلوزه.

الى مهمة احتلال نابلس، الحقت كتيبة مشاة من لواء جولاني، بقيادة المقدم موشه يوسف، بلواء العقيد روم. وابلغ قائد وحدة الاستطلاع، أنه يبدو له أن من الممكن التحرك نحو نابلس. في تلك الساعة كانت مجموعة قيادة كتيبة الامكس في منطقة الغلق باتجاه دامية. وكان قائد وحدة الاستطلاع، يهودا أول من فرض النظام في المنطقة وحول عددا كبيرا من الآليات والمدرعات ودبابة واحدة الى مشاعل. واما النقيب ران قائد السرية الاولى في كتيبة الامكس فقد استمر في الغلق باتجاه دامية. واما يهودا فتحرك نحو نابلس. وكانت مشكلته الاولى احتلال قسم الطريق المتعرج على طول ضلع الجبل، مقابل وادي الابرخ. ومن خلال تطهير الطريق من السيارات الاردنية ومجموعات الجنود، وصلت وحدة الاستطلاع الى المنطقة المفتوحة، على بعد حوالي ٢كم من نابلس. ٣٠ر٩. ابلغ يهودا بان المنطقة تبدو هادئة.

درست امكانية لارسال قوات اخرى الى المحور الذي قاد الى نابلس من الشرق، والقيام بمحاولة لاختراق المدينة بهدوء. فانطلق قائد السرية جيل في طريقه واقترب من نابلس بسرعة. وبعد ذلك قال: عندما خرجنا الى المنطقة المفتوحة بدأ اشخاص يخرجون من ضواحي المدينة. ووقفوا الى جانب الطريق وهتفوا. واعتقدت: أنه بهذه الصورة اعتاد العرب الى استقبال المحتلين..». وقال قائد الكتيبة رفول ان جيل مر بسرعة على المدخل الاول للمدينة، ودخل المدخل الثاني. واتجه يمينا ودخل في المدينة. ووقفت جماهير من السكان ولوحوا بايديهم وهكذا فعل جنود اردنيون ورجال الحرس الوطني المسلحون ببنادق. وكان معظم المدنيين مسلحين باسلحة خفيفة. وتصورنا انه كانت بانتظار اللواء رحلة انتصار سريعة وبسيطة. حتى ان اتضح الخطأ: بالقرب من مركز الشرطة اراد أحد رجال الدروع الاسرائيليين أن يستولي على سلاح أحد المدنيين فامسك المواطن العربي ببندقيته. فاطلق شخص آخر النار وفجأة تفرق الجمهور ولجأ الى المنازل. واتضح ان عرب نابلس ومدافعيها اعتقدوا بانه وصلت اليهم نجدة اردنية ولهذا استقبلوها بالفرح...

وقال المقدم رفول، القينا فئة دبابات امكس في المداخل الجنوبية لمدينة نابلس ونشرنا دبابات أمام الشرطة.

قائد اللواء وصل الى قائد الكتيبة في مجنزرة مجموعة القيادة وامره بتخصيص دبابات لوحدة الاستطلاع من اجل ان تتمكن هذه من عبور المدينة واحتلال المداخل

الغربية. فارسلت دبابتان. وبعد مرور بضع دقائق وصل عداء من وحدة الاستطلاع وطلب دبابتين اخريين لأنه توجد عمليات قصف من داخل المدينة. وعندها تم استخدام رجال جولاني لتطهير منحدرات جبل عيبال وجبل جرزيم اللذين سيطرا على المدينة. وبالمقابل ارسلت فئة من دبابات امكس بقيادة الملازم الاول غيورا (جورجي) فايس، للبوابة الغربية للمدينة. وهناك حدث تماس مع دبابات العدو وخلال دقائق معدودة دمرت قوة غيورا عشر دبابات وناقلات جنود اردنية. وخلال هذه المعركة تبودلت احيانا قذائف من مسافة امتار معدودة. وعندما تلاشى غبار الحرب اصيبت دبابة غيورا بقذيفة اطلقتها طائرة من سلاح الجو الاسرائيلي وهي احدى الطائرات التي ارسلت للمساهمة في احتلال نابلس. بعد احتلال نابلس اعطي اللواء ٣٧ وقتا لاعادة تنظيمه، وعندها ارسل الى الهضبة حيث بدأت معركة الاختراق والاحتلال في يوم التاسع من حزيران ١٩٦٧.

الهجوم على هضبة الجولان

عندما كانت القوة الرئيسة من اللواء السابع والثلاثين بقيادة العقيد اوري روم، يحارب في منطقة الزبابده واحتل نابلس بقيت احدى كتائب اللواء، وهي كتيبة المقدم امنون جينسكي منتشرة للدفاع عن المستوطنات الشمالية. وهذه الكتيبة احدى الوحدات القديمة جدا في اللواء، واعدت للدفاع عن المستوطنات في اصبع الليل ضد هجوم محتمل من جانب سوريا.

في اليوم الاول للحرب، قبل المساء، قصف السوريون روشبينا. واسكت الجيش الاسرائيلي مصادر الرماية، ولكن التوتر في الشمال بلغ ذروته. وعندما اقترب فجر السادس من حزيران كانت سرية دبابات بقيادة اليوشكا من كتيبة امنون، منتشرة في تل دان، امام موقع تل حمرة، ومواقع البانياس وتل عزيزات. واما دبابات الرائد عامي لف طوف ويعقوب وسرية المشاة المدرعة بقيادة جادي رفن فكانت في حالة انتظار، في منطقة عميقة جدا داخل الاراضي الاسرائيلية. وطيلة ذلك اليوم قصف السوريون المستوطنات الشمالية وتعرضوا لردود فعل من المدفعية ومن سلاح الجو الاسرائيليين.

وفي الساعة ٧ر٤٠. ظهرت ٦ دبابات ووحدة مشاة سورية من تلة البانياس

وتقدمت نحو كيبوتس دان. وقامت سرية دبابات اسرائيلية ترابط في احراش تل حاي واعضاء الكيبوتس بوقف تقدم هذا الهجوم ودحره.

وفي الساعة ٠٠ر٣. من فجر التاسع من حزيران انضمت كتيبة امنون الى اللواء المدرع بقيادة العقيد ابراهام (البرت) مندلر واما اليوشكا ونمير فقد الحقا بكتائب جولاني. واما الرائد عامي لف طوف فقد نقل تحت قيادة كتيبة المشاة المدرعة في اللواء الثامن بقيادة البرت في حين تحركت بقية الكتيبة في اعقاب دبابات المقدم بيرو من اللواء الثامن. وكان محور الهجوم قد بدأ من تلة الهام ومر بغور العسكر ونعموش وزعوره. وكان هدف الهجوم: احتلال المواقع الموجودة على محور بانياس مسعدة وكانت هذه المنطقة معروفة لجميع قادة الكتيبة بواسطة المراقبات وخطط في الماضي.

ثلاثون اسيرا

في الساعة ٣٠ر١٠ خرجت القوة من كريات شمونا وتحركت خلف كتيبة بيرو. وفي منطقة تلة الهام وجه اليهم قصف شديد، وسارت الحركة ببطء. وفي سير اديب انضمت قيادة اللواء الى القوة، عندما كانت الكتيبة الاولى تواصل قتالها نحو قلعة، واما القوات الاخرى في اللواء فقد تحركت على طريق النفط الى زعوره. ومن زعوره تحرك نائب قائد الكتيبة، بنتسي، من خلال هجوم كاسح، الى موقع زعوره من الجهة الشمالية، وصعد على قناة اتصال، ودمر مدفعا مضادا للدبابات واصيب هو بنيران بازوكا ومدفع مضاد للدبابات. وقتل اثنان من رجال قوته وجرح ثلاثة آخرون. كما اصيبت دبابة اخرى. واما بقية الفئة فقد، اقتحمت الموقع السوري واحتلته واسرت حوالي ٣٠ اسيرا. في اعقاب هذه الفئة تحركت الدبابات المتبقية بقيادة يعقوب واستمرت متحركة على طول الموقع ودمرت دبابات العدو في جباب الميس ودمرت دبابتي اس يو ١٠٠ ومدافع مضادة للدبابات في قلعة والمحور الرئيس. ثم اتصلت ببقية كتيبة بيرو في قلعة.

رجال جادي قاموا بتطهير موقع زعوره ومن ثم تقدموا الى قلعة وطهروها. واثناء حركة رجال جادي احتل جدعون الطريق، بسبب انقطاع مؤقت في الاتصال، وواصل مطاردة جنود العدو المنسحبين نحو مسعده، الى ان استؤنف الاتصال فعاد

الى زعوره. من تلك الليلة رابطت القوة في قلعة. واجريت عمليات اخلاء المصابين، بقيادة الدكتور هاريس، وشرع في اصلاح الدبابات والمجنزرات استعدادا للمستقبل.

عنـدما كانت قوة امنون تحارب لاحتلال زعوره وقلعة، كان لواء جولاني، مشغـولا في قتـال ضارٍ في تلة الفخـار وتل عزيزات وبعد ذلك واصل تقدمه الى البانياس. ومع كتيبتين من اللواء عملت سريتا نمير واليوشكا. ولكن مصاعب الحركة، والالغام ورماية المدفعية عرقلت التقدم. وسارت سرايا الدبابات على راس الكتائب لشق طريق لها لتساعد في الحرب.

في المعركة الضروس التي خاضها السوريون في تل الفخار امطر السوريون نيرانا فتاكه على المهاجمين. واصيب الكثيرون من جنود جولاني. لذلك اصيبت دبابة عزرا، التي حاولت الدخول في الموقع وتقديم اسناد ملازم لجنود المشاة، من وابل القذائف التي تمكن بعضها من اختراق تصفيحها. واصيب جميع افراد طاقمها. كذلك اصيبت دبابة قائد السرية.

في العاشر من حزيران تحركت السرية السابعة، معززة بدبابات اليوشا، في راس اللواء، الذي كان قد انتقل كله من سهل الزبابده ومن نابلس الى الهضبة. وقامت هذه القوة باحتلال قرية مسعده. واما سرية الرائد عامي لف طوف الذي قتل في معركة سابقة فقد سلمت الى نائبه موشه. واما سرايا اليوشا ومبادي ويعقوب فجمعت في كتيبة امنون ودخلت على راس اللواء مدينة القنيطرة. وعالج الدكتور هاريس المصابين تحت الرماية. واما الرقيب الفني شفيلي الذي كان قد اظهر في حملة سيناء قدرته الفنية وشجاعته فقد حصل على وسام تقدير له من قبل قائد اللواء. كما وزعت اوسمة تقدير على رجال اللواء حتى من قبل المستويات العليا جدا. وكان من بين المتفوقين ايضا رجال المقدم رفول شيفر الذي كلف بالتحرك على محور غونـين ـ الراويـة ومساعدة سلاح المشاة لاختراق محاور حركة واقتحام وارسل ميشكا نهوراي مع سرية دبابات للسير على طريق دربشيه ـ حفر. ومقابل دبابات الشيرمان الكبيرة والثقيلة بقيادة المقدم امنون بدت دبابات الامكس ١٣ بقيادة رفول صغيرة وخفيفة ولكنها ابلت بلاء حسنا اثناء قيامها بإداء الواجبات التي القيت على عاتقها. بعد مجموعة من المعارك شاركت فيها وحدات اللواء بشكل انفرادي،

حان وقت الاتصال. فتحركت سرية الاستطلاع وكتيبة رفول وقيادة اللواء بسرعة الى مثلث واسط، حيث التقت هناك، بدبابات امنون التي كانت تتجه نحو القنيطرة. فاتجه رفول يسارا وتقدم بسرعة الى قرية نفح. وعلى بعد بضعة كيلومترات من مثلث نفح. اصطدمت سرية الاستطلاع بمؤخرة دبابات سورية كانت قد لغمت الطريق في عدة اماكن. صعدت احدى الدبابات التي تسير في المقدمة على لغم. وفي الساعة ١٤ر٣٠ وصلت القوة الى المثلث وانتشرت في حالة غلق. واما يهودا ووحدته فقد واصلا السير حتى مداخل القنيطرة الجنوبية حيث سمعت باجهزة الاتصال اصوات رجال امنون الذين انضموا للواء ودخلوا «عاصمة الجولان» من الشمال الغربي. وقبل حلول المساء كان اللواء كله محشودا في مثلث نفح. وهناك انتهت الحرب بالنسبة للواء العقيد روم.

اللواء الثامن يقتحم

في يوم الخميس، الثامن من حزيران ١٩٦٧، وفي ساعات بعد الظهر الاولى، كان اللواء الثامن بقيادة العقيد ابراهام (البرت) مندلر مجتمعا في منطقة روشبينا كريات شمونا. وقد جرى الاجتماع، وتشكيل الطواقم الاساسية واصدار الاوامر وجميع التحضيرات الاخرى لتنفيذ مهمة قتالية للواء مدرع، تحت الضغط الشديد لأن القيادة امرت اللواء بان يكون مستعدا للتحرك نحو اهدافه في الساعة ١٥٠٠ من نفس ذلك اليوم. بعد أن تجول قادة الوحدات في محاور التقدم ومنطقة الاختراق، ولكن العملية اجلت لان غيوما منخفضة لم تمكن سلاح الجو من تقديم كامل الدعم لعملية الاختراق. واستغل نفر قليل من رجال اللواء التأجيل لأخذ قسط من الراحة. ومرة اخرى تم فحص الدبابات والآليات المقاتلة الاخرى، واصلحت بعض حالات الخلل وفصلت خطط واعطيت توجيهات.

وفي غداة اليوم التالي، وفي الساعة ٩ر٠٠. صدر امر الاستعداد للتحرك وبعد مرور حوالي ساعة صدر أمر التحرك. وفي الساعة ١٠ر١٠ كان اللواء كله في حالة حركة وكان الهدف العام هو هضبة الجولان. واما هدف اللواء فكان قيادة قوات القيادة الشمالية في الهجوم والاختراق شرقا نحو تلة الهام واقتحام مواقع غور العسكر ونعموش والتمسك برأس الهضبة عن طريق احتلال مواقع زعوره والوقوف

على أهمية الاستعداد لاستغلال النجاح للقيام بعملية اختراق نحو القنيطرة عن طريق مناطق قلعة وواسط.

إن ما ميز الخطوط الامامية السورية في حرب الايام الستة، بالاضافة الى الانتشار المكثف لقوات المشاة، والدروع والمدفعية، كان مجموعة التحصينات ودمجها الجيد بالمرتفع الصخري لهضبة الجولان. إن هذه المجموعة، بحد ذاتها، أثقلت على امكانيات الحركة والمناورة في الهضبة بالاضافة الى الصعوبة الماثلة في الصعود الى الهضبة. فقد عمل السوريون طيلة ١٩ سنة على اقامة «خط ماجينو» السوري وهو الخط الذي كان عميقا جدا وكان كله محفورا ومتشابكا بالاستحكامات التي بنيت من الباطون المسلح، وكل موقع كان محاطا جيدا بالاسلاك الشائكة وبالالغام. والى جميع هذه الامور لا بد من اضافة حقيقة أن السوريين انتظروا منذ الخامس من حزيران، في حالة تأهب قصوى، لامكانية قيام الجيش الاسرائيلي بتوسيع الحرب لتشمل جبهتهم وكانوا يعرفون جيدا المحاور التي يمكن سلوكها للصعود الى الهضبة.

أثناء بلورة الخطة مثلت امام انظار العقيد «البرت» افتراضات اساسية عدة منها: بما أن عملية الاختراق ستتم في وضح النهار، وفي منطقة صعبة ومغطاة بنيران مدفعية مكثفة، ستتقدم اللواء قوة من الدبابات. وهذه القوة ستضمن كفاءة عبور جيدة لكونها تتمتع بحماية تصفيح افضل، ولهذا السبب ستحدث الدروع اشد عامل صدمة.

ونصت الخطة على أن تقوم القوات الامامية بغمر الاهداف واقتحامها وأن لا تنشغل بعملية التطهير. فعمليات التطهير ستتم عن طريق المشاة المدرعة التي ستتحرك من الامام. وكانت الفكرة من وراء ذلك هي خلق ضغط مستمر للامام. ومن اجل تلاشي اصابة الالغام، تقتحم القوات عن طريق الطرق الموجودة، المؤدية الى المواقع السورية من الجناح أو من الخلف. وقد وعدت القوات المهاجمة باسناد جوي ومدفعي مكثف سيتم استغلاله لاطلاق نيران تمهيدية واسناد ملازم. وستتحرك القوات من مناطق انتظار بعيدة. وسيجرب تنظيمها ودخولها للهجوم من خلال الحركة.

...وكأنها مناورة

في الساعة ١١٫٣٠ اجتازت الكتيبة الحدود واتصلت بالقوات الخلفية قائلة: «اخضر». وفي الطريق واثناء اجتياز تلة الهام التي قصفت بنيران مدفعية ثقيلة، لحقت باللواء خسائره الاولى، وكان من بين الذين قتلوا ضابط قديم ومحبوب من الجميع وهو الرائد موشه جيب (موش).. ولكن تقدم قوات اللواء لم يتوقف، وانما ظل مستمرا الى الامام.. ودخلت القوات في معركة.

كانت الكتيبة المقتحمة الاولى مزودة بدبابات «سوبر شيرمان» وهي دبابات يعود تاريخ صنعها الى الحرب العالمية الثانية، وادخل الجيش الاسرائيلي تحسينات عليها. وسار في مقدمة الكتيبة قائد السرية نتنئيل «ناتي» هور فيتس. وكان المقدم بيرو في الدبابة الخامسة في السرية القيادية.

اجتــاز ناتي بزخم، الاهداف الاولى المتمثلة بمواقع غورالعسكر ونعموش، عندما كانت فئة من الدبابات تغطي على تقدم الفئات الاخرى والتي اقتحمت الهدف دون أن تصاب بنيران مدافع البازوكا والاسلحة الخفيفة التابعة للسوريين. وكانت الاستحكامات السورية المبنية بشكل ثلاثي يغطي بعضها على بعض محفورة عميقا بالصخر وكانت مموهة جيدا. ولم تلحق بها نيران مدافع الهاون اية أضرار. وكان لا بد من دوسها ودحرجة قنابل يدوية الى داخلها. وقال ناتي لحسن حظي حملت معي كمية كبيرة من القنابل اليدوية. السرية التي كان من المقرر أن تحل محل سرية ناتي تأخرت بسبب التضاريس الصعبة للمنطقة. وابلغ ناتي، قائد الكتيبة بجهاز الاتصــال: لا توجــد مشاكل. فنحن نعمل وكأننا في مناورة. واطلب الموافقة على الاستمرار». فاعطيت الموافقة وقامت سرية ناتي باحتلال نعموش.

رافقت القوة المقتحمة فئة هندسة مزودة بجرافات لتمهيد طريق للدبابات. واشر قادة الهندسة على خطين متوازيين يبعد الواحد عن الاخر حوالي خمسين مترا. وعلى طول هذين المحورين شقت الجرافات طريقين وكان رجال المتفجرات يحملون على ظهورهم المواد الناسفة لتفجر الصخور الكبيرة بشكل خاص.

بموجب الخطة الاصلية كان على القوة ان تتجه نحو الشمال الشرقي، خلف موقع نعموش، في الطريق المؤدية الى طريق النفط الممتد على طول انبوب النفط، وبعد ذلك تتجه الى زعوره، ولكن بسبب شكل المنطقة لم يعثر على ممر انعطاف، وشعر

ناتي الذي كان معرضا لنيران سورية غزيرة أن عليه مواصلة الحركة لكيلا يصبح هدفا ثابتا للعدو وان لا يكسر زخم الهجوم. واذا ما اتجه يسارا فانه سيكشف جناح الكتيبة لنيران كثيفة من المواقع. وكانت المسافة بين نعموش والموقع التالي، عوقصه حوالي ٧٠٠ متر فقط. ومن موقع عوقصه اطلقت باستمرار نيران على القوة المهاجمة. فتقدم ناتي على الطريق الالتفافي من الشمال نحو موقع عوقصه في حين كانت مدافع دباباته موجهة الى الموقع وتطلق النار عليه. واقتحمت قوة ناتي هذا الموقع وهي تسير في صف واحد لأن المنطقة كانت صعبة المسالك وكانت ملغومة ولم تتوفر فيها أي امكانية للمناورة.

تعديل الخطة

الموقع التالي على طريق الدوريات، كان القرية المحصنة سير اديب. وعندما وصلت سرية ناتي الى هذه النقطة، تبين لقائد الكتيبة بيرو أن قوته القيادية وصلت الى هدف غير الهدف الذي تقرر في الخطة الاصلية. فبدلا من أن تتجه الى زعوره، واصلت الكتيبة تحركها على طريق الدوريات. ولم تكن هناك امكانية لأن تتجه الى الخلف او تنحرف وقادت طريقها مباشرة الى الموقع المحصن والمطل على قلعة.

عندما علمت القيادة الاسرائيلية أن القوة المتقدمة انحرفت عن خط مسارها المقرر واصبحت خلف قرية سير اديب وامام قلعة، دعت الحاجة الى تقدير وضع جديد وسريع. وفي تلك الساعة، كان رئيس الاركان الجنرال اسحق رابين في موقع القيادة، وبسط امامه قائد القيادة العميد دافيد اليعازر (دادو) امكانية قيام القوة بالمناورة وتواصل السير على المحور الجديد نحو قلعة.

وصادق رئيس الاركان على التعديل الذي ادخل على الخطة: اقتحام قلعة في الجنوب بدلا من الاستمرار في التقدم شمالا. ومرر التعديل في الخطة الى قائد اللواء، البرت وقال له «دادو»: «القتال على قلعة هو القتال الرئيس الآن».

خرج نصف سرية ناتي من قرية سير اديب وبحث ناتي عن امكانية لتطويق قلعة والوصول الى زعوره، بدلا من ان يهاجم قلعة مباشرة. ولكنه لم يعثر على طريق آخر وفي هذه الاثناء كانت جميع المعدات والاسلحة السورية توجه رمايتها بدقة على الطريق التي قادت الى قلعة.

ونشر ناتي سريته بموجب امر قائد الكتيبة لتقليص خطر الاصابة. ولكن في تلك الساعة اصيب بيرو بجروح خطيرة في عنقه وفي وجهه نتيجة اصابته بعيارات نارية من رشاش للعدو. ورغم الجرح والدم الذي نزف من جسمه، واصل المقدم بيرو قيادة كتيبته. وبما انه اصيب بوجهه ايضا ولم يعد قادرا على الكلام، كتب اوامره ومررها بواسطة ضابط اتصالاته، يوفال، الذي كان جالسا معه في الدبابة، وقد بث يوفال الاوامر بواسطة شبكة الاتصال، ولكن بعد تقدم بضع مئات من الامتار جرح بيرو ثانية، ودعت الحاجة الى اخلائه للاسعاف.

قبل اخلائه مرر قائد الكتيبة امرا خطيا: ناتي يتسلم القيادة ويواصل تقدمه الى قلعة. فقد اعتمد بيرو على ناتي، الذي دربه ورعاه طيلة ثلاث سنوات. وحاول يوفال، ضابط الاتصال أن يتصل مع ناتي، لكنه لم يفلح، لان دبابة سورية أصابت دبابة ناتي بقذيفة خارقة للدروع. وقد تعطل جهاز الاتصال وتوقف عن العمل. فنزل ناتي الى بطن الدبابة واصلح جهاز الاتصال. وعندما اراد الصعود ثانية على برج الدبابة قطعت يده في الزاوية الحادة من بطن الدبابة التي اصابتها القذيفة.

في هذه الاثناء بقيت الكتيبة بدون قيادة، ولكن ليس لأكثر من دقيقة. فقد كان قائد وحدة الاستطلاع الرائد الدكتور رافي موكدي بالقرب من دبابة قائد الكتيبة، عندما تم اخلاء المقدم بيرو الى الخلف. ورغم ان موكدي لم يكن رجل دروع فقد صعد دبابة قائد الكتيبة لأنه كان اكبر الضباط في المنطقة وكان خبيرا في خطة العملية.

وكانت الحرب ضارية في تلك اللحظة وهنا حدث خلل لمدفع دبابة رافي. فوقف في برج الدبابة واستخدم رشاش القائد الى ان اصيب بجروح قاتلة: وكان امره الاخير: ناتي، تسلم القيادة».

ملازم اصبح قائد كتيبة

نفذ ناتي، وهو ملازم اول يبلغ من العمر ٢٥سنة بدون تردد. فقد عرف هو والضابطان اللذان كانا معه ايلان وآفي وهما شابان مثله أنه يجب عدم ضياع ولو ثانية واحدة. وفور ذلك ابلغ قائد اللواء بانه تسلم قيادة الكتيبة. وفي تلك الساعة كان العقيد البرت في طريقه الى سيراديب وعرف انه لا يمكن فك التماس مع قلعة

بدون التعرض لخسائر جسيمة. ولهذا فقد حول العقيد البرت نفسه، ومعه قوة اخرى من الدبابات نحو زعوره، طبقا للخطة الاصلية وذلك من اجل التخفيف من الضغط على كتيبة بيرو الضعيفة ومن اجل تنفيذ الخطة الاصلية. ولهذا كان على البرت ان يقوم بعملية تطويق يبلغ طولها حوالي ١٠كم.

خلال الحركة، اطلع البرت قائد اللواء بصورة الوضع فقال: ان «زافيت» (وهو اسم الشفيرة لسرية ناتي) يتقدم نحو قلعة. وسرية دبابات اخرى تقتحم زعوره. وسرية مشاة مدرعة تقوم بالتطهير. وكتيبة دروع تهاجم زعوره العليا. ومن زعوره ستتوجه قوتنا الى قلعة». واعرب العميد اليعازر عن ارتياحه للعملية فقال: ان خطأ التوجيه الذي حدث بالقرب من نعموش أمام محور النفط، تسبب في زيادة الزخم. فقد دفع القوة للوصول الى الهدف بسرعة اكثر وبعمق اكثر مما اعتقدت».

اصبحت سرية ناتي على بعد ٢كم من قلعة. ووجدت نفسها في منطقة غير مسيطرة ومعرضة لنيران العدو. وعندما تسلم ناتي القيادة، كانت تحت تصرفه ٢١ دبابة ضمن ثلاث سرايا. اما الدبابات الاخرى من الكتيبة فقد اصيبت وصعدت على الغام أو انها تعطلت في مرحلة الاختراق. ومن اجل تحسين سيطرته على القوة انتقل ناتي الى دبابة اخرى. فامر جنوده بقصف القلاع السورية من مسافة تتراوح بين ٤٠٠ـ٦٠٠ متر من اجل اسكاتها. ولكن الحرب الرئيسة كانت ضد الدبابات والاسلحة المضادة للدبابات السورية المرابطة في المواقع الجبلية الى الجنوب من الطريق. وهناك دمرت ثلاث دبابات سورية واثنتان في قلعة. وفي تلك الساعة صعدت سرية اخرى على الجبل من الشمال واما الدبابات المتبقية فقد تقدمت خلف حاجز الاسلاك الشائكة بدون أن تتعرض للمزيد من الازعاج من قبل القوة السورية المرابطة في الجبل.

الآن اصبحت الكتيبة عند حاجز الاسمنت الذي اقيم على الطريق على مسافة ١٨٠٠ متر من قلعة. فطلب ناتي اسنادا مدفعيا. فتقدم ايهود ضابط الاسناد الى الامام ووجه المدافع من موقع متقدم وخطير جدا. وقد تمكنت نيران المدافع من اسكات النيران السورية المضادة للدبابات ومكنت الدبابات من العبور في حاجز الاسلاك الشائكة. ومرة اخرى توقف الاتصال ثانية. فقد اصابت رصاصة خوذة ناتي وجرحته. وغطى دمه صندوق المراقبة فتوقف جهاز الاتصال. وفي غمرة لهيب

المعركة لم يشعر ناتي بالجرح الذي أصيب به، ولكن انقطاع الاتصال ازعجه جدا، فحاول اصلاح الخلل، وعندها اصيبت دبابته. واستخدم ناتي الدخان وتحت ستاره انتقل الى دبابة قائد فئة.

أمر ناتي سرية الدبابات الموجودة على الجبل بالنزول الى الطريق المؤدية الى قلعة. وصعدت سرية اخرى من الكتيبة على الجبل لتغطية الدبابات التي أمرت بالنزول. وبعد ذلك غطت السريتان من المحور، على نزول السرية الثالثة من الجبل. وهكذا تقدمت الكتيبة كلها حتى وصلت الى الحاجز المقام على الطريق». واصدر ناتي أمرا قال فيه: ان كل من كانت دبابته صالحة، يجب عليه اقتحام الحاجز والتقدم نحو قلعه. واما من كانت دبابته غير صالحة فعليه ان يقوم بتغطية المتقدمين على الطريق المرتفع».

قامت ١١ دبابة بعملية التغطية. واجتازت ١٠ دبابات الحاجز. وقد ادخل ناتي الدبابات واحدة، واحدة من اجل الحيلولة دون الاكتظاظ وبما ان الأتصال بين الدبابات تشوش لكثرة الاصابات التي تعرضت لها كان ناتي يمرر اوامره باعلى صوته. وقد عبرت الدبابة الاولى ولكنها اصيبت واشتعلت. وبسبب ضراوة القتال لم يتم اخلاء المصابين فاي تأخير سيؤدي الى وقوع المزيد من الخسائر البشرية فصرخ ناتي: تجاوزوا الدبابات المحترقة واقتحموا الهدف!».

دبابة في بيت من الحجر الاسود

قائد اللواء، الذي كان يحارب في تلك الساعة في زعوره طلب من ضباطه. «حاولوا ايجاد زافيت» ومعرفة ما هو وضعه. «وسرعان ما جاء الرد: زافيت يخوض حربا ضارية ولديه دبابات كثيرة مصابة. وبقيت لديه دبابات صالحة قليلة جدا. وقد اصيب أحد قادة دبابات ناتي ولم يستطع توجيه سائقه لاجتياز الحاجز. فقام ناتي بتوجيه قائد الدبابة المصاب. وقد تقدمت نحو قلعة فقط سبع دبابات. وهنا جرح قائد الدبابة التي كانت تسير في المقدمة واستمر سائقه بالسير بموجب الامر الاخير الذي تلقاه، وبسرعة الغيار الاول. وقد تسبب مسيره البطيء في تأخير الدبابات التي تسير خلفه. فحدث تعطيل لحركة سير الدبابات. وامر ناتي بتحديد المسافة بين الدبابات وهي خمسون مترا. على الاقل بين كل دبابة واخرى. وفي هذه

الساعة الحرجة ابلغت قيادة اللواء، ناتي أن سبع دبابات سورية خرجت من واسط على بعد ٥كم جنوب قلعة، ويبدو انها تنوي تعزيز قلعة. ولاول لحظة فكر ناتي بان يأمر دباباته بالاسراع الى الامام واحتلال مواقع على التلة المسيطرة على قلعة قبل ان يحتلها العدو حيث سيسيطر على القوة الاسرائيلية الصغيرة الموجودة في منطقة منخفضة. ولكن دباباته الأولى الثلاث كانت قد وصلت الى مدخل قلعة.

اخفى السوريون دبابة في منزل من الحجر الاسود مكون من طابق واحد ومن نافذته بدأوا باطلاق النار على الدبابات الاسرائيلية وكانت النافذة مظلمه وفوهة المدفع سوداء ولهذا كان من الصعب تحديد مصدر الرماية. وقد تمكنت هذه الدبابة السورية من اصابة الدبابات الاسرائيلية الثلاث الاولى واوقفت تقدمها وقتل من طواقم الدبابات وعددهم ١٥ جنديا سبعة جنود وجرح ثمانية. ولهذا فقد دخلت قلعة ثلاث دبابات فقط. وهي كل القوة التي بقيت تحت قيادة ناتي. وكان ناتي في واحدة من هذه الدبابات.

كانت شبكة الاتصالات مشوشة. بحيث كان ناتي يسمع قادة دباباته، ولكنهم هم لم يسمعوه. وقد وزع اوامره بواسطة الصراخ والرايات، وفي كل مرة كان يقترب من الدبابة التي اراد قائدها استبدال الحديث معه. وقد اصابت قذيفة بازوكا احدى الدبابات الثلاث وبقيت دبابتان. وفي هذه اللحظة اكتشفت الدبابة المتخفية في البيت الاسود. وقد اسكتتها الدبابتان اللتان بقيتا صالحتين بقذائف خارقة للدروع ووصلتا الى قلعة. وقد تخيل ناتي للحظة أن الهدف اصبح بيده وأنه من الممكن تنفس الصعداء، ولكنه فور ذلك شاهد على الطريق، من الجهة الجنوبية ثلاث دبابات سورية، كانت واحدة منها من نوع تي ٣٤ واثنتان من نوع اس يو ١٠٠. وكانت هذه الدبابات على ما يبدو جزءا من النجدة التي ابلغ بقدومها ناتي من قيادة اللواء. وفور ذلك امر دبابته بالاختفاء في ظل البيوت. ومع هذا طلب اسنادا جويا عاجلا وابلغ بانه لا توجد طائرات متفرغة. وعليه فقد التصقت الدبابتان بالمنازل من الجهة اليمنى في القرية واما الدبابات السورية التي وصل عددها الى ١٠ دبابات فقد تقدمت بين المنازل من الجهة اليسرى. وقد تجمع رجال الدروع الذين نجوا من الدبابات المصابة بعضهم سليم والبعض الاخر مصاب بجانب دبابة ناتي ووزع القائد عليهم قنابل يدوية ورشاش عوزي للدفاع عن انفسهم وأمر هذه القوة الراجلة

أن تمشط المنازل القريبة وأن تقوم بتطهيرها. ومن هذه البيوت اطلقت النار على القوة الصغيرة.

قلعة بايدينا!

لقد تم اختراق قلعة، ولكن لم يتم احتلالها بعد. وهذه الحقيقة اقلقت قائد القيادة الشمالية. فإذا اغلق السوريون محور الاختراق، فان القوات الاسرائيلية ستصبح مكشوفة على حافة الهضبة. وكان احتلال قلعة هاما لحماية القوات المتقدمة نحو الهضبة وحيويا لمواصلة عملية الاختراق في جميع هضبة الجولان. فالح على البرت أن يسارع في احتلال زعوره ويتوجه لنجدة ناتي في قلعة. ومع هذا طلب العميد اليعازار الاسراع في ارسال اسناد جوي للمحاربين في قلعة. فاسرع البرت في احتلال زعوره وتوجه الى قلعة. وعندما كان في طريقه شجع ناتي قائلا: اصمد ولو قليلا نحن سنصل اليك مع كل اللواء».

قبل الحرب قال العقيد البرت لمأموريه: «ان روح الدروع تعني الهجوم بالاضافة الى الجرأة والقدرة على التنفيذ المستمر. فالفرق بين سلاح المشاة والدروع، هو أن رجل المشاة مطالب باستنفاذ كل طاقته الجسدية، اما رجل الدروع فمطالب باستنفاذ كافة قدرته وقدرة دبابته». وبهذه الروح حارب ناتي ورجال كتيبة المقدم بيرو، وبهذه الروح جرت الآن عملية الاتصال السريعة.

لقد كانت الساعة ١٨٠٠، وبعد قليل سيحل الظلام. وفي الظلام لا يستطيع سلاح الجو مساعدة المحاربين وخاف ناتي من أن يزداد حجم النجدات السورية وان يشن العدو هجوما بقوات حاسمة، قبل ان يتمكن قائد اللواء من الوصول من الشمال. وعندها، وقبل حلول الظلام بدقائق معدودة وصلت الطائرات. ولم تكن بحوزة ناتي اجهزة اتصال او وسائل تشخيص. ولم يستطع الطيارون ان يميزوا من الاعلى بين دبابات ناتي والدبابات السورية ولهذا اغاروا مرتين على قلعة دون ان يقصفوها. فذعر السوريون وانسحبوا من قلعة. وفي هذه الاثناء عثر على قنبلة دخانية داخل احدى الدبابات. وهذه الاشارة مكنت الطيارين من التشخيص فاغاروا كالصقور على الدبابات السورية. وفي نفس الوقت اصدر ناتي امر رماية لرجاله. فاصاب رجلا المدفعية في الدبابتين الاسرائيليتين الصالحتين في قلعة دبابتين

سوريتـين. وفي الساعة ١٨٫٣٠ وصل قائد اللواء البرت مع النجدة اللوائية الى المداخل الشمالية للقرية. وهذه القوة دمرت بقية الدبابات السورية وحاربت النجدات الاخرى التي ارسلت الى قلعة. وقد اراد جزآ اللواء ان يتصلا بعضهما ببعض ولكن ناتي خشي ان يطلق احدهما النار على الاخر. وبعد مرور وقت ما عثر على اشارة متفق عليها فاتصلت القوات بعضها ببعض.

ومع حلول الظلام في الساعة ١٨٫٤٥ مرر تقرير الى موقع القيادة: «قلعة بايدينا».

لقد نفذ ناتي ، الملازم الاول الذي اصبح قائد الكتيبة في ذروة قتال ضارٍ المهمة الرئيسة من اختراق الخطوط السورية في هضبة الجولان رغم ان اكثر من نصف دباباته قد دمر وقتل ١٤ جنديا من جنوده وجرح الكثيرون. وقد حارب في مناطق صعبة جدا اكثر مما حارب العدو السوري نفسه الذي تفوق عليه طوبغرافيا وعددا.

امـا القـوة من اللواء الثامن التي هبت لنجدته فقد فعلت ذلك من خلال محاربتها لمواقع زعوره. فحتى هناك كانت الحرب ضارية وسقط فيها جنود كثيرون. وقد اصيبت الدبابة القيادية واغلقت الطريق. وتوقف الرتل كله وبدأ باطلاق النار. ودارت المعركة من مسافات قصيرة جدا. والاوامر التي نصت على الالتفاف على الدبابة التي اصيبت واقتحام وسط الهدف لم تلتقط لأن الهوائيات وجزءا من أجهزة الاتصال قد تضررت.

المجنزرات التابعة لقيادة اللواء انحرفت واتجهت الى الهدف على امل أن تتحرك الدبابات في اعقابها، ولكن الدبابات ظلت مشغولة في التعامل مع الهدف ولم تلاحظ ما يجري. فارسل العقيد البرت ضابطين مشيا على الاقدام الى الدبابات التي كانت على بعد حوالي ١٠٠ متر من الخلف. فركض الاثنان كالمجانين في منطقة تكاد تحترق من كثافة الرماية ووصلا الى الدبابات واوضحا لقادتها امر قائد اللواء. وعندها اتجهت الدبابات الى الهدف وداست بجنازيرها قنوات ومواقع واستحكامات. وهكذا تم حسم المعركة.

وكانت عملية التنظيم قصيرة جدا. فابقى العقيد البرت قوة المشاة المدرعة لتطهير زعوره وقام هو بنفسه بقيادة الدبابات على محور ظهر الجبل الى قلعة.

يسرائيل طال

قائد قوات الدروع في حرب الايام الستة: ١٩٦٤/١١/٢ - ١٩٦٩/٣/١٠

كان العميد «الاحتياط» يسرائيل طال (طليك) الذي لقبه الخبراء الاجانب بلقب «المستر دروع» سابع قائد لقوات الدروع، في فترة حرب الايام الستة. وقد تميزت فترة عمل العميد طال كقائد لقوات الدروع بالتعاظم النوعي واسع النطاق الذي تمثل في العملية التي شملت استمرار التسلح بدبابات جديدة من نوع باتون م/٤٨، وتطوير دبابات من نوع (سنتوريون محسن) وتطوير معدات حربية اخرى. وتميز العميد طال بتطبيق انظمة ربط وضبط شديدة في جميع المجالات الفنية المهنية لطواقم وقادة الدبابات نوعيا عن طريق توحيد اساليب التدريب ونظرية حرب الدروع في جميع القوات الاسرائيلية وتطبيقها طبقا للظروف التي تميز الدروع. وخلال فترة قيادة يسرائيل طال شرع في اجراء بحث يتعلق بموضوع شراء دبابات المستقبل للجيش الاسرائيلي، وفي اطار هذا البحث الشامل فحصت دبابات كثيرة، من بينها دبابات من نوع «تشفتن» بريطانية الصنع. والعميد طال الذي طور دبابة «مركبا» وكان مسؤولا عن انتاجها، بلور المبادىء التي توجه تطوير هذه الدبابة التي شكلت عام ١٩٨١ جزءا من دبابات الخط الاول في سلاح الدروع.

ولد يسرائيل طال في (ارض اسرائيل) (فلسطين) عام ١٩٢٤ وترعرع وتعلم في بئير طوبيا. وتجند في الجيش البريطاني عام ١٩٤٢ وشارك في المعارك التي خاضتها الكتيبة الثانية من اللواء اليهودي في جبهة ايطاليا عام ١٩٤٥. وساهم في عمليات الانقاذ والمشتريات بعد الحرب العالمية الثانية. وفي عام ١٩٤٦ انضم الى الجهاز الدائم لمنظمة «الهاجناه» كمدرب رشاشات متوسطة. وشارك في المعارك التي دارت على طريق القدس، وفي عملية «نحشون» قاد فئة تابعة لاحدى كتائب لواء جبعاتي. وفي عام ١٩٤٨ انتقل الى لواء «عوديد» كقائد سرية اسناد وبعد ذلك نقل الى فئة تدريب في رئاسة الاركان بصفته خبيرا في اسلحة الاسناد. وارسل الى تشيكوسلوفاكيا للمساعدة في ارسال اسلحة الى اسرائيل. وشارك مع اللواء السابع في معارك «الايام العشرة» في الجليل، في عملية «حوريب» وعملية «عوفدة».

وبعد حرب (الاستقلال) عين مدربا في دورة قادة كتائب. وعمل قائدا لكتيبة في «جبعاتي» وقائدا لمدرسة المشاة في عام ١٩٥١ وفي عام ١٩٥٢ عين اركانا لقيادة

التدريب. وفي حرب سيناء كان قائدا للواء المشاة الذي اشترك في معارك ابو عجيله وبعد ذلك عمل قائدا لمدرسة الضباط. وبين عامي ١٩٥٧ ـ ١٩٦٠ عمل نائبا لقائد قوات الدروع. وبين عامي ١٩٦٠ ـ ١٩٦٤ عمل قائدا للواء السابع ومساعدا لرئيس شعبة الاركان في رئاسة الاركان. وفي عام ١٩٦٤ عين قائدا لقوات الدروع. وفي حرب الايام الستة عمل قائدا لمجموعة دروع ـ (مجموعة الفولاذ) التي حاربت على المحور الشمالي في سيناء. وفي عام ١٩٦٨ عين مسؤولا عن تطوير وانتاج آليات مقاتلة في وزارة الدفاع. وفي عام ١٩٧٢ دعي للعودة الى الخدمة على ايدي رئيس الاركان انذاك، دافيد اليعازر. وعمل رئيسا لشعبة الاركان ونائبا لرئيس الاركان. وفي نهاية حرب (يوم الغفران) ارسل الى الجبهة الجنوبية ليعمل قائدا للقيادة هناك. في نيسان ١٩٧٤ اعتزل الخدمة في الجيش الاسرائيلي. وبعد ذلك عين في وزارة الدفاع مستشارا لوزير الدفاع بيرس وكان مسؤولا عن انتاج معدات حربية ومن ضمنها دبابة «المركبا». وقد حصل على جائزة امن اسرائيل مرتين في عام ١٩٦١ وفي عام ١٩٧٣. وعاد الى الخدمة في الجيش الاسرائيلي عام ١٩٧٨ حيث وضع خطة التنظيم الجديدة التي تصدرتها اقامة قيادة قوات الميدان.

الفصل السادس

الاستنزاف بين حربين
(عبر الدروع / ١٩٦٧)

ما ان تلاشت غيوم غبار ودخان حرب الايام الستة، حتى أن باشر الجيش الاسرائيلي عملية استخلاص العبر. وقد قام رجل الدروع وباحث الدروع العقيد «الاحتياط» البروفسور يهودا فالاخ بكتابة العبر الاولى «للصدمة المدرعة التي ابتدعها الجيش الاسرائيلي في عام ١٩٦٧». وفيما يلي اهم ما كتبه:

منذ حرب الاستقلال تضمنت النظرية الحربية للجيش الاسرائيلي قاعدة اساسية نصت على انه اذا اضطرت اسرائيل لخوض الحرب ثانية، فان الحرب ستنقل باسرع وقت ممكن الى اراضي العدو. والسبب: اسرائيل لا تتمتع بمجال مناورة - اي منطقة تستطيع التنازل عنها تحت الضغط حتى الانتظام لهجوم معاكس (خلافا للاتحاد السوفياتي مثلا، الذي استطاع ان يسحب قواته أمام الغزو الالماني في الحرب العالمية الثانية حتى خط موسكو، ونقل الصناعات الثقيلة الى ما وراء جبال الاورال وبعد ذلك انتقل الى الهجوم المعاكس الذي اوصل «الجيش الاحمر» حتى برلين).

فباستثناء سلاح الجو، لا يوجد سلاح يستطيع القيام بهذه المهمة بصورة انجع إلا سلاح الدروع. وبالفعل فان قوات الدروع لتنفيذ مهام اخرى، دفاعية - مثل انتشارها في الجنوب في فترة الطوارىء التي سبقت حرب الايام الستة، وانتشارها في الواجهة الاردنية والسورية حتى الانتقال للهجوم في هذه الجبهات، ولكن رجال الدروع رأوا في مرحلة الصد والدفاع مرحلة انتقالية فقط، يجب خلالها خلق الظروف التي ستمكن من الانتقال الى الهجوم ونقل الحرب الى اراضي العدو.

إن مبدأ نقل الحرب الى اراضي العدو، قد طبق بكامله على ايدي الجيش الاسرائيلي في حرب الايام الستة، وباستثناء هجمات فاشلة قام بها السوريون في واجهة تل دان وشآر يشوف، لم تطأ قدم اي عدو (ارض اسرائيل) في هذه الحرب. وكان سلاح الدروع رأس السهم والقوة الضاربة البرية التي نقلت الحرب الى ما وراء حدود (الدولة)، في جميع الجبهات.

حشـد القـوة

في حرب الايـام الستـة، كما هي الحال في جميع الحروب التي خاضتها اسرائيـل، والدول العـربية، كان الجيش الاسرائيلي متخلفا من ناحية العدد عن الجيوش المعادية. والاسوأ من ذلك، فطوق العدو يحيط باسرائيل من الشمال والشرق والجنـوب، ويستـطيع العدو ممارسة ضغوط من كل الاتجاهات، في الوقت الذي يستطيع فيه الجيش العمل ضد هذه الضغوط عن طريق توزيع قواته للواجهات والجبهـات المختلفـة. وبما أن الاولوية في الخطة الحربية الاسرائيلية في حزيران ١٩٦٧، اعطيت للجبهة المصرية بهدف القيام اولاً بضرب الحلقة القوية في سلسلة الاعداء، فقد تم حشد معدات الدروع المتفوقة جدا في الجبهة الجنوبية، واما في الواجهات الاخرى فابقيت معدات قديمة وقليلة. وعليه كان ضعف دروع الجيش الاسرائيـلي بارزا اكثـر في واجهات الشرق والشمال. وعليه يجب قياس مكاسب الجيش الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ على ضوء موازين القوى هذه.

على الرغم من الضرورة الموضوعية التي انطوت عليها عملية توزيع قوات الدروع، فقد تمسك الجيش الاسرائيلي بشدة بمبدأ حشد القوة، حتى في الجبهات التي استخدمت فيها في مراحل معينة، قوات دروع قليلة الى جانب قوات غير مدرعة كثيرة، وكان هناك اغراء لتوزيع قوات الدروع لمساعدة القوات الاخرى. والدليل على ذلك، حشـد مجموعات دروع قوية في نطاق الفرق المجحفلة التي استخدمت في الجبهة المصرية، وهي فرق العمداءطال، ويافه وشارون، واستخدام مجموعات دروع متجمعة على ظهر الجبل في الضفة الغربية والتعزيز المستمر لقوات الدروع التي استخدمت لاحتلال هضبة الجولان.

كان جانب من معـدات الدروع التـابعة للجيش الاسرائيلي متخلفا نوعيا بالمقارنة مع دروع العدو. ونجم تفوق قوات الدروع الاسرائيلية من نظرية الادارة الصحيحة ومن مستوى التدريب العالي للجنود وللقادة، بما فيهم رجال الاحتياط على اختـلاف مستوياتهم. وهذا الامر ينطبق اولا على مستوى رجال المدافع في الدروع. ففي هذا المجال حققت مكاسب جيدة، ابتداء من دقة الرماية لمسافات بعيدة والرماية من خلال الحركة، وانتهاء بتلك الحالات التي اصطدمت فيها معدات ذات ميزات فنية وتصفيحية ضعيفة بمعدات ذات ميزات متفوقة كذلك فان طواقم

الاحتياط لم تقل مستوى عن مستوى الطواقم النظامية، وخاصة بفضل فترة الانتظار التي فرضت عليهم ابتداء من اواسط ايار وحتى اندلاع الحرب يوم الخامس من حزيران. وفي هذه الفترة الزمنية سنحت الفرصة لرجال الاحتياط لانعاش خبراتهم المهنية. وكانت النتيجة: انه لم يكن هناك فرق بالنسبة لمستوى العمل بين المجموعات النظامية وشقيقاتها الاحتياطية.

في قوات الدروع انعكس بشكل بارز مبدأ «القادة في المقدمة»، بروح الدعوة: «اتبعوني». كذلك تواجد القادة الكبار في ميدان القتال نفسه وقرأوا صورة القتال من المراقبة شخصيا ومن اجراء اتصال مباشر مع مأموريهم. وهكذا امكنهم ان يؤثروا فوراً على سير القتال. في معارك الدروع المتحركة، يتغير الوضع بسرعة، وخطوط الاتصال البعيدة لا تمكن القادة الموجودين في الخطوط الخلفية من التأثير قبل فوات الاوان على ما يجرى في خط النار. ففي عملية قادش برز الحجم السريع لتقدم مجموعات الدروع، وبشكل تجاوز كثيرا ما هو متبع في جيوش العالم. ولكن في حرب الايام الستة سجلت ارقام جديدة وخاصة على ايدي اللواء السابع المدرع وقوة المهمة المدرعة «قوة غرانيت».

طول النفس

حتى في مجال «طول النفس» لمجموعات الدروع، فقد بنيت قوات الدروع الاسرائيلية في عام ١٩٦٧ على عبر حرب «قادش». فالرحلة المتتالية للكتيبة التي كانت بقيادة المقدم ابراهام برعام، من مجموعة العقيد ليسكار (يشكا) شدمي، نحو ممر المتلا، مثلث قدرة محاربي الدروع على «اطالة النفس» في ظروف قتالية متتالية وتوتر نفسي، مكون من الاشتباك مع العدو ومن الارهاق المتزايد. ففي تموز ١٩٦٧ طرح السؤال التالي: ماذا سيحدث اذا لم تكن الجولة القادمة سريعة ونشطة مثل حرب الايام الستة؟ وماذا سيحدث اذا فرضت على الجيش الاسرائيلي حرب اطول؟ وقد اعطي الجواب بصورة قاطعة في حرب (يوم الغفران)، التي وقعت في تشرين اول ١٩٧٣.

يبين التاريخ العسكري، أنه يوجد تفوق كبير للجانب الذي يأخذ زمام المبادرة، ويملي على خصمه طبيعة الحرب ومراحلها. وفي حزيران ١٩٦٧ تمكن

الجيش الاسرائيلي من اخذ زمام المبادرة من البداية والمحافظة عليها حتى نهاية الحرب. ففي الجبهة الجنوبية انعكست المبادرة البدائية للجيش الاسرائيلي في ثلاثة انماط مختلفة: ففور اندلاع الحرب اخترقت مجموعة العميد طال الخطوط المصرية في واجهة خانيونس ـ رفح واتجهت الى قطاع غزة من جهة والى العريش من جهة اخرى. وهكذا دمرت احدى النقاط الرئيسة التي كانت تعتمد عليها الخطوط الامامية المصرية. وقد نفذت عملية الاختراق هذه على ايدي قوات مدرعة، ومجموعة مظليين بقيادة العقيد رفائيل ايتان (رفول)، محمولة على مجنزرات.

وهناك نقطة اعتماد أخرى حيوية تم القضاء عليها على ايدي هجوم منسق جيدا شنته مجموعة دروع على خطوط ام كتف/ ابو عجيلة. ولهذا الهجوم الذي وجه الى منطقة عسكرية محصنة، استخدمت قوات دروع، وقوات مشاة ومظليين، ومدفعية وهندسة. وهنا لعبت مجموعة الدروع بقيادة العقيد مردخاي تسيبوري دورا حاسما، حيث استغلت قوات العدو، واسكتت مصادر الرماية من الاسلحة ذات الرماية المباشرة داخل منطقة العدو. بنيران دقيقة، وتطويق للقوات المصرية وعزلها، وفي المرحلة الثانية عملت الدروع الاسرائيلية في عمق منطقة العدو العسكرية، من اجل الاجهاز نهائيا على دروع العدو المتواجدة فيها وعلى اسلحة المدفعية التي لم تسكتها بعد على ايدي قوات المظليين، وقد تم شل الخطوط الامامية للعدو بعد تسلل مجموعة الدروع بقيادة «يشكا» التابعة لفرقة يافه نحو بيرلحفان، فالقضاء على جانبي الخطوط المصرية (رفح وام كتف) من جهة وظهور الدروع من جهة غير متوقعة، من جهة اخرى، تسببا في انهيار القوات المصرية كليا.

وقد حافظ الجيش الاسرائيلي فيما بعد ايضا على مبادرته بواسطة قوات الدروع، وكانت النقاط الرئيسة للعمل اختراق خطوط الشيخ زويد والجيرادي والاحتلال السريع للعريش على ايدي اللواء السابع، والحركة السريعة لقوة (غرانيت) على محور الساحل نحو القناة ومعركة بيرلحفان بالتعاون بين مجموعة دروع من الفرقتين اللتين يقودهما طال ويافه، ومعركة الدروع التي خاضتها مجموعة «يشكا» في جبل لبني والحركة السريعة لكتيبة ابراهام برعام نحو مدخل ممر المتلا، واغلاق هذا الممر الحيوي، والمعركة التي خاضها رجال الدروع بقيادة غونن، واوري بار اون، ومناحم ابيرام مع الدروع المصرية في منطقة بير جفجفة، ومعركة الدروع في

منطقة نخل، التي شاركت فيها مجموعة مردخاي تسيبوري. ليس فقط في مناطق سيناء، التي تعتبر ميادين مثالية لحرب الدروع، بل في المناطق الجبلية والمعزولة في الضفة الغربية لعبت قوات الدروع دورا حاسما في اخذ زمام المبادرة والمحافظة عليها. لقد كان واضحا دائما، ان المصير العسكري للقدس سيحسم على ظهر الجبل، بين شمال القدس ورام الله، فقد سيطرت مجموعة اوري بن آري بسرعة على هذه المنطقة الحيوية، اما الطرف الشمالي لظهر الجبل فقد احتلته مجموعة الدروع بقيادة موشه باركوخبا واوري روم، فالحركة السريعة لهاتين المجموعتين نحو نابلس من الشمال والجنوب، واحتلال نابلس وسهل الزبابدة من قبل قوة اوري، واحتلال جنين وسهل دوتان من قبل دروع موشه، ونزول هاتين المجموعتين الى غور الأردن وجسر دامية واريحا، هذه العمليات كلها حسمت المعركة. فالجيش الأردني بدأ الحرب عن طريق احتلال قصر المندوب في القدس وقصف العاصمة والمطاردات داخل اسرائيل.

حجـم مذهـل

ايضـا في هضبة الجولان المرتفعة، والسحيقة الانحدار والمليئة بالصخور والمحصنة جيدا، املي حجم الحرب من قبل رجال الدروع في الجيش الاسرائيلي، وقد حدثت حالات قامت بها قوات المشاة باختراق بعض الخطوط السورية، ولكن منـاطق اخـرى اخترقتها الدروع بقواتها الذاتية، وبعد ان تم اختراق الخطوط الامامية السورية حددت قوات الدروع وحدها حجم التقدم وعمق التغلغل وهي التي احبـطت نوايـا العدو لاعادة تنظيمه، فمجموعات ابراهام مندلر (البرت) وموشه باركوخبا واوري روم عززت مبادرة الجيش الاسرائيلي ومنحتها زخما وقد تم حسم الجيش السوري في هضبة الجولان في اقل من ٤٨ ساعة.

في هذه العمليات خلقت قوات الدروع الاسرائيلية حقائق جديدة في ميدان القتال بحجم مذهل، ومنعت العدو من تقدير الوضع بصورة متزنة وان يتخذ قرارات طبقا للواقع المتغير. ولم تردع قوات الدروع الاسرائيلية حقيقة كشف اجنحته اكثر من مرة، وكونها معزولة من الخلف وتعرضها لخطر التطويق، فقد كان واضحا ان مصير المعركة كان مرتبطا بسرعة تقدمها وبتهديدها للخطوط الخلفية للعدو، وعندما

انهارت هذه الخطوط حلت تلقائيا مشكلة الاجنحة والمؤخرة المهددة بالخطر.

واكبر مثال على هذه العمليات كان التقدم السريع للواء السابع من رفح الى العريش، فقد دعت الحاجة ثلاث مرات الى اختراق خطوط العدو في الشيخ زايد وفي الجيرادي، ذلك ان اللواء السابع المتقدم الى الامام لم يتأخر للقيام بعملية التطهير من اجل عدم التسبب في تجميد زخم التقدم، وقد تسبب الظهور السريع للواء السابع في العريش باصابة المصريين بالمفاجأة، وقد انطبق ذلك على لواء بن آري في رام الله وعلى لواء باركوخبا في جنين وعلى لواء روم في نابلس.

وفي سيناء، في حين كان العدو مستعدا للقيام بعملية تقدم منتظمة وبطيئة وللتمسك بخط دفاع تلو خط دفاع، تقدمت قوات الدروع الاسرائيلية بقيادة شدمي بسرعة وبصورة مباشرة نحو مداخل ممر المتلا، في منطقة لا زالت تتحرك فيها قوات عدو كثيرة جدا، فاغلاق ممر المتلا منع قوات مصرية كثيرة من الخروج من ميدان المعركة والانسحاب الى مصر، ومكن سلاح الجو الاسرائيلي من توجيه ضربة قاصمة ومدمرة للقوات المصرية عندما ازدحمت امام الممر.

لقد اخذت القوات الاسرائيلية زمام المبادرة وحافظت عليه لأنها لم تفرق بين منطقة سهلة للدروع وبين منطقة صعبة المسالك. فالكتيبة التي كان يقودها نتان نير تحركت في منطقة مليئة بالكثبان الرملية، ومجموعة بن آري تحركت في الجبال، وهذا الامر انطبق ايضا على مجموعات باركوخبا، وروم ومندلر.

صحيح، ان المكاسب الكبيرة لم تستطع التغطية على العديد من النقاط التي تتطلب دراسة وتوضيحا وتعديلا، فأولا لم يكن هناك شك من ان قوات الدروع استطاعت العمل مثلما استطاعت ان تعمل وتتمتع بتزويد مستمر للوقود، والذخيرة، والارزاق، وقطع الغيار، وذلك بفضل المظلة الجوية التي بسطها فوقها سلاح الجو الاسرائيلي، وثانيا، رغم انه كانت في قوات الدروع وحدات مشاة مدرعة كثيرة، وكانت هناك نظرية عمل لهذه الوحدات بالاشتراك مع الدبابات الا ان هذه الوحدات لم تستخدم الا قليلا في واقع حرب الايام الستة.

وكانت هناك ايضا مجالات اخرى كانت بحاجة الى اعادة نظر، ولكن مما لا شك فيه ان حرب الايام الستة توجت بإكليل من الغار قوات الدروع الاسرائيلية التي قطعت طريقا طويلا منذ عهد مرافقتها للقوافل في حرب (الاستقلال) عام

١٩٤٧/ ١٩٤٨ وحتى الايام الستة في حزيران ١٩٦٧.

لقد انتهت الحرب الخاطفة في حزيران ١٩٦٧ بوقف لاطلاق النار، ولكن المصريين لم يتركوا الغبار والدخان يختفيان من على خط القناة الذي يبلغ طوله حوالي ١٦٠كم وخلال وقت قصير جدا بدأوا عمليات الاستفزاز، وقد ساد على طول خط القناة هدوء مشوب بالتوتر تم خرقه بين الحين والآخر عن طريق حوادث اطلاق النار، وقد احتفظ الجيش الاسرائيلي بخط القناة عن طريق لواء دروع معزز الى ان يتم التوصل الى استبدال وقف واطلاق النار باقامة سلام او على الاقل بهدنة منضبطة.

ولكن في نيسان ١٩٦٨ لم يكن بالامكان الاكتفاء بهذه القوة المحدودة، ففي هذا الشهر اعلن الزعيم المصري جمال عبدالناصر، ان مصر وصلت الى مرحلة الصمود امام الجيش الاسرائيلي المنتشر على طول خط القناة، وفي مطلع ايلول اي بعد مرور عام وربع على حرب الايام الستة، اعلن وزير الدفاع المصري انه بدأت مرحلة جديدة ـ مرحلة الردع الفعال، وقد رافقت هذه التصريحات افعال.

قوات الدروع في سيناء

في الثامن من ايلول شرع المصريون بعمليات قصف مدفعي مكثف في الواجهة الشمالية لخط القناة بدءا من القنطرة وحتى بور سعيد، واسرع الجنود الاسرائيليون الذين كانوا يحتفظون بالخط الى الدخول في الاستحكامات والملاجيء، ولكن هذه الاستحكامات والملاجيء بنيت على فرض انه اذا وقعت حوادث ستستخدم منها بشكل خاص اسلحة خفيفة ومتوسطة، وقد دخلت القذائف في الاستحكامات، وفي ذلك الحادث قتل عشرة جنود اسرائيليين وجرح ثمانية عشر آخرون، ولم تكن اسرائيل مستعدة للتسليم بهذا الثمن الدموي، وفورا تقرر تخصيص الطاقات والوسائل الضرورية لعملية التحصن الجدية، وبدأت القيادة الجنوبية بوضع الخطة للعملية.

في ٢٦ اكتوبر انزلت مرة اخرى وبصورة مفاجئة ضربة مدفعية مصرية، واستمرت المدافع المصرية على مدى تسع ساعات متتالية بضرب خط القناة بكامل طوله، فقتل خمسة عشر جنديا اسرائيليا وجرح اربعة وثلاثون، ورد الجيش الاسرائيلي بقصف مدفعي لمصانع تكرير البترول المصرية في مدينة السويس،

وللموانىء في الجانب المصري للخط ولأهداف اخرى، فقام عبدالناصر باخلاء معظم مدن السويس والاسماعيلية وبورسعيد من سكانها، ومهد لمواصلة حرب الاستنزاف المدفعي.

بما ان عملية التحصن في الجانب الاسرائيلي تطلب وقتا طويلا، تقرر ان يوضح للمصريين بأن المبادرة لن تبقى في ايديهم وانهم قد يضربون في مناطق غير متوقعة ومؤلمة. ففي ليلة ما بين ٣١ اكتوبر والاول من نوفمبر ١٩٦٨ اغارت وحدات من الجيش الاسرائيلي بواسطة طائرات عمودية على قلب مصر العليا وضربت محطة ضغط عال قرب نجع حمادي وجسرا على نهر النيل قرب «قنا»، ففهم عبدالناصر الاشارة وامر بالتوقف عن القصف المدفعي الى ان تم تنظيم ميليشيات لحراسة المنطقة المصرية.

مجموعة سيناء

في هذه الاثناء دخل الجيش الاسرائيلي مرحلة جديدة وسريعة بالنسبة لموضوع الانتشار واقامة التحصينات في شبه جزيرة سيناء، وخاصة في منطقة خط القناة، وقد تم استدعاء قائد قوات الدروع العميد يسرائيل طال، ونائبه، العقيد ابراهام (برن) ادان، للاجتماع برئيس الاركان، الجنرال حاييم بارليف، وابلغا بأنه تقرر تعزيز دفاعات سيناء بلواء دروع آخر، ومن اجل قيادة القوات المدرعة في سيناء، ارسل العقيد ادان الى هناك بعد ترفيعه الى رتبة عميد، وكانت المهمة الاولى التي انيطت به هي تنظيم وبلورة الفرقة المدرعة النظامية الاولى في الجيش الاسرائيلي والتي ستتكون من لواءي دروع ومن قوات اخرى وتكون تابعة لقيادة القوات المدرعة في سيناء التي كلف «برن» باقامتها من لا شيء.

اما المهمة الثانية التي كلف بها «برن» فكانت: اعداد عملية الدفاع عن شبه جزيرة سيناء واقامة الاساس والتحصينات لادارة المعركة اذا تجددت الاعمال العدوانية.

وكان من الواضح ان الهدنة لن تطول كثيرا وانه كان لا بد من اجراء تسابق مع الزمن. وما ان وصل العميد ادان الى سيناء، حتى وضعت خطة الدفاع عن سيناء واقيمت التحصينات من قبل القيادة الجنوبية، واما عملية الاشراف فتمت

من بعيد، وقد اعد «برن» في البداية للعمل كمتعهد لتنفيذ الخطط باسم القيادة الجنوبية، وكانت الخطة التي وجدها عندما وصل الى هناك تعتمد على فرضية ان المصريين قد يعبرون القناة عبر مناطق عبور قريبة من الطرق المؤدية الى القناة، امام القنطرة في الشمال، وامام الاسماعيلية عن طريق جسر فردان والدفرسوار في الوسط، وامام ممر الجدي وممر المتلا والسويس في الجنوب.

وقد اطلق على الخطة الدفاعية التي وضعها الجيش الاسرائيلي اسم «سيلع» اي (صخرة) وشملت قوات نظامية قليلة وقوات احتياط اكثر، وكانت النية تتجه الى نشر قسم كبير من قوات «سيلع» على الضفة الشرقية لقناة السويس، ولهذا الغرض اقيمت تحصينات، وامام كل نقطة عبور ممكنة اعدت ساحة واسعة يبلغ طولها ٢كم وعرضها ٢كم، وهذه الساحة احيطت بكثبان ترابية يبلغ ارتفاعها بين ٢ و٣ أمتار وقصد بها ان تكون معسكرا للواء مشاة. وداخل الكثبان الرملية اعدت مواقع لجنود المشاة، واعدت دبابات للعمل من داخل هذه الساحات وان تستخدم الكثبان الرملية كمواقع رماية.

عندما درس «برن» الخطة وجدها انها تعاني من ثغرات: فقوات كبيرة ستستغل في دفاع ثابت على ضفة القناة، والى ان تصل قوات الاحتياط الى الخط، تحتفظ بهذا الخط قوات ضعيفة، وفي كل ساحة تقرر ان يتواجد في كل وقت لا اكثر من ٢٠ جنديا ضمن مجموعات مكونة من ٢ ـ ٣ جنود كل واحدة، وكل مجموعة ترابط في موقع، وقد اعدت مواقع في زوايا الساحة الكبيرة الاربع، واعرب العميد ادان عن تقديره بل وعن مخاوفه من ان القوة الصغيرة والمتفرقة لن تستطيع الدفاع امام غارات سريعة وان من شأن العدو ان يحتل الساحة قبل ان تصل قوات الاحتياط الى هناك.

وعليه باشر العميد ادان بوضع خطة اخرى قصد بها حل الكثير من المشاكل؛ كيف يمكن ان تستقل في العمل العسكري قوات اصغر بقدر الامكان، لتمكين معظم القوات من مواصلة التدريب والاستعداد للحرب وكيف يمكن الاحتفاظ بقوات صغيرة في خط تماس، وهي محمية بقدر الامكان من عمليات القصف والغارات، وكيف يمكن بناء خطة دفاعية ومعركة الدفاع بصورة تستطيع معها القوات غير المشتركة في

العمل العسكري الانضمام لعملية الدفاع بصورة بسيطة ومرنة، قبل بدء المعركة وخلالها.

قال برن: ان النظرية العسكرية تعرف طريقتين رئيستين للدفاع وهما الدفاع الثابت والدفاع المتحرك، ففي الدفاع الثابت تحتفظ القوات بالارض وتحارب من مواقعها بشدة وحزم وكان هذا هو اسلوب الدفاع المصري على خط القناة، ومن اجل اعطاء قدر من المرونة للدفاع الثابت او (الصلب) يقام اثنان او ثلاثة خطوط دفاعية في العمق ويحتفظون بقوات احتياط متحركة، وخاصة قوات دروع، استعداداً للقيام بهجومات معاكسة ضد العدو الذي يريد الوصول الى المنطقة الدفاعية.

اما اسلوب الدفاع المتحرك (او المرن) فينص على الاحتفاظ بقوات صغيرة للتغطية على خط التماس. وهذه القوات تستخدم كشبكة انذار تبلغ بتحركات العدو وعند الحاجة تقوم بتأخير حركاته وتقود قوات الى مناطق تقتيل للعدو، وفي عمق المنطقة يتم الاحتفاظ بالقوات المخصصة للاحتفاظ بالمنطقة، واما حصة الاسد من القوات فستكون قوات احتياط مدرعة ترابط في الخلف ومعدة لضرب العدو في الزمان والمكان اللذين تختارهما حسب تطور القتال، ومن اجل الدفاع المرن يتم التنازل مؤقتا عن منطقة وتجري محاولة لجر العدو الى احدى مناطق التقتيل، وعندما يتم تدمير معظم قوات العدو تعود قوات الحماية الى احتلال المنطقة التي تم التنازل عنها.

طاقم تخطيط

كان «برن» اول من اعترف بأنه توجد حسنات وسيئات لكل واحد من هذين الاسلوبين، ففي اطار اسلوب الدفاع الصلب لا يتنازلون عن الارض، والمدافع يتحصن جيدا في المناطق التي يقرر الدفاع عنها، ولكن العدو يعرف سلفا اين ستقع المعركة، فاذا كانت المنطقة المدافع عنها قريبة من خطوط العدو فانه يكون قادرا لشن الهجوم بعد اعدادات مسبقة وطويلة في اراضيه، وان يستعين بالمدفعية وبقوات هندسة، وان يختار الواجهة التي يريد مهاجمتها، واما المدافع فانه لا يستفيد من كافة قوته، لأن قواته تكون منتشرة حول الخط الذي يقوم بالدفاع عنه.

أما في اطار الدفاع المتحرك فان المدافع يستطيع حشد معظم قوته في المناطق

التي ستجري المعركة فيها. ولهذا الغرض تكون هناك حاجة لقوات متحركة، والمرغوب ان تكون مدرعة، وكما ان العدو لا يستطيع ان يعرف اين ستجري المعركة الرئيسة او ان يقوم بعمليات تحضير مسبقة في حين أن المدافع يستطيع ان يهيء نفسه، ولكن الدفاع المتحرك يتنازل عن ارض من اجل كسب الزمن، وليس من السهل دائما التنازل عن ارض، حتى لو كان التنازل مؤقتا.

يعتقد العميد ادان، انه كان من الممكن اتباع اسلوب الدفاع المرن في شبه جزيرة سيناء لأنه من الممكن هناك التنازل عن ارض دون التضحية بمستوطنات او مناطق حيوية.

وقد آمن العميد ادان انه بالنسبة لجيش صغير كالجيش الاسرائيلي، الذي معظم قواته هي من الدروع وان وحداته النظامية فقط تكون مجندة بشكل دائم، من الافضل ان يتبع اسلوب الدفاع المتحرك المرن، ولكن في ظروف أواخر عام ١٩٦٨، كان الدفاع المتحرك يترك مكانا لمخاوف شديدة تعود الى تقديرات سياسية. فقد كان من شأن المصريين ان يكتفوا باحتلال قسم من المنطقة التي سيخليها الجيش الاسرائيلي بناء على هذا الاسلوب، وانهم قد يتمركزون في المنطقة دون ان يتعمقوا في التغلغل، وهكذا سيحبطون سلفا هجوما معاكسا اسرائيليا، وعندها ستسارع القاهرة لتحريك الامم المتحدة او الدول العظمى لفرض وقف اطلاق النار وهكذا تبقى المنطقة بأيدي المصريين.

وعليه قرر العميد ادان الدمج بين الاسلوبين: فتنظيم القوات للقتال واسلوب القتال اخذا من الدفاع المتحرك، اما القتال فسيجريه الجيش الاسرائيلي على خط الماء وبالقرب منه. وأوصى «برن بإقامة خط انذاري يتم الاحتفاظ به على ايدي قوات صغيرة، وتكون القوة الرئيسة مدرعة ومتحركة وترابط في الخلف. وقد اصبح الدمج ممكنا بشكل خاص بسبب وجود العائق المائي على طول الخط: قناة السويس، فعلى العدو ان يعبر العائق المائي، وأن يتغلب على الكثبان الرملية العالية، وان يبني جسورا، وفي هذه الاثناء سيكون امام الجيش الاسرائيلي وقت لتقريب قوات الدروع الاحتياطية وضرب العدو قبل ان يتمكن من ادخال قوات مدرعة. كذلك فان ألقتال الرئيس سيكون على خط الماء وبالقرب منه، ولن تكون هناك حاجة للمشاغلة بهدف

التنازل عن ارض، كما انه لن تكون هناك حاجة الى ان تكون قوات الانذار مكونة من قوات دروع متحركة.

تحت تصرف قائد القوات المدرعة في سيناء وضع طاقم تخطيطي ضم ممثلين عن جميع الاسلحة ذات العلاقة: موشه بيلد من سلاح المدفعية، وشلومو عنبال من سلاح الاتصالات والالكترونيكا، وعوزي عيلام ومساعده من قسم المعدات الحربية، وايلي من سلاح التسليح، وجورجي من سلاح الهندسة، وابراهام روتم من قوات الدروع، وبحث الطاقم عن حلول فنية لعملية التحصن، وفحص صلابة التحصينات واعطى الضوء الاخضر لبدء التنفيذ.

بما ان خط القناة مستقيم وسطح المياه منبسط، فكروا في اقامة نقاط انذار تبعد عن بعضها بعضا مسافة ١٠كم، ففي هذه المسافات يمكن اجراء مراقبات في ساعات النهار، ومن اجل حماية الجنود الذين ستسند اليهم مهمة القيام بالمراقبات ونصب الكمائن، صممت في البداية مواقع صغيرة، محصنة بطبقة تفجير، اي طبقة حديدية او حجرية تسبب انفجار القذيفة قبل ان تتمكن من دخول الموقع، وقد سمى الجيش الاسرائيلي هذه المواقع «شخباتس» وهو اختصار لكلمتي (طبقة تفجير). اما العميد برن فسمى المواقع المحصنة بأنها معوزيم اي (معاقل) ونسبة اليها سميت الخطة الدفاعية عن شبه جزيرة سيناء (ماعوز)، بناء على نظرية العميد ادان، اعدت المعاقل (المعوزيم) للانذار وللدفاع عن الجنود الذين سيتواجدون فيها، وقد اسندت الوظيفة الدفاعية الاساسية الى قوات الدروع، بمساعدة سلاح المشاة، والمدفعية وسلاح الجو، واوصى «برن» بتطوير شبكة طرق: ومن هذه الطرق طريق (سلاح المدفعية) الذي سيمكن وحدات المدفعية من المشاركة بنجاعة في القتال الدفاعي المتحرك، وان تتنقل وتغير مواقعها في عرض الواجهة، وعلى طول هذه الطريق حددت مواقع انتظار للدروع، والهدف منها الاسراع لمساعدة المعاقل خلال ٣٠ ـ ٦٠ دقيقة. كذلك اقترح العميد ادان شق طريق عرض على بعد ٣٠كم من القناة، لتتحرك عليه قوات مدرعة اكبر وامدادات من واجهة لواجهة اخرى، حسب متطلبات المعركة، وتقرر ان تنتشر على طريق العرض قوات دروع احتياطية ومهمتها افشال محاولات العبور المصرية.

وافق قائد القيادة الجنوبية يشعياهو «شايكا» جيفيتس، على خطة برن، بعد

ان اضـاف اليهـا عدة معـاقـل امـام مناطق كانت حساسة في نظره: القنطرة، والاسماعيلية، وفردان، والمتلا والجدي، كما ان رئيس الاركان اضاف، ايضا عدة معاقل وخاصة في الطرفين الجنوبي والشمالي، وخلال نقاش جرى في رئاسة الاركان اقترح العميد ارئيل شارون، رئيس شعبة التدريب، اقامة مراقبات على الكثبان الرملية وبناء ملجأ خلف الكثيب وعند سفحه يخرج الجنود منه بواسطة قوات اتصال، وقال انه يعتقد ان الملجأ الذي يبنى في المنحدر الخلفي، خارج مراقبة العدو، افضل من المعقل، واعتقد «برن» ان وجود الملجأ لن يختفي على طول من اذهان العدو. وهكذا تمت المصادقة على الخطة.

لقـد كان مشروع اقـامـة التحصينـات ضخما، وشارك فيه آلاف الجنود والمدنيين باشراف سلاح الهندسة، وعندما قام المصريون باطلاق نيران القنص كان المشروع قد قارب على الانتهاء. وفي ٣ آذار ١٩٦٩ اعلن عبدالناصر، ان مصر بدأت حرب استنزاف، وفي ذلك لم يبق سوى ثلاثة معاقل لم تنته بعد: امام «المزرعة الصينية» وامام طوسان (١٠كم جنوب الاسماعيلية) وفي جنوب جزيرة البلح.

عندما كان الجيش الاسرائيلي يقيم التحصينات على طول الخط، اقام العميد ادان فرقة سيناء، ودرب الفرقة على تنفيذ مهام مختلفة، بما في ذلك الدفاع المتحرك، وجرت اعمال التدريب اكثر من مرة في ظروف واقعية، فقد كان المصريون يطلقون النار، وكانت الملاجىء والمواقع تصمد بالاختبار، والدبابات الاسرائيلية تتقدم الى الامام الى الواجهات المختارة، وتطلق النار وتلحق اضرارا جسيمة بالضفة المصرية، وفي احد الايام قتل على خط القناة رئيس الاركان المصري، عبدالمنعم رياض.

غـــارات

لكن هذه الاحـداث جرت بعد ان جرت تغييرات على المناصب في الجيش الاسرائيلي، فالعميد يسرائيل طال اخلى مكانه كقائد لقوات الدروع للعميد ابراهام ادان، واما العميد شلومو (تشتش) لاهط فقد عين قائدا للقوات المدرعة في سيناء، وفي كانون ثان ١٩٧٠ اصبح العميد ارئيل شارون قائدا للقيادة الجنوبية، وخلال وقت قصير طرأ تغيير على عمل الجيش الاسرائيلي على طول خط القناة، وكانت حرب الاستنزاف صعبة، ومستمرة وملطخة بالدماء، فثار العميد شارون؛ لماذا ينغص

المصريون حياتنا علينا في حين انهم يعيشون بهدوء في الضفة الغربية؟ فاقترح الانتقال للهجوم وادخال المصريين في حالة دفاع.

الغارات المختلفة التي نفذها الجيش الاسرائيلي ألحقت الضرر بمعنويات الجيش المصري وادت الى توزيع جهده وادخاله في حالة دفاع في اماكن كثيرة وبعيدة عن خط الجبهة، ولكن لم يكن بها ما يمنع المصريين من القيام بغارات، وعمليات زرع ألغام، وعمليات قصف مدفعي، ألحقت الضرر بالخط الاسرائيلي، فاقترح عميد القيادة الجنوبية التخلي عن المعاقل، التي تعرض جنودها للاصابة مرارا عديدة، ومراقبة خط القناة بواسطة مراقبات بعيدة المدى وبواسطة دوريات مدرعة متحركة.

هديل الحمام

لقد قدر العميد ادان حسنات اقتراح طال، ولكن اعتقد ان الاخير لم يفكر بما فيه الكفاية بالواجهة الممتدة من القنطرة شمالا، فطول هذه الواجهة يبلغ ٤٥كم ويتطلب تخصيص دبابات وقوات مدرعة اخرى، والى ان قدم «طليك» اقتراحه استخدم عمليا لواء دبابات واحد على الخط الواقع بين معقل «بودابست» وبين رأس سدر، وقد اقترح العميد طال استخدام لواءي دبابات ولكن فقط بين القنطرة وحتى رأس سدر. وعليه ستكون هناك حاجة لكتيبة واحدة للعمل في المنطقة الممتدة من القنطرة شمالا.

وكان «برن» يهدف الى الاحتفاظ بالدبابات في مناطق حشد والامتناع بقدر الامكان عن القيام بنشاطات مكلفة ومهلكة، اما «طليك» فقد اقترح القيام بنشاطات دورية، اعتقد العميد ادان انها ستتسبب في اضعاف لواءي الدبابات وتشغيل المحركات آلاف الساعات في كل شهر، وقال قائد قوات الدروع: ان هذا فوق طاقتنا. واضاف: ان احد مكاسب الجيش الاسرائيلي في حرب الاستنزاف هو انه لم تتضرر عمليات الاعداد لحرب شاملة وانه استمر حجم اعمال التدريب بشكل مكثف من اجل اعداد المدرعة في الجيش الاسرائيلي، فاستخدام لواءي دبابات في عمل حربي يسبب اضعاف هذين اللواءين بنسبة كبيرة وسيؤدي الى اخراج دبابات اخرى من المستودعات وتجنيد اعداد كبيرة من جنود الاحتياط وربما سيؤدي الى الحاق الضرر بخطط التدريب، التي اعدت لتدريب جنود دروع آخرين ودعم سلاح الدروع. وقال

العميد ادان ان تطبيق هذا الاقتراح سيزيد من استنزافنا اضافة الى الاستنزاف الذي نتعرض له من المصريين.

كذلك زعم «برن» في حرب مستمرة يتعلم كل طرف اساليب الطرف الآخر، فقد استخدم المصريون اسلحة مضادة للدبابات ضد الدوريات المدرعة التي سيّرها الجيش الاسرائيلي على طول خط القناة، وبين الحين والآخر زرعوا ألغاما او نصبوا كمائن على طرق الدوريات، وحاول الجيش الاسرائيلي تغيير اوقات الدوريات واتجاهاتها والاستعانة بالهندسة وبالمدفعية، ورد المصريون بتحديث اساليبهم، وفي النهاية بقيت مناطق قام المصريون بتلغيمها الى حد ان الجيش الاسرائيلي توقف عن ارسال الدبابات اليها ولكن في هذه المناطق بالذات لم تكن توجد معاقل اسرائيلية.

عندها بدأ الجيش الاسرائيلي باستخدام «مدفعيته الطائرة» ـ سلاح الجو ـ لقصف العمق المصري وتمكن سلاح الجو من تدمير معظم بطاريات الصواريخ والمدافع المضادة للطائرات التابعة للمصريين، واسقط طائرات مصرية في اجواء المنطقة، واستغل حرية العمل التي تحققت لتدمير المدفعية والمشاة المصرية على طول الخط، فانقلبت عجلة الاستنزاف، واصبحت مصر الآن هي المعرضة للاستنزاف، وقلت الاصابات في الجانب الاسرائيلي وعندها وافق المصريون على اتفاق وقف اطلاق النار، ولكن عشية التوقيع على الاتفاقية استقدم المصريون في ساعات الليل شبكات صواريخ مضادة للطائرات الى خط القناة، واصبحت هذه الشبكة ذات اثر بالغ في حرب (يوم الغفران) التي اندلعت بعد ذلك بثلاث سنوات.

في الوقت الذي كانت تبنى فيه الخطوط، اهتمت قيادة قوات الدروع في سيناء بالتحضير لحرب شاملة، وقد اشرفت هذه القيادة على جميع القوات في شبه جزيرة سيناء ـ القوة المدرعة في المعاقل والوحدات اللوجستية والمنشآت الاساسية التي اعدت لاستيعاب نجدات في اوقات الطوارىء. ومع مرور الزمن وضعت عدة خطط عملية لحالات دفاع وهجوم ممكنة وتم التدرب على اساليب مختلفة، واخيرا تمت بلورة خطتين للدفاع هما: «هديل الحمام» و«سيلع».

الخطة الاولى اعتمدت بشكل خاص على القوات النظامية، وقد اعدت للتنفيذ عندما تظهر عملية مصرية في (اراضينا) وهذه لن تكون حربا شاملة، وفي حالة وقوع

حرب شاملة يتم تعزيز خطة «هديل الحمام» بقوات احتياط، وبموجب هذه الخطة، تنتشر المجموعة المدرعة النظامية في الامام، وسلاح المشاة يقوم بتعزيز المعاقل، ويحمي مناطق حيوية ومنشآت في الخطوط الخلفية التكتيكية وفي خط الممرات والمعسكرات تقرر ان خط القناة، البالغ طوله حوالي ١٦٠كم يقسم بين ثلاثة ألوية، وكل لواء يسيطر على المعاقل في واجهته وهناك ٦ معاقل معزولة وطرق الوصول اليها صعبة حصل كل واحد منها على فئة دبابات ملازمة، وتقرر ايضا ان ترابط على طريق المدفعية التي تبعد حوالي ١٠كم عن خط القناة سرايا دبابات متفرقة، اي سريتان او ثلاث سرايا دبابات في كل واجهة لواء، وقد كلفت هذه السرايا بالوصول خلال ٣٠ دقيقة الى خط الماء، واحتلال مواقع على الكثبان الرملية، ومساعدة المعاقل وتحطيم محاولات العبور.

كذلك تقرر ان ترابط على خط العرض الذي يبعد حوالي ٣٠كم عن القناة، كتيبة دبابات كاحتياط في واجهتها، وطلب منها الوصول الى خط القناة خلال ساعتين من تسلمها الامر، وفي وسط الواجهة على خط العرض، خطط لحشد لواء مدرع رابع واسندت اليه ضرب الجهود الرئيسة للعدو. وقد اعدت قوات (هديل الحمام) لتأخير عملية العبور المصرية ومنع العدو الذي يتمكن من العبور، من التمركز.

اما خطة «سيلع» فأعدت لنشر قوات دفاعية في الجنوب في حالة حدوث خطر حرب شاملة والاستعداد للقيام بهجوم معاكس بأسرع وقت ممكن. ونصت خطة سيلع على ارسال مجموعات دروع اخرى الى شبه جزيرة سيناء، وبعد تسوية الخطة فورا، يوجه هجوم معاكس الى خلف القناة، وقد بنيت هاتان الخطتان على فرضية ان سلاح الجو الاسرائيلي سيسيطر على الاجواء، وقد استمر هذا الوضع حتى اندلاع حرب (يوم الغفران).

غـارة مدرعـة

في مطلع ايلول ١٩٦٩ تقرر القيام بغارة مدرعة خلف خليج السويس، من اجل ضرب «البطن اللينة» للمصريين بعيدا عن خط المواجهة في قناة السويس وخط المعاقل الذي اطلق عليه اسم «خط بارليف».

وكان الشاطىء الذي اختير للغارة، هو الشاطىء الغربي لخليج السويس،

في المنطقة الواقعة بين الدير الى الجنوب من موقع الحفير وبين رأس زعفرانة، فمنذ حرب الايام الستة كانت هذه المنطقة اقل اهمية من خط القناة الذي حشدت عليه معظم القوات المصرية. وبعد ان نفذ الجيش الاسرائيلي غارات ضد خليج السويس وفي مصر العليا (مصر الجديدة) اعيد تنظيم منطقة السويس ووضعت فيها قوات اخرى للدفاع ومنشآت للانذار. وعزز المصريون قوات المشاة والدروع التابعة لهم واقاموا مواقع رادار بحرية وجوية، واقاموا حراسة على طول الحزام الساحلي الضيق - على ضفة البحر. وكانت توجد في المنطقة التي اختيرت هدفا للغارة المدرعة الاسرائيلية حوالي ٢٥ نقطة حراسة محصنة ومشغولة، وكانت تسير بين هذه النقاط دوريات مصرية. وكانت هذه المنطقة من الشاطىء ضيقة ومتعرجة، وتمتد على طولها طريق ضيقة، وتنحدر صخور جبل الجلالة والبحرية بشكل سحيق نحو البحر، وفي عدة اماكن تقترب الصخور من شاطىء البحر الى بضعة امتار فقط، وفي هذه الاماكن لا يمكن النزول عن الطريق او الالتفاف عليه، وتمتد المنطقة الضيقة الى مسافة حوالي ٣٠كم، والى الجنوب منها تقع منطقة ساحلية واسعة ابتداء من رأس ابو درج، وفي هذه المنطقة تصب انهار في البحر، والى الشمال من رأس الزعفرانة يقع وادي عربة الواسع، المؤدي الى داخل مصر، وفي هذا الوادي شق المصريون طريقا يربط بين رأس زعفرانة ووادي النيل.

زوارق طوربيد تحت أهبة الاستعداد

المياه ليست عميقة في خليج السويس، وقد بلغ عمق المياه في المنطقة التي اختيرت هدفا للغارة بضعة امتار فقط، وتوجد فيها اشجار مرجان، اما الاماكن الوحيدة التي لا توجد فيها اشجار مرجان فهي مصبات الانهار حيث غطى الوحل منطقة الساحل.

وتقع مدينة السويس على مسافة اكثر من خمسين كيلومترا الى الشمال من هذه المنطقة، واما نهر النيل فيبعد حوالي ١٠٠ كيلومتر عن خط الساحل في الخليج، وكانت القوات المصرية في المنطقة منتشرة على النحو التالي: قوات مشاة وقوات مدرعة في مواقع الساحل، وفي معسكرات الجيش، وفي نقاط الحراسة الممتدة على طول طريق الساحل، وقوات مشاة وقوات مدرعة بحجم لواء كانت ترابط في منطقة مدينة العريش وفي الخط الخلفي، وقد اعدت قوة الاغارة الاسرائيلية لمهاجمة القوات المرابطة على

طول الساحل، ولكن اخذت بالحسبان امكانية تعزيز خط الساحل بالقوات الخلفية، كذلك كان هناك احتمال بأن تتدخل في المعركة قوات جوية وقوات بحرية مصرية.

كانت توجـد لمصر قوات بحرية في قاعدة عسكرية تقع في ميناء عدوية الى الجنوب من مدينة السويس، وكانت قطع بحرية تابعة لسلاح البحرية المصري تتجول في مياه الخليج، وخصص مخططو الغارة اهتماما خاصا لزورقي طوربيد مصريين عززا القوة البحرية المصرية في شمال خليج السويس، وكان هذان الزورقان يتجولان بصورة دائمة في هذه المنطقة، وكانا يرسوان هنا وهناك بدون جدول زمني ثابت وكانا في حالة استعداد قصوى، وكان بامكانهما الابحار للمعركة خلال عدة دقائق من تسلمهما الانذار المبكر.

كانت قوة الاغارة الاسرائيلية صغيرة جدا وتم اختيار افرادها بدقة، وكان قائد القوة العقيد باروخ «بينكو» هرئيل، الذي تفوق في حرب الايام الستة عندما عمل نائبا للعقيد شموئيل غونن قائد اللواء السابع المدرع، وقاد يعقوب لبيدوت وحدة الدبابات الصغيرة التي كانت تضم ست قطع، واما شلومو باوم من قدامى الوحدة ١٠١ والمظليين، فقد عمل قائدا لقوة المشاة المدرعة التي ضمت ثلاث ناقلات جنود وشكلت من المظليين، وقاد وحدات الهندسة والاتصالات ضباط متفوقون.

واشتملت عمليات التحضير للعملية على تدريب القوات المغيرة، وحصر ساحل الانزال واعداده وتطهير البحر من قوات معادية، كان من شأنها ان تعرض للخطر عملية التقدم والانسحاب، وتدربت قوة الاغارة على النزول من سفن انزال تابعة لسلاح البحرية، واما جنود سلاح البحرية فقاموا بتحديد المنطقة الساحلية السهلة لعملية الانزال واعدوا للاغارة، واما عملية تطهير قوات العدو فقد اسندت الى رجال الضفادع التابعين للكوماندو البحري.

حفرة محاطة بالألغام

لقد صيغت المهمة التي اسندت الى قوة الاغارة المدرعة على النحو التالي: قوة مدرعة تعمل ضد العدو المصري في الساحل الغربي لخليج السويس، بين الدير ورأس زعفرانة، وتنزل القوة المدرعة بواسطة سفن انزال تابعة لسلاح البحرية قبل طلوع الفجر وتغير خلال النهار على طول محور الساحل. وخلال الحركة على هذا

المحـور تقوم القوة المدرعة بتدمير الاهداف العسكرية الواقعة على طول الطريق وتهاجم المعسكر المصري في رأس ابو درج بما في ذلك منشآت الرادار الموجودة فيه، وبعد ذلك تتحرك وتهاجم معسكر الرادار في زعفرانة وتدمير الرادار هناك. وفي الوقت الذي حدد للاغارة تقرر وضع سلاح الجو وسلاح البحرية في حالة طوارىء قصوى، وقد قصد بالاسناد الجوي منع تدخل سلاح الجو المصري ومساعدة قوات الدروع عن طريق مهاجمة اهداف ومنع اقتراب نجدات مصرية.

في يوم التاسع من ايلول ١٩٦٩، وبعد منتصف الليل، خرجت عدة سفن انـزال تابعـة لسلاح البحرية الاسرائيلي من الشاطىء الشرقي لخليج السويس، واتجهت غربا، وقبل ان يطلع الفجر وصلت هذه السفن الى نقطة الانزال. فنزلت القوة المدرعة من السفن في الدير وبدأت اول اغارة مدرعة للجيش الاسرائيلي ينفذها داخل افريقيا، كما وصفها منفذوها، فاصطفت الآليات في رتل على الطريق الضيق وبدأت المسير نحو الجنوب.

بين نقطة الانزال والمعسكر المصري في رأس ابو درج كانت تفصل مسافة ٢٥كيلومترا وبموجب الخطة كان على القوة ان تقطع المسافة في ساعات الظلام وقبل طلوع الفجر، وكانت الحركة صعبة لأن الجبال في هذه المنطقة تصل الى حافة البحر، وكان على القوة المغيرة ان تغلق الطريق من خلفها عن طريق تفجير الطريق على بعد بضعة كيلومترات الى الجنوب من نقطة الانزال، واعتقدت ان فتح ثغرة عميقة في الطريق ستغلق الطريق وستمنع تقدم نجدة مصرية من جهة الشمال، وفي الضفة التي اختيرت للتفجير كانت توجد عقبة بين الجبال والبحر وكان عرض الساحل في هذه المنطقة لا يزيد عن خمسة امتار، فأحدث رجال الهندسة حفرة ضخمة وبعد ذلك طوقوها بالألغام.

قبل التفجير بعدة دقائق، وصلت الدبابة الاولى الى نقطة الحراسة المصرية الاولى، فخرج المصريون لاستيضاح سبب الضجة وهناك ضربوا، والآن بزغ نور الصبـاح وزيدت سرعة حركة الدروع، وفي كل قطعة مدرعة وفي قلب كل جندي وضابط كان يسود استعداد عال، ووجهت مدافع الدبابات خلال الحركة الى كل هدف مشبوه، وكان رجال المدفعية مستعدين لاطلاق النار فور تسلمهم الامر.

بين نقطة التفجير ومعسكر ابو درج كانت تفصل مسافة حوالي عشرين كيلومترا، وفي هذه المنطقة كانت توجد ثماني نقاط حراسة مشغولة، فأمطرتها القوة المغيرة بالرماية خلال تقدمها ولكن القوة اطلقت بأمر من قائد القوة النار من الرشاشات الثقيلة والاسلحة الخفيفة فقط.

وقال القائد لرجاله: لا تطلقوا نيران المدفعية فنحن نريد الاحتفاظ بعنصر المفاجأة..

في ساعات الصباح كثرت حركة الآليات المصرية على الطريق، فدمرت قوة الاغارة عشر آليات دون ان تتوقف ولو للحظة واحدة، وفوق الرتل المدرع بسطت مظلة جوية، ولم يصطدم الطيارون الاسرائيليون بطائرات مصرية، ولهذا عملوا كمراقبة جوية لقوة الاغارة كلها.

سيارة شفروليت

ألحّ قائد القوة «بينكو» على رجاله ان يسرعوا في الوصول الى معسكر ابو درج، لادراك العدو قبل ان ينتظم بشكل مناسب، وقال: يجب ادراك العدو بملابسه الداخلية، ولم يكن بينكو يشك في ان القوات المصرية الموجودة على طول الطريق جنوبا قد تلقت انذارا بظهور قوة معادية على الساحل الغربي، وعليه كان لا بد من تقليص الفترة الزمنية التي ستوضع تحت تصرفهم للانتظام للدفاع بقدر الامكان.

وقد اشتمل معسكر الجيش المصري في ابي درج على برج وفيه جهاز رادار، وكان في المعسكر المئات من الجنود المصريين، وعندما اقتربت القوة المدرعة من هناك بدأت الدبابات الاسرائيلية باطلاق نيرانها بشكل مكثف، وبعد ذلك قام جانب من القوة بواجب التغطية والغلق من ناحية الجنوب في حين قام الجانب الآخر من القوة باقتحام المعسكر نفسه، وحلقت طائرات سلاح الجو الاسرائيلي في الاجواء، وقصفت واشغلت المعسكر واضافت فزعا ورعبا للفزع والرعب اللذين خلفتهما الدبابات وبدأ الجنود المصريون بالفرار، وقام بعضهم باطلاق النار على قوة الاغارة ولكن رمايتهم لم تكن فعالة، وجرح احد جنود قوة الاغارة بعد ان نزل من ناقلة الجنود لتمشيط المنطقة، وكان هو الشخص الوحيد الذي جرح من رجال القوة طيلة مدة الاغارة.

عندما انسحبت قوة الاغارة من معسكر ابو درج كانت جميع المباني فيه مدمرة بما في ذلك برج الرادار، وفي ذلك الوقت استدعيت طائرة عمودية لاخلاء الجريح، وحددت منطقة مريحة لهبوط الطائرة، وبدأت القوة بالتقدم نحوه، وفجأة ظهـرت من الامام سيارة شفروليت زرقاء وجميلة، فسارعت الدبابة الامامية الى تدميرها، وبعد ذلك اتضح ان هذه السيارة كانت تقل محافظ منطقة البحر الاحمر وهو عميد سابق في الجيش المصري.

في نقطة الالتقاء مع الطائرة العمودية نظمت حماية دائرية، ووصلت الطائرة في الساعة المحددة وافرغت ذخيرة لتعزيز قوة الاغارة وحملت الجريح، فتم تسليح الدبابات بالذخيرة، ومن ثم توجهت قوة الاغارة الى هدفها التالي ـ معسكر الرادار في الزعفرانة.

تفصـل معسكـر ابو درج ومعسكر الزعفرانة مسافة طولها حوالي ثلاثين كيلومترا، وكان معسكر الرادار المصري واحدا من معسكرين قريبين من بعضهما بعضا. فطلب قائد القوة اسنادا جويا اثناء مهاجمته معسكر الزعفرانة الجنوبي، وفي نفس الوقت قصفت الطائرات معسكر الرادار الامامي وألحقت الضرر بمنشآته، واصيبت احدى الطائرات بنيران الدفاعات الجوية، فهبط طيارها في مياه الخليج ـ واختفى وباءت جميع الجهود التي بذلت لايجاده بالفشل.

لقـد كان معسكر الرادار كبيرا نسبيا، وكانت فيه آليات كثيرة والمئات من الجنود المسلحين الذين كان الكثيرون منهم في مواقع رماية، وكان المعسكر محصنا وبني على منـطقـة مرتفعة، واقتربت قوة الاغارة منه وهي تطلق النار من خلال الحـركـة، فأرادت بعض ناقـلات الجنـود المصرية الهرب ولكنها اصيبت بنيران الدبابات، وبدأ الجنود المصريون يهربون بأرواحهم نحو الاودية خارج المعسكر، وبما ان عنصر المفاجأة اختفى وضع بينكو دبابات كنقطة غلق من الجنوب، واما القوة الباقية فقادها مهاجم المعسكر، حيث احتل المعسكر ودمر جميع ما فيه من منشآت ومبان.

انتظمت قوة الاغارة لمواصلة الحركة، وخلال عملية اعادة التنظيم، امطرت القوة الاسرائيلية نيران مدافعها ورشاشاتها على كل المنطقة، ولكن العدو لم يتدخل بعد لا في البر ولا في الجو، ورغم هذا كله صدر في هذه المرحلة الامر لقوة الاغارة

للبدء بالانسحاب، وعندما كانت في طريقها الى نقطة الاخلاء ضربت القوة منشآت واعمدة تلفون على طول الطريق، كذلك زرعت ألغاما واجرت تفجيرات في الطريق الى الجنوب من نقطة الاخلاء، وفي نقطة الاخلاء نفسها نظم دفاع دائري عندما اقتربت سفن الانـزال التـابعة لسلاح البحرية الاسرائيلي الى الساحل، شوهدت شاحنة مصرية تسير مسرعة من الجنوب الى الشمال، فمرت من أمام قاعدة الرادار المغطى بالدخان وامام القتلى المصريين ولم تتوقف، ويبدو ان السائق والركاب ذهلوا ولم يفهموا ماذا حدث. وقبل ان تصل الشاحنة الى نقطة الغلق الجنوبية اصيبت بنيران قوة الحماية، وبعد ذلك اقتربت من المكان عشر آليات مصرية مختلفة، وقد اصابتها طائرات سلاح الجو جميعا، وعادت الدبابات وناقلات الجنود التي شاركت في الاغارة الى سفن الانزال وعادت الى قاعدتها دون اي ازعاج من قبل العدو.

لقد قطعت قوة الاغارة اكثر من ٥٠ كيلومترا خلال عشر ساعات، وقد أصابت ٨٠ آلية مدرعة وخفيفة، و١٥ نقطة حراسة على طول طريق الساحل، وكذلك قتلت أكثر من ١٠٠ مصري، وفي معسكري الزعفرانة وابو درج دمرت القوة منشآت رادار ومباني كثيرة وخياما ومعدات عسكرية هائلة، واما خسائر الجيش الاسرائيلي فكانت: جرح جنـدي واحـد وفقـدان طيار واحد في مياه السويس وقتل ثلاثة من رجال الضفادع عندما انفجر لغم في القطعة البحرية التي اعادتهم بعد تنفيذ عملية اغارة كاملة.

لقد كانت الغارة المدرعة لأفريقيا احدى الغارات الناجحة جدا التي نفذها الجيش الاسرائيلي وقد برز خلالها التخطيط الجيد، والشجاعة في التنفيذ والتعاون الوطيد بين اسلحة الجيش الاسرائيلي المختلفة، ويجب تقدير نتائج هذه العملية ليس فقط بناء على المعطيات العددية انما بناء على حقيقة ان الجيش الاسرائيلي عمل ساعات طويلة خلف خطوط العدو، الذي لم يعرف ماذا كان يدور على اراضيه، وفي اعقاب هذه الغارة تم عزل رئيس الاركان وقائد سلاح البحرية المصريين وعدد آخر من كبار الضباط، واصيب جمال عبدالناصر بنوبة قلبية، كما فوجئت وسائل الاعلام العالمية، فكان هناك من اسرع وكتب بأن الجيش الاسرائيلي قام بغزو مصر، وكان غيرهم من اطلق لنفسه العنان وقال ان الجنود الاسرائيليين عملوا متقمصين شخصيات جنود مصريين وكان جميع الجنود يتحدثون اللغة العربية ولكن في الواقع

كان الوصف اكبر من اي خيال واثبت الجيش الاسرائيلي مرة اخرى تفوقه على اعدائه واثبت قدرته على المفاجأة مرة تلو المرة، وفي كل مرة بشكل آخر.

«حمام» في فتح/لاند

حتى خريف ١٩٦٨ كانت قواعد (المخربين) في سوريا، واستخدموا الاراضي اللبنانية فقط كمحور تقدم الى اسرائيل، وبعد ذلك بدأ (المخربون) يشترون منازل في جنوب لبنان وحاولوا ايضا شراء اشخاص من بين السكان المحليين، وفي هذه المرحلة قلصوا بقدر الامكان نشاطاتهم ضد اسرائيل من جنوب لبنان، للحيلولة دون عمليات مضادة من جانب الجيش الاسرائيلي وحتى نهاية عام ١٩٦٨ نفذت (١١) عملية تخريبية فقط من منطقتي جبل الشيخ والمطلة.

عندما لاحظت السلطات اللبنانية ان الفلسطينيين ينوون الاقامة بشكل دائم في جنوب لبنان، منعهم الجيش اللبناني من التوسع غربا نحو نهر الحاصباني، ولكنه امتنع عن دخول المنطقة الفلسطينية على سفوح جبل الشيخ، فتكون جيب فلسطيني حظي باسم «فتح لاند» اي ارض فتح (منظمة التخريب الفلسطينية).

لقد مكن التمركز في فتح لاند الفلسطينيين من التسبب في تصعيد التوتر. وخلال عام ١٩٦٩ نفذ (المخربون) حوالي ١٠٠ عملية بصورة قتالية وبقوة متزايدة، وفي البداية تحلى الجيش الاسرائيلي بضبط النفس في رده حيث قام بنصب كمائن وبتنفيذ غارات صغيرة على ايدي قوات مشاة، وبعمليات قصف مدفعي من داخل الاراضي الاسرائيلية، وفي حالات خطيرة بشكل خاص رد بقصف جوي، ولحقت (بالمخربين) خسائر، ولكن نشاطاتهم لم تخف. وحاولت اسرائيل عدم انزال ضربات شديدة بالاراضي اللبنانية، الدولة التي كانت تعتبر دائما دولة معتدلة وصديقة محتملة. وبالاضافة الى ذلك فانه خلافا للرعاية الكاملة التي اعطتها سوريا والاردن (للمخربين) فان الجيش اللبناني لم يقدم لهم الدعم، وكان من الصعب على اسرائيل ان تقنع عناصر دولية بعدالة نشاطاتها العسكرية داخل الاراضي اللبنانية، رغم العمليات المسلحة التي نفذها (مخربون) انطلقوا من هناك.

في مطلع عام ١٩٧٠ ازداد الوضع خطورة، فقد بدأ (المخربون) بقصف مستوطنات اسرائيلية بصواريخ كتيوشا من عيار ١٢٢ملم، يزيد مداها عن مدى

النماذج الاصغر، ويكاد لا يمر يوم واحد بدون نشاطات (تخريبية) معادية.

وقد تبلور في قيادة الجيش الاسرائيلي تقدير يقول انه يجب تغيير الطريقة العملية ضد النشاطات (التخريبية) المعادية، ومن اجل كبح جماح (المخربين) على المدى الابعد، يجب الاغارة على قواعدهم وضربهم في نقاط انطلاقهم، كذلك يجب تدمير المعدات الحربية المتوفرة لديهم، وبهذه الروح خططت عملية «حمام» وهي غارة مدرعة على منطقة فتح لاند وحدد موعدها يوم ١٢ ايار ١٩٧٠.

قبضة فولاذية

ان جيب «فتح لاند» الذي كان الهدف لعملية «حمام» كان يمتد الى مسافة حوالي ٣٠ كيلومترا من الشمال الى الجنوب ويحد في جنوبه (الاراضي الاسرائيلية)، ويمتد لمسافة حوالي ٢٠كم من الشرق الى الغرب بحيث يحدها من الغرب من نهر الحاصباني والحدود (الاسرائيلية) - السورية وسلسلة جبال روس تحدها من الشرق. ومعظم هذه المنطقة تعتبر جبلية وصخرية والقرى المعدودة الواقعة فيها تقع على طول الطريق ومحاطة بالغابات والمزارع. كما ان الهضاب سحيقة الانحدار وتوجد فيها كهوف كثيرة. كذلك تقل في هذه المنطقة الطرق المعبدة. هناك عدة طرق تعبر المنطقة من الغرب الى الشرق وتنتهي عند سفوح جبل الشيخ وهي غير مناسبة لحركة الآليات. اما الطريق من الجنوب الى الشمال فتبدأ بالحدود (الاسرائيلية) وتمر بقرية «المري» وتمتد شمالا حيث تتصل بطريق راشيا الفخار - جسر شكعة.

اما القرى الخمس التي شملتها عملية «حمام» فهي:

«المري»: وهي قرية درزية يبلغ عدد سكانها ٤٠٠ نسمة وتقع على طريق الطول من الجنوب الى الشمال واعتاد (المخربون) المرور فيها وهم في طريقهم الى اسرائيل.

قرية راشيا الفخار: التي تضم حوالي ١٠٠٠ نسمة معظمهم من المسيحيين، وتقع هذه القرية قرب المثلث الرئيس وبها تمر الطريق الى قريتي «حمام» و«شوبا»، وفي هذه القرية اقام عدد من (المخربين) ولكن كانت توجد على التلال المحيطة بها قواعد كثيرة وكبيرة (للمخربين) خرجت منها مجموعات (تخريب) لضرب المطلة، وكريات شمونا، وكفار يوفال وغيرها.

قرية «حمام»: وتضم حوالي ٦٠٠ نسمة معظمهم من المسلمين، وهذه القرية تقع في وسط منطقة «فتح لاند» ومعظمها مخفي عن المراقبة من الاراضي الاسرائيلية، وكانت توجد فيها عدة قيادات لقواعد (المخربين) الموجودة على التلال المحيطة.

قرية شوبا: وتضم حوالي ١٢٠٠ نسمة من المسلمين وهي اعلى قرية في منطقة «فتح لاند» وتسيطر على سفوح جبل الشيخ، وفي هذه القرية تمر طريق الطول من الجنوب الى الشمال وهي الطريق التي تمر بحمام وراشيا الفخار، وكانت قرية شوبا تستخدم قاعدة لجميع(المنظمات التخريبية)واجتمعت حولها قواعد صغيرة.

قرية حبرية: وتضم حوالي ٢٠٠٠ نسمة من المسلمين وتقع في طرف طريق العرض التي تنطلق من جسر شكعة، وقد خدمت هذه القرية القيادات الفلسطينية وكان يوجد فيها مستودع مركزي للمواد المتفجرة وصواريخ الكتيوشا. بالاضافة الى هذه الاهداف كانت توجد في المنطقة ثلاث قرى اخرى وهي: **قرية شبعة**: وتضم ٣٠٠٠ نسمة وكانت قاعدة رئيسة (للمخربين) من منظمة «الصاعقة» السورية. **وقرية حلتا**: وتضم ٥٠٠ نسمة وكانت قاعدة (للمخربين) الذين عملوا بشكل خاص ضد وادي الحولة **وحاصبيا**: وهي بلدة درزية ذات اهمية دينية اقيمت بالقرب منها قواعد وقيادات، وتقع حاصبيا على مثلث رئيس.

لقد كان معلوما لمخططي عملية «حمام»، انه توجد في قسم الطريق المري ـ راشيا الفخار حوالي ثماني حفر وكثبان رملية تم تكوينها بواسطة معدات ميكانيكية ثقيلة، وكان ارتفاع كل كثيب رملي بالقرب من كل حفرة حوالي ثلاثة امتار، واعتقد المخططون انه من الممكن تجاوز هذه الطريق من الشرق بعد تمهيد الارض، ولهذا تقرر ان تلحق بقوة الاغارة المدرعة جرافة وتراكتور للحراثة اعتقدوا أنه سيكون بإمكانهما اعداد طريق للتجاوز، خلال ساعة، وكان يوجد في منطقة الهدف حوالي ٧٠٠ (مخرب) في ١٦ قاعدة معظمهم ضمن مجموعات مكونة من ١٧ ـ ٢٠ شخصا اقاموا في قرى وفي احضان الطبيعة. وفي القواعد الغربية من القرى اقيمت مواقع رماية لجنود مشاة ولأسلحة مضادة للطائرات.

لقد كانت قوة (المخربين) الهدف الرئيس للعملية ولكن لم يكن بالامكان تجاهل الجيش اللبناني، فقد كانت معظم القوات اللبنانية خارج منطقة العملية، الى الغرب من الحاصباني، وكانت تقوم بحراسة المنطقة ثلاث كتائب صغيرة معززة

بست دبابات «تشريوتير» وبمدرعتين، ودبابة تشريوتير هي دبابة بريطانية قديمة كانت مسلحة بمدفع من عيار ٢٠ رطلا (٨٣,٤ملم)، كذلك كانت في المنطقة كتيبة مدافع ميدان من عيار ٢٥ رطلا، وبطارية مدفعية من عيار ١٥٥ملم وبطارية مدافع من عيار ١٢٠ملم.

وقد اعتقد الجيش الاسرائيلي بأن الجيش اللبناني لن يتدخل في العملية، او انه سيتدخل بصورة جزئية، لأن اسرائيل ستوضح للبنان ان قواتها تنوي التركيز على (المخربين) ومساعديهم فقط، وصدرت الاوامر بعدم اطلاق النار على الجيش اللبناني بدون موافقة عميد القيادة، وقبل ان تقوم القوة اللبنانية باطلاق النار على قواتنا، وقدر مخططو العملية انه توجد معقولية متدنية جدا لتدخل عسكري سوري او اردني او عراقي.

قوات ومهام

ألقيت مهمة تنفيذ عملية «حمام» على اللواء المدرع في هضبة الجولان ـ لواء «براك» بقيادة العقيد موشه باركوخبا «بريل».

وقد شكل قائد اللواء قواته على النحو التالي:

قوة(أ) بقيادة الرائد داني ومعها اربع دبابات ومجنزرتان وقوة هندسة، وهذه القوة كلفت بأن تكون رأس السهم، وقد امرت بالتحرك بسرعة، والسيطرة على جسر شكعة ووضع كمين للدبابات اللبنانية، وهكذا يكون بإمكان القوة(ج) بقيادة قائد الكتيبة التحرك بحرية والسيطرة على «حبرية».

قوة(ب) بقيادة قائد السرية الثالثة الملازم الاول اوري، ومعها ثلاث دبابات ومجنزرة واحدة تسير خلف القوة(أ) لتغلق الممر من جسر ابو زبلة وتعزل منطقة العملية في هذه الواجهة.

اما مجموعة القيادة الامامية بقيادة قائد اللواء موشه باركوخبا فتسير في اعقاب القوة(ب)، وشكلت مجموعة القيادة من دبابتين ومجنزرات وسيارات جيب للاستطلاع، وشكل طاقم الاستطلاع من خمس سيارات جيب هدفها التوجيه والاتصال، واشتملت مجموعة القائد على خبير بالانقاذ هو (الرائد روزين).

اما القوة الثالثة بقيادة قائد الكتيبة المقدم يهودا فاشتملت على ٨ دبابات،

بما في ذلك دبابة جرافة ودبابة انقاذ وفئتي مشاة ومشاة مدرعة من وحدة الاستطلاع في لواء جولاني تستخدمان مجنزرات، ومجنزرتي تخريب تحملان حظيرة خبراء متفجرات ومواد ناسفة ومجنزرتي فنيين ومجنزرة اسعاف بقيادة طبيب وجرار حراثة اي ما مجموعه ٢٦ آلية، وطلب من هذه القوة ان تسير خلف قائد اللواء حتى منطقة «المري» وان تتجاوز مجموعة القيادة وتتحرك نحو قرية حبرية وتسيطر على القرية وتقوم بنسف منازل وكهف حددت سلفا.

القوة الرابعة، بقيادة قائد الكتيبة الرائد اوري كانت تضم ٨ دبابات ودبابة انقاذ وبقية المحاربين من سرية استطلاع جولاني محمولين بمجنزرات، وقد اعدت هذه القوة لدخول قرية شوبا وتطهيرها ونسف خمسة منازل فيها تعود (للمخربين) ومساعديهم.

واما القوة الخامسة بقيادة نائب قائد الكتيبة الرائد اسحق فشملت اربع دبابات وفئة مشاة مدرعة وحظيرة تمهيد ومحققين مع الاسرى واسعافات ومجنزرة فنية، وكان هدفها السيطرة على قرية راشيا الفخار وتطهيرها من (المخربين) ونسف خمسة منازل للمساعدين فيها.

وهناك قوة احتياطية بقيادة قائد السرية النقيب موشه وشملت فئة دبابات وفئة مشاة مدرعة وقوة هندسة ومجموعة تسليح، وكلفت هذه القوة بحماية المحور نحو جبل الخيام اثناء حركة اللواء وبعد ذلك تكون قوة احتياطية للواء.

اما القيادة الرئيسة فوضعت تحت قيادة نائب قائد اللواء المقدم نهوراي «ميشكا» وشملت مجموعة قيادة امامية وبطارية مدافع هاون من عيار ١٦٠ملم ودبابتي انقاذ وفئة مشاة من السرية(أ) وكتيبة المخترقين الاولى في لواء جولاني وضابط مراقبة امامية للمدفعية ومجموعة اسعاف وارزاق وناقلتي انقاذ، وكانت مهمة القيادة الرئيسة التحرك في اعقاب القوة الثالثة والسيطرة على منطقة المري وان تكون قاعدة صلبة لوسائل الانقاذ والاخلاء والاسناد المدفعي.

وقد شملت القوة كلها على مجنزرة محملة بالمواد الناسفة بدون ركاب باستثناء السائق وقائد المجنزرة، واما قائد اللواء الذي توقع سلفا امكانية اتساع العملية وتكون حاجته لنسف منازل اخرى حمل معه كمية من المواد الناسفة اكبر من الكمية التي حددت في امر العملية.

كاسناد للواء خصصت ثلاث بطاريات مدافع هاون ١٦٠ملم اعدت احداها لدخول المنطقة مع القوات لتقديم اسناد قريب من منطقة المري، واما البطاريتان الاخريان فانتشرتا على محور الحركة، واعدت بطارية مدافع ٢٥ رطلا للانتشار على خط الحدود وتغطية منطقة العملية كلها بما في ذلك بطارية لبنانية مشابهة كانت خلف جبل الخيام، واعدت بطارية مدافع ١٥٥ملم للانتشار في منطقة نخيلة.

وشمل تشكيل القوة على قادة كبار بنسبة اعلى من المعمول به بقوة كهذه وذلك تقديرا للمصاعب التي تنطوي عليها عملية «حمام»، كذلك اشتملت القوة على وحدات هندسة كثيرة نظرا لصعوبة المنطقة وللعوائق المتواجدة على محاور التقدم.

إلى فتح لاند

منذ اللحظة التي تسلم فيها قائد اللواء باركوخبا امر الانذار وحتى ساعة «الصفر» لعملية «حمام» كانت امام القوة فترة تقل عن يومين. ولهذا دخل أفرادها في نشاطات مكثفة وجادة ابتداء من صباح العاشر من ايار ١٩٧٠، وكانت هناك حاجة لجمع جميع الافراد والوحدات واعداد حوالي ٤٠ دبابة استعدادا للعملية وفي الساعة ١٠,٣٠ اجتمعت مجموعة تخطيط لوائية في مكتب قائد اللواء، وبعد الظهـر خرج جميـع قادة القوات ونوابهم في طلعة استكشاف جوية فوق منطقة العملية المخططة.

في غداة اليوم التالي، يوم الاثنين الحادي عشر من ايار بدأت القوات تتحرك الى منطقة التجمع ابتداء من الساعة ١٠,٠٠، وفي الظهر قدم قائد اللواء توجيها آخر لقادة القوات، وفي الساعة ١٣,٣٠ وصل رئيس الاركان الجنرال حاييم بارليف وعميد القيادة مردخاي غور الى قيادة اللواء، فجمع قائد اللواء قادة الوحدات الذين عرضوا خطط العمل، وكان ذلك بمثابة بروفة عامة قبل المعركة.

في الثاني عشر من ايار، وفي الساعة ١,٢٠ بدأ اللواء في التحرك نحو منطقة الانتشار، وتقرر السير على الجنازير، وتسببت الحركة في المناطق الوعرة في احداث خلل في عدة آليات وقد تم اصلاح بعضها وترك البعض الآخر من الخلف، وفي الساعة ٣,٣٠ انتهت عملية الانتشار وزودت الآليات بالوقود حتى الساعة ٤,٢٠. وفي الساعة ٤,٣٥ وبتأخير خمس دقائق فقط، اجتازت القوة الخط البنفسجي (خط وقف اطلاق النار)، وفوراً استخدم الاسناد المدفعي بقيادة المقدم بار دافيد.

كانت القوة الاولى التي دخلت لبنان بقيادة الرائد داني، وقد ضلت الدبابة القيادية بقيادة الملازم الاول عمنوئيل الطريق وانحرفت عن المحور الرئيس، وواصل الرائد داني السير على المحور الرئيس واصبح الرائد لهذه القوة. وقف الملازم الاول عمنوئيل على خطئه وعاد الى القافلة من الخلف، وبعد اجتياز الحدود بعشر دقائق احتلت قوة الغلق جسر ابو زبلة.

وفي الساعة ٤,٥٥ وصلت قوة نائب قائد الكتيبة الى مداخل قرية «المري» ففوجىء سكانها جدا حيث خرجوا الى الشوارع لمشاهدة الدروع التي غمرت قريتهم، ولوح بعضهم للدبابات تحية لها، وقال احد الضباط: عندما وصلنا الى ما وراء قرية المري بدأنا نسير على طرق للحمير، فأطلقت نيران من اسلحة خفيفة على القوة وامر القائد بتمشيط الاشياء المشبوهة بنيران الرشاشات، ولكن طلب عدم اطلاق النار على المدنيين وعلى المنازل وانما على مصادر الرماية، وتمكن رجل المدفع في دبابة الرائد داني من تصفية طاقم مدفع بازوكا.

في الساعة ٥,٢٥، وصلت القوة الى عائق ترابي، وحاولت اجتيازه من اليسار واصطدمت بقطاعيات زراعية كان ارتفاعها يزيد عن المتر، وقال الرائد داني: حاولت تسلق الكثيب الرملي بدبابتي ولكنني لم استطع اجتيازه فرجعت الى الخلف وبحثت عن طريق من الغرب، وكانت توجد من الغرب مزرعة زيتون، وطلب الرائد داني من قائد اللواء ان يرسل اليه جرارا لاخلاء العائق، وقاد جانبا من قوته الى داخل المزرعة، وفورا شاهد مخيما (للمخربين)، فنفذت الدبابتان والمجنزرة عملية تطهير خاطفة خلال حركتها، ولكن اتضح خلف مزرعة الزيتون انه لا توجد امكانية هناك للصعود على المحور المخطط، فعاد الرائد داني الى العائق.

وفي حوالي الساعة السادسة صباحا وصل الى العائق ضابط هندسة مع قائد اللواء، وقال ضابط الهندسة: تم تكوين العائق الاول بواسطة جرافة اقامت كثيبا رمليا كبيرا، واخذ التراب من شمال الطريق فتكونت حفرة خلف الكثيب، وزادت الامطار من صلابة الكومة الترابية التي عثر مثلها على حوالي ٧ أو ٨ اكوام ترابية على نفس المحور.

عندما وصلت الدبابة الجرافة الى العائق، حاول قائد كتيبة الهندسة تشغيلها وادرك بأن المهمة صعبة جدا على مثل هذه الآلية، وعندها احضرت الجرافة الحقيقية

وهي من اكبر الجرافات في اسرائيل وبدأت بإزالة العائق، وبعد مرور ربع ساعة من العمل الجاد، حسبوا ووجدوا ان اخلاء كل عائق يستغرق اكثر من نصف ساعة، فقرر قائد اللواء عدم البقاء بالقرب من العائق، فأي قوة ثابتة تكون هدفا للاصابة، فطُلب من المقدم يهودا الخروج مع ثلاث دبابات والبحث عن طريق التفافي الى الشرق من المحور، وفي هذه الاثناء ارسل قائد اللواء الى الامام جميع الآليات الهندسية.

تعرضت احدى الدبابات الثلاث التابعة لقائد الكتيبة لعطل على مسافة ما من العائق الاخير وادرك القائد انه بعيد جدا عن القوة الرئيسة للواء، فقال له قائد اللواء: انا قادم اليك، وكان القائد يسير في اعقاب الجرافة على المحور الرئيس.

في هذه الاثناء تحققت نبوءة قائد اللواء، فقد بدأ (المخربون) بقنص القوة التي تأخرت وانضمت اليهم المدفعية اللبنانية، وقد كان التدخل اللبناني مفاجئا جدا، لأنه في هذه المرحلة المتقدمة من العملية كان من الممكن الافتراض بأن لبنان قد تسلمت الرسالة التي تقول ان المقصود هو عملية ضد (المخربين) وليس عملية ضد لبنان، وقد ارغمت نيران (المخربين) سائق الجرافة الميكانيكية على الاختباء لأن آليته لم تكن مصفحة، وبعد مرور بضع ثوان اصيبت الجرافة بقذيفة بازوكا وابطل مفعولها.

في حوالي الساعة ١٠,٠٠ سمع صوت انفجار ضخم، فقد دمر (المخربون) جسرا صغيرا كان مقاما على واد يقع على طريق راشيا الفخار ـ شوبا.

أوتوستراد

انهت الجرافة دي ٩ عملية إزالة العوائق، وفتح المحور امام رجال الدروع بعد تأخر استمر حوالي ثلاث ساعات ونصف، واغلقت دبابات ومجنزرات معطلة جزءا من المحور، فجمع قائد اللواء القادة في مجموعة امر واوضح ضرورة السير منذ الآن بصورة سريعة، وفي نفس الوقت شُرع في اصلاح الآليات المعطلة وفي جمعها في قاعدة اقيمت بالقرب من المري، وقبل اخلاء المنطقة في نهاية العملية، امر قائد اللواء بتوسيع المحور بحيث يصبح ذا اتجاهين، وسرعان ما تكون «اوتوستراد» طوله كيلومتر واحد!

في هذه المـرحلة لم يبق شك في قلب قائد القيادة من ان الجدول الزمني الاصلي قد تشوش، فبعد نسف العبارة قرب قرية حمام، في الطرف الشمالي جدا وبعد ذلك التحرك نحو قرية حمام وقرية شوبا، ولم يقدر شخص بأن تبقى القوة في المنطقة اللبنانية في ساعات الليل، رغم انه اصبح واضحا ان العملية ستستمر حتى ساعات الليل.

عندما استؤنفت الحركة، سار في المقدمة للمرة الثانية الرائد داني، وعندما مر في كرم زيتون فكر في نفسه قائلا: ان هذا مكان مناسب لنصب كمين للآليات، وقال: كانت الاشجار هناك متراصة وامكانياتي لاطلاق النار كانت محصورة نحو الامام فقط، وفجأة اصيبت دبابتي بقذيفة بازوكا او بقذيفة مدفع غير مرتد، ولم اعرف الاتجاه الذي اطلقت النار منه، وواصلت الدبابة المسير فأطلقت النار من الرشاش الى ان توقف. ومرة اخرى اصابت قذيفة الدبابة بين الهيكل والبرج. وسقط جندي الاستكشاف الذي كان يجلس على الدبابة واصيب الجندي المسؤول عن تعبئة القذائف بجروح في بطنه واما انا فأصبت بجروح في قدمي، وحدث حريق في برج الدبابة، فقفزت من الدبابة وجلست على الارض ورأيت انني اجلس بجانب مجموعة من الالغام المربوطة بسلك تفجير، فعرجت الى الخلف نحو رجال الاسعاف وكان (المخربون) يوجهون رمايتهم الي..

وعندما بدأت معركة الدروع، كلف قائد العملية القوة التي كان مقرراً لها ان تصل الى قرية شوبا على المحور الجنوبي وان تنضم الى رتل يهودا المتجه الى حبريه. وكانت المهمة على النحو التالي:

يقوم يهودا باقتحام حبريه واما اوري ورجاله فيقومون بحمايته من الدبابات اللبنـانية الموجودة خلف الحاصباني، وعلى رأس المنحدر أُبقيَ اوري فاكس مع دباباته من اجل التغطية على عملية اقتحام حبريه، وارسل ايهود الى جسر شكعة لكي يشاغل من هناك الدبابات اللبنانية.

قال فاكس: شاهدت الى يساري دبابة لبنانية وقد اطلقت هذه الدبابة علينا قذيفتين ولكنها اخطأت، فرجعت الى الخلف لأكون زاوية رماية اسهل وعندها اصاب الدبابة اللبنانية زميلي من مسافة ١٦٠٠م واحرقها، وبعد ذلك اطلقنا النار نحو الشمال، على معسكر الجيش وعلى آليات كانت تسير في المعسكر، وبالقرب من جسر

شكعة شوهدت دبابات لبنانية بين الاشجار على مسافة ٢٥٠٠م، فأطلقنا النار عليها ولكنها كانت سريعة جدا وبدأت بحركة تهرب في حين كانت قذائفنا في طريقها اليها، وبما انه كان علينا مواصلة التقدم الى حبرية واصل ايهود المعركة..

اثنـاء النزول الى الجسر شاهد اليهود (مخربين) كانوا يطلقون النار من اسلحة خفيفة، وقال: رددنا على النار بالمثل وواصلنا التقدم، وقبل وصولنا الى المثلث اصيبت الدبابة التي كانت تسير امامي في برجها ولكن القذيفة لم تخترقها، فأطلقت النار على الدبابة اللبنانية التي اصابتها، وفي القذيفة الثالثة اصبتها بين البرج والهيكل، وفي هذه الاثناء بدأت مدفعيتنا اطلاق النار على الدبابات اللبنانية ومكنتنا من تحسـين مواقعنا، فرأيت دبابة لبنانية اخرى فأصبتها من مسافة ٢٢٠٠م، وظهرت دبابة اخرى على مسافة ١٧٠٠م واصبتها قبل ان تتمكن من اطلاق النار، وتـطايـرت اجزاؤها في الهواء. لقد قامت بمعظم المهمة دبابتنا، وواجهت احدى الدبابات مشاكل اتصال وفي دبابة اخرى جرح جندي التعبئة والاتصالات في عينه.

في قرية كوكبة شاهدت دبابة بين الاشجار ولم انجح في اصابتها، وفي المنطقة الواقعة بالقرب من القرية كان يوجد جنود لبنانيون كثيرون، فأطلقت النار عليهم واتضح انه كان بينهم مصابون لأن سيارة اسعاف هرعت الى المكان. وفي الجبهة الغربية شاهدت ثلاثة اشخاص يوجهون نحونا مدفع هاون لبنانيا، وكان احدهم يرتدي ملابس مدنية، ولم اسمح لهم باطلاق النار، حيث اطلقت النار عليهم فأصبت واحدا منهم وفرّ الاثنان الآخران.

عنـدما كان الرتل الاسرائيلي ينتظر الانتهاء من معركة الدروع قرب جسر شكعة اغارت طائرتان سوريتان من نوع ميغ١٧ واطلقتا النار على المدافع ولكنهما اخطآنا، وعندما اغارتا للمرة الثانية اطلق الرتل كله النار عليهما، فتحطمت احدى الطائـرتـين في الاراضي السـوريـة، وفي هذه الاثناء وصلت طائرات سلاح الجو الاسرائيلي فتمكنت واحدة منها من اسقاط طائرة سورية من نوع ميغ١٧، وعلى مسافة قريبة من هناك دارت معركة جوية فتحطمت طائرةميغ سورية اخرى، ومنذ تلك الساعة فصاعدا اصبحت الاجواء نظيفة من الطائرات المعادية.

عندما كانت قوة السهم التابعة للواء «براك» تحارب الدبابات اللبنانية على طريق حبرية، عملت قوة اخرى على المحور الجنوبي على طريق راشيا الفخار وحمام

وشوبا، وكانت القوة الرئيسة على هذا المحور قد تكونت من وحدة «اغوزا» معززة بدبابات بقيادة النقيب موشه وبآليات هندسية، وفي هذه المنطقة كان (المخربون) يرابطون بشكل خاص على التلال القريبة من القرى، وفي المنطقة الجبلية لم تكن الدبابات قادرة على الانتشار بسهولة واقتحام مواقع (المخربين) التي عملت ضمن مجموعات صغيرة مستخدمة مدافع بازوكا ورشاشات ثقيلة، ومن البديهي، ان قوات صغيرة كهذه لم تستطع التغلب على الجيش الاسرائيلي، ولكن كان بامكانها ان تلحق خسائر به، فتقدمت القوة المدرعة اذاً ببطء وبحذر وتحت غطاء سلاح الجو الذي هاجم اهدافا (للمخربين) في تل شيبر وجبل شمر وتل الشيخ يحيى وغيرها، وقد اطلق (المخربون) نيرانا مكثفة مضادة للطائرات قيدت من حرية سلاح الجو ولكن المدفعية الاسرائيلية اعطت القوة المتقدمة غطاء ملازما واستمرت الحركة دون توقف، وبما انه لم يوجد (مخربون) في راشيا الفخار تحركت القوات الى شوبا وحمام.

في بداية العملية دمر (المخربون) جسرا يقع الى الغرب من المثلث الذي تنطلق منه طريق نحو شوبا وحمام، وتكونت في الطريق حفرة طولها عشرة امتار، وعرضها اربعة امتار وعمقها ثلاثة امتار، والى اليمين من الطريق المحفور في الصخر كان يوجد منحدر سحيق، والى اليسار منه كان يوجد تل صخري اختبأ (المخربون) فوقه في كهف وحوله، وخلقت قوة المشاة الاسرائيلية التي سارت امام قوة الدروع تماسا مع العدو، وعندما وصلت الدبابات ارسلت قذائف دقيقة الى كهف (المخربين) ووضعت نهاية لهذا الاشتباك، واتضح ان الكهف كان يحتوي على مستودع كبير للمواد الناسفة، فبدأت سلسلة من الانفجارات الضخمة وهرب (المخربون) واصبح من الممكن البدء بالالتفاف على هذا العائق.

رأى ضابط الهندسة الذي رافق الوحدة امكانية القيام بالتفاف دون تمهيد ارض بين الطريق والقاطع الصخري العالي، فصعدت المجنزرة السادسة في الرتل على لغم، فخرج خمسة من ركابها وامر قائد «اغوز» بالتوقف فتحرك رجال الهندسة وعلى رأسهم ضابط الى الامام وازالوا ألغاما من على الطريق.

قال قائد الدبابات، عندما اجتزنا العوائق شاهدنا على التلال خيمة وبقربها نصب مدفع مضاد للطائرات كان اربعة اشخاص يقومون بتوجيهه نحونا، فأطلقنا النار عليهم وطار الجميع في الهواء، وقد اصاب قائد فئتي رشاشين ثقيلين، كما

اصيبت سيارة اقتربت من المنطقة بقذيفتين وتطايرت قطعها اشلاء، وفي مداخل القرية اصيب (مخربون) كانوا يتجولون بين المنازل، ومن لم يصب ـ هرب..

وقال قائد «اغون»: دخلنا قرية حمام، واطلقنا النار من جميع الاسلحة وفي جميع الاتجاهات. وهكذا اقللنا من الخسائر بين جنودنا لأن القرية كانت مليئة (بالمخربين). وسيطرنا بالرماية على المنازل التي اعدت للنسف. ووجدنا فيها الكثير من الاسلحة كما عثرنا على ثلاثة استحكامات تحت الارض مليئة بالذخائر.

إن قرية حمام مبنية على ضلع الجبل وفي وسطها تمر الطريق الرئيسة، التي تم حفرها في الجبل. ويبلغ عرض الطريق حوالي اربعة أمتار. ويوجد على احد جانبيها جبل وعلى الجانب الاخر هاوية. وعندما وصلت الدبابة الاولى الى وسط القرية انهار الطريق تحتها وخشي قائدها ان يواصل السير خوفا من أن ينقلب. فاغلق الطريق. وفورا ارسل الى هناك الرائد رزون، الخبير في انقاذ الدبابات في سلاح الدروع، وخلال وقت قصير استؤنفت الحركة.

وعندما وصلت القوة الاسرائيلية الى قرية شوبا، كان الهدوء يسود القرية. فقد تمكن (المخربون) من الهرب منها. وقد اشر للنسف ١٨ منزلا (للمخربين) ومساعديهم. وكانت توجد في منزل مكون من طابقين قيادة لمنظمة الصاعقة. وقال موشه, لقد نسفنا آخر بيت بعد أن خيم الظلام وعندها تلقيت امرا لاعادة التنظيم في مركز تجميع قرب القرية.

قبل الانسحاب من المنطقة عثر فيها على كهف توجد فيه قاعدتا اطلاق صواريخ كتيوشا من عيار ٢٤٠ ملم واربع قواعد اطلاق لصواريخ كتيوشا من عيار ١٣٠ ملم. وتم نسف هذا الكهف. واستمرت الانفجارات في مستودع الاسلحة هذا حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل.

دفعت مصاعب الحركة والتشويش اللذين طرآ على الجدول الزمني عميد القيادة الشمالية الى اتخاذ قرار بتغيير الخطة الاصلية. وقال العميد غور: في ساعات ما بعد الظهر ثار السؤال التالي: كيف ستستمر العملية؟ وكان علينا ان نقرر فيما اذا كنا سنعود في المساء أم لا. ولكن الوضع في المنطقة املى علينا البقاء في الليل. وتم الاتفاق خلال نقاش مع وزير الدفاع ورئيس الاركان على أنه من المرغوب ان نبقى هناك حتى ظهر يوم غدٍ. ووافقت الحكومة على هذا القرار. وعندها صدر الامر

لقائد اللواء أن يعيد تنظيم قواته في ساعات الليل، وأن ينهي عملية الاخلاء وأن يبدأ الانسحاب في صباح اليوم التالي. وطلب من القوات أن تكون متيقظة وان تحول دون تعرضها للاصابة من جانب (المخربين) في ساعات الليل».

وقد ارتاح قادة القوات لهذا القرار. فقد ارادوا أن يتموا عملية «الحمّام» وان ينهـوا عمليات التمشيط في المنطقة وأن يجمعوا وثائق كثيرة بقدر الامكان. وأما (المخربون) فانهم لم يستغلوا الفرصة للقيام بمحاولات لضرب القوات الاسرائيلية المتـواجـدة في المنـطقة. ولكن بالقرب من شوبا اطلقت نيران رشاشات على عدة مجنزرات ولكنها لم تسفر عن خسائر في الارواح. وبالمقابل، تعرض (المخربون) في ساعات الليل الى خسائر اخرى في الارواح من نيران مدفعية الجيش الاسرائيلي التي اطلقت على فترات متقطعة على الجبال والتلال القريبة من مناطق تجمع القوات وعلى محاور الحركة المحتملة.

في ساعات الصباح تم ايلاء اهتمام لقواعد (المخربين) الموجودة على رؤوس التلال. فهناك كانت معسكرات صغيرة للعشرات من (المخربين). وقد ترك الكثيرون منهم اسلحتهم ومعداتهم وهربوا. واعطيت رجال مدفعية الجيش الاسرائيلي الفرصة لرؤية نتائج عملياتهم في اليوم السابق. فالاصابات كانت مباشرة.

في قرية «حمام» عثر خلال عملية تمشيط اخرى على قيادة منظمة «فتح»: وهي عبارة عن بناية من طابقين وبداخلها ٢٠٠ بندقية كانت كل واحدة منها تحمل اسم صاحبها.

وفي ساعات الظهر انسحب الجيش الاسرائيلي من منطقة «فتح لاند». وكانت المعدات اللبنانية التي تركها خلفه مصابة مكونة من: ٦ دبابات، و٣ مدافع غير مرتدة ومدفع هاون من عيار ٨١ ملم. واما خسائر العدو فكانت مقتل اكثر من ٣٠ (مخربا) وجنديا لبنانيا اصيبوا في منطقة سوق الخان، ونسف ٤١ منزلا واصابة حوالي ٣٠ منزلا بقذائف الدبابات كما تم تدمير ١٤ آلية ومستودعات اسلحة وذخائر كبيرة وحوالي ١٨ قاعدة لمنظمة فتح والصاعقة. واسرت القوات ١٩ اسيرا. منهم جنديان من قوات الدرك اللبنانية و١٦ (مخربا) وصحفي لبناني واحد في عملية «الحمام» الاسرائيلية لم يقتل ولو جندي اسرائيلي واحد. ولكن اصيب ٢٠ جنديا بجروح طفيفة تم اخلاء ١٢ منهم بطائرات عمودية. واما الآخرون فاستمروا في

الحرب بعد ان تلقوا الاسعافات في المنطقة. كذلك اصيبت خمس دبابات اسرائيلية، اصيبت اربع منها بنيران الدبابات اللبنانية وواحدة اصيبت بقذيفة اطلقها مدفع غير مرتد تابع (للمخربين). كما اصيبت خمس مجنزرات. صعدت احداها على لغم واربع اصيبت بنيران بازوكا ومدفعية. وقد احتاج عدد كبير من الدبابات والمجنزرات للصيانة والاصلاح من قبل طواقم التسليح خلال العملية.

«كيتون» ضد سوريا

قبل ان تمضي ثلاثة اسابيع على الضربة التي انزلها الجيش الاسرائيلي (بالمخربين) الفلسطينيين في جنوب لبنان، وجد الجيش الاسرائيلي انه من الضروري ان يظهر سطوته بالنسبة لسوريا، التي لم تكتف بتقديم التشجيع والمساعدات للفلسطينيين، بل استخدمت جيشها بشكل متوالٍ ومتزايد ضد الخطر الاسرائيلي في هضبة الجولان.

إن الجبهة السورية، التي اصبحت هادئة نسبيا فور انتهاء حرب الايام الستة، بدأت تسخن تدريجيا. ففي النصف الاول لعام ١٩٧٠ اصبحت احدى اكثر المناطق الدموية جدا. وخلال عام ١٩٦٩ سقط في هذه المواجهة عشرة من الجنود الاسرائيليين. ومن كانون ثان وحتى آب ١٩٧٠ قتل في هذه الواجهة ستة وعشرون جنديا ومواطنان اسرائيليان. وكانت الاشتباكات في الواجهة السورية تقع بشكل متقطع. فمرة كان السوريون يضربون اسرائيل، ومن ثم يهدأون، وبعد ذلك يعودون الى الضرب وهكذا. وكان السوريون معنيين بان يظهروا للعالم العربي دورهم في المواجهة مع اسرائيل. وقد دفعت التوترات الداخلية في سوريا نظام الحكم الى توجيه الاهتمام الى الخارج. ومن خلال «الاحترام المفروض» للجيش الاسرائيلي، الذي اصبح يرابط منذ حرب الايام الستة على مسافة قريبة من دمشق، وكان بمقدوره أن يوجه ضربات مؤلمة للخطوط الخلفية السورية، حاولت سوريا جاهدة ان تدير حرب استنزاف حذره. فاحيانا كان الجيش السوري نفسه يوجه ضربة لقسم من الخطر الاسرائيلي، واحيانا كان يسمح لمنظمة الصاعقة التي نظمت وعملت برعاية سوريا، للقيام بعمل ضد اسرائيل. وبين عملية واخرى كان يسود هدوء متوتر.

في ٢٤ حزيران بلغت الاعتداءات السورية ذروتها. ففي الساعة ١٧ر٤٠ مساء اطلقت نيران المدفعية على طول الخط. ووجهت رماية شديدة بشكل خاص

الى موقع ٣٨ الاسرائيلي. وعندما كان المدافعون عن الموقع يحاولون البحث عن ملجأ لهم قامت قوة دروع سورية تضم ١٤ دبابة تي ٥٤ وناقلة جنود واحدة باختراق خط وقف اطلاق النار وحاولت احتلال الموقع.

إقتربت من الموقع من الجنوب الغربي لمثلث حشنية على طريق القنيطرة ـ رفيديا ثلاث دبابات وناقلة جنود واحدة وحاولت تدمير الموقع من بعيد. وقامت الدبابة السـوريـة الاولى باقتحـام بوابة الموقع وقام الجنود الذين كانت تحملهم الناقلة بالاغارة على المبنى السكني، الذي كان خاليا في تلك الساعة وبعد ذلك انسحبوا. وفي هذه الاثناء استدعى جنود الموقع، الذين اختبأوا في خندق، النجدة من وحدة الدبابات التي كانت متواجدة على مسافة ما خلف الخط. ولكن ما ان رد الجيش الاسرائيلي بارسال طائرات ودبابات حتى كان السوريون قد عادوا الى خطهم.

لقد كان هذا الحادث قمة المبادرة العدوانية السورية المستمرة. فخلال شهر واحد، في اواسط عام ١٩٧٠، نفذ السوريون ٤٩ اعتداء. منها ١٥ عملية قصف مدفعي و١٣ عملية اطلاق قذائف بازوكا او زرع قنابل بازوكا مرتجلة وتسع عمليات زرع الغام، وست عمليات (تخريب) وعمليتي تسلل قام بها جنود سوريون للمنطقة التي يحتفظ بها الجيش الاسرائيلي وعدة عمليات تسلل قام بها (مخربون) فلسطينيون.

لقد تمخض حادث الرابع والعشرين من حزيران عن نتيجتين: فقد استقدم الجيش الاسرائيلي دباباته الى المواقع الامامية والحق فئة دبابات بكل موقع هام وفي نفس الوقت قرر ان يرد، وفي هذه المرة بقوة من شأنها ان تقنع السوريين بان سياستهم لن تجدي نفعا.

فخلال مناقشات جرت في قيادة الجيش الاسرائيلي تقرر المبادرة الى يوم قتالي على طول الواجهة السورية، وفي غداة اليوم التالي لهذا القتال، يتم تنفيذ غارة مدرعة على المواقع السورية وتدميرها.

لقد كان من الطبيعي أن تسند هذه المهمة (الغارة المدرعة) الى لواء «براك» بقيادة العقيد موشه باركوخبا (بريل) وهو اللواء الذي نفذ قبل ذلك بأقل من ثلاثة اسابيع الغارة المدرعة الصعبة جدا على منطقة «فتح لاند» في جنوب لبنان.

وفي ساعة متأخرة من ليلة ٢٤ حزيران ١٩٧٠، وبعد ساعات قليلة فقط من

انتهاء الغارة السورية على موقع ٣٨ الاسرائيلي، استدعي العقيد باركوخبا الى عميد القيادة. فقال له العميد غور: لقد تقرر الرد على الاعتداء السوري. فغدا ستلعلع المدافع على طول الخط في اطار عملية اطلق عليها اسم «راعم» اي صوت الرعد. وخلال هذه العملية تقوم بنشر ٦ فئات دبابات من لوائك ومهمتها تدمير دبابات واسلحة مضادة للدبابات وخنادق في الخط الامامي ابتداء من قرية مسعده في الشمال وحتى «العال» في الجنوب .

وقال «موطا» «لبريل» ان عملية «راعم» قصد بها اخذ المبادرة من ايدي السوريين، وفي الوقت الذي يكونون فيه مذعورين من هذه العملية ويقومون بهضم مغازيها، تنفذ ضدهم عملية «كيتون» وهذه العملية ستنفذ يوم الجمعة السادس والعشرين من حزيران ١٩٧٠.

عندما استمع العقيد باركوخبا الى هذه الكلمات دخل الدفء في قلبه لأن عملية «كيتون» كانت احدى الخطط الكبرى التي قدمها للقيادة للموافقة عليها في اطار خطط الضربات المعاكسة للاستفزازات السورية. فعملية «كيتون» لم تكن يوما قتاليا فقط وانما كانت اختراقا واسعا للخط السوري واحتلالاً لمواقع سورية. وعندما عرض خطته هذه قال العقيد باركوخبا ان ضربة واسعة النقاط فقط من شأنها أن تكون «الانطباع المطلوب». وهكذا صدرت في النهاية الموافقة على تنفيذ عملية «كيتون» في اعقاب عملية «راعم» مباشرة.

لقد اعطي اللواء المدرع مهلة اربع وعشرين ساعة فقط كان على بعض وحدات اللواء خلالها ان تشارك في عملية «راعم» وعلى قيادة اللواء أن تجمع جميع الوحدات وان تهتم بتزويد الوقود والذخائر وان توجه قادة الوحدات بشكل مفصل. وفي تلك الساعة كانت احدى سرايا اللواء في اجازة وذلك في نهاية سلسلة من التدريبات. وكانت قوات اخرى ترابط في غور بيسان. وتقرر ارسال طواقم الدبابات الى الهضبة بدون دباباتهم وتسليمهم دبابات من مشروع الطوارىء التابع لكتيبة الاحتياط. واستدعيت قوات اخرى الى منطقة التجمع مستخدمة مجنزرات. وكانت بعض الدبابات بحاجة الى صيانة محركاتها التي عملت حتى ذلك الوقت ١٥٠ ساعة.

الضباط يهربون

في يوم الخميس، الخامس والعشرين من ايار، بدأت عملية «راعم». وفي اطار هذه العمليـة القى سلاح الجو الاسرائيلي ٥١ طنا من القنابل في عمق الاراضي السورية. والمدفعية الاسرائيلية اطلقت النار دون انقطاع. واطلقت دبابات من لواء «بـراك» ٣٩٧ر١ قذيفـة، ودمرت استحكامات، ومنازل، ومدافع مضادة للدبابات السورية، واشعلت النار في اربع دبابات واصابت خمس دبابات أخرى. واسقطت طائرة سورية في اجواء المنطقة. واما خسائر الجيش الاسرائيلي في يوم القتال هذا فكانت: قتيلا واحدا وجريحين. واصابة ثلاث دبابات.

كانت احدى الدبابات التي شاركت في عملية «راعم» دبابة الملازم الثاني حانوخ برزيلاي التي شاركت في مقاومة الهجوم الذي بادر اليه السوريون في السابق (يوم الاربعاء ٢٤ حزيران في ذلك الوقت كانت هذه الدبابة بالقرب من الموقع ٢٤ القريب من القنيطرة. وكان عدد المدفع في الدبابة الرقيب دافيد طوفيم واما سائق الدبـابة فكان العريف دافيد ليفي والمسؤول عن تعبئة الذخيرة والاتصال فكان الرقيب موشه افراتي. وفي يوم الاربعاء، وفي الساعة ٣٠ر١١ تعرض الموقع ٥٤ لنيران المدفعية. وفور ذلك جمع الملازم الثاني برزيلاي طاقمه وازال شبكة التمويه وتحرك نحو الموقع. وعندما كان في طريقه انفجرت قذيفة مضادة للدبابات من عيار ١٣٠ ملم الى اليمين من الدبابة. فاصيب الملازم برزيلاي الذي كان يقف مكشوفا في برج الدبابة بشظايا القذيفة واسعف فورا من قبل عدد المدفع الرقيب طوفيم.

وعندما وصلت الدبابة الى موقع رمايتها لاحظ الملازم الثاني برزيلاي وميغا من موقع سوري مضاد للدبابات فسدد مدفعه نحو الموقع. ومن مسافة ٢٠٠٠م تمكن من تدمـير الموقع. وفور ذلك اصابت هذه الدبابة موقعين مضادين للدبابات. وخلال المعركة اصاب طاقم الملازم الثاني برزيلاي مواقع مشاة وموقعا لمدافع هاون ودبابة صورية سورية. في نهاية المعركة عادت الدبابة الى موقع ٥٤ وقام طاقمها بصيانتها. وتم اخلاء الملازم الثاني برزيلاي الجريح الى القنيطرة. ولكنه رفض الانتقال الى مستشفى رمبام لأنه سمع عن عمليات التحضير لعملية راعم. وفي غداة اليوم التالي عاد الى موقع ٥٤ والى دبابته.

عندما بدأت عملية «راعم» قام الملازم الثاني برزيلاي بالتغطية على الدبابات الاخرى اثناء دخولها الى مواقع الرماية، وبعد مرور وقت قصير اصيبت دبابته من رماية مباشرة ولم تعد صالحة للحركة. ومن هذا الموقع الثابت دمر طاقم الملازم الثاني برزيلاي الدبابة السورية التي اطلقت النار عليه. ارسلت دبابة انقاذ ومجنزرة من مشغل اللواء بقيادة النقيب كلمان، لاخلاء دبابة الملازم الثاني برزيلاي وخلال عملية الانقاذ قتل عدد المدفع دافيد طوفيم الذي كان يقوم بالمراقبة من على الدبابة المجرورة. وبعد أن اخليت الدبابة واحضرت الى مشغل اللواء. وافق الملازم الثاني برزيلاي على اخلائه الى المستشفى في حيفا.

عندما انتهى يوم القتال، في الساعة ١٦٫٣٠ استدعي العقيد موشه باركوخبا الى عميد القيادة الذي اعطاه الموافقة النهائية على تنفيذ عملية «كيتون». ولكن ليس في الواجهة الشمالية وانما في جنوب هضبة الجولان في منطقة رفيديا.

لقد نقل مكان العملية للسبب التالي: من المؤكد ان السوريين سيتوقعون ضربة من جانب الجيش الاسرائيلي. ومن اجل المحافظة على عنصر المفاجأة يجب التمويه على اتجاه الضربة حتى اللحظة الاخيرة. وتم اختيار واجهة رفيديا لأن العائق الطبيعي المتمثل في وادي الرقاد كان يحميها من الشرق، وكان بمقدوره ان يمنع انسحابا سوريا سهلا وسريعا.

وقد وافقت رئاسة الاركان العامة على استخدام اربع فئات دبابات فقط في عملية «كيتون». واقنع قائد اللواء العقيد باركوخبا قائد القيادة الشمالية العميد غور، بان يطلب موافقته على زيادة حجم القوة وبالفعل خرجت لتنفيذ المهمة الكتيبتان النظاميتان في اللواء.

لقد تمكن القليلون فقط من جنود اللواء أن يأخذوا قسطا من النوم في الليلة التي سبقت عملية كيتون. فقد اشتغل رجال التسليح طيلة ساعات الليل بتسليح الدبابات أما الطواقم فقد اهتمت بعملية التزود بالوقود وبالاسلحة. وفي فجر اليوم التالي انضمت الى اللواء قوة هندسة، كانت حيوية لتنفيذ العملية في هذه المنطقة الجبلية المعزولة. وفي الساعة ٧٫٠٠ صباحا اجتمعت مجموعات الامر التابعة للكتائب بمشاركة قادة الهندسة. وفي الساعة ٧٫٣٠ عقد لقاء اخير بين عميد القادة وقائد اللواء على مثلث يهودية ـ طريق النفط. وبعد هذا اللقاء توجه العميد غور

الى مجموعة القيادة الامامية واما العقيد باركوخبا فاسرع الى لوائه لاعطاء توجيه آخر لجميع ضباط اللواء، ابتداء من مستوى قائد الفئة فما فوق.

وقد اعطى هذا التوجيه في تل جوخادار. وفي الساعة ١٥ر٩. اجرى قائد اللواء وقادة اللواء مراقبة اخيرة لمحور دخول المناطق السورية. وفي هذه الاثناء انتشرت القـوات على محور النفط. وتقدمت كل قوة دبابات من نوع سنتوريون ورافقتها مجنـزرات التفجـير ورجال الاستخبارات. وتقرر سلفا ان يعمل رجال الهندسة كمحاربي مشاة تماما. كان ينتشر امام لواء «براك» خلف الخط البنفسجي لواء المشاة السوري ٦١ الذي كانت قيادته الامامية في عين ذكر. والى الشمال من اللواء ٦١ كان يرابط لواء المشاة ٨٦. والى الجنوب منه كان يحتفظ بالخط لواء فلسطيني غير نظامي. وفي عمق المنطقة السورية، كانت ترابط كتيبتا دروع اعتقد الجيش الاسرائيلي انهما ستتدخلان في المعركة التي ستحدث في المنطقة.

وكـانت الاهـداف التي خصصت للواء براك في اطار عملية «كيتون» هي المواقع: «المنازل الاربعة» «ومواقع الحانوت» وموقع سيدا. ولم تشمل خطة العملية الموقعين الواقعين في الطرف الشمالي وهما: موقع «تل دريعة»، وموقع «ام لوكس».

وقـد بدأت الدروع الاسرائيليـة تقدمها في الساعة ١٥ر١٠ بعد أن قامت المدفعية الاسرائيلية وسلاح الجو الاسرائيلي بقصف الخط السوري اكثر من ساعة. وقد تسببت عمليات القصف المدفعي والجوي في اجبار عدد من الضباط السوريين على الهروب قبل ان تبدأ معركة الدروع. وعندما وصلت القوات الاسرائيلية الى المواقع السورية وجدت فيها ضباط صف في الغالب...

في مقدمة الرتل المدرع الاسرائيلي تحركت خمس دبابات بقيادة النقيب موشه. وقد قصد بهذه القوة احتلال مواقع تغطية الى الشمال من منطقة القتال، امام ام لوكس، وتل دريعة وامام موقع صغير يقع في منطقة يمر بها انبوب النفط ـ (الخط البنفسجي). وفي الساعة ٣٠ر١١ انفصلت هذه القوة عن الرتل اللوائي واحتلت مواقع قتال وبدأت اطلاق النار ابتداء من الساعة ٠٠ر١٢.

٨٠ دقيقة خلف الخط

الان تقدمت قوة التغطية الجنوبية المكونة من تسع دبابات بقيادة النقيب موشه. وقد انتشرت هذه القوة في مواقع أمام موقع ٣٣ وموقع الامم المتحدة، وبدأت

باطلاق النار بدءا من الساعة ١٢٫٠٠، وخلال ٢٠ دقيقة دمرت جميع الاهداف التي خصصت لها. وكانت المنطقة التي انتشرت فيها هذه القوة، مبسوطة ومكشوفة جدا. واطلق السوريون النار عليها من اسلحة مضادة للدبابات. وكانت الرماية السورية دقيقة. اذ انها اطلقت من مسافة ٥٠٠م واصابوا دبابة قائد السرية الثالثة النقيب اوري ودبابة الملازم الثاني ايلان بنيان. فسارع سلاح الجو لمساعدة هذه القوة ودمر دبابة سورية ومدفعا مضادا للدبابات ازعجا القوات الاسرائيلية.

في الساعة ١٢٫٣٠ اجتازت قوة دروع اسرائيلية مكونة من ١٥ دبابة خط وقف اطلاق النار. وهذه القوة التي قادها المقدم يهودا، كانت مجزأة الى جزأين: سرية تضم سبع دبابات بقيادة النقيب موشه واكس وسرية تضم سبع دبابات بقيادة النقيب بنحاس (بيني) سنير. وكان النقيب واكس اول من اجتاز الحدود. وقد كلفت سريته بفتح طريق في المنطقة الحرام حتى موقع الامم المتحدة وبالتحرك من هناك الى خلف موقع (المنازل الاربعة) لاحتلال هذا الموقع وتطهيره ونسفه.

قال النقيب واكس: كانت المنطقة اقل خطورة مما تصورنا. وقد وصلت مع ثلاث دبابات الى موقع الامم المتحدة من خلال اطلاق النار. وعندما وصلت الى الطريق التي تؤدي من موقع الامم المتحدة الى طريق الادارة السورية قربت مني الدبابات الاخرى. وتقدمنا تحت حماية شديدة ومن خلال استغلال الطي الارضي واطلاق النار على الجانبين».

دخلت الموقع اربع دبابات، وفي نفس الوقت سمع النقيب واكس نداء باللاسلكي يقول: ان مدفعين سوريين متحركين من نوع اس يو ١٠٠ موجهان اليك. وقبل ان يتمكن القائد من مشاهدتهما كان رجاله قد قاموا بتدميرهما. ومضى النقيب واكس يقول: شاهدنا حركة داخل الموقع ولكن لم تكن هناك مقاومة شديدة. فقدت الدبابات على طول القنوات من خلال اطلاق النار من المدافع والرشاشات واما أنا فكنت اطلق النار داخل القوات من رشاش كلاشنكوف. وبعد ربع ساعة ساد الصمت وبدأ الجنود السوريون يخرجون من قنوات الاتصال وعندما تم احتلال الموقع، بدأ رجال الهندسة باعداده للنسف. والاخرون قاموا بجمع الاسرى وعددهم ٢٣ شخصا. وفي هذه الاثناء نصب المقدم يهودا كمينا وشخّص ثلاث دبابات سورية ودمرها. وبما أن السوريين اطلقوا نيران المدفعية اغلق رجال الدروع الاسرائيليين

ابواب الدبابات عليهم وبأمر من قائد الكتيبة انسحبوا الى مواقع خلفية وقاموا بمراقبة المنطقة.

احتلت مجموعة القيادة اللوائية موقعا لها، بين موقع الامم المتحدة وبين موقع (المنازل الاربعة). ومن الخلف في تل الفرس انتظر باهتمام رئيس الاركان العامة الجنرال حاييم بارليف، ووزير الدفاع موشه ديان، وعميد القيادة مردخاي غور، ونائب قائد قوات الدروع العميد الثاني «البرت» مندلر.

في اعقاب «مجموعة القيادة» تحركت كتيبة دبابات تضم ١٤ دبابة. وقاد هذه القوة الفرعية النقيب اسحق، الذي استدعي خصيصا لهذه العملية من دورة قادة سرايا دروع. وخلفه تحرك قائد الكتيبة الرائد اوري الذي تحركت في اعقابه دبابات النقيب آبي وسرية النقيب ايهود.

وبناء على الخطة، كان على النقيب اسحق أن يحتل موقعي سيدا والحانوت وان يطهرهما بتغطية من النقيب آبي. واما قوة ايهود فطلب منها التحرك في اعقابهما حتى صيدا وان تنصب كمينا على الطريق الرومي الجنوبي الواقع على بعد حوالي كيلومتر واحد الى الجنوب الشرقي من المثلث. وكان التنفيذ مختلفا: فعندما وصلت الدبابات بقيادة اسحق الى طريق الادارة السورية، اتضح ان دبابات النقيب واكس تستطيع القيام بالتغطية عليها لانها قد فرغت من احتلال موقع (المنازل الاربعة). وعليه فقد تقرر أن تقوم قوة اسحق باحتلال «سيدا» وأما قوة آبي فتسير في اعقابه.

وفي موقع سيدا، شاهد قائد الكتيبة مدفعا متحركا من نوع اس يو ١٠٠ فاحرقه من مسافة ٤٠٠م. واما الدبابة التي سارت في اعقاب النقيب اسحق فشاهدت دبابة سورية من نوع تي ٣٤ برز مدفعها والجزء الاعلى وبرجها فوق الموقع. فقامت الدبابة باصابة الدبابة السورية. وانهت قوة اسحق مهمة احتلال موقع سيدا واما قوة ايهود فطاردت الجنود السوريين الذين هربوا من الموقع، بواسطة نيران الرشاشات.

في هذه الاثناء مر النقيب آبي أمام قوة قائد الكتيبة الرائد اوري واحتل موقع الحانوت وهو الموقع الواقع في اقصى الجنوب الذي تم احتلاله في هذه العملية. واما قوة ايهود فقد تفرغت لتنفيذ المهمة الاصلية: نصب كمين باتجاه الشرق. استغرقت عملية الكتيبة خلف الخط حوالي ٨٠ دقيقة. وفي الساعة ١٤٠٠ أبلغ قائد الكتيبة

الرائد اوري، قائد اللواء العقيد باركوخبا انه نفذ جميع المهام التي كلف بها، وان اثنتين من دباباته قد اصيبتا بخلل. فقد تعرضت احداهما لخلل في صندوق فراملها. والاخرى تعرضت لخلل في بواجيها. وهكذا تم جر الدبابتين الى المشغل.

ساد المنطقة هدوء نسبي. وقرر قائد اللواء استغلال الانتصار فطلب موافقة قائد القيادة الشمالية على توجيه قوات التغطية الى الموقعين الشماليين، ام لوكس وتل دريعة. فاعطيت الموافقة. فخرج النقيب موشه على رأس القوات. ومعه دبابتان اخريان. فاطلق الموقع السوري نيرانا مكثفة من مدافع البازوكا، والار بي جي والاسلحة الخفيفة، عندما كانت تتقدم نحوه القوة الصغيرة. فاستدعى النقيب موشه ٦ دبابات بقيادة النقيب اوري والملازم الثاني يسسكار حمرمتس، وهكذا تم احتلال الموقع. وفور ذلك اطلق السوريون نيران مدافعهم الدقيقة على الموقع الذي تم احتلاله.

في هذه الاثناء توجه النقيب موشه ومعه اربع دبابات لاحتلال موقع تل دريعة. وقال النقيب موشه: تقدمنا على النحو التالي: دبابتان تتحركان ودبابتان تقومان بالتغطية عليهما. وفي البداية بدت لنا المنطقة انها صعبة العبور، ولكننا لم نواجه مصاعب حقيقية. وعندما وصلنا الى الموقع ابلغ قائد احدى الدبابات أنه شاهد مدفعا متحركا من نوع اس يو ١٠٠ قريبا منه ويبدو أنه مهمل وسأل عما يجب عمله؟ فقلت له اذا لم يطلق المدفع النار ربما نأخذه غنيمة. وفي هذه اللحظة بدأ السوريون يخرجون من الاستحكام وايديهم مرفوعة.

النقيب موشه الذي يجيد اللغة العربية استجوب الاسرى الذين قالوا له أن الضباط هربوا وبمساعدة الاسرى تم تحميل اسلحة الموقع على الدبابات وقام اكبر السوريين رتبة (وكيل) بقيادة المدفع المتحرك السوري الى الاراضي الاسرائيلية. وفجأة انزل السوريون نيران مدفعيتهم على الموقع الذي تم احتلاله. فاصيب جندي اسرائيلي بجروح في بطنه وفارق الحياة قبل ان تجتاز القوة الخط البنفسجي. بعد مرور حوالي ساعتين على اجتياز القوة الاسرائيلية الخط، اكملت المهمة كلها وامر قائد القيادة، قائد اللواء بالعودة الى الاراضي الاسرائيلية. وفي هذه اللحظة ابلغ النقيب ايهود قائد اللواء: ان هناك دبابات سورية تتقدم بسرعة خلف وادي «الرقاد». وبعد مرور حوالي دقيقة قال قائد الكتيبة المقدم يهودا: إنه توجد عشرون

دبابة على مسافة ٥٠٠٠م من الشرق. وشاهد النقيب موشه من على تلة ام لوكس العالية حوالي ٥٠ دبابة سورية. وعندها اتصل قائد القيادة مع قائد اللواء وابلغه: هناك ما بين خمس او عشرين دبابة تتقدم نحوك. فاستعد لخوض معركة دروع ضد دروع.

انتقل لواء براك فورا الى حالة الانتشار لخوض معركة دروع ضد دروع. وبامر من قائد اللواء توقفت جميع الدبابات عن مهمة التطهير والانتظام للحركة غربا، وانتشرت خلال عدة دقائق بصورة واسعة بقدر الامكان وامر العقيد باركوخبا قائد الكتيبة اسحق باحتلال مواقع نحو الشرق واما بقية القوة فأمرت بالعودة بسرعة الى الاراضي الاسرائيلية.

إن سرية ايهود التي كانت اول من شاهد الدبابات السورية، كانت ايضا اول من ضرب هذه الدبابات وخرجت دبابات واكس من موقع «المنازل الاربعة» وتقدمت شرقا، ولاحتلال مواقع قتال وابلغت باصابتها لاربع دبابات سورية. ولكن السوريين ايضا لم يقفوا مكتوفي الايدي فقد اصابت قذائفهم دبابة النقيب واكس وقال واكس بعد المعركة: ان اول قذيفة سورية سقطت على بعد خمسة، امتار من دبابته والثانية مرت فوق رأسه والثالثة اصابت دبابته اصابة ناعمة.

وأتصل قائد الكتيبة وقال انه دمر دبابتين سوريتين من مسافة بعيدة. وكان واضحـا، أن الدبـابات السورية تريد اجتياز وادي الرقاد والاتصال مع المواقع المحتلة. وقد أطلق السوريون النار من خلال الحركة. وقال النقيب اوري: شاهدت الدبابات تناور على مسافة ٣٠٠٠م وتقترب حتى مسافة ٢٢٠٠م. وقد وقفت ولم تشاهدنا وقامت باطلاق النار على الموقع. فرددنا على النار بالمثل واصبنا اربع دبابات سورية. واصيبت دبابتي بقذيفة واحدة ولكن لحقت بها اضرار بسيطة فقط. النقيب موشه اتصل بجهاز اللاسلكي وقال هناك سبع مشاعل تحترق في المنطقة. والدبابات السورية التي لم تصب توقفت عن التقدم ولكنها امطرت من بعيد وابلا من القذائف.

عندما خرج اللواء من الاراضي السورية، شن السوريون هجوما معاكسا على موقع ٣٤ الواقع على سفح جبل «ابو ندا» الى الشمال من واجهة «كيتون». وسقطت على الموقع رماية مدافع ثقيلة. وفي ظل عملية القصف خرجت من موقع خان الارانب ١٠ دبابات سورية من نوع تي ٥٤ وناقلتا جنود تحمل صواريخ من عيار ١٥٠.

وحاولت هذه القوة احتلال موقع ٥٤ ولكن تم صدها على ايدي جنود المشاة الذين اشعلوا دبــابة سورية واحدة. واستدعيت الى الموقع فئتا «شبرمان» ولكن ما ان وصلت هذه الدبابات الى الموقع حتى كان السوريون قد انسحبوا.

هكذا انتهت عملية «كيتون».

فقد مني السوريون في هذه العملية بضربة موجعة. فقد تم احتلال ٦ مواقع من مواقعهم. ونسفت خمسة استحكامات، ودمر عشرون موقعا وحوالي ٣٦ دبابة اصيبت وتم ابطال مفعولها. وقتل حوالي ٣٥٠ جنديا سوريا واسر ٣٨ جنديا. كما تم الاستيلاء على غنائم كثيرة. واصبحت المواجهة بعد عملية كيتون بوقت طويل هادئة اكثر مما كانت عليه قبل ذلك بعدة اشهر.

عندما بدأ الجيش الاسرائيلي باجمال عبر عملية كيتون تبين انه تم استخدام الدروع في هذه العملية استخداما جيدا: فتركيز قوات دروع لمعركة اختراق في جبهة ضيقة نسبيا، وسرعة التنقل وتوجيه ضربة مذهلة بنيران الدبابات؟ كل هذه العناصر تسببت في انهيار قدرة المقاومة من جانب العدو، كما كتب بتسلئيل في اعادة تصويره للعمليــة. قد نفــذت عمليتا الهجوم والحرب في منطقة صخرية صعبة من خلال استغلال قوة الصدمة التي أحدثتها الدبابات.

ابراهام ادان

قائد قوات الدروع في حــرب الاستنزاف وحرب (يوم الغفران): ١٩٦٩/٣/١٠ ـ كانون ثان ١٩٧٤

عمل العميد «الاحتياط» ابراهام ادان قائدا لقوات الدروع في الفترة التي تلت حرب الايام الستة وحتى حرب (يوم الغفران) اي من ١٩٦٩/٣/١٠ وحتى كانون ثان ١٩٧٤. خلال خدمة ابراهام ادان قائدا لقوات الدروع عالج عدة قضايا رئيسة هي: الصمود في حرب الاستنزاف، ورفع المستوى المهني لسلاح الدروع، وزيادة حجم القوات، واعداد مجموعات الدروع لحرب شاملة.

لقد حمل سلاح الدروع بقيادة ابراهام ادان على عاتقه عبء المسؤولية عن جبهــة سيناء وقناة السويس، ومن اجل القيام بهذه المهمة اقامت قيادة سلاح الدروع قيادة القوات المدرعة، التي اخذت على عاتقها المسؤولية كاملة عن سيناء،

ونظمت واقامت خط قناة السويس، وحملت المسؤولية العملية لادارة الامن الدارج والعمليات الخاصة على طول هذا الخط. كذلك انتشرت قوات الدروع على طول الحدود في غور الاردن، وغور بيسان وهضبة الجولان ولعبت دورا فعالا ومركزيا في جميع النشاطات الامنية.

لقد اجتاز سلاح الدروع خلال فترة قيادة ادان له عملية تعاظم واسعة النطاق. فقد اقيمت مجموعات دروع اضافية. واستوعبت دبابات من نوع م/٦٠ الامريكية الصنع، واستمرت عملية استيعاب دبابات السنتوريون المحسنة وتحويل دبابات «شيرمان». كذلك شرع في ادخال ناقلات الجنود من نوع م/١١٣ للخدمة العملية وشرع في بلورة نظرية حرب خاصة بعبور القنوات المائية واقيمت فرق مدرعة تحملت اعباء حرب (يوم الغفران).

ولد ابراهام ادان في (اسرائيل)، عام ١٩٢٦ وانضم الى قوات البالماح عام ١٩٤٣. وفي حرب (الاستقلال) كان قائدا لسرية في الكتيبة الثامنة من لواء النقب. وشارك في تحرير النقب، بما في ذلك تحرير ايلات في عملية «عوفدا». وقد انضم ادان الى الدروع في صيف ١٩٢٩. واقام عام ١٩٤٩ الوحدة الاولى التي استوعبت دبابات شيرمان، التي تم شراؤها من اوروبا. وعين ضابطا لعمليات كتيبة وتسرح من الجيش. في عام ١٩٥٦، وقبل معركة سيناء، استدعي ادان للخدمة وعين قائدا لكتيبة الدبابات التي شاركت، في معركة ابو عجيلة المشهورة.

في نهاية الحرب عين ضابطا لشعبة العمليات في قيادة سلاح الدروع، وقائدا للواء السابع وقائدا لمدرسة الدروع. وفي عام ١٩٦٧ عين نائبا لقائد سلاح الدروع وفي حرب الايام الستة خدم رئيسا لاركان مجموعة العميد يافه، التي حاربت على المحور المركزي في سيناء. وكان ادان رئيسا لطاقم التخطيط والاقامة لخط المعاقل على طول قناة السويس قبل حرب الاستنزاف. وفي عام ١٩٦٩ عين قائدا لسلاح الدروع. وفي حرب (يوم الغفران) كان قائدا للمجموعة التي حاربت في الجبهة الجنوبية وشاركت في صد القوات المصرية، وفي محاولة الهجوم المعاكس في الثامن من تشرين اول وفي اجتياز القناة وتطويق الجيش المصري الثالث وفي نهاية الحرب عمل ابراهام ادان عدة اشهر عميدا للقيادة الجنوبية، وبعد ذلك عين ملحقا عسكريا للجيش الاسرائيلي في واشنطن.

العميد ابراهام ادان:

الدروع - قوات هجومية

بعد حرب الايام الستة استدعيت قوات الدروع للمساهمة بصورة فعالة في الحرب البرية. وقد ازداد حجم قوات الدروع النظامية وتعاظم وانتشرت هذه القوات على طول الحدود. واقامت قيادة قوات الدروع، قيادة القوات المدرعة في سيناء، التي نظمت وحصنت الجبهة في خط القناة. كذلك نشرت قوات الدروع ايضا على طول الحدود الشرقية والشمالية وخلقت بعدا جديدا في الدفاع عن خطوط وقف اطلاق النار.

كذلك استخدمت الدروع في المجال الهجومي: فقد نفذت غارات مدرعة ضد حشود (تخريبية) في لبنان، وضد مواقع سورية في هضبة الجولان وضد القوات المصرية عبر خليج السويس.

لقد كانت الحرب اليومية في فترة الاستنزاف تنطوي على مصابين كثيرين، وبحثت قيادة قوات الدروع بدون انقطاع عن حل لمشكلة الطاقة البشرية. فشكلت طواقم احتياطية وتم اعداد قادة لملء الصفوف.

لقد استمرت عملية التعاظم بشكل متزامن مع حرب الاستنزاف، وكانت سريعة وواسعة، وتم شراء واستيعاب آليات مدرعة حديثة، وتم تحديث جهاز التدريب، الذي طلب منه اعداد القوات التي ضوعفت منذ عام ١٩٦٧. كذلك تم تحسين معظم الدبابات، التي حاربت في حزيران ١٩٦٧. واضيفت اليها دبابات اكثر حداثة كذلك استوعبت قوات الدروع. دبابات كثيرة تم الاستيلاء عليها خلال الحرب. وكانت جميع الدبابات من ذوات محركات الديزل بالاضافة الى مدافع ١٠٥ملم وتزود سلاح الدروع بناقلات جنود امريكية من نوع م/١١٣ (زلدا) وهذه الناقلات منحت سلاح المشاة المدرع قدرة على التنقل والحماية وكثافة نار لم يسبق لها مثيل.

طيلة تلك الفترة استخلصت عبر من حرب الايام الستة وتم تحديث نظرية الدروع. كذلك تمت بلورة نظرية «عبور العوائق المائية» وادخل اسلوب التجسير الهجومي، اي اعداد وسائل التجسير سلفا، بعيدا عن خط الجبهة، وجرها بواسطة دبابات الى العوائق المائية.

وعنـدمـا تقرر اقامة مجموعات مدرعة دائمة، القيت المسؤولية التنظيمية والنظرية على قيادة قوات الدروع. وخلال مجموعة مناقشات جرت على المستويات المختلفة ودراسة النظرية عن طريق التدريبات الميدانية، تبلورت نظرية الاستخدام والمبنى التنظيمي لقوات الدروع الجديدة. وتمت كتابة المادة ونشرت لادخالها في اذهـان جميـع المستـويـات. ومن اجـل تطوير مناورات قتالية للدروع في حرب الاستنزاف اقيم طاقم عبر رافق جميع النشاطات ونشر نتائجه.

إن المشاكل المالية اجبرت قوات الدروع على تطوير اساليب تدريب تضمن الانتاج المتزايد باقل قدر من التكاليف. وقد تمت تجربة جميع الاساليب والخطط في حرب (يـوم الغفـران). فالجدير بالذكر ان قوات الدروع، مثلها مثل الجيش الاسرائيلي، فوجئت من ظروف البداية للحرب، ولكن هذه القوات صمدت في الاختبار، ونفذت عملية الصد في الجبهتين وبعد ذلك نقلت الحرب الى اراضي العدو حيث ادخلها الى الجيب امام دمشق والى ما وراء قناة السويس أمام القاهرة. ومما لا شك فيه أن سلاح الدروع صمد في حرب (يوم الغفران) في اصعب اختبار واجهه منذ تشكيله وانتصر، بفضل المستوى المهني العالي للمحاربين وللقادة. اما الثمن فكان ثقيلا: فقد اصيبت مئات الدبابات وقتل وجرح الكثيرون من رجال الطواقم بما في ذلك قادة دبابات وضباط من مختلف الرتب بما فيهم قائد لواء.

لقد انتهت الحرب الى وقف لاطلاق النار كان في البداية هشا ومتوترا. وطلب من قوات الدروع ان تعبىء الصفوف التي ضعفت بسرعة وان تعيد الآليات المدرعة الى صلاحيتها العملية واعداد رجال دروع باعداد كبيرة واستخدام عبر الحرب من اجل الاستعداد للمستقبل. وفي هذا الاختبار ايضا صمدت الدروع.

«عملية توفت»

بعد انتهاء حرب الايام الستة بثلاثة اشهر، في اواخر صيف ١٩٦٧، سخنت تدريجيا الواجهة الاردنية على طول غور بيسان وغور الاردن. ووقعت سلسلة من الاشتباكات التي فتح فيها (المخربون) النار على دوريات الجيش الاسرائيلي. وعندما ردت قواتنـا على النـار بالمثـل، رد الجيش الاردني باطلاق نيران المـدفعية على مستـوطنات غور بيسان وعلى مواقع الجيش الاسرائيلي على طول الحدود. وكان

الجيش الاسرائيلي يقوم باسكات مصادر الرماية حتى الاشتباك القادم.

في بلدة الكرامة أقام (المخربون) ما هو بمثابة حكم محلي ففي الكرامة اقيمت قيادة ابو عمار (ياسر عرفات) قائد الجناح العسكري لمنظمة فتح. واقام (المخربون) في البلدة وحولها معسكرات تدريب وحشدوا هناك مستودعات اسلحة. وكلما اقتربت احتفالات (الاستقلال) بمناسبة مرور عشرين سنة على (قيام اسرائيل)، كلما تبلور لدى وزارة الدفاع الاسرائيلية تقدير يقول إن (المخربين) سيبذلون جهدا لتشويش هذه الاحتفالات. ومن اجل قطع الساعد الدموي قبل رفعه، تقرر الخروج في عملية وقائية ضد مركز اعصاب (المخربين) في الكرامة، قبل اخراج خطة العملية الى حيز التنفيذ، ضرب (المخربون) في الثامن عشر من اذار ١٩٦٨ سيارة باص كان يحمل تلاميذ مدرسة ثانوية في رحلة ربيعية. فقتل اثنان من المرافقين الكبار للرحلة واصيب تلاميذ كثيرون. وعجلت هذه العملية الخطيرة في تنفيذ العملية التي تحولت من عملية وقائية الى عملية انتقامية تجاوزت سابقاتها من ناحية الحجم والقوة.

واطلق على هذه العملية اسم «توفت» وامتدت منطقتها من الطرف الشمالي للبحر الميت وحتى شمال جسر دامية. ومن نهر الاردن وحتى سفوح جبال جلعاد. وهـذه المنـطقة منبسطة ومعزولة بواسطة قنوات مائية واودية وانهار. وفي الجزء الجنوبي في واجهة جسر اللنبي. كانت المنطقة مملوءة بالبيارات وحقول الحنطة. في الجانب الاردني كانت منتشرة ثلاثة الوية مشاة تابعة لفرقة اردنية. وكانت هذه الالوية متمركزة في سفوح المنطقة الجبلية، على المحاور المؤدية من نهر الاردن الى عمـان. وكـانت هناك مواقع خارجية تقوم بحماية المخاضات والجسور على نهر الاردن. ونشرت كتيبة دبابات باتون سرايا منها على المحاور. وسيطرت على المنطقة ١١ بطارية مدافع، بالاضافة الى مدافع الهاون التابعة لكتائب المشاة والى المدافع المضادة للطائرات التي كانت مستخدمة في الالوية.

جسر كلاليب

لقد وضعت الخطة الاولى للعملية على النحو التالي: تقوم كتيبتان مدرعتان بدخول الاراضي الاردنية الى الشمال والجنوب من الكرامة لعزل منطقة العملية. والى داخل الكرامة يتم ادخال قوة مظليين محمولة في مجنزرات ومعززة بدبابات. وقوة

مظليين اخرى يتم انزالها من طائرات عمودية الى الشمال الشرقي من الكرامة تقوم باغلاق محاور الانسحاب. وطلب من سلاح الهندسة ان يستعد لبناء جسري كلاليب في منطقة جسر الملك عبدالله وجسر دامية. وقصد بهذه العملية ان تكون عملية نهارية، خلافا للعمليات الانتقامية الاولى التي نفذها الجيش الاسرائيلي في جنح الظلام. وطلب من سلاح الجو وسلاح المدفعية الاسرائيليين مساندة القوات التي ستعمل في المنطقة وكان الهدف: تصفية قواعد (المخربين)، وتدميرها وقتل افرادها. في البداية دار الحديث عن البقاء في منطقة الهدف مدة ٢٤ ساعة ولكن بعد ذلك تقرر تقصير مدة الاقامة في المنطقة.

اما القوات التي خصصت للقيام بعملية توفت فكانت على النحو التالي:

- ثلاث سرايا من دبابات سنتوريون، من اللواء السابع المدرع بقيادة قائد اللواء العقيد شموئيل غونين. وكانت مهمتها السيطرة على جسر اللنبي لضمان عدم نسفه من قبل العدو، وعلى موقع الجسر. وبعد ذلك القيام بصد العدو في منطقة شونة نمرين وتدمير قوات العدو التي تريد التعرض لها. وبعد أن تقوم سرية دبابات واحدة باجتياز نهر الاردن عبر جسر اللنبي تستمر العملية.
- قوة مظليين، بقيادة قائد اللواء العقيد داني ماط وبمساعدة سرية دبابات سنتوريون. مهمتها - التحرك في اعقاب اللواء السابع والسيطرة على الكرامة. وتقوم هذه القوة بتشخيص (المخربين) وترسل الى الخلف الذين يستسلمون وتفجر منازل الذين يقاومون وتدمر معسكرات التدريبات والقيادات التابعة لهم.
- رجال وحدة استطلاع المظليين بقيادة النقيب متن فينلائي. هؤلاء يتم انزالهم من طائرات عمودية في اربع نقاط الى الشمال الشرقي من الكرامة لاغلاق محاور الانسحاب (للمخربين). وبعد نزول الوحدة، تلقى من الجو منشورات تدعو السكان المدنيين الذين ما زالوا في بلدة الكرامة الى التعاون مع قوات الجيش الاسرائيلي لكيلا يتعرضوا للاذى. وتعزز الوحدة على ايدي سرية دروع تعبر جسر دامية. وعندما تصل القوة الرئيسة الى الهدف تلحق وحدة الاستطلاع بقيادة اللواء.
- قوة العقيد رفائيل (رفول) ايتان، وتضم سرية دبابات ام/٥١ ووحدة استطلاع من المجنزرات. ومهمة هذه الوحدة عبور جسر دامية ومعها رجال سلاح الهندسة

لمنع نسف الجسر. وتقوم هذه القوة باحتلال موقع الجسر وصد العدو في المنطقة الواقعة الى الجنوب من مثلث معدي/ المصري.

- قوة اخرى تقوم بحماية الجسور وخط الاختراق.
- الاسناد المدفعي لعملية «توفت» اسند الى كتيبتي مدافع ميدان، وكتيبة مدافع متحركة وبطاريتي مدافع هاون من عيار ١٢٠ ملم وطلب من هذه القوة ان تعمل حسب الضرورة، وخاصة ضد بطاريات المدفعية الاردنية.
- واما سلاح الجو فاسندت اليه مهمة انزال وحدة المظليين بواسطة طائرات عمودية. والمساعدة في الاتصال، ومهاجمة التعزيزات والمدفعية والدروع ومواقع العدو والقيام باخلاء المصابين من منطقة القتال.

في الساعة ٣٥ر٥. من صباح يوم ٢١ آذار ١٩٦٨ بدأت القوات بالتحرك نحو الهدف. وتقدمت اللواء السابع قوة مكونة من ١١ دبابة بقيادة المقدم ابراهام روتم. وقد فاجأت هذه القوة العدو واجتازت نهر اللنبي دون أن تصطدم بمقاومة حقيقية. وحتى موقع الجسر تم احتلاله بسهولة. وتحركت ٦ دبابات بقيادة المقدم ابراهام برعام كانت قد الحقت بقائد المظليين في اعقاب القوة واتجهت شمالا نحو الكرامة. وكلفت هذه القوة باجتياز البلدة ونصب كمين على الطريق المؤدية شمالا.

في نفس الوقت بدأت دبابات، ومدافع هاون ١٢٠ ملم باطلاق النار على مواقع العدو في منطقة جسر دامية. وتحت هذا الغطاء مرت ثلاث دبابات وثلاث مجنزرات على الجسر وبدأت باطلاق النار على موقع الجسر. ومرت خمس دبابات من سرية مشاة الدروع امام قوة التغطية واحتلت الموقع بسرعة. وفي تلك الساعة تحركت ٦ دبابات و٦ مدرعات وفئتان من سلاح المشاة المدرعة بقيادة المقدم طوفيا، على الطريق الصعبة على طول نهر الاردن خلف جسر دامية لاغلاق طريق الكرامة/ معدي.

وبدأت قوة من سلاح الهندسة ببناء جسر كلاليب (بيلي) ولكن بعد أن اصيبت المعدات الهندسية بنيران الاردنيين صدر أمر للتوقف عن هذه المحاولة.

وصلت قوة الصد بقيادة المقدم روتم الى خط الصد وعندها اصيبت دبابة روتم ودبابة اخرى. فانتقل روتم الى دبابة اخرى ولكنها اصيبت ايضا وبعد ذلك انتقل الى مجنزرة ولكن قبل ان يتمكن من استلام القيادة من جديد اصيب ونقل

الى الخلف. في ذلك الوقت وصلت الى منطقة القتال قوة قائد اللواء السابع ومعها ٦ دبابات بقيادة النقيب سولمونوف. واتجهت نحو الكفرين سرية بقيادة المقدم اهارون بيلد (فدله) ومعها ١١ دبابة وخمس مجنزرات. وتحركت الى الشمال اربع دبابات بقيادة الرائد طال لاغلاق الطريق بين شونة نمرين والكرامة.

عندما كانت في طريقها الى الكفرين دخلت قوة بيلد منطقة اغراس مليئة بالوحل فتعطلت احدى الدبابات ولهذا صعدت القوة على الطريق. ودمرت خلال حركتها سيارتي جيب تحملان مدافع غير مرتدة ووحدة مشاة اردنية. وفي مدخل الكفرين ادارت قوة بيلد قتالا مع عدة دبابات اردنية بدأت الانسحاب فيما بعد. وفي هذه المرحلة قطع الاتصال بين بيلد وقائد اللواء وخوفا من تمركز دبابات العدو في مواقع سهلة لم ينتظر بيلد تلقي الاوامر وطارد الدروع الاردنية نحو مثلث المزار. وخلال عملية المطاردة هذه جرت معركة دروع ضد دروع فاصيبت الدبابة الاولى بقيادة الملازم جليلي وفور ذلك اصيبت دبابة بيلد واسرع القائد للانتقال الى دبابة بيلد واسرع القائد للانتقال الى دبابة اخرى ولكنها اصيبت هي ايضا. فصعد بيلد على المجنزرة وواصل قيادة القوة من هذه الآلية. في هذه الاثناء لاحظ قائد الدبابة اسحق بلاك، دبابة قائده التي تحترق والدبابة الاولى التي اصيبت وكان فيها جرحى فتقدم بسرعة تحت نيران اردنية شديدة، الى الدبابة الاولى وتحت تغطية الرقيب شموئيل بار، الذي اطلق النار من رشاش الدبابة انقذ بلاك مصابين ونقلهما الى دبابته وفي الساعة ١١ر٧. هدأ القتال ونظم المقدم بلاك دباباته التسعة المتبقية لمهمة الدفاع والصد.

قتال شوارع

في ذلك الوقت حدث خلل بالنسبة لوحدة استطلاع المظليين. فطيارو الطائرات العمودية الذين نقلوا هذه الوحدة واجهوا مصاعب في شق طريقهم عبر الغيوم المنخفضة وتم انزال القوة شرقي الكرامة بتأخير استمر ٢٦ دقيقة. اما القاء المنشورات التحذيرية واذاعة البيان التحذيري باللغة العربية عبر محطة الاذاعة، فقد تم حسب الجدول الزمني الاصلي. وقد تمكن (مخربون) كثيرون وعلى رأسهم ياسر عرفات، من الفرار من الكرامة قبل ان يتم نصب كمين المظليين. والاسوأ من

ذلك، فقد اطلق (المخربون) الهاربون النار على المظليين الذين انزلوا لتوهم من الطائرات العمودية. وقد دارت المعركة من مسافات قصيرة فاصيب عدد من المظليين.

اما دبابات برعام، التي رافقت قوة المظليين الرئيسة الى الكرامة، فقد اطلقت النار على ثماني مدرعات اردنية الى الجنوب من البلدة. فانسحبت المدرعات نحو شونة نمرين. وتم تدمير اثنتين منها خلال انسحابهما. فاجتازت دبابات برعام الكرامة وهي تطلق النار بشكل مستمر ووصلت الى نقطة الغلق على بعد حوالي ٣كم شمال البلدة.

وفي الساعة ٥٠ر٦. اقتحمت كتيبة المظليين القيادية التي قصد بها السيطرة على الكرامة وهي معززة بدبابتين من خلال الدبابات الاربع التي خصصت لها. وقد اصيبت احدى الدبابات بنيران الدبابات الاردنية قبل دخولها الكرامة والاخرى انزلقت عن الطريق الترابي وتعطلت. اما المظليون الذين كانوا يستقلون مجنزرات، فقد سيطروا بسرعة على قيادة ياسر عرفات التي هجرت وعلى معسكر التدريب الواقع الى الشرق من البلدة. وفي الطرف الشمالي للكرامة اصطدم المظليون بثلاث دبابات «باتون» اردنية، كانت قد موهت جيدا داخل الاشجار. وخلال الصلية الاولى التي اطلقتها الدبابات الاردنية اصيبت واحدة من دبابتي السنتوريون اللتين ترافقان المظليين. واما الدبابة التي بقيت فقد اصابت دبابتين من دبابات الباتون الاردنية الثلاث. واما الدبابة الثالثة فقد اخذت غنيمة.

وعلى الجانب الغربي من الكرامة سيطرت كتيبة ناحال محمولة جوا. وقد ادارت هذه الكتيبة حرب شوارع ضارية. وخلال السيطرة على معسكري تدريب (للمخربين)، اشتبك المظليون مع (مخربين) متخندقين ومموهين، القوا قنابل يدوية على مجنزرات المظليين. وتم القضاء على (المخربين) ولكن بين المظليين سقط ايضا قتلى وجرحى فارسلت اليهم سرية الاحتياط، وبعد اكثر من ساعة قتال في منطقة مبنية، اصبحت الكرامة كلها بايدي المظليين. وشرع في تجميع (المخربين) وباعداد المباني للنسف. وفي الساعة ١٧ر٧. كان واضحا ان الكرامة ستسقط بايدي المظليين وعليه تقرر ارسال القوة التي احتلت موقع جسر «داميا» الى مثلث معدي/ المصري، الذي واجه المقدم طوفيا مصاعب كثيرة في الوصول اليه في وقت مبكر. وعندما كانت القوة في طريقها اصابت القوة التي كانت مكونة من خمس دبابات وسرية مشاة

مدرعة دبابتي باتون اردنيتين. واصيبت ثلاث دبابات اسرائيلية وانضمت البقية الى قوة طوفيا. وتم سحب المشاة المدرعة الى الخلف لئلا تتعرض للتدمير واما الدبابات والمدرعات فقد تمركزت على بعد ٢٢٠٠م من المثلث المصري.

لم تكن المنطقة سهلة للقتال، لوقوعها بين الجبال والمزارع المكثفة. فالدبابات الاردنية التي كانت ترابط في منطقة المثلث المصري وفي وادي فنوش دخلت في معركة مع الدروع الاسرائيلية التي تعرضت ايضا الى رماية مدافع اردنية مكثفة وشديدة. فقرر المقدم طوفيا تحسين مواقعه والالتصاق بالجبال الواقعة الى الشرق من المثلث. فهكذا سيتقلص مدى الحرب، الذي كان طويلا جدا بالنسبة لمدافع المدرعات ويكون بالامكان اخلاء الدبابات التي اصيبت.

لقد حسنت المدرعات مواقعها بسرعة، ولم تصب وهي في طريقها. وبالمقابل اصيبت المجنزرة التي كان يستقلها طوفيا في منطقة المثلث. كذلك اوقعت المدافع الاردنيـة اصـابات جيدة بقوة روتم. وحاولت مدافع الجيش الاسرائيلي اسكات مصادر الرماية.

وبعد ان جرح روتم قرب نمرين، نقلت قيادة قوة الصد الى الرائد شماشي، وقرر قائد اللواء السابع تعزيز القوة بست دبابات احتياطية. وهو نفسه تحرك الى تل شونه نمرين حيث انتشرت قوة شماشي، التي اصبحت الآن مكونة من ١٥ دبابة. وبعد ان اكتشفت ثلاث دبابات اردنية قرب جسر المندسة، ارسل العقيد غونين نحوها ثلاث دبابات بقيادة الرائد ايتان. وقد اختفت الدبابات الاردنية في الاودية، ولهذا فقد تم توجيه الرائد ايتان من قبل قائد اللواء لمطاردة دبابتين اخريين شوهدتا تتحركان نحو الشرق ولكن الاردنيين كانوا سريعين في انسحابهم وانفض التماس. وعندما كان في طريق عودته الى قائد اللواء، جر ايتان دبابة اسرائيلية تعطلت في الوحل.

في الساعة ٣٠ر٧. ازداد الضغط الاردني على اللواء السابع، وعلى القوات الاسرائيليـة الاخـرى في منطقة جسر داميا ومصري/ المصري. وبموافقة رئيس الاركان تم استخدام الجو. وقامت الطائرات بمهاجمة مدافع ومدرعات اردنية. وحتى ساعات المساء نفذ سلاح الجو المئات من الطلعات الهجومية ومن اجل التهرب من النيران المقاومة للطائرات المكثفة عملت الطائرات الاسرائيلية من ارتفاعات شاهقة.

ولهذا فلم يتمكن سلاح الجو الاسرائيلي من اسكات المدفعية الاردنية كليا.

لقد كانت احدى القوات التي عانت الكثير من نيران المدفعية الاردنية هي قوة بيلد، مظلية اليوم، قامت هذه القوة من مراكز ثابتة بصد العدو الاردني الذي تمتع بتفوق طوبوغرافي. ولكن القتال الثابت قيد عمل الدروع الاسرائيلية. وقد قيد امر العملية تقدم هذه القوة حتى سفوح الجبال فقط من اجل عدم توسيع منطقة العملية والتوضيح للاردنيين بان هذه العملية موجهة فقط ضد (المخربين).

وقد لاحظ الاردنيون فعلا هذا القيد فانسحبوا من الغور، وتمركزوا على التلال المسيطرة. في الساعة ١٣٠٠ دارت معركة دروع بين قوة بيلد وبين دبابات «باتون» اردنية وصلت من جهة عمان. وفي هذه المعركة دمرت خمس دبابات معادية ولكن حتى قوة بيلد تعرضت لخسائر...

في الوقت الذي كانت تقوم فيه قوات الدروع بعملية الصد وتتعرض لخسائر، كان المظليون يقومون بعملية تطهير الكرامة. وخلال العملية اتضح، أن عدد (المخربين) في بلدة الكرامة كان يزيد كثيرا عن العدد المقدر، وان الكرامة كانت قاعدة ضخمة (للمخربين) وفي الساعة ١١ر٠٠ اي بعد مرور ثلاث ساعات على بدء عمليات التطهير وتجميع (المخربين) كان المظليون لا يزالون يحاربون (المخربين) الذين اختبأوا في الاكواخ والمباني المهجورة. وقد استمرت عملية التغلب على جيوب المقاومة الكثيرة - التي جرت من خلال الحرب بالسلاح الابيض ومن خلال استخدام متزايد للقنابل اليدوية، حتى الساعة ١٤ر٠٠. وعندها شرع في نسف المباني وقد بلغ عدد المباني التي نسفت في الكرامة ١٧٠ مبنى.

في هذه الاثناء واجهت طريق قوة «رفول» في شمال جسر داميا مشاكل كثيرة. فقد أصيب محاربون من قوات الغور كذلك اصيبت دبابات من قوة المقدم طوفيا. ومن اجل المساعدة على اخلاء المصابين ارسلت قوة تعزيز مكونة من ثلاث دبابات سنتوريون من قوة برعام التي كانت الى الشمال من الكرامة. ومكنت هذه النجدة بمساعدة سلاح الجو، طوفيا من النجاة تاركا وراءه مدرعة ومجنزرة في المنطقة: فجسر داميا لم يعد صالحا لعبور دبابات السنتوريون، وعليه تلقى سلاح الهندسة امرا لتجديد جهوده لاقامة جسر البيلي. وقد تم تركيب الجسر تحت رماية المدفعية الاردنية واكتمل فقط في الساعة ١٥ر٤٢.

انتهت عملية «توفت» بعد ١٥ ساعة من القتال والبقاء في ارض العدو. وبلغت خسائر الاردنيين ٦١ جنديا قتيلا (منهم ٦ ضباط) وتدمير ٣١ دبابة والعشرات من الآليات الخفيفة. كما ان حوالي ١٥٠ مخربا قتلوا في العملية وتم اسر اربعة جنود اردنيين و١٢٨ مخربا. واخذت غنيمة دبابة باتون اردنية، ومدرعة وآليات مختلفة واسلحة كثيرة.

اما الجيش الاسرائيلي فقد فقد في هذه العملية ٢٨ قتيلا (بما فيهم ٣ مفقودين) وحوالي ٩٠ جريحا. وفي منطقة القتال تركت اربع دبابات، ومجنزرتان ومدرعتان وشاحنة وسيارة جيب. واصيبت سبع دبابات باضرار خطيرة ولكن تم اخلاؤها.

فيما يلي تسلسل الاحداث الجاف الذي ادى الى تنفيذ عملية «كيتون» في الواجهة السورية:

في العاشر من كانون اول ١٩٦٩ سخنت الواجهة السورية لاول مرة، عندما قامت دبابات سورية باطلاق النار على موقع ٣٣ الاسرائيلي في جنوب هضبة الجولان. وفي الثامن من كانون ثان اقتربت طائرات سورية من خط وقف اطلاق النار. وتم اسقاط ثلاث طائرات سورية من نوع « ميج ٢١» في اجواء الشيخ مسكين. وفي التاسع والعشرين من كانون ثان حلقت طائرة سورية في اجواء حيفا واخترقت الحاجز الصوتي مما ادى الامر الى تحطيم نوافذ زجاجية في المدينة. وفي غداة اليوم التالي رد سلاح الجو الاسرائيلي بان حلقت طائراته في اجواء دمشق، وحلب، وحمص، واللاذقية، واخترقت الحاجز الصوتي فوق هذه المدن. وفي ذلك اليوم اطلقت دبابة سورية النار على مواقع للجيش الاسرائيلي في مثلث رفيديا. فاصيب خمسة جنود اسرائيليين بجروح. وفي الاول من شباط جرح جندي اسرائيلي آخر اثناء تبادل رماية مع السوريين. وتطور اشتباك بين الطرفين تم خلاله تدمير ثلاث دبابات سورية واصابة بعض المواقع السورية.

بعد مرور يوم واحد اطلقت مدافع سورية النار على دورية للجيش الاسرائيلي. وتطور اشتباك دام اربع ساعات، تم خلاله اسكات مواقع مدافع سورية وتدمير دبابتين سوريتين بنيران الرشاشات وطائرات سلاح الجو. وفي هذا الاشتباك

اسقطت طائرة اسرائيلية واحدة وقتل طيارها. واعلن السوريون صراحة بان جيشهم قد اعيد بناؤه ولن يتوقف عن ضرب اسرائيل حتى ان تتمكن القوات العربية من الخروج الى حرب شاملة ضد اسرائيل لاستعادة المناطق المحتلة وتحرير فلسطين.

في الثـاني عشر من اذار دخلت مجموعة سورية الى المناطق التي تحتلها اسرائيل. واصيب ستة جنود اسرائيليين في الاشتباك وقتل جندي سوري واحد. وقامت مجموعة سورية اخرى بدخول شمال هضبة الجولان فقتلت جنديا اسرائيليا وجرحت عشرة آخرين. وفي غداة اليوم التالي صعدت آلية اسرائيلية على لغم في منطقة خسفين. فقتل جنديان وجرح ثالث.

ورد الجيش الاسرائيلي بتنفيذ ثلاث غارات على اهداف تقع في عمق الاراضي السورية. وعادت قوات الاغارة سالمة الى قواعدها.

ولكن الواجهة السورية لم تهدأ. ففي الثالث والعشرين من آذار قتل ثمانية جنود سوريين في اشتباكين مع الجنود الاسرائيليين في الجولان، وبعد مرور حوالي اربعة ايام حاول عشرون جنديا سوريا القيام بمهاجمة موقع للجيش الاسرائيلي الى الجنوب من خسفين. وصد جنود الموقع المهاجمين بعد ان قتل جندي اسرائيلي واحد وجرح آخر. وخلال الاشهر الثلاثة الاولى من عام ١٩٧٠ بادر السوريون الى ١٨٥ اشتباكا. واعلن راديو دمشق: ان المعارك على خطوط وقف اطلاق النار او خلف هذه الخطوط، التي تنفذها القوات النظامية وغير النظامية، هي بمثابة معارك شرعية في اطار الكفاح المسلح لتحرير أرضنا المحتلة».

وقـد حصل قائد القيادة الشمالية، العميد مردخاي غور على موافقته من المستويات العليا لانزال ضربة قاصمة وواسعة النطاق بالخط السوري وهي اكبر ضربة منذ حرب الايام الستة. وقد تم فعلا انزال هذه الضربة في الثاني من نيسان. ففي الساعة ٠٠ر٩. بدأ سلاح الجو بمهاجمة القوات السورية. وفي الساعة ٣٠ر١١ فقط اقتربت طائرات سورية من منطقة الحدود. وفي المعركة الجوية التي دارت على بعد ٢٥كم فقط عن دمشق العاصمة، وعلى ارتفاع تراوح بين (١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ قدم) تم اسقاط ثلاث طائرات ميج ٢١ سورية واصيبت طائرة اسرائيلية واحدة ووقع طاقمها في الاسر السوري. وبدأ السوريون باطلاق نيران المدفعية ولكن بطارياتهم اسكتت فورا عن طريق الرمـايـة من الارض والجو. وعندها استخدمت الدروع

الاسرائيلية ايضا. فقامت دبابات اسرائيلية بمهاجمة المواقع الامامية السوريه. ولم تتدخل الدروع السورية. وفي هذا اليوم الذي دارت فيه معركة في جبهة طولها حوالي ٢٠كم وعمقها ١٥كم اسقطت ثلاث طائرات سورية، ولحقت اضرار جسمية بالخط السوري الاول، وتم تدمير ١٥ بطارية مدافع سورية كذلك تم ضرب حشود دروع وآليات اخرى ونسفت مستودعات ذخيرة. وقد اعترف السوريون انفسهم انهم منوا بـ ١٧ قتيلا و٣٧ جريحا.

وقد حذر رئيس الاركان الجنرال حاييم بارليف صراحة بانه اذا لم يجدد وقف اطلاق النار على الحدود السورية، فان اسرائيل ستضطر لانزال ضرباتها هنا وهناك.

وفي الاسابيع التالية ساد هدوء نسبي، ولكنه متوتر في الواجهة السورية. وقام الجيش السوري و(المخربون) الفلسطينيون بنصب كمائن وزرع الغام، ولكن لم تقع اشتباكات. وقد دام هذا الوضع حتى الثاني عشر من ايار. وفي هذا اليوم اطلقت مدافع سورية عدة صليات على شمال هضبة الجولان. وقام سلاح الجو باسكات مصادر الرماية واسقط ثلاث طائرات ميج ٢١ سورية اقتربت من المنطقة.

وفي الثامن من حزيران وجه السوريون فجأة ضربة بنيران المدفعية الى مستعمرة ناحل جتسور. فقتلت مجندة وجرح عشرة جنود آخرين. ورداً على ذلك، أغار الجيش الاسرائيلي بطائرات عمودية على عمق الاراضي السورية وقصف معسكرا للجيش السوري على بعد ٧٠كم شمال دمشق. وقامت قوة اغارة اخرى بنسف جسر على بعد ٤٠كم جنوب العاصمة السورية. وفي الثاني والعشرين من حزيران ضرب كمين سوري حافلة اسرائيلية قرب القنيطرة. وقد قتل سائقها.

الدروع تتعلم اجتياز العوائق المائية

قبل حرب الايام الستة، في حزيران ١٩٦٧، لم يكن الجيش الاسرائيلي يمتلك وسائل عبور، للتغلب بها على العوائق المائية. كذلك لم تكن هناك حاجة ملحة لدراسة الموضوع وتخفيض الموازنات للشراء في هذا المجال. ولكن عندما انتشرت القوات الاسرائيلية على طول نهر الاردن في الشرق وعلى طول قناة السويس في الواجهة المصرية، تغيرت الامور.

منذ الخمسينات الاولى اعتقد الجيش الاسرائيلي، ان الدفاع الافضل يتمثل

بالهجوم وانه في غياب مجال مناورة لاسرائيل يتوجب على الجيش الاسرائيلي، في كل حرب، ان ينقـل الحرب الى ارض العدو باسرع وقت ممكن. وعليه فقد كان من الضروري البدء في الاستعداد لعمليات العبور، الراجلة والمدرعة معا.

بدأت اسرائيل بتمشيط الاسواق العالمية، ولكنها تبينت أنه من غير السهل شراء معدات عبور حديثة ومتطورة. وبدأ رجال المشتريات يشترون كل ما يقع في ايديهم. ففي البداية اشتروا صفائح فولاذية ذات قدرة على الطوفان. تسمى «يوني فلوت». وكان حجم كل صفيحة كهذه ٢٢ر١×٥٠ر٢×٥ متر مكعب ووزنها ثلاثة اطنان. وكان من الممكن ربط هذه الصفائح ببعضها بعضا وتكوين بسطات بمقاييس مختلفة، حسب النموذج المتبع اليوم بالابنية وبالاثاث. وهكذا كان بالامكان تكوين عبارات لمرور الدبابات، او للتجسر بين ضفتي العائق المائي.

في عام ١٩٦٩ سلم موضوع التجسير الى العقيد موشه (موسى) بيلد المسؤول عن تطوير نظرية الحرب في شعبة التدريب التابعة لرئاسة الاركان العامة. ونظم موسى، عرض تجسير امام المستوى الكبير من ضباط الجيش. واوضح هذا العرض للحاضرين مدى تعقيد عملية العبور أمام العدو.

التدريب على واد

كانت هناك ايضا معدات خفيفة ومتحركة ، مكنت من اقامة الجسور والعبور بسرعة اكبر. وهذه المعدات كانت تمكن من نقل قوات كبيرة لتكوين رأس جسر في الضفة الاخرى، وعندها يصل دور المعدات الثقيلة التي بواسطتها يمكن بناء جسر اوسع وأقوى.

بعد العرض زعم العميد ابراهام (برن) ادان، ان هذا الاسلوب يعاني من نقص، لأنه اتضح منه ان سلاح المشاة العابر للعائق المائي سيضطر للحرب وحده وقتا طويلا، دون اسناد من الدبابات او ناقلات الجنود. وستواجه قوات المشاة صعوبة في محاربة دروع العدو وكما ان حجم وسرعة حربها سيكونان بطيئين. فهذه القوات تستطيع احراز رأس جسر ضيق جدا. واما العدو فسيظل في المنطقة قرب نقطة العبور ويستطيع امطار نيران الرشاشات والدبابات، ومدافع الهاون والمدفعية على العاملين على اقامة الجسر وعبوره.

وقال برن: يجب علينا تطوير عملية تجسير هجومية وفسر ذلك بقوله: يجب ان نكـون قادرين على احضـــار معدات تجسير مجروره من قبل الدبابات، لكي نستطيع عبور العائق تحت نيران مدفعية شديدة وان نصل بالدبابات لمساعدة قوات المشاة على الضفة الاخرى بعد وقت قصير فقط من اجتياز جنود المشاة للعائق المائي. فاذا اصبحت لنا قوات مشاة ودبابات في الضفة البعيدة؛ فعندها نستطيع توسيع رأس الجسر بسرعة وبقوة.

وبعد هذه الدورة ، دخل العميد ادان قيادة سلاح الدروع في مهمة تطوير سريع للنظرية وللوسائل والاساليب بصورة مبتكرة. وجرت الجهود بتعاون وطيد مع قيادة سلاح الهندسة. واجتاز التطوير الفني مراحل مختلفة. فقد بدأ بعبارة دباية جاهزة. تجر عوامتي عبور ويبلغ طولها ٢٢ مترا وعرضها ١١ مترا ووزنها حوالي ٦٠ طنا. وكان استخدام العبارة يتم على النحو التالي:

تقوم دبابات بجرها وانزالها الى الماء وفورا تبدا بتمرير الدبابات وعندما يتم إنزال العبارات يتم ربطها بعضها بعضا لتكون جسرا عرضه حوالي ١٨٠ مترا وهكذا تستمر عملية العبور بسرعة.

بدأت سلسلة تجارب، تبين خلالها ان دبابتين تستطيعان جر عبارة جاهزة في اراضي شبه جزيرة سيناء دون ان تتضرر الدبابات. وقد تم تبني هذا الاسلوب كاسلوب مرحلي، حتى ان يتم تطوير وسائل احدث. وبعد ذلك تم تطوير زلاجه بسيطة تقلل من احتكاك العبارة بوجه الارض. وبعد ذلك طورت وصلات للعجلات. وطور سلاح التسليح الاسرائيلي عربة لجر العبارة. كذلك فان اساليب وصل العبارات في الماء تطورت باستمرار.

حان وقت نقل النظرية الى قوات الدروع. وعندها برزت مشكلة: اين يوجد العائق المائي لتدريب وحدات كبيرة تحت الرماية الحية؟ وقد اوجدت الدروع حلا مبتكرا: فقد نفذت التجارب والتدريبات الفنية الضرورية في احد الاودية القليلة في اسرائيل. ومن اجل تدريب الوحدات أقيم نموذج «جاف». فقد اقيم هناك كثبان من الرمل يبعد الواحد عن الاخر مسافة ١٨٠ مترا. فالى الكثيب القريب تم جر المعدات من مســافة بعيدة واجريت اعمال تحضيرية لانزالها في الماء. وفي الكثيب البعيد اقيمت مواقع وقنوات اتصال، وهناك اجريت الاعمال المرتبطة بالحرب وباحتلال رأس

الجسر. ومن البديهي أن هذا الحل لم يكن حلا كاملا. اذ انه لم يكن من الممكن التدرب على عملية العبور نفسها. ولكن بهذه الطريقة كان من الممكن تدريب مجموعات نظامية على جميع العمليات التنظيمية والتكتيكية المشتركة واجراء كل شيء من خلال تمرين بالرماية الحية.

لقد اعطي زخم كبير للموضوع قبيل مناورة جرت في شتاء ١٩٧٢/٩٧١. وكانت تلك المناورة اكبر مناورة اجراها الجيش الاسرائيلي حتى ذلك الوقت. ففي كتابه: ضفتان لقناة السويس قال العميد ادان: اردنا من هذه المناورة اختبار مواضيع كثيرة. وكان اهمها التشكيل الجديد للفرقة المدرعة الثابتة. وهذا الامر يمكن اختباره عن طريق عملية عبور وتقدم نحو عمق اراضي العدو، واجراء مجموعة من المعارك ضد دروع معادية واحتلال اهداف ارضيه. وقال ان: مجموعتي هي التي تم تدريبها على هذه المواضيع وامكن لها أن تختبر مواضيع المناورة بقيادة القائد والقيادة اللذين كانا يعملان على بلورة النظرية وتعميقها.

وقد ادار المناورة عميد القيادة الغربية العميد ارئيل شارون. وكان نائبه العميد الثاني شموئيل غونين. واما المتدرب فكان العميد ابراهام ادان. فقد قال: في هذه المناورة التقى ثلاثة من القادة الطموحين. فقد حدد اثنان من المدربين اهدافا كبيرة. واما المتدرب الذي كانت تحت تصرفه قوات مدربة وقيادة مدربة فكان عليه ان يثبت أنه من الممكن تحقيق الاهداف بعملية جيدة ومهنية. وقد طرح العميد شارون فكرة كبيرة: فعن طريق عملية هندسية حسن منطقة روفه بالقرب من ابو عجيلة في شمال سيناء. وهذا السد يستوعب مياه الفيضانات التي تتدفق في وادي العريش. وهكذا تكونت في قلب الصحراء بحيرة صغيرة كان من الممكن تنفيذ عملية عبور «رطبة» لها مصحوبة بتمارين رماية.

جسر اسطوانات

وقال برن: اننا كمتدربين وضعنا لانفسنا هدفا وهو العبور بواسطة الاسلوب الهجومي الذي دعونا اليه.

وكان هذا جزءا فقط من الصورة بالنسبة لموضوع التجسير والعبور. وقبل بدء المناورة بعدة أيام تجول العميد ادان في الوحدات الهندسية في المنطقة ومعه

العميد يسرائيل طال «طليك» الذي عين لتوه نائبا لرئيس الاركان. وعرض قائد سلاح الدروع امـام نائب رئيس الاركان وسائل العبور التي تجتاز عملية تطوير وهي العبارات التي تم تحريكها بصور مختلفة. واما طال، الذي عمل وقتا طويلا في وزارة الدفاع قبل عودته الى الجيش، فقد اهتم بتطور الموضوع، الذي كان جديدا بالنسبة له.

وقـال «بـرن» لطليـك ان تحريك العبارة على عجلات يتراءى في انه الحل الافضـل. فهـو سيمكن من جر عبـارة الى مسـافة طويلة بواسطة دبابة واحدة وسيمنحنا مرونة بالنسبة لاختبار منطقة العبور. فالى هناك نستطيع تحريك المعدات بسهولة نسبية. ووعد العميد طال بالمساعدة في تطوير الموضوع، وفعل ذلك بجد ونشاط. فقد اجتمع مع العقيد دافيد لسكوب من سلاح الهندسة. وكان لسكوب يقترب انذاك من سن السبعين وكان اكبر ضباط الجيش الاسرائيلي سنا. وقد اشتهر لكـونه صاحب خيال واسع ومثمر ولأنه اوجد حلولا فنية لمشاكل عملية. وعندما استمع لسكوب الى حديث العميد طال بالنسبة لموضوع العبور، اقترح انتاج جسر اسطوانات. وقال برن، ان هذه الفكرة كانت جيدة لانها كانت ستخرج فكرة التجسير الهجومي التي استنبطها هو الى حيّز الوجود، ولكن هذه الفكرة كانت جيدة حتى مرحلة انزال العبارة في الماء لأنه من الممكن دفع جسر كهذا الى الماء دون الحاجة الى عمليات تحضير اثناء الانتقال من مرحلة الجر الى الانزال في الماء واقامة الجسر ورغم هذا فان العميـد برن لم يتحمس لجر الاسطوانات بسبب سيئاته. فهذه السيئات تتغلب على الحسنات. غير أن برن اضاف: ان سيئة جر الاسطوانات تتمثل في تعقيده وعدم مرونته، اثناء نقله الى الماء. فوزنه العام سيكون ٤٠٠ طن تقريبا. وتركيب الاسطوانات على شكل جر ستتطلب عدة ايام. وهذا الامر يتطلب تحديد منطقة العبور سلفا، وتحميل الاسطوانات على العشرات من آليات الجر ونقله بحركة بطيئة جدا الى منطقة العبور. وبعد وصل مثل هذا الجسر لن يكون بالامكان تغيير منطقة العبور. لذلك يجب جر هذا الجسر على طريق مباشر الى العائق المائي.

وقال العميد ادان: ان الوزن الثقيل وعدم القدرة على تغيير الاتجاه كانا من شأنهما ان يخلقا احتكاكا كبيرا وأن يستلزما جر الجسر بواسطة ١٥ دبابة تقريبا. وهذا الامر يتطلب تدريبا وتنسيقا كبيرين بين الدبابات. وقال قائد سلاح الدروع

إن هذه التحضيرات المسبقة ستقلل المرونة المطلوبة في ظروف الحرب. ولهذا فقد فضل تطوير عبارات وخاصة تطوير اسلوب الوصل بينها بصورة سريعة. وقال ادان يجب ايجاد طريق لوصل ١١ عبارة في ١٥ دقيقة والحصول على جسر متواصل. وآمن بانه من الممكن بل ومن الاجدى انتاج عدد كبير من الدبابات واستخدامها بمـرونة كعبارات وكجسور. وبالمقابل تحمس العميد طال لفكرة جر الاسطوانات وشرع في تطويرها بسرعة.

نظرية عبور

في هذه الاثنــاء ، اشترى سلاح الهندسة من سوق الخردوات في اوروبا معدات تجسير متنقلة يطلق عليها اسم «جيلاوا». وهذه هي عبارة عن سيارة ضخمة (من تطوير فرنسي) ذات عجلات كبيرة، تستطيع السير على الماء والعوم وان تفتح بقـوة هيدرالية طريقين مناسبين لعرض جنازير الدبابات. وعندما يتم ربط ثلاث سيارات كهذه بعضها ببعض، تتكون عبارة قادرة على التحرك في الماء من ضفة لاخرى وان تحمل دبابة على ظهرها. وربط ٦ سيارات من نوع «جيلاوا» يكون عبارة لنقل دبابتين كما ان ربط سيارات اكثر يمكن من اقامة جسر عائم. ولكن سيئات هذه الوسيلة هي: صعـوبـة الصيـانـة لأن المعدات كانت قديمة ومعرضة جدا للاصابة، لأن الآلية يتم تعويمها على عوامات مطاطية منفوخة يستطيع العدو تثقيبها برصاصه.

مقابل السيئات كانت لسيارة «جيلاوا» حسنة كبيرة وهـي سـرعـة التنقـل في المنطقة. وسرعة التنقل هذه جعلت من جيلاوا وسيلة هجومية خفيفة الحركة.

اشتكى العميـد ادان من ان استثمـار الجهـود الكثـيرة في تطويـر جسر الاسـطوانات تسبب في التأخر في تطوير وسائل عبور اخرى. وفي نيسان ـ ايار ١٩٧٣ عندما طرأ في اسرائيل الخوف من وقوع حرب اهتم العميد يسرائيل طال بتخصيص اموال للتسلح بالعجلات الضرورية لتحريك العبارات من نوع «يوني فلوت» وقـد تمكن الجيش الاسرائيـلي من تحريك ٢٠ عابرة فقط من هذا النوع واصلاح ١٨ آلية جيلاوا قبل اندلاع حرب (يوم الغفران).

في شتاء ١٩٧٢ / ١٩٧٣ امتلأ جسر روفه بمياه الامطار وجرت فيه تجارب

متقدمة على جسر الاسطوانات. واقترح العميد ادان على رئاسة الاركان اجراء عرض لمعدات العبور على قيادة الجيش الاسرائيلي. وكان هذا العرض مؤثرا جدا. فقد بين هذا العـرض كمية جيدة من الوسائل المتنوعة والاساليب الفنية التي طورت في الجيش. ولسوء الحظ، لم تتمكن اسرائيل من انتاج كافة الوسائل الضرورية الى ان اندلعت الحرب في السادس من تشرين اول ١٩٧٣.

لقد ترك جسر الاسطوانات، الذي بفضله حاز العميد يسرائيل طال والعقيد لسكوب على جائزة امن اسرائيل انطباعا جيدا لدى المشاهدين ولكن تطويره لم يكتمل حتى وقوع الحرب. وفي العرض لم تتم تجربة جسر الاسطوانات عن طريق جره لمسافة عشرات الكيلو مترات وانما تم جره لمسافة ٨٠٠م على طريق تم تمهيدها من قبل جرافة وبعد ان انزلت الى الماء، اديرت الحركة عليه بحذر وببطء، لأن هذا كان الجسر الوحيد لدى الجيش الاسرائيلي وكان يجب عدم الحاق اضرار به.

ان الفكرة القائلة بانه سيتوجب على الجيش الاسرائيلي اجتياز قناة السويس اذا اندلعت حرب جديدة مع المصريين مغروسة عميقا في اذهان القيادة الكبيرة. فهذه كانت جزءا لا يتجزأ من نظرية نقل الحرب الى ارض العدو وحسمها بصورة سريعة هناك. وهذه الفكرة، بالاضافة الى الحلول التي بلورها الجيش الاسرائيلي اجتازت الاختبار بصورة جيدة في حرب (يوم الغفران).

الفصل السابع

[حرب (يوم الغفران)]

مجموعة ألبرت

إن حرب (يوم الغفران) لم تفاجيء كثيرا مجموعة العميد ابراهام «البرت» مندلر، التي كانت منتشرة على الخط الامامي لشبه جزيرة سيناء، ففي الاسابيع التي سبقت السادس من تشرين اول ١٩٧٣، تم استيعاب اشارات تحذير كثيرة ومختلفة اعلنت في اعقابها حالة الطوارىء القصوى في ارجاء سيناء.

وعلى الرغم من ذلك فانه عندما هاجم المصريون في حوالي الساعة ١٤٠٠ من ظهر يوم الغفران، فوجيء الجيش الاسرائيلي عامة، فبعد الحرب قال قائد اللواء/ ١٤ المدرع، الذي كان منتشرا على طول خط قناة السويس (باستثناء الواجهة الشمالية، التي كانت مسؤولة عنها كتيبة مستقلة): كانت توجد حالة طوارىء في المنطقة، ولكن لم يكن هناك استعداد نفسي، فعدم الاكتراث تغلغل عميقا في اذهاننا، وقد آمنا جدا ان المصريين غير قادرين، بل ولن يجرأوا على عبور القناة.

ولكن بالذات في لحظات الصدمة الاولى، عندما شاهد الجنود والقادة على كافة المستويات طائرات العدو وهي تغير عليهم وسمعوا اصوات انفجار القذائف حولهم، ظهرت القوة الحقيقية للجيش الاسرائيلي، فقد وقف الجنود الذين كانوا على طول الخط، معظمهم نظاميون لم يشهدوا حربا في حياتهم، امام العدو فورا، مستعدين للقتال.

وفي قيادة مجموعة العميد مندلر (الذي اسماه الجميع «البرت» منذ ان بدأ حياته العسكرية كجندي مشاة في لواء جبعاتي، في حرب الاستقلال،، اجتمعت مجموعة القيادة في غرفة العمليات الحربية، وتذكر نائب البرت، العميد الثاني باروخ هرئيل (بينكو) بأن المكالمة الهاتفية الاولى كانت من اليعيزر كوهن (تشينا) قائد قاعدة رفيديم الجوية، وقال تشينا ان عملية القصف الحقت اضرارا بالمطار ولكنه اضاف فورا: اننا نستطيع الاقلاع خلال عشر دقائق..

بعد ذلك بدأت جميع الهواتف في غرفات العمليات الحربية ترن، فمن جميع

الوحدات في منطقة القيادة الجنوبية ابلغوا عن تعرضهم لعمليات قصف جوي، ومدفعي، وبالطائرات العمودية المصرية التي تطير نحو الشرق نحو عمق شبه جزيرة سيناء، وبوجود زوارق مطاطية في مياه القناة، وكان من بين الاوائل الذين اتصلوا بقيادة المجموعة، قائد القيادة الجنوبية، العميد شموئيل غونين، فقد كان آنذاك في قيادته في بئر السبع ومن هناك قال لألبرت، افضل ان تبدأ فورا تنفيذ خطة (شوفخ يونيم) هديل الحمام وهي (الخطة التي اعدها الجيش الاسرائيلي لتنفيذها في حالة اندلاع حرب على خط القناة)، وان تنزل لواء دان الى واجهته..

فأجابه ألبرت بصوت هادىء ويعبر عن الثقة، ان اللواء يتعرض الآن لقصف من قبل الطائرات المصرية، والمقصود هنا هو لواء الدبابات النظامي الذي يقوده العقيد دان شمرون، وبفضل حقيقة ان هذا اللواء تلقى منذ ساعات الصباح امرا بالخروج من معسكراته والانتشار في المنطقة في حالة استعداد لمواجهة امكانية هجوم جوي، لم يتعرض لخسائر كثيرة نتيجة القصف الجوي المصري، ولكن لم يكن بالامكان اعادة الوقت الذي ضاع قبل ان يتقدم استقدام اللواء الى مواقعه على الخط الامامي، وقد ألح ضباط قيادة ألبرت عليه ان يتجاهل الامر الذي تلقاه قبل يوم بعدم تقديم قوات الى الخط الامامي، فرد البرت بشكل قاطع: لن اشذ عن الاوامر ولن افشل المسؤولين عني، والآن سمعه الضباط يقول هامسا: لقد حذرتهم ولم يستمعوا لي..

« هنا لا يصرخون »

لقد زادت من الضوضاء وحالة الهلع والفزع التقارير التي تحدثت عن انزال مجموعات كوماندو من طائرات عمودية في اعماق سيناء، وثارت مخاوف من ان المصريين يريدون السيطرة على ممري المتلا والجدي، لعرقلة ارسال النجدات وقوات الاحتياط الى خط الجبهة، ولكن البرت بدا وكأنه صخرة ثابتة في هذا البحر الهائج، فقد جلس الى جانب طاولة القيادة، واستمع الى التقارير، وكان ينهض بين الحين والآخر لمطالعة الخارطة المعلقة على الحائط، ويمسك سماعة الهاتف يتحدث مباشرة مع احد القادة في الميدان ولم يرفع صوته ولو مرة واحدة، فقد بعث الثقة في نفوس جميع الذين كان لهم اتصال به، وتصرف رجال القادة مثله، وقد تحدث ضابط

عمليات شاب بانفعال ملحوظ فوبخه القائد قائلا: هنا لا يصرخون..

في البداية استقدم البرت ألويته الى واجهاتها وكان لواء امنون قد انتشر على الخط، وكانت قيادة اللواء في «طاسة» وأما قوته الرئيسة فكانت في الواجهة المركزية، واما لواء جابي (العقيد جبرائيل عمير) الذي الحق بعد ذلك الى مجموعة العميد ابراهام ادان، فقد تلقى امرا بالتحرك نحو طاسة لأنه خلال ساعة الحرب الاولى تكون انطباع بأن الهجوم المصري يتركز هناك، وعندما تبين ان الوضع اسوأ في الواجهة الشمالية تم توجيه «جابي» الى هناك، وقد اتصل العميد كلمان ماغين، الذي كان في تل ابيب هاتفيا وطلب حصوله على اوامر، فأمروه بالاسراع الى بلوظة وتسلم المسؤولية عن الواجهة الشمالية، واما لواء دان شمرون فتم توجيهه الى الواجهة الجنوبية.

عندما كانت الالوية تتقدم نحو اهدافها تكاثرت التقارير حول نزول رجال كوماندو مصريين في اعماق سيناء، على طول محاور الحركة، وكانت الصورة غامضة، كما قال ضابط العمليات المقدم جدعون، واضاف: اننا لم نعرف ما هو المحور الذي ما زال مفتوحا وما هو المحور الذي تم غلقه، وبسبب تشابك الاتصالات في منطقة الممرات لم يكن واضحا لنا ما هي القوات التي تسير وعلى اية محاور، وارسل البرت نائبه (بينكو) للتجول بطائرة عمودية فوق الطرق.

في هذه الاثناء سمعت اصوات رجال المعاقل بواسطة اجهزة اللاسلكي، فقد ابلغ معقل «متسميد» الموجود على الضفة الشمالية للبحيرة المرة الكبرى ان المصريين عبروا المنطقة من هناك، كما رفع علم مصر على معقل «ميلانو(أ)» وهو احد معاقل منطقة القنطرة، واما معقل «ميلان(ب)» فقد تعرض للقصف المدفعي، وفي معقلي «اوركال» و(لحتسينت) في الواجهة الشمالية دارت معارك ضارية، وطلب معقل اوركال مساعدة وتوقف موقع لحتسينت عن الاتصال، واما معقل «بودابست» فقد صد هجوم دبابات غير انه وقعت خسائر بين رجاله وبدأت المعاقل تطلب النجدة، وبعد مرور وقت قليل اعلن عن تواجد العدو في معقل اوركال(ج) وفي ميلانو، ولم يكن الوضع واضحا في معقل «مفريكث» وفي الساعة ١٦,٥٥ سجل في بيانات غرفة العمليات الحربية البلاغ الذي كان البرت يخشاه اكثر من غيره وهو: ان المصريين بدأوا باقامة جسر الى الشمال من موقع «بوركو» امام الاسماعيلية.

ان ضبـاب الحرب لم ينقشع حتى بعد ان عاد بينكو الى غرفة العمليات الحربية، فقد كادت طائرته العمودية ان تسقط على ايدي طائرات اسرائيلية، انطلقت لاعتراض طائرات مصرية سمتية كانت بقيادة شقيق الرئيس السادات، صحيح ان طائرة بينكو اكتشفت عدة كمائن نصبتها قوات الكوماندو المصرية على محاور الحركة في واجهات مختلفة من وحدات لمعالجة هذه الكمائن، وكان هناك شيء واحد يتضح دون ادنى شك وهو: ان العملية المصرية كانت اوسع واكبر مما تنبأ به الضباط الاسرائيليون الذين خططوا ألعاب الحرب، فالهجوم المصري شمل جميع جبهة القناة بل وتجاوز هذه الجبهة فقد تم الابلاغ عن قوارب كوماندو اجتازت خليج السويس متجهة نحو رأس سدر!

ولكن الصورة العامة لم تتضح بعد، ولم يصبح واضحا بعد فيما اذا كان «الجـواب» الاسرائيلي الذي اعد مناسبا للوضع الجديد ام لا، فقد نصت خطة «شوفخ يونيم» على انه اذا بدأ المصريون اجتياز القناة، يقوم جنود المعاقل بتأخيرهم بقدر الامكان، وفي هذه الاثناء تسرع قوات الدروع لتحتل مواقع امام المعاقل وتقوم باجبار قوات العبور على العودة الى القناة، ولكن هذا التخطيط لم ينجح في الواقع، فالمصريون عبروا القناة من المناطق الموجودة بين المعاقل، وخلال عملية العبور كان يوجد على الخط الاول فقط لواء امنون ريشف وليس لواءان، كما كان مخططا، وقد تقدمت فئات وسرايا هذا اللواء نحو الاماكن التي حددت سلفا لمثل هذه الحالة، ولكن قبـل ان تصـل الى اماكنها تعرضت لرماية شديدة من الاسلحة المضادة للدبـابات التي استخدمها المصريون من مواقع كانت على الكثبان الرملية العالية الموجودة على الضفة الغربية، وهنا وهناك جوبهت الدبابات بنيران اسلحة مضادة للدبابات اطلقت عليها من قبل جنود الكوماندو المصريين الذين تمركزوا في الجانب الاسرائيلي من القناة.

لقد تعرض لواء امنون لأضرار جسيمة حتى قبل ان يتمكن من استخدام نيرانه، ففي البداية لم يدرك امنون حجم الاضرار التي لحقت بلوائه، فبعد الحرب قال: ان معظم المعاقل صمدت، وكانت هناك مواقع طلبت مساعدة فوصلت الدبابات اليهـا وسـاعـدتهـا في صد المصريين، ومن معاقل اخرى قامت الدبابات باخلاء المصابين، وفي الساعة ١٩,٣٥ تلقينا امرا للتحرك دون ان تفتح ابراج الدبابات

حتى منطقة القناة لتدمير الجسور المصرية، فتقدم اللواء كله الى الامام واتصلت جميع القوات تقريبا مبلغة عن وصولها الى خط الماء. وهنا وهناك تم التبليغ عن دبابة اصيبت من قبل كمائن المشاة المصرية ولكن بشكل عام كان يبدو ان كل شيء يدور حسب الخطة.

واضاف: ولكن لسوء الحظ، بما ان الدبابات عملت في معظم الحالات في اطار فئات تكونت قوات اتصال طويلة مرت بالسرايا والكتائب وتكونت هوة اتصال مدتها ساعة او ساعتان، وبدأت الصورة الحقيقية تتضح لي تدريجيا وبتأخير كبير، فأبلغت المجموعة بهدوء وبتفاؤل، كما علمني ذلك ألبرت ولكن في الساعة العاشرة مساء تقريبا قلت لألبرت انني بحاجة الى مساعدة وعندها ارسل لي نجدة مكونة من كتيبة..

دخـان ملـوّن

في قيادة المجموعة ايضا تصوروا في البداية ان الخط الامامي صامد، وعندما وصل لواءا جابي ودان الى واجهتيهما وبدا يتقدمان نحو الخط المائي، بلغ التفاؤل ذروتـه، ولكن الحقيقـة بالنسبـة لسقـوط المعاقل غير المدارة وبالنسبة للخسائر الجسيمة حيث تعرضت لها الدبابات التي بدأت تصل تدريجيا، فأمر ألبرت جنوده بجمع المعلومات وبالاجتماع خلال ساعة واما هو نفسه فقد اجرى اتصالا هاتفيا مع عميد القيادة، وفي حوالي منتصف الليل قال للعميد غونين: نحن صامدون، وسيتم كل شيء بنظام، وبعد ان خرج ألبرت من الغرفة سارع نائبه للاتصال مع غونين (الذي كان قائدا له في حرب الايام الستة) وقال له: لقد قال لك ألبرت ما قاله لأن هذه هي عادته، ولكن الحقيقة هي ان الوضع صعب واذا لم تصل القوات بسرعة فاننا سنضطر للانسحاب من منشآت كثيرة..

اجل لقد كان الوضع صعبا، فالهجمات لمساعدة المعاقل وعلى خط القناة، اضعفت صفوف الدبابات. ومن خلال الحكمة المتأخرة يمكن القول انه كان من الافضل حشد القوات في مجموعة واحدة ضاربة والانتظار حتى ساعات الصباح واتضاح الوضع. ولكن هذا الامر كان مخالفا لخطة «شوفخ يونيم» التي نصت على انه عندما يطلب احد المعاقل النجدة، يجب الاسراع لمساعدته. ولكن الاسراع نحو المعاقل لم يخفف الضغط عليها. صحيح ان الدبابات ساعدت في صد الهجوم،

ولكنها اسرعت للانسحاب لئلا تتعرض للنيران المحرقة من الضفة الغربية فأكثر من مرة وصلت دبابات الى معقل، ولم تستطع خلق اتصال مع المدافعين الذين كانوا منغلقين داخله.

في تلك الليلة تواصل عبور المصريين دون توقف، وقد اصابت القوات الاسرائيلية جسورهم ولكن هذه الجسور اعيد بناؤها بسرعة فائقة. ورويدا رويدا بدأت تصل النجدات للقوات الاسرائيلية المرابطة على خط القناة، وكانت وحدات النجدة من القوات النظامية ـ كتيبة استطلاع، وسرية مظليين نقلت جوا إلى مطار رفيديم، وكانت هناك كتيبة اخرى تنوي الوصول في الصباح، غير انه كان واضحا في غرفة العمليات الحربية ان النجدات لا تغطي الحاجة، فحتى ان تصل قوات الاحتياط ستكون قد مضت فترة ١٢ ساعة على الاقل وهذه الساعات ستكون مصيرية.

بدأ البرت يقلل من التدخل بأجهزة الاتصال وتوجيه الاوامر، وهكذا تصرف خلال القتال، وكان يقول دائما: ان وقت القائد الكبير هو عشية القتال، في تدريب الجنود واعدادهم ورسم نظريات الحرب والخطط الحربية، ولكن بعد ان تندلع المعركة فان الزمام ينتقل الى القائد المحلي، وهو قائد اللواء او قائد الكتيبة، وقال بينكو: في المناورات والتدريبات كان البرت قادرا على معاقبة الجنود الذين لم ينفذوا الاوامر حتى النهاية. اما الآن فانه عندما لم ينفذ امر اصدره، فانه لم يسأل عن السبب، فقد قبل الوضع كما هو، وكنقطة انطلاق بموجبها اصدر اوامره التالية:

مع الفجر فهم البرت من خلال التقارير الشيء الكثير عن معدل الخسائر، وان مجموعته تضررت جدا فأمر ما تبقى من الالوية ان تتوقف عن مهاجمة خط القناة في الظلام وتجميع قواها حتى الصباح.

ان احدا في غرفة العمليات الحربية لم يتذكر بعد ذلك ان البرت نام في تلك الليلة، وانه حلق ذقنه في الساعة الخامسة صباحا وكان ملمعا ومنتعشا، وهكذا شوهد في اوقات الحرب في كل صباح بين الضباط الذين كانت عيونهم حمراء من شدة الارهاق وكانت وجوههم مليئة بالشعر لعدم حلاقتها، وفي صباح يوم الاحد سجل في مذكرة غرفة العمليات ان قوة بقيادة امنون ريشف اصطدمت في منطقة (المزرعة الصينية) بدبابات مصرية يبدو انها عبرت القناة من مكان يقع الى الشمال

من معقل «متسميد» في المنطقة الواقعة امام سرَبيوم التي لم تكن للجيش الاسرائيلي فيها مراقبات او سيطرة وقد تبين ان جسورا اقيمت امام معاقل «درورا» و«كتوبا» وان عملية العبور المصرية استمرت دون توقف، وشوهد المصريون وهم يعبرون القناة الى الجنوب من معقل «حزيون» والى الشمال من معقل «مفريكت» والى الجنوب من معقل «ليطوف» اصطدمت قوة دروع اسرائيلية بكمية صواريخ وئجت بعد ان تعرضت لخسائر شديدة، وقد قصف موقع «مفتسيح» بقذائف اخرجت دخانا ملونا، ويبدو انه غاز، وهنا ارتدى الجنود الاقنعة الواقية من الغازات.

اتصل البرت مع موقع القيادة للجبهة الجنوبية واقترح شن هجوم معاكس في الواجهة الوسطى بين «فيلانو» و«مفكريت» فتم توجيه لواء جابي الى هناك، وطلب البرت تزويده باسناد جوي في واجهة الهجوم المحددة وفي مناطق (ليطوف) و(مفتسيح) في الواجهة الجنوبية التي تعرضت لهجوم مصري شديد، فوافقت القيادة، وبدأ لواء جابي بشن هجوم قبل طلوع النهار، واشارت التقارير الاولى الى تقدم اللواء وتمكن من تدمير دبابات معادية فتركت طواقم مصرية مذعورة ٩ دبابات لم تصب ولكن كلما تقدمت القوة الاسرائيلية نحو القناة، كلما تم صد الهجوم اكثر فأكثر، فقد اصطدم اللواء بجموع غفيرة من جنود المشاة الذين تمكنوا من حفر الخنادق، وبوابل من الصواريخ المضادة للدبابات من الضفة الغربية، كما شنت قوات مشاة مصرية هجوما على اللواء من الجناح الايمن حيث وجد امنون ريشف جسرا آخر.

ثلاثة مدافعين

في الساعة ٧,٢٠ من صباح اليوم التالي تم شن الهجوم الجوي الاول على الجسور في واجهة الهجوم المعاكس، وكان هذا ايضا الهجوم الجوي الاخير، فقد ابلغ قائد القيادة الجنوبية العميد البرت بتغيير الخطة، فقد امرت رئاسة الاركان بتوجيه جهد سلاح الجو للجبهة الشمالية حيث اصبح الوضع خطيرا في ساعات الليل، وادرك البرت انه بدون اسناد جوي فان الهجوم المعاكس غير ممكن وامر قواته بالانسحاب.

في ذلك الحديث قال عميد القيادة لألبرت، ان العميد ابراهام ادان [برن]

قد وصل على رأس القوة الطلائعية التابعة لمجموعته، وقال غونين ان مجموعة (برن) ستدخل المعركة في الواجهة الشمالية، وسيتسلم برن مسؤولية الواجهة من بورسعيد وحتى نقطة تقع الى الشمال من طاسة، وسيتم الحاق لواء جابي به، كذلك فان مجموعة العميد ارئيل (اريك) شارون اصبحت قريبة، وكانت هذه المجموعة ستصل بعد الظهر وان تتسلم مهمة الدفاع عن الواجهة الوسطى، وسيتم الحاق لواء امنون بها، واما البرت الذي كان مسؤولا عن الواجهة الجنوبية، سيبقى مع لواء واحد الى ان يتم تعزيزه بقوات احتياط، وقال غونين: وغدا سنبدأ بهجوم معاكس.

في هذه الاثناء بدأت المعارك تخف حدة، فمن الواجهة المركزية تحدثوا عن قيام المصريين بشن هجوم على موقع متسميد، وشوهدت آليات مصرية في موقع «ميلانو» والعلم المصري رفع على موقع «اوركال»، وفي موقع «بودابست» انهارت الاستحكامات بسبب القصف المدفعي الشديد الذي تعرضت له، وتم اخلاء مواقع اخرى ولكن كانت هناك مواقع لم يستطع الجنود الانسحاب منها، ففي موقع «مفريكت» بقي ثلاثة مدافعين فقط واما موقعا «مفتسيح» و«هاكفار» اللذين وصلتهما الدبابات الاسرائيلية في ليلة القتال الاولى عدة مرات، اصبحا محاصرين، وكذلك الامر بالنسبة لموقع «هاميزح».

وصل البرت في جولته الى القرب من المواقع، وتشاور مع دان شمرون حول امكانية اخلاء هذه المواقع، وقال قائد اللواء: ربما نستطيع الوصول ولكن كل محاولة كهذه ستكلفنا فقدان كتيبة دبابات، ولهذا فان القرار يظل قرارك، فحسم البرت القرار بطريقته، فقد قال بهدوء وبضبط اعصاب: لن نحاول، فنأمل أن تستطيع المواقع الصمود حتى ان نبدأ الهجوم المعاكس، وعندها سنصل اليها، فأمر بتخفيض سبطانات المدافع (وكانت قليلة العدد ولكنها كل ما تبقى لديه في تلك المرحلة) لمساعدة المواقع. لقد كانت الساعات حتى ظهر يوم الاحد، السابع من اكتوبر، اصعب الساعات بالنسبة للجبهة الجنوبية، فمصير الجبهة كله كان معلقا بخيط دقيق، ولكن بدا وكأن عاصفة الحرب قد هدأت، وتوقفت مجموعات الدروع الاسرائيلية عن القيام بمحاولات للاغارة على خط القناة، واكتفت بالقيام بعملية صد. كما ان المصريين لم يحاولوا التقدم، فتخندقوا في القاطع الضيق الذي سيطروا عليه

في الضفة الشرقية وبدأوا يهتمون بتعزيز مواقعهم، وقد سيطروا على مواقع طويلة من خط القناة على الضفتين واقاموا ما يتراوح بين ١٠ ـ ١١ جسرا على خط القناة، وبما انهم لم يتعرضوا بعد لهجوم جوي، لم يكن هناك ما يمنعهم من نقل دروعهم الى الجانب الشرقي من القناة. ان هذه المسألة لم تلح فقط في مخيلة البرت، فعندما توجه الى قيادة العقيد دان شمرون في مشارف ممر المتلا هبطت في موقع القيادة الجنوبية في ام خشيبة، طائرة وزير الدفاع موشه ديان، وموقع القيادة هذا الذي كان محفورا في بطن الجبل، تعرض قبل ذلك للهجوم من الطائرات المصرية وفي ساعات الليل انزلت قوات كوماندو مصرية على التلال المحيطة بالمواقع، وكان موقع القيادة وكأنه واقع في حصار، واما حراس الموقع فكانوا يقفون في مواقع رماية ومعهم رشاشات جاهزة.

في غرفة العمليات الحربية التي كانت تحت باطن الارض كان الجو متوترا، فاستمع وزير الدفاع الى تقرير قائد القيادة ونصح بالانسحاب، واخلاء خط القناة، والمعاقل ومحاور الحركة واقامة خط دفاعي جديد على خط التلال الذي يبعد حوالي ١٥٠كم الى الشرق من القناة، فمن منطقة ممرات الجبال سيكون من السهل صد تقدم المصريين، الى ان يتم حشد قوة للقيام بهجوم معاكس حقيقي، «وكانت هذه نصيحة وزارية»، وقد رد عليها العميد غونين بقوله: «لست مستعدا للانسحاب طالما لم اتعرض لضغط لا استطيع الصمود امامه، وفي هذه المرحلة لا يوجد مثل هذا الضغط...» وقد بنى آماله على قوة الاحتياط التي بدأت بالاقتراب، فاذا لم تقم الدروع المصرية بعبور القناة في الساعات القادمة ولم تبدأ فورا بهجوم على بقايا مجموعة سيناء، فانه ستصبح تحت تصرف القيادة مع طلوع فجر اليوم التالي مجموعتان منتعشتان، وقرر غونين شن هجوم معاكس فور وصول المجموعات الاحتياطية، فاذا انسحب الى خط الجبال، كما نصحه الوزير، سيطلب من الجيش الاسرائيلي بذل جهد كبير للعودة والسيطرة على المناطق التي ينسحب منها، عند العودة الى خط القناة. قرر العميد سحب بقية القوات التي بقيت من مجموعة سيناء الى طريق المدفعية (وهو الطريق الموازي للقناة على بعد ١٠كم منها والذي منه تتفرع محاور الحركة حتى القناة، وان يدير من هناك، من على التلال المطلة على القناة

قتال صد وحركة، واعتبر خط العرض الذي يمتد امام القناة على بعد ١٥كم الى الشرق منها ويصل بين بلوظة وطاسة وتمد نحو رأس سدر، خط حدود للانسحاب وطلب عدم التراجع عنه الا في حالة عدم اي خيار.

الغاء خطة الانسحاب

هذه الاوامر مررها عميد القيادة لألبرت، وقائد المجموعة مررها بدوره الى قادة الالوية التابعة له، وكان من الصعب عليه اصدار امر انسحاب الى مأموريه، ومهما يكن من امر، فقد كان هذا اول انسحاب للجيش الاسرائيلي منذ حرب (الاستقلال)! وفي الحديث الذي اجراه مع العقيد امنون ريشف ظهر يوم الاحد بدا وكأنه يشعر بضيق، وقال لأمنون: نحن مضطرون للاحتفاظ بخط العرض ولكن اذا لم يكن هناك خيار، فان القرار سيظل لك.. فأجابه امنون: لن ننسحب من هنا، ولكن صدر أمر لحرق وثائق والاستعداد لاخلاء رجال القيادة غير المحاربين واجهت المجندات بالبكاء، وحتى الرجال انفعلوا..

وفي الوقت الذي كان فيه البرت يواصل جولته انسحبت مجموعة قيادته الى موقع القيادة الامامي للمجموعة في ممر المتلا، فمنذ ان اندلعت الحرب رغب البرت في تقديم قيادته ليكون قريبا بقدر الامكان من خط النار، ولكن خلال التسع عشرة ساعة الاولى كان في الواقع هو قائد الواجهة كلها، ولهذا كان عليه ان يتواجد في مثلث الاتصال للجبهة كلها، واما الآن فقد بدأ برن يتأهب ليتسلم مع طلوع الفجر المسؤولية عن الواجهة الشمالية واريك يتسلم المسؤولية عن الواجهة الوسطى في المساء. واما منطقة خليج سليمان فقد نظمت كوحدة مستقلة، ولهذا اعطي لألبرت الآن ان يركس كافة جهوده للواجهة الجنوبيةالتي خصصت له في خطة الدفاع الاصلية.

عندما كان في طريقه ارسل امرا الى مجموعة قيادته، التي كانت مستعدة للحركة منذ ظهر يوم السبت بأن تتوجه الى المتلا، وعندما عاد من جولته عاد الى هذا المكان، وفي الساعة السابعة مساء عقد اجتماع لمجموعة الامر في موقع القيادة، وكان رئيس الاركان الجنرال دافيد العازار (دادو) هناك ومعه عميد القيادة وقيادته وقادة اثنتين من الفرق الاحتياطية (العميد شارون وصل فقط بعد ان انتهى

الاجتمـاع)، وفي هذا الاجتماع تمت مناقشة خطة الهجوم المعاكس الذي تقرر الشروع به غدا.

وقـد خصصت مجموعة «برن» للهجوم على واجهة القنطرة ـ فردان امام الجيش المصري الثاني، ومجموعة البرت خصصت بشكل خاص لعمليات الصد، لأنه لم يبق لها سوى بقايا من لواء دان شمرون، وكتيبة مشاة كانت تحتفظ بممري المتلا والجدي وكتيبة دبابات اولى من لواء الاحتياط بقيادة العقيد ابراهام برعام، التي وصلت لتوها وارسلت الى واجهة طاسة للقيام بعملية الصد بدلا من مجموعة شارون، واما مجموعة شارون فخصصت كمجموعة احتياط لمجموعة «برن» في مطلع الهجوم، فاذا نجح الهجوم سيتوجه شارون الى مسافة ١٠٠كم الى الجنوب وقبل المساء يبدأ بهجوم معاكس في الواجهة الجنوبية، امام الجيش الثالث المصري.

عندما عاد الى مجموعة القيادة، أصدر ألبرت أوامره، وقد دارت بشكل خاص حول الاجـراءات لانقاذ جنود المعاقل المحاصرة في واجهته من خلال شن هجوم معاكس، وتحدث بجهاز الاتصال مع قادة المعاقل، وشجعهم وأمرهم بالاستعداد للخروج من مواقعهم عند اقتراب الدبابات الاسرائيلية منهم، خلال ٢٤ ساعة.

الآن بدأت عملية الانتظار المشوبة بالتوتر والقلق معا، فقوة الاحتياط ما زالت بعيـدة جدا، وامـا الدروع المصرية فقد اصبحت قريبة جدا، خلف القناة، وقد انسحب لواء دان شمرون (وكانت قوته تقدر بكتيبة دبابات فقط)، من منطقة القناة وانتشر للقيام بعملية صد من خلال الحركة على طريق المدفعية، ولم تبق على خط القناة قوة تمنع عبور الدروع المصرية وابلغ ضابط الاستخبارات في مجموعة البرت المقدم يوسي، القادة الذين اشتركوا في اجتماع مجموعة الامر الذي عقده البرت، بأن الفرقة المصرية الرابعة رابطت خلف القناة امام واجهة المجموعة، وقال ان جميع الدلائل تشير الى ان هذه الفرقة ستعبر القناة خلال ساعات الليل، فجلس الضباط لاعداد خطة قتال مشاغلة من خلال الانسحاب على دفعات حتى بير تمادة، وكانت الضائقة شديدة، فمن جهة دار الحديث عن هجوم اسرائيلي معاكس، لطرد المصريين الى ما وراء القناة، ولكن من جهة اخرى تم التخطيط للانسحاب من جميع الجانب الغربي لمنطقة سيناء، وكان كل شيء يعتمد على سؤال من سيسبق الآخر: عبور الدروع المصرية ام وصول مجموعات الدروع الاسرائيلية؟

وقد لاحظ احد الضباط حقيقة انه لم يدر الحديث حول انسحاب مجموعة القيـادة، فقـد رفض البرت مناقشة هذا الموضـوع،وعندما فرغوا من وضـع خطة الانسحاب، خرج قائد المجموعة لنقل الخطة بنفسه الى قائدي الالوية دان شمرون وابراهام برعام، وكان ذلك من ميزات زعامة البرت، فمنذ ان اندلعت الحرب لم يستدع قادة الالوية اليه، فكلما اراد ان يوضح لهما موضوعا معينا، خرج هو اليهم الى خط النار، وعندما عاد الى معسكر القيادة في حوالي منتصف الليل، بدا بصيص امل، فالمصريون لم يبدأوا بعد عملية العبور وفي غرفة العمليات الحربية شوهدت وجوه جديدة وهي: العقيد يوآل غونين (شقيق العميد شموئيل غونين) الذي كان قائدا للواء احتياط ووصل لتوه، وكان البرت ويوآل يعرفان بعضهما جيدا، لأن يوآل عمل ضابطا للعمليات في المجموعة عندما اصبح البرت قائدا لها، ولكن الوقت لم يكن مناسبا لتبادل التحيات، فسأله البرت: اين دباباتك؟ فأجابه يوآل: إنها في الطريق.

وبعد مرور وقت قصير وصل الى غرفة العمليات الحربية صديق قديم آخر لألبرت، هو العقيد ارييه ديان (بيرو) وهو قائد لواء احتياط تم الحاقه هو الآخر بمجموعة البرت، وحتى لواء ديان الذي كان مكونا من دبابات شيرمان ما زال بعيدا عن خط النار، وخطط البرت مع قائدي اللواء عملية نشر قواتهما، وفور انتهاء النقاش اسرع الاثنان الى الالوية لتعجيل تقدمها، وعاد البرت الى غرفة العمليات الى الخرائط واجهزة الاتصال، والى الانتظار المتوتر.

في الساعة ٤,٠٠ صباحا انتهى الانتظار المزق للأعصاب، فالدروع المصرية لم تجتز القناة، وبعد قليل سيطلع الفجر وطائرات سلاح الجو الاسرائيلي ستهاجم الجسور، وبعد بضع ساعات سيبدأ الهجوم المعاكس على ايدي الجيش الاسرائيلي، وللمرة الاولى منذ ان اندلعت الحرب، ارتسمت ابتسامة خفيفة على وجه البرت، واصدر الامر التالي: ابلغوا جميع قادة الالوية بأن خطة الانسحاب أُلغيت..

لكن الهجوم المعاكس الكبير الذي جرى يوم الاثنين، الثامن من اكتوبر فشل، وفي الواجهة الجنوبية، التي يدافع عنها البرت، انتشرت القوات لمساعدة هجوم شارون، وكانت تعمل بقيادة البرت في هذه المرحلة من الحرب ١٣٠ دبابة، وهذه الكمية هي نصف القوة العادية، للمجموعة، فأمر البرت ان يبقى بيرو لحماية فتحات

المحاور كقوة احتياطية ويجب تركيز قوة مدفعية لصالح عملية العبور وعددا من المدافع لمساعدة المواقع الامامية، وقال انه يجب دخول جميع المواقع، واعادة تزويدها بالجنود من جديد، وتطهير خط القناة، وتطهير خط المدفعية، لذلك يجب اعداد قوة مشاة مدرعة في اورليانس واعداد فئة هندسة من الجرافات لصالح اقامة المعسكر على القناة.

شارون يعترض بشدة

ولكن هذه الخطة تشوشت، فعندما بدأت الدروع الاسرائيلية بالتحرك نحو المواقع، جوبهت بهجوم معاكس شديد من قبل قوات المشاة المصرية التي تساعدها الدبابات، وفي الساعة ١٢,٢٠ ابلغ العقيد شارون: ان قوة مشاة تحتشد على بعد حوالي ٥٠٠ متر من موقع «هاكفار» بقصد اقتحام هذا الموقع، وطلب قصف موقعي «هاكفار» و«مفتسيح» بالمدفعية وبعد مرور ٢٥ دقيقة بدأت القوة داخل الموقع بالقاء قنابل يدوية، وطلب اسنادا جويا وقال ان الوضع خطير.. وبعد ذلك بعشر دقائق قال: بدأ المصريون يحتلون موقع «هاكفار». وقد اصيب احد جنود الموقع بالهستيريا، فقال له البرت بصوت هادىء: اهدأ واستمع جيدا، بعد خمس دقائق ستوجه رماية شديدة للموقع، فادخل جميع رجالك في الملاجىء، وفور انتهاء عملية القصف اخرجوا وطهروا الموقع، واضح! اتمنى لكم النجاح.. وعندما قطع الاتصال شوهدت الدموع تنزل من عينيه، وقال هامسا: ماذا كان يمكن ان اقول لهم؟ وخرج من غرفة العمليات الحربية.

وفي الساعة ١٤,٣٠ اتصل البرت بعميد القيادة وقال له: لا توجد امكانية للاتصال بموقعي «هاكفار» و«مفتسيح» بسبب دروع العدو المحشودة حولهما، ولكن بقي امل ان يتم الاتصال خلال الهجوم المعاكس الذي ستقوم به مجموعة شارون ولكن في الساعة ١٥,٠٠ تلاشى حتى هذا الامل، فقد اتصل «شاي» وهو ضابط العمليات في القيادة بقيادة مجموعة البرت وقال: لقد اتجه اريك شمالا لمواجهة الهجوم المصري المعاكس، وبعد مرور وقت قصير، وصلت قوة مصرية في الواجهة الوسطى الى منطقة موقعي «تسيونا» و«حموتال» وفي الوقت الذي كانت فيه مجموعة القيادة تهضم الانقلاب الذي حدث في ميدان القتال وصلت بشرى مرة اخرى تقول:

ان قوة دروع مصرية انطلقت من منطقة الرصيف على القناة وتحركت على طول خليج السويس نحو رأس سدر، فأمرت جميع القوات بقيادة البرت بالانتشار امام العدو الجديد.

لقد اشتدت الضائقة، فحتى مجموعة «برن» ومجموعة شارون لم تستطيعا صد المصريين، وامام الاسماعيلية وفردان فقد منيت مجموعة «برن» بأول هزيمة تلحق بالدروع الاسرائيلية في معارك النار والحركة.

في المساء تم عقد اجتماع لقادة المجموعات وذلك في موقع القيادة المقام تحت الارض في ام خشيبة، وشارك في الاجتماع وزير الدفاع ورئيس الاركان، وكان الجو سيئا جدا، وكان القادة محمري العيون ومرهقين وغير حليقي الذقون، باستثناء البرت الذي وصل حليقا وبملابس مكوية واحذية ملمعة، ورفض المشاركة في الجو الحزين وبدلا من ذلك طلب الاستماع الى تفاصيل عن فشل الهجوم في ذلك اليوم، ولم يرد القادة الدخول في التفاصيل لئلا يدخلوا في موجة من التهم المتبادلة، واكتفى عميد القيادة بتقديم تقرير قصير حول الخسائر البشرية الكثيرة التي لحقت بمجموعة برن واجمل تقريره قائلا: ان القيادة لم تعد قادرة على تحمل يوم قتال مليء بمثل هذه الخسائر البشرية، وامر بالانتقال الى حالة الصد، لتوفير القوات، والامتناع عن وقوع خسائر، وجمع قوة والانتظار حتى ان يتم حسم الجيش السوري (في ذلك اليوم بدأ الهجوم المعاكس الاسرائيلي في هضبة الجولان، وحتى ان يستطيع سلاح الجو تخصيص قوة اكبر للجبهة الجنوبية، فوافق وزير الدفاع ورئيس الاركان على خطة العميد غونين، ولكن العميد شارون اعترض عليها بشدة، والبرت لم يكن راضيا عنها، ولكن عندما صدر الامر قبل به فورا، وعندما عاد الى قيادته امر بالانتقال الى حالة الصد (الدفاع).

المصريون يتنصتون

في يوم الاثنين / الثامن من اكتوبر وفي الساعة الثامنة مساء، اعلن ضابط استخبارات المجموعة: في واجهة القنطرة عبرت القناة فرقة المشاة المصرية الثامنة عشرة ومعها لواء مدرع، وفي واجهة الاسماعيلية اصبح يرابط اللواء المدرع الثاني ومعه قوات مشاة، وبين بحيرة التمساح والبحيرة المرة الكبرى عبرت فرقة المشاة

السادسة عشرة المصرية ومعها لواء دروع، وفي الواجهة الجنوبية عبرت فرقتا المشاة السابعة عشرة والتاسعة عشرة ومعهما لواءان مدرعان، وبين الموقعين الاسرائيليين الاماميين «ليطوف» و«هاكفار» توجد ٤٠٠ دبابة مصرية والنتيجة هي: ان المصريين على الضفة الشرقية من القناة اصبحوا اقوياء بما فيه الكفاية لشن هجوم.

في التاسع من اكتوبر وفي الساعة ٤,٤٠ امر البرت لواء برعام بالتقدم نحو الغـرب حسب اسلوب دبـابة، دبابة والامتناع عن تعريض نفسه للخسائر، وفي توجيهاته لرجال دروعه قال: منذ الآن فصاعدا يجب البحث عن معارك مع دبابات العدو، من خلال استغلال تفوق الدروع الاسرائيلية في معارك الحركة، والهدف هو: تدمير دبابات العدو والتقليل بقدر الامكان من التفوق العددي للمصريين.

في هذه الاثناء وصل تقرير يقول ان جنودا مصريين شوهدوا في ساحات موقع الرصيف (هاميزح) وموقع (هاكفار)، وكان البرت يمتلك آنذاك إربعة مدافع ثقيلة فقط، فوضعها جميعها تحت تصرف المواقع المحاصرة ولكن دون جدوى، واما العقيد شمرون الذي خاضت دباباته معركة رماية مع الدبابات المصرية في منطقة (هاكفار) فقد كان يشاهد ماذا يحدث في الموقع وادرك انه لا يستطيع انقاذ رجاله، وقد سقط موقع (هاكفار) في ذلك اليوم وموقع (مفتسيح) سقط في اليوم التالي، وموقع الرصيف (هاميزح) استمر في الصمود.

وفي الساعة ٩,٣٠ هاجم المصريون بشدة فائقة وساد خوف من ان يتمكنوا في هذه المـرة من اختراق الممرات، فأرسل البرت امرا لنائبه «بينكو» في القيادة الخلفية لارسال جميع المجندات شمالا وتنظيم المعسكرات للدفاع، وقد بدأ كل شيء على مدى ساعات طويلة وكأنه معلق بخيط رفيع ولكن تدريجيا انتشرت الدبابات الاسرائيلية في اجنحة القوة المصرية التي حاولت الاختراق، وانزلت بها ضربة شديدة واحرقت دروعها، فخفت حدة الهجوم المصري، وبدأ المصريون انسحابا الى ضفة القناة، وهنا استقرت الجبهة.

وفي يوم الثلاثاء التاسع من اكتوبر تجمد الخط في الجنوب، وفي كل صباح كانت الدبابات الاسرائيلية تخرج من مرابضها وتقف على محاور التقدم المحتملة للعدو. وخلال عملية الدفاع لم يتوقف الجيش الاسرائيلي عن الضغط على المصريين الذين لم يقوموا بمحاولة للتقدم، ولكن المعارك كانت محلية، والهدف هو: تدمير قوات

عدو أكثر من احتلال مناطق، وهنا وهناك تم احتلال هضاب ولكن في المساء كانت الدبابات تفك التماس وتعود الى مرابضها الليلية وعندما تم تعزيز المجموعة بكتيبة مظليين مدربة على الحرب الليلية، استخدمهم البرت ضمن وحدات صغيرة انضم لكل واحدة منها ضابط مدفعية، وبدأت هذه الوحدات عمليات تحول في التلال الرملية وتقوم بالبحث عن مرابض الدروع المصرية الليلية وتستدعي عمليات قصف مدفعي لهذه الاماكن، وتكون ما هو بمثابة روتين، فقوات الدروع التابعة للمجموعة كانت تسير بين الخطوط للتحرش بالدروع المصرية واستفزازها للخروج للقتال، وكان البرت يقوم بجولة بين الالوية بواسطة طائرة عمودية او بواسطة سيارة جيب، وبشكل عام ترك حرية العمل لقادة الالوية فكل واحد منهم كان له طابع حرب خاص به ولم يحاول البرت ان يفرض عليهم لون قتال موحداً، وتعود على القول: عليهم ان يعملوا حسب ادراكهم، فالحرب ليست وقتا مناسبا لتعلم فنون حرب جديدة، واثناء جولاته كان يحاول الوقوف على الصورة العامة، اذ انه لم يكتف بالتقارير التي تصله بواسطة اجهزة اللاسلكي، وكان يتدخل في احيان متباعدة في خطط الحرب التي يعدها قادة ألويته، وكان يفعل ذلك احيانا للتخفيف من حماسهم، فقد كان يقول: (ان هذه التلة ليست هامة الى حد اننا سندفع ثمنا باهظا من اجل احتلالها).

وعندما كان يعود من جولته كان يطالع مفكرة العمليات اليومية ويتحدث بجهاز الاتصال مع القادة، وقد اكتشف المصريون ذبذبات جهاز الاتصال في قيادة المجموعة وبدأوا يتصنتون على المحادثات، وعندما ميزوا صوت البرت بدأوا بالتشويش على البرت كلما قرب المايكرفون من فمه، وفي ذلك الوقت اجرى البرت محادثات كثيرة مع قائد موقع الرصيف الذي اثار صموده وصمود رجاله انفعال قائد المجموعة.

مقتل البرت

في يوم الاربعاء العاشر من اكتوبر انتهى مصير موقع الرصيف، فقد ارسل الجنرال حاييم بارليف من قبل القيادة العليا للعمل كممثل لها في الجبهة الجنوبية، فسر ألبرت: الآن سينتهي الانتظار اللعين، والآن سنبدأ القتال.. وكانت هذه المرة الاولى التي سمح لنفسه فيها بأن يلمح لمأموريه على انتقاده لتكتيك عملية الدفاع

الذي فرض عليه، واعتقد البرت انه على الرغم من فشل الهجوم في الثامن من اكتوبر فانه كان يجب العودة للهجوم وعدم ترك المصريين يعززون مواقعهم على الضفة الشرقية للقناة، وزعم اكثر من مرة، اننا نجمع قوة ولكن حتى العدو يفعل ذلك، وعندما نهاجم في النهاية، سيكون من الصعب جدا اقتلاع المصريين من الضفة الشرقية..

في صباح الثالث عشر من اكتوبر تقرر السماح لجنود موقع «الرصيف» برفع العلم الابيض وبالاستسلام، وفي الساعة ٨,٠٠ خرج البرت من قيادته لئلا يكون حاضرا أثناء استسلام جنود الموقع، وفي واجهة لواء برعام بدأ هجوم مصري وهذه هي الحجة التي وجدها لغيابه من القيادة، فقد قرر ان يتابع عن كثب ما يدور هناك، وبعد ان قطع مسافة من الطريق تلقى تقريرا بأن «بيرو» جرح وكانت هذه المرة الثانية التي يجرح فيها في هذه الحرب، ولكنه رفض ان يخلوه (وقد اصيب بجروح بالغة ايضا في حرب الايام الستة في مرحلة اقتحام هضبة الجولان، فانحرف البرت عن طريقه لزيارة صديقه القديم، وقد وجد ان بيرو قد جرح في ساعده وانه اسعف وقرر البقاء في مكانه، فودعه البرت وخرج، وبعد مرور حوالي عشر دقائق وصل سائق البرت وهو يركض على قدميه ومصاب بالهلع والصدمة فقال: ان الناقلة اصيبت، واصيب القائد بجروح خطيرة، وفي الواقع قتل البرت فورا عندما كان يقف داخل الناقلة مخرجا رأسه ليراقب ميدان القتال بمنظاره.

وقد انتشر خبر مقتل البرت بسرعة رغم المحاولة التي جرت في البداية للابقاء عليه سرا، فاستدعى نائبه العميد الثاني باروخ هرئيل هاتفيا لتسلم القيادة بدلا منه مؤقتا، الى ان يصل كلمان ماغين من الواجهة الشمالية ويصبح قائدا للمجموعة التي كان ينـوي تسلم قيادتها في السابع من اكتوبر لإراحة البرت وتمكينه من الاستعداد لتسلم قيادة اسلحة الدروع من العميد ادان.

لقد سقط البرت، ولكن عزيمة مجموعته لم تهن، فقد تكررت ظاهرة لاحظها معلقون عسكريون في حرب (الاستقلال)، فالعميد دان ماركوس المتطوع اليهودي الامريكي الذي كان آنذاك قائدا لجبهة القدس قتل في احدى الليالي، فساد الاسى ولكن زخم الحرب لم يتوقف لحظة واحدة، فهذه هي عظمة الجيش الذي يعز قادته ويخلص لهم حتى بعد موتهم.

مع قرب الثامن عشر من اكتوبر، عندما نجحت عملية عبور مجموعة شارون في واجهة الدفرسوار تقرر ان تقوم مجموعة البرت بقيادة العميد الجديد كلمان ماغين بعبور القناة ايضا نحو الغرب وتهاجم باتجاه الغرب والجنوب نحو السويس فابقت المجموعة قوات للدفاع في منطقة الجيش المصري الثالث، وتسلم قيادة قوات الدفاع العقيد يسرائيل غرانيت، وكان احد القادة الذين عبروا القناة نائب قائد المجموعة العميد الثاني باروخ هرئيل وقد دمرت قوات المجموعة التي عبرت القناة قواعد صواريخ مصرية وطهرت المنطقة الواقعة غربي مجموعة «برن»، فحتى هذه المجموعة عبرت القناة واكملت السيطرة على منطقة «عتاقه» وعدوية حيث رابطت قواتها مع وقف اطلاق النار في نهاية حرب (يوم الغفران) يوم ٢٤ اكتوبر.

وكيف شوهدت الحرب من موقع قيادة مجموعة العميد ابراهام ادان؟

لكي نعرف ذلك فلا بد من العودة الى السادس من اكتوبر.

مجـموعة "بـرن"

في يوم الغفران، السادس من اكتوبر ١٩٧٣، وفي الساعة السادسة صباحا، اتصلوا هاتفيا من القيادة العامة بمنزل العميد ابراهام ادان، قائد قوات الدروع واستـدعوه لاجتماع عاجل، وقد عقد الاجتماع في الساعة السابعة وهنا حدثت المفاجأة، فقد قال رئيس شعبة الاستخبارات انه تلقى في هذا الصباح معلومات اكيدة تفيد ان الحرب ستندلع في مساء نفس اليوم، وقال الجنرال دافيد العازار للعمداء، بأن الآراء بينه وبين وزير الدفاع بالنسبة للرد المترتب على هذه المعلومات متعارضة، وتبنى الاركان طلب تجنيد جميع قوات الاحتياط وانزال ضربة وقائية بواسطة سلاح الجو، واما وزير الدفاع فعارض الضربة الجوية وأيد تجنيد قوات الاحتياط بشكل محدود فقط، وقال (دادو): اننا سنذهب للاجتماع برئيسة الحكومة غولدا مئـير وفي هذه الاثناء امر العمداء بالاسراع الى قياداتهم وانتظار صدور الاوامر بصدد تجنيد قوات الاحتياط، فور ذلك توجه العميد ادان الى الجنوب، وفي هذه الاثناء استدعى ضباط القيادة وقادة المجموعات التابعة له لعقد اجتماع في قيادة سلاح الدروع، وفي هذا الاجتماع وضعوا خطة تنفذ في حالة وقوع حرب على النحو التالي:

العميـد ادان يعمـل قائدا لمجموعة محاربة، واما العميد الثاني مردخاي تسيبوري سيصبح ضابطا رئيسا لسلاح الدروع ويساعد رئاسة الاركان بالنسبة لمواضيـع الدروع، وهكـذا تأهب «بـرن» الذي كان ينوي الخروج من الخدمة العسكرية في نهاية شهر اكتوبر، بعد ثلاثين سنة من الخدمة العسكرية، معظمها في قوات الدروع، لخوض رابع حرب بالنسبة له.

الحـركة عـلى الجـنازير

في هذه المرة سيقود «برن» مجموعة محاربة، وجميع قوات الدروع الاحتياطية في الجيش الاسرائيلي، وكان اكثر شيء أثار قلقه وهو في طريقه الى الجنوب في ذلك الصبـاح، كان الوقت الضروري لتجنيـد قوات الاحتيـاط، وتنـظيمها، وتزويدها بالمعدات، ونقلها الى خطوط الجبهة، لقد كان يعلم، انه اذا اندلعت حقا حرب في نفس المساء، فانه لن يتوفر امام الجيش الاسرائيلي هذا الوقت، وعليه قرر «برن» ان يقول لضباط قيادته ومأموريه ان اهم شيء هو التوجه بأسرع وقت ممكن الى الجبهة، حتى لو انطوى الامر على ارتجالات وتنظيمات غير كاملة.

لقد آمن العميد «ادان» بقدرة الدروع على القيام بالمهام التي ستلقى على عاتقها، فخلال السنوات الخمس التي قاد فيها قوات الدروع (وهي اطول فترة يمضيها قائد للدروع) تعاظمت هذه القوات وازداد حجمها بنسبة الضعفين ونصف الضعف، وعليه فقد بدت الامور (على الورق) مشجعة، اما الآن فقد حان وقت الاختبار.

وصل «برن» الى قيادته في الساعة التاسعة صباحا، فاطلع ضباط قيادته على مجريات الامور وبعد ذلك التقى مع قادة ألوية الاحتياط في مجموعته، وهم: العقيد نتان (نتكن) نير، الذي اصيب بجروح خطيرة في قدميه في حرب الايام الستة، وشفي بعد العشرات من العمليات الجراحية وعاد لقيادة لواء دبابات، والعقيد اريبه كيرن، والعقيد اهارون بيلد (فدله) والعقيد رامي، وكان «برن» يعرف جميع هؤلاء الضباط شخصيا لأنه اشرف على تدريبهم واعدادهم، وكانت بينهم لغة مشتركة، لا يوجد شيء اهم منها في حالة الحرب، كذلك اطلع «برن» قادة ألوية احتياط آخرين، اعدت للعمل في مجموعات اخرى، وبعد ان توجه كل واحد منهم لطريقه، خرج هو للقيام

بجولة على الالوية القريبة من قيادته، والوقوف عن كثب على عملية التزود بالاسلحة.

كان «برن» راضيا عن حجم العمل، وقرر ان يتلقى التوجيهات من رئاسة الاركان قبل ان يتجه الى المنطقة الجنوبية.

عندما وصل العميد ادان الى غرفة عمليات رئاسة الاركان، علم بأن الحرب قد اندلعت قبل ذلك بعشرين دقيقة، وقيل لِ «برن»: ان عميد القيادة الجنوبية يريد ان تتصل به فورا.. وطلب العميد شموئيل غونين ان يعجل العميد ادان استقدام مجموعته الى الواجهة الشمالية من شبه جزيرة سيناء، ويستعد هناك للهجوم على العدو، حسب خطة معدة سلفا لاحتلال بورسعيد، واما «برن» فكان يعتقد انه من السابق لأوانه الحديث عن شن هجوم بموجب الخطة، التي اعدت للتنفيذ في ظروف مختلفة تماما ـ في وقت لم يفاجأ الجيش الاسرائيلي فيه ولم يكن في حالة دفاع وانما يكون هو المفاجىء والمهاجم ولكنه وعد بأنه سيعمل كل شيء من اجل التعجيل في ارسال مجموعته الى الخط.

بعد ان اطلع على مجريات الامور، ناقش العميد ادان مع رئيس الاركان لمدة بضع دقائق موضوع تعيين ضباط كبار في مناصب قيادية في سلاح الدروع، وقرار العميد ابراهام (البرت) مندلر، قائد مجموعة سيناء الذي كان مقررا ان يحل محل ادان كقائد لسلاح الدروع في الثلاثين من اكتوبر، ان يبقى قائدا لمجموعته حتى ان تزول العاصفة، وعليه بقي العميد الثاني كلمان ماغين الذي انهى اجازة دراسية وكان يتأهب للحلول محل البرت كقائد لمجموعة سيناء، دون منصب، واتفق ان يتـوجـه ماغين الى مجموعة سيناء ويعمل تحت امرة ألبرت، واما العميد الثاني مردخاي تسيبوري فقد عين ضابطا رئيسا لسلاح الدروع في رئاسة الاركان ليعالج قضايا الدروع في جميع الجبهات، واما العميد الثاني دوف (دوبيك) تماري فتقرر ان يتوجه للجبهة للعمل كنائب لقائد مجموعة، وكان كلاهما معني بذلك، فقد كان دوبك ضابط مظليين متفوقا، واجتاز دورة دروع، وقاد لواء نظاميا، وتفوق ايضا في طريقه الجديدة وارتقى سلم الوظائف الى ان عين نائبا للعميد ادان.

من رئاسة الاركان توجه ادان الى الجنوب، وقرر ان يعقد اجتماعا لمجموعة الامر في الساعة ١٣,٠٠ في رفح، على محور الحركة للمجموعة وهي في طريقها الى خط الجبهة، وفي الساعة ١٧,٣٠ وصل «برن» الى مقر القيادة الجنوبية في بئر

السبع حيث التقى مع عميد القيادة ومع عدد من ضباط القيادة، وهناك قيل له، ان العدو المصري يقوم بعبور القناة على طولها، وان الوضع خطير بشكل خاص في الواجهة الشمالية وان وحدات الدروع التابعة لمجموعة سيناء تتحرك الآن غربا، نحو القناة.

وقال غونين لِ «برن» عليك ان تستعد للقيام بهجوم نحو بور سعيد، وربما لعبور القناة في منطقة الاسماعيلية، واشار العميد ادان الى حقيقة ان معظم قوات مجموعته محشودة في معسكرات في السهل الساحلي وان القليل فقط منها موجود في النقب، وبالمقابل، فان معظم قوات مجموعة العميد ارئيل شارون (اريك) محشودة في النقب وان القليل منها فقط موجود في السهل الساحلي، وعليه طلب العميد ادان لاعطاء الاولوية لتخصيص ناقلات الدبابات لقوات مجموعته في السهل الساحلي، واما القوات الموجودة في النقب ـ التابعة لمجموعتي «برن» وشارون، فطلب ان تسير على جنازيرها، فوافق العميد غونين على هذا الطلب.

تشـويشات حركـة

كان رجـال الاحتيـاط، الذين تأهبـوا للوصول الى خط الجبهة منظمين في مجموعتين، مجموعة العميد ادان ومجموعة العميد شارون، وفي وقت معين كانوا منظمين في مجموعة العميد موشه (موسى) بيلد، وكانت مجموعة شارون تضم لواءي دبابات، بقيادة العقيد حاييم ايرز والعقيد طوبيا، وقد ناور هذان اللواءان في اطار المجموعة في آب ١٩٧٣، قبل اندلاع الحرب بشهر ونصف الشهر فقط، وكان نائب ارئيل شارون في قيادة المجموعة العميد الثاني يعقوب (جاكي) ايبن، وهو رجل دروع قديم، واحـد الذين استوعبوا دبابات (باتون) في الجيش الاسرائيلي، وذا تجارب في التدريب، والقيادة، وفي اشغال مناصب اركانية.

في الساعة ٢٢,٠٠ وصلت ناقلات الدبابات الاولى الى لواء «نتكه» التابع لمجموعة «ادان»، وبعد مرور حوالي نصف ساعة توجهت القافلة الاولى الى الجواب وقد كان ذلك مكسبا حقيقيا، اذ ان قوة دروع احتياطية تحركت الى خط الجبهة بعد اصدار امر التجنيد بـ١٢ ساعة فقط.

وفي الساعة ٢٣,٠٠ وصل «برن» الى مثلث رفح، وبالقرب من هناك كان يرابط

اللواء الآلي بقيادة رامي، وطلب منه «برن» ان يحرك كتيبة دباباته الى الجنوب على جنازيرها، وابقيت سرية من هذه الكتيبة في العريش لمقاومة هجوم معاد محتمل من جهة البحر وطلب قائد المجموعة ابقاء كتيبة الدبابات المصغرة بقيادة رامي عند مثلث رفح، قبل ان تصل ناقلات نتكه، لأن حركة الناقلات كان من شأنها ان تشوش حركة الكتيبة.

في هذه الاثناء تلقى برن، تقريرا من لواء ارييه يقول انه جوبه بمصاعب في اعداده، فجانب من اللواء كان في الخدمة النظامية وارسل الى هضبة الجولان قبل يوم الغفران، في اطار تعزيز القوات النظامية هناك، وطواقم اخرى من هذا اللواء كانت تقوم بأعمال عسكرية في مناطق واسعة تمتد من شرم الشيخ جنوبا وحتى جبل الشيخ شمالا. وعمل قائد اللواء جاهدا على تجميع الطواقم والدبابات التي وضعتها قيادة سلاح الدروع تحت تصرفه. وبما ان عمليات التحضير طالت قرر ارييه ابقاء نائبه كرميلي لمعالجة عملية تنظيم اكمال قوات اللواء وتأهب هو نفسه للتوجه الى الجنوب في منتصف الليل ومعه حوالي نصف دبابات اللواء، وفي الساعة ٢,٠٠ توجه العميد ادان نفسه الى الغرب، وهو في طريقه لاحظ تشويشات حركة، فقد انزلت دبابات عن ناقلات تعطلت واخرى تعطلت جنازيرها في الرمال، وتطلبت عملية الاصلاح ساعات طويلة، ولكن القوات استمرت في التحرك بشكل متزايد، وعندما طلع الفجر، في حوالي الساعة ٥,٣٠، وصل «برن» الى القوة الطلائعية التابعة للمجموعة التي كانت على بعد حوالي ٢٠كم من القناة. وقد قطعت القوة الرائدة مسافة٢٥٠كم في أقل من ٢٤ساعةمنذصدور امر التجنيد وفي اقل من ١٧ ساعة منذ اندلعت الحرب، ووصلت مجموعة القيادة الامامية لمجموعة «برن» الى بالوظة، حيث توجد غرفة عمليات القيادة الغربية، في ساعة مبكرة من صباح يوم السابع من اكتوبر.

كانت الضوضاء في غرفة عمليات القيادة الجنوبية كبيرة جدا، ولم يلاحظ احد قدوم وصول قائد المجموعة، وكان الضابط الكبير الاول الذي استقبله هو العميد الثاني حكمان ماغين، فقد خصص له البرت الواجهة الشمالية .التابعة لمجموعة سيناء، وهذه الواجهة بعيدة ومثيرة للمشاكل، وحيث انها تقع بالقرب من البحر ومن مناطق «الصبخات»، وكان كلمان ضابط مشاة سابقا واجتاز دورة دروع وارتقى

سلم الوظائف بفضل مبادرته وقدرته على التنظيم واستعداده للتعاون وحل المشاكل بصورة تلقائية، وعندما التقى كلمان ببرن في صباح السابع من اكتوبر صافحه بوجه عابس وقال له ان غونين يريد التحدث معه فورا.

عندما ذهب اليه قال قائد القيادة: حسنا انك جئت يا برن، فتسلم القيادة على الواجهة الشمالية فألبرت يواجه صعوبة في السيطرة على المنطقة لوحده. والمصريون عبروا بقوات هائلة وألحقوا بناء خسائر كثيرة، فاجمع قواتك في بالوظة كقوة احتياطية لمنع اختراق واجهتك نحو الشرق..

لم يكن العميد ادان بحاجة للاطلاع على خارطة شبه جزيرة سيناء للوقوف على الوضع، فقد كان يعرفها شفهيا، وكانت قناة السويس عائقا مائيا عمقه ١٢ مترا وعرضه حوالي ١٥٠ مترا، وعلى الضفة الغربية انتشر المصريون في مواقع وقوات متراصة وفي الضفة الشرقية كان للجيش الاسرائيلي ١٧ موقعا (معاقل) توجد بين كل موقع وآخر مسافة تتراوح بين ١٠ ـ ٣٠كم، وقد اقام الجانبان قبالة ضفتي القناة كثبانا رملية بارتفاع يتراوح بين ٢ ـ ١٠ امتار وذلك للاختفاء عن المراقبة وعن الرماية المباشرة وكمواقع رماية نحو الماء والضفة المقابلة.

وفي الجانب الشرقي للقناة امتد شريط ارضي ساحلي قابل للعبور يتراوح عرضه بين ٢ ـ ١٠كم ولكن في منطقة هذا الشريط توجد ملاحات غير قابلة للعبور، وفي خلف الشريط الساحلي ارتفعت منطقة رملية حتى خط التلال الاول على بعد ١٠ ـ ١٢كم من القناة، وكانت توجد لخط التلال هذا اهمية طوبوغرافية كبيرة، لأنه يسيطر على معظم المنطقة الساحلية حتى القناة، وعلى خط التلال هذا شق الجيش الاسرائيلي طريق عرض من الشمال الى الجنوب، وقصد بها نشر بطاريات المدفعية ولهذا سميت هذه الطريق، طريق المدفعية، ومن طريق المدفعية تفرعت طرق طول قصيرة نحو مواقع القناة، والى الشرق من خط التلال الاول امتد حاجز رملي غير قابل للعبور، ومن خلف هذا الحاجز يوجد خط تلال ثان على بعد حوالي ٣٠كم من القناة، وعلى هذا الخط شق الجيش الاسرائيلي وعبّد طريق (العرض) التي قصد بها تحريك القوات على عرض الجبهة من واجهة لأخرى.

الواجهة الشمالية، التي سلمت الى مجموعة «برن» في صباح السابع من تشرين اول، امتدت من شاطىء البحر الابيض المتوسط في الشمال، ومرت بـ٤٥كم على طول قناة السويس، وانتهت بجزيرة البلح في الجنوب، وكانت هذه المنطقة غير قابلة للعبور، في الطرف الشمالي من هذه المنطقة احتفظ المصريون بشريط ارضي طوله ١٠كم في منطقة بور فؤاد. وعلى شاطىء البحر الابيض كان يوجد موقعان للجيش الاسرائيلي هما: «بودابست» ويقع على بعد ١٠كم الى الشرق من بور فؤاد و«طركلين» ويقـع على بعـد ٢٥كم شرقي موقع بودابست، ومن هذين الموقعين شق الجيش الاسرائيلي وعبّد على (الساحل الضيق) طريقا انحرفت من طركلين نحو الجنوب واتصلت بالقرب من موقع «رماني» بطريق آخر، لقد اثقلت الصبخات الكثيرة حركة الدبابات في جميع هذه المنطقة، وقد امتد القسم الشمالي من الخط من نقطة تبعد ٥كم الى الشمال من القنطرة وحتى موقع «اوركال» الواقع على بعد ١٠كم جنوب بور فؤاد، وفي هذا القسم كانت توجد بحيرة التينة، واما المنطقة الواقعة بين البحيرة وبين قناة السويس فكان عرضها يتراوح بين ١٠٠ ـ ٨٠٠م، وفي هذا الشريط تم شق طريق يمكن اغلاقها بسهولة دون ان تكون هناك امكانية للالتفاف عليها او القيام بعملية تطويق ـ وهذا يعني انه كان من السهل نسبيا قطع الطريق الى المواقع الشمالية، ومن اجل حل هذه المشكلة، تم شق «طريق الصبخات» بناء على حل اقترحه البروفيسور دان زسلبسكي من التخنيون في حيفا، ورغم هذا كله، فقد كان واضحا ان الوضع في الواجهة الشمالية للقناة صعب من وجهة نظر الجيش الاسرائيلي.

الى ان وصل العميد ادان الى سيناء، كانت القوات الامامية في هذه الواجهة ـ كغيرها من الواجهات الاخرى ـ قد منيت بخسائر بشرية كثيرة، فالمقدم يوم طوف، الذي قاد كتيبة دبابات في الواجهة الشمالية، وبدأ الحرب في منطقة القنطرة وموقع «مفـريكت» (قبـالة جزيرة البلح) مستخدما عشرين دبابة، بقي مع ثلاث دبابات صالحة فقط، وهذه الدبابات عملت على جر الدبابات الغائصة في الرمل والوحل. صحيح ان قوات الخط الامامي ألحقت بالعدو خسائر لا بأس بها، وهنا وهناك

عطلت عملية عبور المصريين، ولكن في معارك الصد خفضت جدا القوات الاسرائيلية الامامية.

والاسوأ من ذلك، فإن الدبابات الاسرائيلية لم تنجح في الوصول الى معظم المواقع المقامة على طول القناة، وكانت هذه المواقع معرضة لقصف مدفعي شديد ولهجمات من قوات المشاة المصرية، واصبحت معزولة، وهذا العزل اثقل على كاهل القيادة الكبيرة، فقد جرت محاولات كثيرة للاتصال مع المواقع، ولكن كل محاولة كهذه كلفت فقدان دبابات اخرى.

ففي السادس من اكتوبر، قبل ساعة من غروب الشمس، تسلم كلمان، القيادة على الواجهة الشمالية، وعلم بأن كتيبة المقدم يوم طوف لم تعد موجودة في الواقع، وفي نفس الوقت علم ان قوتين بدأتا تقتربان للدخول تحت قيادته: لواء جابي (الذي كان مكونا في الواقع من كتيبة من اربع سرايا) وقوة (لبيدوت) "وهي كتيبة مكونة من سريتين فقط"، اما الكتائب الاخرى من لواء جابي فقد ألحقت بواجهات اخرى، خلال حركة اللواء الى بالوظة، وقد توجه جابي في طريقه ومعه ٤٤ دبابة ولكنه وصل الى الواجهة الشمالية ومعه ٣٦ فقط، فالدبابات الاخرى تعطلت في الرمال.

واما كتيبة المقدم عمير يافه فقد حاربت حول موقع «مفريكت» وكتيبة المقدم شبيرا التي انضمت اليها مجموعة قيادة جابي، فقد تقدمت نحو القنطرة، ولكنها اضطرت للتراجع بعد ان تعرضت لخسائر جسيمة. كذلك فان قوة لبيدوت ومثلها مثل لواء جابي قد قطعت مسافة ١٠٠كم في طريقها الى بالوظة وقد وصلت في الساعة ٢١,٣٠ ومعها ٢١ من ٢٤ دبابة كانت بحوزتها، وفورا ارسلت وحدات فرعية من هذه القوة الى نقاط مختلفة في الطرف الشمالي للواجهة.

ان توزيع القوات، الذي فرضه الواقع، تسبب في غمر القيادة الجنوبية بتقارير متقطعة، ونتيجة لذلك لم يكن بالامكان رسم صورة واضحة للوضع، وقد كشف قائد القيادة، الذي توجه بطائرة عمودية الى قيادته الامامية في سيناء في الساعة ٢,٠٠ من صباح السابع من اكتوبر، اكتشف في الساعة ٣,٥٦ انه بقيت في جميع جبهة القناة ١١٠ دبابات فقط صالحة للعمل، وفورا اعطى امرا للمحافظة على مسافة بعيدة عن القوات المصرية وللامتناع عن تعريض دبابات اخرى للخطر،

وعنـدمـا وصـل العميـد ادان الى سيناء، امره غونين بتسلم مسؤولية الواجهة الشمالية، والامتناع عن دفع الدبابات الى الامام، وقال غونين لبرن، ضع خطة لصد اقتحام مصري محتمل باتجاه الشرق..

قرر «برن» الاجتماع بأسرع وقت ممكن مع جابي وهو ضابط متزن وحساس، قدر العميد ادان قدرته على التحليل وقدرته على التنظيم، وعندما كان في طريقه الى جابي ابلغه «نتكه» ان لواءه وصل الى روماني وفي حين نزلت كتيبة المقدم اساف ياغوري عن الناقلات وبدأت تتجه نحو الغرب، تعرضت كتيبة نتان لكمين من قوات الكـوماندو المصرية ومنيت بخسائر، وامر «نتكه» ياغوري بأن يحول كتيبته فورا لتصفية قوات الكوماندو المصرية.

وعندما وصل «برن» الى جابي، ابلغه قائد اللواء، ان الصورة ما زالت غامضة ولكن هناك شيئان واضحان: فقدان دبابات كثيرة نتيجة للغوص بالمستنقعات وقوات الجيش الاسرائيلي توزعت اكثر من اللازم، واصطدمت بقوات مشاة مصرية مسلحة بصواريخ مضادة للدبابات ولا تستطيع مجابهة هذه القوات المعادية في جنح الظلام، وتكون انطباع بأنه لحقت بالعدو خسائر قليلة فقط، وقد تعرض لواء جابي لضربة موجعة جدا الى حد انه لم يبق له في تلك الساعة الا تسع دبابات فقط، وفكر العميد «برن» بأن يخرج اللواء من الخط الى ان يعيد تنظيمه، ولكنه تراجع لأنه علم ان خطوة كهذه من شأنها ان تحطم معنويات اللواء، وعليه قرر فقط تضييق واجهة اللواء. كان هذا هو الحـل الذي أعطي في الايام الصعبة التالية عندما ضعفت الكتائب واصبحت سرايا والالوية اصبحت كتائب.

وفي ساعة مبكرة من صباح السابع من اكتوبر، ابلغ العميد غونين، العميد ادان باللاسلكي انه بدأ هجوم دروع مصرية من الجنوب نحو الجبهة الشمالية ـ ابتداء من جسر فردان شرقا، وقال انه من المحتمل انه ستجري محاولة ايضا للتقدم في الواجهة الشمالية، ولهذا يتوجب على مجموعة ادان الاسراع بنشر قواتها.

في ساعـات ظهـر السابع من اكتوبر اتضح للقيادة الجنوبية، انه فشلت محاولات الاتصال مع المواقع، كما ان الجهود التي بذلت لاحباط العبور المصري فشلت وبالمقابل بدأ يبدو نجاح تدفق القوات الاحتياطية الى الجبهة وفي انتظام القوات التي وصلت الى الخط الامامي وكان اكبر مثل على ذلك هو لواء جا بي، ففي

ظهر يوم السابع من اكتوبر ابلغ قائد اللواء قائد المجموعة «برن» انه اصبحت لديه كتيبتـان وكل واحدة منهما تمتلك ٢٥ دبابة! وفي الوقت الذي كان فيه الجيش الاسرائيلي يستجمع قواه، بدأ تردد في الجانب المصري، فالمصريون لم يستمروا في التقدم نحو الشرق.

أمـر القيـادة

كان موشه ديان أول من وصل الى القيادة الجنوبية حيث استمع الى تقرير مفصل من العميد غونين، وفي الساعة ١٨,٤٥ وصل «ددو» ايضا للاجتماع بعميد القيادة وقادة المجموعات (باستثناء شارون الذي تجول في المنطقة ووصل متأخرا). وقال العميد غونين لرئيس الاركان، ان المصريين بنوا ١٢ جسرا على القناة، وان خمس فرق مشـاة مصريـة تقوم بعبور القناة ومعها العشرات، وربما المئات من الدبابات، واقترح غونين ان تقوم مجموعة غونين بعبور القناة في واجهة القنطرة ومجمـوعة شارون تعبر القناة في واجهة السويس لتقويض الخطوط المصرية من الخلف، بدلا من مواصلة المحاولات لصد القوات المصرية التي عبرت القناة، وأيد ألبرت فكرة العبور، ولكن فقط بعد ان يستجمع الجيش الاسرائيلي قوته ويستعد في الضفة الشرقية وقال، وعندما يحين الوقت أفضل ان نعبر القناة في الواجهة الجنوبية.

واما «برن» فقال ان الجيش الاسرائيلي غير قادر في هذه اللحظة على عبور القناة، بل وغير قادر على الاقتراب من خط القناة، واضاف انه حتى صباح الثامن من اكتوبر ستكون حوالي ٢٠٠ دبابة في واجهته كما ان دبابات اخرى ستصل خلال ذلك اليوم، لذلك سيتم تعزيز المدفعية الثقيلة، التي يبلغ عددها في واجهة المجموعة سبع سبطانات فقط، كما ان لواء فدله ما زال يسير نحو الجنوب، وحتى ان يتم تركيز وتجميع القوات، ستظل المجموعة تعاني من نقص في قوات المشاة والمشاة المحمولة، ولكي نقترب من خط الماء، قال انه يعتقد بأنه يجب حشد مجموعتين في واجهة ضيقة وتكونان مسنودتين باعداد هائلة من المدافع الثقيلة وباسناد جـوي مكثف، وسيكون من الممكن القيام بذلك ظهر اليوم الثامن من اكتوبر، وحتى ذلك الوقت، قال برن يجب ابقاء المبادرة بأيدي العدو.

رئيس الاركان اجمل النقاش على النحو التالي: في الثامن من تشرين اول يقوم الجيش الاسرائيلي بشن هجوم معاكس محدود ومتدرج من منطقة القنطرة جنوبا، حيث ستقوم مجموعة برن بالهجوم ومجموعة شارون تتولى الصد، واذا وردت في ساعات الليل اخبار تلزم القيام بهجوم من الجنوب نحو الشمال، تتولى مجموعة دان مهمة الصد في الشمال واما مجموعة شارون فتتولى مهمة الهجوم، ويبدأ الهجوم في ساعات الصباح وينهى حتى ساعات الظهر وعندها يهاجم شارون من وسط الواجهة باتجاه الجنوب، حتى الطرف الجنوبي من القناة، واما مجموعة البرت فتتولى امر الصد والاحتياط لشارون.

في الساعة ١,٣٠ استدعى العميد ادان قادة ألويته لعقد مجموعة اوامر، وبعد انفضاض اجتماع مجموعة الامر اسرع قادة الالوية كل الى لوائه، وفي الساعة ٤,٠٠ بدأ نتكه وجابي يتحسسان طريقهما بحذر نحو الغرب، ولم يحضر ارييه كيرن الى اجتماع مجموعة الامر برئاسة قائد المجموعة ادان وقد اثار غيابه قلق القائد، وفيما بعد اتضح ان ارييه تعرض لأزمة سير على محور حركة لوائه وفضل حل مشكلة السير وتمكين لوائه من مواصلة الحركة.

لقد كتب في امر القيادة انه مع بداية الهجوم ستكون في مجموعة ادان حوالي ٢٠٠ دبابة وفي مجموعة شارون حوالي ١٨٠، وفي مجموعة ألبرت حوالي ١٥٠ اي ما مجموعه ٥٣٠ دبابة، وفي الساعة ٥,٣٠ ابلغ ادان العميد غونين ان ٤٤ دبابة من الدبابات التي كان مقررا أن تصل الى مجموعته قد تأخرت في الطريق.

واما كلمان ماغين فقال، ان ٥٠ دبابة من نوع شيرمان من لواء «فدله» لم تصل بعد وفي مجموعة شارون تجمعت ١٧٠ دبابة فقط، ولكن هذا التصحيح لم يغير قرار غونين لشن هجوم في الساعة الثامنة صباحا، وحاول نقل امره بجهاز اللاسلكي الى قادة مجموعاته، ولكن الاتصال كان مشوشا ـ ربما بسبب جهود التشويش التي يبذلها العدو وعليه فقد اجرى غونين الاتصال بواسطة كلمان ماغين الذي كان في البالوظة وكان يمتلك هوائيا عاليا.

وفيما يلي الامر الذي مرره غونين الى ادان بواسطة ماغين: عندمايصل «برن» الى قبالة الاسماعيلية (موقع بوركان) واذا وجد هناك جسرا فعليه ان يمرر أحد ألويته الى الضفة الغربية، واذا لم يجد جسرا مصريا او اذا لم تصل موافقة على

عبور القناة، فعليه مواصلة هجومه الى الجنوب حتى البحيرة المرة وان يعبر من هناك على جسر مصري قرب (موقع متسميد)، وحتى في هذه الحالة يجب تمرير لواء واحد الى الضفة الغربية وهناك ينتشر في حالة دفاع.

في الساعة ٤,١٣، اتصل غونين بكلمان ماغين وابلغه تعديلا بالنسبة لأدان، يجب الغاء عملية العبور عن طريق فردان، ويجب العبور فقط في منطقة البحيرة المرة، وبعد مرور ١٧ دقيقة تكون اتصال مباشر بين غونين وادان، الذي كان مقتنعا بأن الخطة المطلوب تنفيذها هي الخطة التي اتفق عليها مع رئيس الاركان.

بعد دقيقتين من حديثه القصير مع ادان، تحدث غونين مع شارون، فقد اراد ان يقوم شارون بعبور القناة في الجنوب من منطقة «موقع نيسان» ويحتل مدينة السويس وينتشر على بعد ٢٠كم غربي القناة، وقال غونين لشارون: ان «برن» سيتجه الى الجنوب حتى موقع «متسميد» وانت تذهب اكثر الى الغرب، واعطاه الموافقة على الاستعداد للاتصال مع المواقع وهي عملية الاتصال التي طالب شارون اكثر من مرة بتنفيذها.

في هذه الاثناء، وفي الساعة الرابعة صباحا لاحظ ضابط شعبة العمليات في رئاسة الاركان، ان امر القيادة الذي مررته اليهم القيادة الجنوبية لم تتناسب وتوجيهات رئيس الاركان، وجرى نقاش للوضع في الجبهة وفي الساعة ٦,٠٥ اتصل رئيس الاركان مع غونين، وقال «ددو» لعميد القيادة الجنوبية: «لا تقتربوا من خط المياه»، وخرج غونين بانطباع ان رئيس الاركان صادق على الخطة المشمولة بأمر القيادة الجنوبية، ولهذا اتصل في الساعة ٦,١٧ بمجموعة شارون وقال لضابط اركانها العقيد جدعون: على اريك ان لا يهاجم المواقع قبل الظهر، وعليه ان يهاجم في ساعات الظهر في الجنوب وان يدمر قوات العدو، وان يستخدم جسرا مصريا للعبور نحو الغرب وان يمر بمدينة السويس وينتشر على مسافة ٢٠كم غربي القناة، وعليه ان لا ينقل غربا اكثر من لواء أو لواء + كتيبة..

في صباح الثامن من اكتوبر ١٩٧٣، كان للمصريين ٦٠٠ دبابة شرقي قناة السويس وللجيش الاسرائيلي حوالي ٥٠٠ دبابة، وبما ان المصريين لم يتقدموا شرقا خلال يوم السابع من اكتوبر، تمكنت مجموعتا ادان وشارون من نشر قواتهما على طريق المدفعية، وكانت ألوية نتكه وجابي من مجموعة برن، اصغر من حجمها

الحقيقي. وكان نتكه يمتلك ٧١ دبابة تقدمت في الشمال نحو القنطرة، ولجابي الذي تحرك من جنوب نتكه كانت ٥٠ دبابة، واما لواء ارييه فقد عمل كلواء احتياط، وفي حوالي الساعة ٧,٠٠، استوعب هذا اللواء كتيبة ثالثة واصبح لديه ٦٢ دبابة، وقد تسلم كلمان ماغين الواجهة الممتدة من القنطرة شمالا، وكان تحت امرته اللواء الآلي المصغر بقيادة رامي الذي كان يضم كتيبتين من المشاة الآلية فقط، وسرية دبابات من لواء ارييه و«قوة لبيدوت».

معلومات غير دقيقة

اللواءان المهاجمان جوبها بنيران مدفعية وبهجمات جوية قبل ان يبدأ الهجوم، وقد صدر امر الهجوم في الساعة الثامنة، وبعد مرور حوالي ست دقائق ابلغ ادان بأن قواته تتعرض لنيران مدفعية، ولرماية دبابات وصواريخ مصرية قانصة للدبابات، وطلب اسنادا مدفعيا وجويا وبعد مرور حوالي ساعة اجرى ادان حديثا مطولا مع عميد القيادة، فسأل اذا كان عليه ان يدمر في البداية قوات عدو او اذا يجب عليه تفضيل الاتصال مع المواقع على عملية العبور. فأجاب غونين بقوله: انه يتوجب على مجموعة ادان ان تدمر جميع قوات العدو التي عبرت بين القنطرة والبحيرة المرة، وبعد ذلك عليها ان تعبر في منطقة البحيرة المرة، وقال انه من المهم ان تستمر الحركة الى الجنوب، كالتيار ولكنه اضاف، انه عندما تتصل المجموعة مع موقع «حزبون» (الفردان) ستجد هناك جسرا مصريا ومن المهم ان تعبر هناك، واجاب ادان ان قوات مجموعته صغيرة جدا وان عملية العبور ستضعفها اكثر، وهنا اجابه غونين: هذا صحيح «لكن اذا حققنا موطىء قدم على الجانب الآخر فهذا سيشكل وضعا جديدا» وكرر هذا التوجيه في الساعة ٩,٥٥.

في الساعة ١٠,٠٥ اتصل مع ادان العميد الثاني اوري بن آري نائب غونين، والذي كان قائدا لبرن في نهاية حرب (الاستقلال) وفي معركة سيناء، واقترح اوري ارسال لواء نتكه من القنطرة جنوبا، وسأل برن فيما اذا لا توجد اخبار حول توقع اقتحام مصري في الشمال، واعترف اوري بأنه توجد امكانية كهذه. ولهذا يجب ان يترك في الشمال قسم صغير من لواء نتكه ولكن من المهم جدا ان يتم عبور القناة من منطقة «حزبون» وان تضمن نقطة العبور لأن هذه النقطة قد تغلق.

طلب برن ان تنضم كتيبة من مجموعة شارون كاحتياطي للواء جابي وكانت هذه الكتيبة موجودة في ذلك الوقت خلف لواء جابي ولم تكن مشغولة، فأجاب اوري بالرفض، فهذه الكتيبة ستتحرك عما قليل جنوبا.. ففوجىء ادان، ولم يعرف انه قد تقرر تحريك مجموعة شارون جنوبا، وقال انه عندما تحرك نحو الجنوب ترك تحت امرة ماغين كتيبة من لواء نتكه الذي توجه الى الجنوب ومعه كتيبتان مصغرتان فقط. ولكنه لم يحصل على كتيبة التعزيز ولكن غونين وعد الالوية المهاجمة من مجموعة ادان بأنه سيقدم لها اسنادا مكثفا من المدفعية وسلاح الجو.

في الساعة ١٠,٣٧ اتصل ادان بنتكه وابلغه بأن عليه مباشرة الهجوم من الشمال الى الجنوب ـ بحذر، وببطء، ومع اسناد مدفعي وجوي مكثف، وقال له: توجد هناك ثلاثة ممرات، فمرر قواتك عبرها واحتفظ بالجانب الآخر، ولكن قبل ذلك انتظر الامر النهائي مني، وبعد مرور بضع دقائق اتصل عميد القيادة مع «برن» وابلغه، انه شوهد في القنطرة لواء مصري مدرع، فهل تستطيع المحافظة على مؤخرة نتكه؟ فأجاب قائد المجموعة فورا: هذا لا يبدو لي. فقد استخدمت نتكه الآن في مهمة اخرى، ويؤسفنا تشويشها، فنتكه يتجه جنوبا للانضمام الى مهمة جابي، وقد نقلت واجهة القنطرة لكلمان ماغين..

بهذه المناسبة عاد ادان وطلب من غونين كتيبة من مجموعة شارون، ووعد شارون بمعالجة هذا الطلب، ودار جدل مع العميد شارون الى حد ان جابي صرح بجهاز اللاسلكي قائلا: «انتم تتجادلون وعندي يقتلون»، ولعدم وجود خيار ارسل ادان كتيبة من لواء ارييه المصغر الى لواء جابي، وبعد زمن قصير تعرض لواء ارييه الى وضع حرج جدا بسبب اضعاف صفوفه.

في الوقت الذي كان فيه عميد القيادة يضغط على ادان للعبور الى الضفة الغربية عمل على الحصول على موافقة لمبادرته، فطلب موافقة رئيس الاركان على عبور القناة واحتلال مواقع صغيرة في الضفة الغربية، وعلى تغيير المهمة التي اسندت الى مجموعة شارون، فحسب الخطة الاولى التي وضعها غونين، اعدت هذه المجموعة لأن تكون مجموعة احتياط خلال الهجوم الذي ستشنه مجموعة ادان، ولكن فيما بعد غير غونين الخطة، وفي الساعة ٦,١٧، ابلغ ضابط اركان مجموعة شارون انه يريد ان يقوم شارون بالهجوم من الجنوب في ساعات الظهر وان

يستخدم جسرا مصريا لعبور القناة واحتلال مدينة السويس.

في الساعة ٩,٣٨، اتصل ادان بغونين وابلغه بأن الاتصال مع موقع (حزبون) وعملية العبور قد تأجلا لأن مجموعته تخوض قتالا مريرا، ولواء جابي يتعرض لرماية صواريخ ودبابات في الواجهة امام «حزبون» ولكن هذا التقرير لم يدفع غونين لتغيير المهمة الجديدة التي اسندها الى شارون، وفي الساعة ٩,٥٥، اتصل بمساعد رئيس الاركان العميد رحبعام زئيفي (غاندي) وقال له ان مقدمة مجموعة ادان موجودة قرب مواقع حزبون وان المنطقة نظيفة نسبيا من قوات العدو وانه يوجد هناك جسر وتجري استعدادات لعبور القناة، وبعد مرور دقيقتين امر غونين، ادان باحتلال موقع على الضفة الغربية امام موقع «حزبون».

في ذلك الوقت كان رئيس الاركان يشترك في نقاش في الحكومة استمر حتى الساعة ١١,٢٥، ولهذا ادار قائد القيادة الجنوبية اتصالاته مع «غاندي» مساعد رئيس الاركان، وفي الساعة ١٠,١٥ طلب غونين من غاندي اسنادا جويا لأنه بدونه لا يمكن الاقتراب من القناة، كذلك طلب الموافقة على نقل قوات الى الضفة الغربية لاحتلال مواقع في عمق ٢٠٠ ـ ٣٠٠م والتأكد من ان المصريين لن يدمروا الجسور التي اقاموها على القناة، فمرر غاندي ورقة الى رئيس الاركان الذي أجاب بأنه يخشى بأن القوات الصغيرة التي ستعبر القناة ستعزل. واستمد غونين التشجيع من هذا الجواب وطلب الموافقة على عبور القناة في اربعة او خمسة اماكن اخرى، ووعد بالعمل حسب توجيهات رئيس الاركان التي نصت على العبور فقط في اماكن نظيفة وبقوات لن تكون صغيرة جدا، ومن جهة اخرى لن تكون القوة العابرة اكبر من اللازم لئلا تخلق وضعا ملزما، وفي الساعة ١٠,٣٥ ابلغ (غاندي) غونين بأنه توجد موافقة على احتلال مواطىء قدم. لقد اعتمد رئيس الاركان بقراراته على معلومات غير دقيقة تلقاها من الجبهة، ولم يفكر مطلقا بأنهم طلبوا منه موافقات دون ان يحدث تغيير حقيقي في الميدان، وبما انه اعطى الموافقات لغونين بدأ قائد القيادة الجنوبية بتغيير مهمة شارون، بحيث يتم ابعاد مجموعته نحو الجنوب ليهاجم شارون من الجنوب الى الشمال، واذا وجد جسرا قرب موقع (نيسان) امام مدينة السويس يعبر القناة غربا ويحتل السويس.

علامات فشل

قدر الجنرال دافيد العازار بأنه ستمضي ٤ أو ٥ ساعات قبل ان يصل شارون الى الطرف الجنوبي للقناة، وهذا الوقت سيكون قريبا من الغروب ولن يكون هناك وقت لتدمير قوات العدو، ولهذا اقترح «ددو» على غونين ان يرسل شارون قوة صغيرة تعمل من الجنوب، واما الجزء الاكبر من المجموعة فيعمل من الشمال الى الجنوب، ولكن غونين اصر على رأيه بأن تعمل مجموعة شارون كلها من الجنوب الى الشمال، واستجاب رئيس الاركان له بعد ان استمع الى المبررات وهي: ان هذه العملية ستفاجىء المصريين، في حين ان الهجوم من الشمال الى الجنوب سيمكنهم من «الانسحاب» تدريجيا وتدمير جميع جسورهم خلال الانسحاب.

ولكن الخطة الجديدة ولدت مشكلة: اذا قطع شارون التماس مع العدو ولم تحل مجموعة ادان محل مجموعته بصورة منظمة، فان من شأن العدو ان يتقدم في منطقة غير محتلة وان يهدد جناح مجموعة ادان، وكان المصريون متحمسين جدا للتقدم في هذا اليوم من اجل التغطية على التأخير في تعميق رؤوس جسورهم، وكانت هذه الخطة قد تبلورت في القيادة الجنوبية وبدأت القوات الاسرائيلية بتنفيذها.

بين الساعة ١١,٠٠ و١٢,٠٠ تقدم نتكه الى واجهة جابي لحشد قوة للهجوم، والتقى اريبه، الذي تحرك الى الجبهة، بدبابات شارون، التي كانت تسير في الاتجاه المعاكس، وكانت محاور الحركة مكتظة واثقلت على حركة الآليات العادية والمجنزرات، اما الدبابات فتحركت دون تأخير على جوانب الطرق، وفي هذه المرحلة كان على اريبه ان يتقدم الى منطقة موقع «بوركان» لكي يندمج بمحاولة الاتصال مع المواقع واحتلال مواقع على الضفة الغربية للقناة.

خاضت جميع القوات المتقدمة نحو العدو المصري معارك مريرة ومنيت بخسائر دون ان تحقق مكاسب حقيقية، وقد تعرض لواء جابي لأكبر الخسائر، وامر ادان، نتكه بأن يسرع لنجدة جابي وطلب نتكه ان يعرف: هل توجد لنا قوات في الجانب الثاني؟ فأجابه ادان بشكل قاطع: كلا!.. ولكن يتضح انه في غرفة عمليات رئاسة الاركان التي يستمعون فيها الى شبكات الاتصال المختلفة، قد التقطت فقط جانبا من هذا الحديث وتكون فيها انطباع بأنه توجد لنا قوات في الجانب الثاني..

وأوضح ادان لنتكه بأنه يجب الانتظار حتى وصول الاسناد الجوي قبل ان

تجري محاولة لاختراق القناة واجتيازها. وفي الساعة ١٢,٤٥ ابلغ جابي ان دبابات وقوات اخرى تتدفق في القناة نحو «بوركان»، وخشي ادان من هجوم مصري يوجه للواء ارييه. في تلك الساعة ابلغ شارون ان مصريين كثيرين في موقع «ميسوري» وان قوات شارون قد غادرت المكان وان قوات ارييه يجب ان تتسلم المنطقة.

وفي الساعة ١٣,١٥ اتصل نتكه مع جابي بحيث اصبح محور «حبيبه» حد الواجهة بينهما، وطلب ادان مرة اخرى اسنادا جويا ودرس المشكلة التي مثلت امـامه فقال: بشكل عام عندما يشن هجوم حقيقي على مستوى المجموعة، فان الدبـابات تهجم بمرافقة المشاة الآلية، وهذه القوات تقوم بمهاجمة مواقع العدو بتغطية مباشرة من نيران الدبابات والمدفعية الثقيلة المكونة من ١٥ بطارية على الاقل، وبالاضافة الى ذلك يقدم اسناد جوي شديد وخاصة ضد العدو المنظم جيدا للدفاع، وامـا الآن فانه لا يمتلك سوى لواءين مصغرين، يضم كل واحد منهما كتيبتين مقلصتين وفي كل كتيبة ٢٠ دبابة فقط، وهو يفتقر الى اسناد المشاة الآلية كما ان الاسناد المدفعي المزود به لا يزيد عن ثلاث بطاريات غير كاملة. كما انه لم يحصل على الاسناد الجوي، وفي هذه الحالة قرر ادان شن هجوم بطيء تحسن خلاله الدبابات مواقعها ببطء نحو الامام، وتخلق مسافات رماية نحو مواقع العدو وتشق للهجوم النهائي الذي سيتم تنفيذه عندما يصل الاسناد الجوي، ووعدت القيادة بأن هذا الاسناد سيصل خلال ٣٠ دقيقة.

وفي الساعة ١٤,١٥ بدأ ادان يتلقى اشارات الفشل: فقد اتصل نتكه وقال ان دباباته تحترق الواحدة تلو الاخرى، وامره ادان بالتراجع وارييه اتصل وقال ان قواته صغيرة جدا بالنسبة للمنطقة التي خصصت له، وطلب اسنادا جويا، وفي الساعة ١٤,٣٠ ابلغ نتكه انه انقطع الاتصال بينه وبين المقدم اساف ياغوري، وبعد مرور وقت تبين ان كتيبة ياغوري هجمت تحت رماية المدفعية الثقيلة عندما وصلت الى مسافة ١٥٠٠م من القناة، واقتحمت استحكامات لقوات مشاة مصرية، ومن البطاريات الموجودة على ضفتي القناة اطلقوا على الكتيبة النار من العشرات من الدبابات واما جنود المشاة فواجهوا الكتيبة المتقدمة بصواريخ «ساغر» كثيرة. وخلال عدة دقائق اصيبت ١٤ دبابة من الكتيبة، وتمكنت اربع دبابات فقط من التراجع الى الخلف ومنها دبابة نتكه قائد اللواء، ومن دبابات كتيبة ياغوري الخمس

والعشرين بقيت في ذلك اليوم تسع دبابات فقط، ووقع قائد الكتيبة في الاسر المصري، وقتل الكثيرون من رجال الكتيبة وجرح عدد كبير، اما البقية فقد اسروا، وفي ذلك المساء سجل ٥٤ ضابطا وجنديا من لواء نتكه على انهم مفقودون.

عندما كان ادان ينتظر توضيحات من لواء نتكه اتصل ارييه وقال ان تهديدا خطيرا يهدده من جهة موقع «حموتال» وهي تلة مبسوطة ومستطيلة يعبر فيها طريق «تليستان» وكل من يسيطر على موقع حموتال يسيطر على منطقة كبيرة وهامة، واعلن ارييه انه يتقدم من الجنوب آلاف الجنود المصريين بمرافقة دبابات، واعرب عن خشيته من انهم سيقطعون طريق تليستان من الخلف، بينه وبين طاسة.

وطلب الموافقة على انسحابه، وبدأ ادان بالاستجابة له، ولكن في نفس الوقت سقطت رماية شديدة على التلة التي توجد عليها مجموعة قيادته، وعندما تفرق الدخان شاهد ادان ان مجنزرة الاتصال قد تضررت، وان ضابط الاتصال في مجموعة القيادة النقيب يوسف داشا قد قتل، وان عددا من الجنود جرحوا، وبدأ دوبك باخلاء المصابين، واما العميد ادان فأمر مجموعة القيادة بالتقدم نحو «هبرجا» وبعد مرور بضع دقائق اتصل ارييه وقال ان العدو احتل «حموتال»، وهكذا دق المصريون اسفينا بين قوات الجيش الاسرائيلي الامامية وبين مثلث طاسة وتكون تهديد خطير على جناح المجموعة، وقرر ادان اعادة احتلال حموتال، ولهذا الغرض كان لا بد من تعزيز لواء ارييه، وكانت كتيبة عمير يافه المكونة من ١٢ دبابة فقط الكتيبة الوحيدة التي كان من الممكن ارسالها فورا. وقال ادان لأرييه: عندما يصل عمير ابدا فورا هجوما لاحتلال حموتال، وفي هذه اللحظة انقطع الاتصال بين مجموعة القيادة وبين لواء ارييه.

مجموعتان متآكلتان

في الساعة ١٧,٠٠ تعرضت مجموعة ادان لأزمة خطيرة، فجميع القادة ابلغوا قائد المجموعة انهم تعرضوا لهجمات مصرية مخيفة وطلبوا اسنادا جويا عاجلا ووسائل لاخلاء الجرحى والمصابين، فقد تمت مهاجمة المجموعة من اتجاهين، بعد ذلك قال العميد ادان: لقد تورطت في وضع خطير جدا، وفي تلك الساعة الصعبة فكر في نفسه قائلا: ان حالات الاشراف على الانهيار تحدث دائما لدى الجانبين

في آن واحد، فالجانب الذي يجد قوة نفسية لمواصلة الجهد فانه يغير احيانا وجه المعركة، فشجع ادان القادة التابعين له للقيام «بجهد صغير» ففعل المحاربون ذلك، واوقفت الهجوم المصري مجموعات صغيرة من الدبابات، فكلما اقترب المصريون بدأ رجال الدبابات يطلقون النار «مثل العفاريت» فاشتعلت النيران بالدبابات المصرية في كافة قطاعات ميدان القتال.

تأهبت كتيبة مصغرة بقيادة عمير يافه وبها ١٢ دبابة وكتيبة مصغرة بقيادة دان سبير وبها ١٥ دبابة لشن هجوم نحو الجنوب الشرقي ولكن عندما وصلت الى مسافة ١٠٠٠م من قمة «حموتال» اصيبت دبابتان فقتل قائد الكتيبة المقدم دان سبير، وتعرقل هجوم كتيبته، اما كتيبة عمير فواصلت الهجوم لوحدها على موقع حموتال، وكانت المعركة ضارية حيث بقي من الدبابات الاثنتي عشرة التي بدأت الهجوم خمس دبابات فقط، وقام طواقم الدبابات الذين لم يصابوا باخلاء جزء من مصابي الدبابات الاخرى، واما بعض الطواقم فقد قامت باخلاء نفسها مشيا على الاقدام.

فجأة تكون انطباع، بأن دبابات حاييم من مجموعة شارون تطلق النار على دبابات ارييه من مجموعة ادان، وبعد القتال قال قائد اللواء حاييم: لقد جئنا الى هناك لاحتلال «حموتال»، ولم نعرف انه تدور في تلك اللحظة معركة مريرة، وتبين ان تحركاتنا لم تبلغ لأرييه، ولحسن حظ المحاربين حيل دون تبادلهم اطلاق النار وعندما دعا ارييه، عمير ان ينزل من موقع حموتال صعدت اليه قوات من لواء حاييم ولكن في مرحلة متأخرة امر حاييم بالانسحاب من هذه التلة الهامة، وفي الساعة ١١,٠٠ قطعت مجموعة شارون التماس مع العدو وبدأت تتحرك نحو الجنوب، وفي الساعة ١٤,٣٠ فشل الهجوم الثاني نحو جسر الفردان وقرر غونين وقف شارون، وفي الساعة ١٧,١٥ طلب ادان ان يقوم شارون بشن هجوم من الجنوب الى الشمال للتخفيف من الضغط الشديد الذي مارسه المصريون على مجموعته، فقال شارون لغونين: هذا لا يروق لي لأننا بهذه الطريقة سنكشف جانبنا، ورغم هذا فقد دخل لواء حاييم العمل ضد تلة «حموتال» ولكن هذا الهجوم تم بدون تنسيق. وكانت حركة حاييم الى حموتال في اطار حركته الى هدف يطلق عليه اسم رمزي وهو «مخشير» وهو الهدف الذي لم يصل اليه.

وبعد انسدال الظلام بساعة طرأ هدوء في الجبهة فقد احتاج المصريون لاعادة تنظيمهم لا اقل من الجيش الاسرائيلي، وكانت في مجموعة ادان دبابات كثيرة مصابة ومعطلة كان لا بد من جرها وانقاذها، ودعت الحاجة الى يقظة متزايدة في ظل الخطر الذي يهدده من جانب قوات الكوماندو المصرية، وكان لا بد من تمشيط المنطقة للكشف عن جرحى ينتظرون الاخلاء. وكانت ايدي الاطباء ورجال الاسعاف مليئة بالعمل، واستدعيت طائرات عمودية لاخلاء الجرحى، وتم اخلاء كثيرين بالسيارات، وكان لا بد من اعادة تنظيم الطاقة البشرية، وتعيين قادة واكمال طواقم اصيب بعض افرادها.

في الثامن من اكتوبر وفي ساعات المساء كانت في القيادة الجنوبية مجموعة واحدة كاملة وهي مجموعة شارون، واما مجموعتا «البرت» و«برن» فقد اصبحتا متآكلتين. وفي ذلك اليوم تحملت مجموعة ادان عبء الحرب الرئيسة وتعرضت لضربات قاصمة، وكانت هذه المعركة بالنسبة لجانب من الضباط والجنود المعركة الاولى التي يدخلونها، وحارب الجنود النظاميون الذين كانوا معهم بشكل مستمر منذ مساء يوم السادس من الشهر ولكن روحهم لم تتحطم.

في الساعة ٢١,٠٠ ابلغ رئيس الاركان الحكومة باحداث ذلك اليوم، وفي حوالي منتصف الليل توجه مع وزير الدفاع الى غرفة عمليات غونين لاجراء نقاش مع قائد القيادة وقادة المجموعات، وفي نهاية الاجتماع اتفق على مواصلة الهجوم المضاد في الشمال واما في الجنوب فيجب الانتقال الى حالة الدفاع، واتفق على الامتناع عن اضعاف القوات ومنع العدو من تحقيق مكاسب وتجميع القوة تمهيدا للهجوم، وتقرر نقل الجنرال الاحتياط حاييم بارليف الى الجبهة الجنوبية كقائد اعلى لها.

بقي الجيش الاسرائيلي يوم التاسع من اكتوبر في الجبهة الجنوبية في حالة دفاع مليئة بالقتال، ومن بين الاجراءات الكثيرة التي اتخذت في ذلك اليوم: ارسال دوريات في اتجاهات مختلفة، فوحدة الاستطلاع بقيادة يوآب من مجموعة شارون، والتي تحركت من جنوب محور «عخبيش» لم تصطدم بعدو ووصلت دون اي تأخر الى محور «لكسيكون» والبحيرة المرة، وقبل حلول الظلام، اتصل يوآب وقال ان المنطقة خالية من العدو، فاتصل شارون فورا الى غونين واقترح ابقاء وحدة الاستطلاع في مكانها والبدء بالتحضير لعملية العبور التي ستنفذ غداة غد. ونقل

غونين الاقتراح الى رئيس الاركان الذي رفضه وبقلب ثقيل امر شارون باعادة وحدة الاستطلاع الى الخلف.

تحطـيم الجـمود

في غداة اليوم التالي استمرت عملية الصد وبدأ وضع الجيش الاسرائيلي يتحسن، وفي هذه الاثناء جرت تغييرات قيادية في القيادة الجنوبية. وفي الساعة ٩,٠٠ وصـل الجنرال حاييم بارليف الى غرفة عمليات القيادة ليتسلم مسؤولية الجبهة الجنوبية. وفي الساعة ٢٠,٠٠ عقد اجتماع مع قادة المجموعات، فأوضح بارليف، ان الهجوم المعاكس الاسرائيلي لن يتجدد قبل ان تصل الى القيادة الجنوبية قوات اخـرى، وهكـذا قضت القوات الاسرائيلية في الجنوب يومي الحادي عشر والثـاني عشر في عمليـات الصـد والدفاع واستجماع القوة، وتحسنت المعنويات تدريجيا ولكن في تلك الساعة نزلت ضربة مذهلة: فقد قتل قائد المجموعة ابزاهام مندلر (البرت)، وقد اثار هذا الخبر ذهول زملاء البرت في الجبهة الجنوبية ولكن بعد صمت قصير كان لا بد من تعيين خلف له، فتقرر ان يرسل كلمان ماغين جواً من البـالوظة ليتسلم قيـادة المجموعة، واما مكان ماغين فسيشغله رئيس اركان القيادة العميد الثاني ساسون اسحافي وهو ضابط دروع قديم.

بعد ذلك دار حديث حول مسألة: متى سينفذ الهجوم المعاكس الاسرائيلي ومتى ستجري محاولة اجتياز القناة، فنص الاجمال على ان عملية العبور ستبدأ مسـاء الخـامس عشر من اكتوبر سواء جدد المصريون في هذه الاثناء محاولات تقدمهم او ظلوا في مواقعهم الحالية، في اليوم التالي بدأت قوات الدروع المصرية تقدمها، فتحطم الجمود ودفع المصريون ثمنا غاليا، فقد دمرت المئات من الدروع المصرية وذلك في معارك دروع دارت في مناطق شاسعة، ومكن تحطيم الهجوم المدرع المصري من تعـزيـز التقـدير القائل بأن الظروف اصبحت مواتية لشن الهجوم المعاكس ولعملية العبور. لم يكن العبور هدفا بحد ذاته، وانما وسيلة لخدمة اهداف الهجوم المعاكس، الذي قصد به قهر الجيش المصري، وفي الرابع عشر من اكتوبر كان معظم الجيش المصري في الضفة الشرقية لقناة السويس، واما الضفة الغربية فقد كانت فيها قوات ضعيفة، وفي الضفة الشرقية كانت توجد خمس فرق مشاة وسبع ألوية دروع مع ما يتراوح بين٦٥٠ ـ ٧٧٠ دبابة واما في الضفة الغربية فأبقيت فرقتان مقلصتان احداهما مدرعة والاخرى آلية ولواءان من الدبابات وقوات المظليين.

في الضفـة الشرقية كانت القوات المصرية منتشرة ضمن رأس جسر ضيق ومتـراص وكانت قناة السويس تحمي ظهر هذه القوات، وأما في الضفة الغربية فكانت القوات المصرية منتشرة في مساحة شاسعة لتبدأ من مداخل القاهرة وحتى القنـاة، وعمليـة الانتشار هذه مكنت الجيش الاسرائيلي من العبور الى الجانب الغربي، وتطويق جانب من الجيش المصري وتهديد مصر نفسها، وفي ذلك الوقت كانت بحوزة الجيش الاسرائيلي حوالي ٧٠٠ دبابة منظمة في اربع مجموعات واعدت المجموعتان القويتان للعبور والهجوم في الضفة الغربية وهما مجموعة شارون ومعها ٢٤٠ دبابة ومجموعة ادان ومعها ٢٠٠ دبابة، وفي الضفة الشرقية ابقيت مجموعة ساسون ومعها ١٢٥ دبابة ومجموعة كلمان ومعها حوالي ١٤٠ دبابة. لقد كانت القيادة تهدف الى العبور والسيطرة على المنطقة الواقعة بين قناة المياه العذبة (التي تنقـل الميـاه من النيـل الى الاسماعيلية) وحتى جبل عبيد، وجبل عتاقه ومدينة السويس وهذه المنطقة يبلغ طولها حوالي ١٠٠كم وعرضها حوالي ٣٠كم في الطرف الشمالي وحوالي ٥٠كم في الطرف الجنوبي، واعدت القوات العابرة لتدمير القوات المصرية في هذه المنطقة وبذلك يتم تطويق الجيش المصري الثالث الذي كان يرابط على الضفة الشرقية وتدميره من الخلف.

كنقطة عبور اختيرت منطقة «متسميد» المحاذية لمنطقة البحيرة المرة، وهذه النقطة كانت في المنطقة الواقعة بين الجيشين الثاني والثالث المصريين، وكانت فارغة من القوات في الضفة الشرقية، وامام منطقة صحراوية مفتوحة تمكن من المناورة في جميع الاتجاهات، كذلك فان هذه النقطة توجد بين هدفين جويين يبعدان حوالي ١٥كم عنها وهما: من الشمال الغربي لمتسميد كانت توجد بين اربعة وخمسة ممرات على قناة الاسماعيلية يمكن الاستيلاء عليها وعزل منطقة القنال من القوات في الشمال واما من الجنوب الغربي لنقطة العبور كانت ترتفع تلال جنيفه التي كانت تسيطر على المناطق المحيطة بها بما في ذلك على الطريق المؤدية الى القاهرة وعلى الطريق المؤدية الى السويس، واخيرا، كان في متسميد معقل للجيش الاسرائيلي جرت فيه سلفا تحضيرات لعملية العبور.

في الرابع عشر من اكتوبر، وفي الساعة ٢٢,٤٠ عرضت خطة العبور على مجمـوعـة الامـر في القيادة الجنوبية، ونصت الخطة، على ان مجموعة شارون

ستتحرك نحو «متسميد» وتحتل رأس جسر، وتقيم جسورا على قناة السويس وتحرس رأس الجسر من شرقي القناة ومن غربيها، وبعد ذلك تتقدم مجموعة ادان من غربها وجنوبها وتحتل تلال جنيفه وتتوجه جنوبا نحو جبل عتاقه وتستعد لاحتلال السويس، واما مجموعة ماغين فتدافع في البداية من مواقعها في الضفة الشرقية ومعها مجموعة سباسون، وبعد ذلك تحل محل مجموعة شارون على رأس الجسر لتمكين قوات شارون من التقدم نحو الجنوب، وتنص الخطة على ان يتم احتلال رأس الجسر واقامة الجسور في ليلة الحرب الأولى، واما الحركة نحو الشمال والجنوب فتجري في يوم القتال الثاني، واما احتلال مدينة السويس وتطهير الضفتين فسيتم في الاربع والعشرين ساعة التي ستلي ذلك.

« اكابولكو ! »

في الواجهة التي خصصت لمجموعة شارون هناك طريقان متوازيتان تبعدان عن بعضهما بعضا مسافة ٣كم تقودان باتجاه الشرق الغربي نحو نقطة العبور وهما: محور (عخبيش) وهو طريق اسفلت ضيقة، ومحور «طرطور» وهو طريق ترابية صلبة، ودافعت عن المنطقة الواقعة الى الشمال من هذين الطريقين، حتى الاسماعيلية فرقة مشاة وفرقة دروع مصريتين ومعهما حوالي ١٤٠ دبابة، وكانت هاتان الفرقتان تحتفظان بـ(ميسوري) وبالمزرعة الصينية، وكانت المزرعة عبارة عن منطقة قنوات ري جافة وفيها منشأة لمضخات مياه ومنازل، ومن اجل مقارعة القوات المصرية في هذه المنطقة عززت مجموعة شارون بلواء مظليين بقيادة العقيد داني ماط، وبكتيبتين هندسيتين وبثلاث كتائب مشاة مصغرة.

عندما عرضت الخطة، اقترح العميد ادان تعديلا ينص على ان عملية العبور ستتم بواسطة مجموعتين، في آن واحد، وكانت الخطة الاصلية قد نصت على عبور مجموعة واحدة، بسبب النقص في وسائل العبور وبسبب الرغبة في المحافظة على مجموعة واحدة منتعشة لمواصلة زخم الهجوم في عمق الضفة الغربية، وعندما سمع هذه التبريرات عدّل «برن» اقتراحه فقال: عندما تهاجم مجموعة شارون من الجنوب الى الشمال، تقوم مجموعة ادان بالهجوم من الشمال الشرقي نحو الجنوب الغربي، وبهذه الطريقة يطبق مبدأ حشد القوة وهكذا يتم تنفيذ الهجوم بواسطة مجموعتين،

مع الدبابات الاربعمائة التي تمتلكانها. وهكذا سيكون بالامكان السيطرة على منطقة واسعة، نظيفة من العدو تمتد من «متسميد» وحتى قبالة الاسماعيلية، ولكن هذا الاقتراح لم يقبل.

واما خطة شارون فنصت عل انه بتغطية المدفعية يتقدم لواء الدبابات بقيادة طوبيا (الذي فقد إحدى كتـائبه) من الشرق في هجوم تمويهي يبدأ مع بدء حلول الظلام، في ظل الهجوم التمويهي والظلام يتحرك لواء امنون مع اربع كتائب دبابات (احداها بقيادة طوبيا) وثلاث كتائب مشاة استطلاعية صغيرة محمولة بواسطة مجنزرات، يدخل امنون المنطقة الخالية ويصعد فجأة على محور «لكسيكون» شمال الخط الخلفي للعدو، ثم يتحرك اللواء شمالا ويحتل الضفة الغربية ثم يحتل المزرعة الصينيـة ومنـطقـة ميسـوري، كذلك يقوم هذا اللواء بفتح محوري «عخبيش» و«طرطور» من الغرب الى الشرق، وتلقى مهمة فتح المحاور على كتيبة من لواء طوبيا، يتم الحاقها بلواء امنون، ومع فتح المحاور الحيوية لعملية العبور، تعود الكتيبة الى لوائها الاصلي.

بعد فتح المحاور يتحرك الى القناة لواءا العبور ومعهما معدات العبور، ويسير لواء المظليين على محور عخبيش وهو يحمل بمنجزراته القوارب المطاطية، واما لواء حاييم فيسير على محور طرطور وهو يجر معه جسر «الاسطوانات» واما العوامات الثقيلة فتنقل على طريق عخبيش وترافق هذه الالوية وحدات التجسير.

لقد خشي العميد ادان من مغبة حدوث مصاعب اثناء التقدم الى الجسور، ولهذا قرر تحريك مجموعته على محور عخبيش الذي كان شأنه ان يكون مكتظا بالحركة، وقد نظم قوات وقود خاصة تتحرك بواسطة ناقلات جنود مع ارتال الدبابات التي ستتقدم على الرمال. فالتقدم في هذه المناطق سيكون اسهل من الحركة على محور عخبيش المكتظ ـ كما اعتقد ادان.

في الساعة ١٧,٠٠ من يوم الخامس من اكتوبر بدأت العملية بشكل سريع، وحتى الساعة ٢١,٠٠ جرى كل شيء على ما يرام، فلواء طوبيا حول انتباه المصريين نحو الشرق ولواء امنون تعمق في دخول منطقة العدو على محور لكسيكون، وفي الساعة ٢٣,٣٠ تلقى لواء داني امراً بالبدء بعملية العبور، فتحرك الى مهمته وفي مقدمته سرية دبابات من لواء حاييم اعدت لحماية حركة اللواء.

تحركت القوة الى الساحة (وهي المنطقة التي اعدت سلفا للعبور قرب موقع «متسميد» ووصلت كتيبتان مصغرتان من المظليين الى منطقة ممهدة طولها ٥٠٠م وعرضها ٢٠٠م ومحاطة بالكثبان الرملية، وبدأت عملية العبور في الساعة ١,٢٥ بعد ان وجهت المدفعية نيرانا كثيفة على الضفة البعيدة وبعد مرور بضع دقائق قال داني: «اكابولكو!» اي اننا احتللنا الضفة الغربية، ولم تواجه المظليين اي مقاومة، صحيح ان المصريين قصفوا المنطقة كلها ولكن عمليات قصفهم كانت كقص الاثر في الظلام، واكمل داني تمرير الكتيبتين ومجموعة القيادة اللوائية الى الضفة الغربية بدون خسائر حتى الساعة ٣,٠٠ من صباح السادس عشر من اكتوبر، وحتى الصباح اكمل اللواء انتشاره في رأس الجسر الذي اقيم على الضفة الغربية وكان رأس الجسر يضم حوالي ٧٥٠ جنديا معززين بأسلحة مضادة للدبابات قصيرة المدى.

في هذه الاثناء دارت معارك الى الشمال من متسميد وبدأت محاور الحركة تغلق، وكان فتح محور طرطور حيويا لمواصلة المهمة، وفي الساعة ٣,٠٠ امر امنون قوة الاستطلاع بقيادة يوآب بروم بمهاجمة المثلث من الغرب الى الشرق، وفي هذا الهجوم اصيبت عدة دبابات من قوة الاستطلاع وقتل يوآب، وركز شارون على تنظيم عملية العبور نحو الغرب بينما كان امنون يدير الحرب في الضفة الشرقية، وكانت تلك المعركة ضارية وسالت فيها دماء كثيرة، وخلال الليل فقد امنون ٦٠ دبابة وبقيت له اربع دبابات فقط واما عدد القتلى والمفقودين فقد زاد عن ١٢٠ ومن ضمنهم قادة كثيرون.

الحق شارون بأمنون كتيبة دبابات من لواء حاييم وبعد ذلك ألحق به كتيبة دبابات من لواء طوبيا وأمره ببذل جهد آخر لاختراق محور «طرطور» بهجوم منسق من الشرق والغرب، وكانت هذه المهمة تفوق قدرة رجال الدروع فقد هاجموا على دفعات، وعلى انفراد، وبدون تنسيق، وكانت اول من باشرت العمل كتيبة دبابات من لواء حاييم، وحاولت فتح محور «طرطور» من الشمال الشرقي، ولكن موجة صواريخ من المزرعة الصينية صدت هذا الهجوم فأمره أمنون بأن يقتحم ثانية بتغطية كتيبة من لواء طوبيا وفي هذا الهجوم اصيبت دبابتان وانسحبت الدبابات

الاخرى واحضرت وهي في طريقها حوالي عشرين جريحا من الكتيبة التي تضررت جدا في محاولة الاقتحام الاولى.

بعد مرور حوالي ساعة عاد امنون وحاول الاقتحام من الشرق، فتقدمت كتيبة الدبـابات من لواء طوبيا ومعها ٢٢ دبابة، وفأصيبت ثلاث دبابات منها وفشلت المحاولة، فقد كانت تقف امامها قوات متفوقة من الدبابات المصرية وجمع امنون حوالي ١٣ دبابة من وحدة الاستطلاع المتضررة التي كان يوآب يقودها ومن كتيبة تعود للواء طوبيا وضم اليها رجال استطلاع وجنود مشاة وقاد هجوما جديدا على مثلث «لكسيكون ـ طرطور».

وفي الساعة ٨,٤٠ تمكن من احتلال المثلث. منذ مطلع عملية العبور اهتم العميد الثاني جاكي، نائب شارون بضمان السيطرة على محور «عخبيش» وبتحريك القوافل والقوات المساندة وخاصة باستقدام وسائل العبور وكانت هذه مهمة صعبة، وكان محور عخبيش المحور الوحيد الذي يؤدي من طاسة الى منطقة العبور، وكانت هذه الطريق ضيقة ـ اقل من اربعة امتار ـ والى جانبها رمال عميقة، ووقفت المئات من السيارات المحملة بالوقود، والذخيرة والمعدات الهندسية على طول حوالي ٢٠كم واغلقت هذا المحور، وكل آلية حاولت التجاوز كانت تتعطل في الرمل.

تسيير حركة السير

اهتم لواء الدبـابات بقيادة حاييم وثلاث قوات هندسية باستقدام معدات العبور واهتمت قوة دبابات بالتعاون مع قوة هندسية وحماية من اسلحة مضادة للدبـابـات بجـر جسر الاسطوانات، واهتمت قوة دبابات ثانية، بالتعاون مع قوة هندسية بجر العوامات الثقيلة والكبيرة، وابقيت قوة دبابات ثالثة لحماية منطقة العملية الى الشمال من الطريق. وتقدمت قوة هندسية اضافية بالعوامات المتحركة من نوع «جيلاوا» الفرنسية، وكانت عملية التقدم تتم ببطء شديد. وفي منتصف الليـل اصبـح واضحا ان عملية جر جسر الاسطوانات ستستمر وقتا اطول من المخطط، واعد لواء حاييم للعبور على الجسور التي جرها وان يباشر القتال على الضفة الغربية، ولكن التأخير في ايصال معدات العبور الى خط الماء، أخّر دخول اللواء في الحرب.

وفي منتصف الليل جرت مشاورات بين بارليف وشارون وتقرر تقديم العوامات الآلية من نوع «جيلاوا» الى متسميد وان تمرر بواسطتها دبابات لمساعدة لواء داني، وتوجهت ١٨ عوامة آلية ومعها سرية دبابات من لواء حاييم، وتحركت هذه الآليات على محور عخبيش ووصلت في الساعة ٤.٠٠ الى القناة، وفي الساعة ٦,٣٠ ادخلت العوامات في الماء وانضمت الى العوامتين الكبيرتين اللتين اعدت كل واحدة منهما لنقل دبابتين والى عوامة اخرى اعدت لنقل دبابة واحدة، واما الدبابات الثماني عشرة التي ربطت بجسر الاسطوانات فقداستمرت في جره غربا وعندها حدث خلل، ففي احد المنحدرات لم يعد بمقدور الدبابات وقف جسر الاسطوانات الذي يزيد عن ٤٠٠ طن فانفصل عن الدبابات، وفي الساعة ٥,٠٠ استؤنفت الحركة وعندها انكسرت إحدى وصلات الجسر، فارتطم الجسر بالارض، واشارت التقديرات الى ان عملية اصلاحه ستستمر ساعات، وقرر شارون ابقاء كتيبة من لواء حاييم بقيادة امنون لخوض الحرب على الضفة الشرقية من اجل اختراق محور طرطور من جهة الشرق، وامر حاييم بأن يصل مع الكتيبة الثانية الى موقع (متسميد) والعبور غربا، وفي حوالي الساعة ٩,٠٠ تحرك حاييم على محور غخبيش على رأس كتيبة دبابات وسارت من خلفه كتيبة مظليين من لواء داني، وجوبهت القوة بنيران من اسلحة خفيفة وصواريخ، فاحترقت اربع دبابات، وامر حاييم المظليين بالتراجع الى الخلف، واتجه جنوبا ثم بدأ عملية تطويق، في هذه الاثناء كانت النشاطات في الساحة مستمرة، وفي الساعة ٦,٣٠ شرع في تمرير سرية الدبابات التي رافقت العوامات الآلية من نوع جيلاوا، واعطيت الدبابات لداني الذي حشد معظمها في مطار الدفرسوار باستثناء فئة دبابات ارسلها لاغلاق محور على قناة المياه العذبة.

عندما وصل حاييم الى الساحة، كلفه شارون بالعبور الى الضفة الغربية والاغـارة على صواريخ ارض ـ جو المصرية، وتقدم المظليون بقيادة داني شمالا وضربوا قوات مصرية لم تكن تعلم مطلقا بأن الجيش الاسرائيلي اصبح على الضفة الغربية، وكانت منطقة العبور هادئة ولم تقصف، واستمرت عملية عبور حاييم حتى الساعة ١٠,٠٠ وخرج حاييم الى الضفة الغربية ومعه ٢١ دبابة و٧ ناقلات جنود، وتقدم حوالي ٢٠ كيلومترا من منطقة القناة ودمر في طريقه اربع قواعد صواريخ ارض ـ جو و١٠ دبابات و٢٥ ناقلة جنود من كتيبة استطلاع مصرية وقوات اخرى، وفي

الساعة ١٦,٠٠ عاد الى منطقة رأس الجسر للتزود بالوقود.

ان جهود امنون لفتح محور طرطور في صباح السادس عشر من اكتوبر، وغارة حاييم الى الغرب من القناة اكملت النشاطات المخططة التي قامت بها مجموعة شارون والتي تآكلت جدا، فقسم منها كان غربي القناة، وقسم آخر كان قد عمل كإسفين خلف العدو وجزء في الشرق، وكان جاكي نائب شارون، ومعه المستويات الادارية ومعدات العبور على مسافة بعيدة في الشرق على محور عخبيش، واصبح محورا طرطور وعخبيش مغلقين، وكانت الطريق الوحيدة التي ربطت بين القوات في الغرب وبينها في الشرق منطقة منعطف الرمال جنوب عخبيش.

بموجب الخطة كان على الجيش الاسرائيلي ان يحتفظ في صباح السادس عشر من اكتوبر برأس جسر على جانبي القناة وحمايته وحماية محاور الحركة التي تقود الى جسور مقامة، ولكن في ذلك الصباح اصبح رأس جسر ضيق قائما فقط بدون جسور والطرق اليه مفصولة، وكانت مجموعة شارون مرهقة الى حد انها كانت غير قادرة على مواصلة مهمة التقدم، وهدد خطر بأن يشن المصريون هجوما معاكساً للاجهاز على رأس الجسر الضيق، وقررت القيادة، انه بدون جسر على القناة وفي غياب حماية رأس الجسر والطرق المؤدية اليه ستمتنع عن تمرير قوات كبيرة الى الضفة الغربية.

اما شارون فزعم انه من الممكن مواصلة عملية العبور، ولكن رئيس الاركان زعم بالمقابل، انه يجب عدم بناء عملية عبور مئات الدبابات ومئات ناقلات الجنود والمجنزرات وعشرات المدافع الثقيلة ومئات الآليات على ثلاث عوامات فقط من نوع جيلاوا. فهذه العوامات حسنت بواسطة احزمة مطاطية منفوخة، واي رماية مصرية من شأنها ان تفرقها. ولهذا صدر امر بإيقاف تمرير الدبابات الى الضفة الغربية وتركيز الجهود في الضفة الشرقية على فتح المحاور واستقدام العوامات الى متسميد، وبعد ذلك يقوم شارون بحماية رأس الجسر واما ادان فيعبر القناة ويقتحم باتجاه الغرب.

لقد أمضت مجموعة ادان طيلة تلك الليلة وهي تستعد للعبور، واما ادان نفسه، الذي زار جسر الاسطوانات المكسور فقد استدعى حاييم روزين احد الرجال المتفوقين في سلاح التسليح في قوات الدروع وخبير بانقاذ المعدات الثقيلة في ظروف

صعبة وامره بالمساعدة على اصلاح الجسر وانقاذه من ورطته. وفي هذه الاثناء وصل اوري بن آري بطائرة عمودية وطلب من ادان ان يأخذ على عاتقه استقدام العوامات الى القناة، ولم يتحمس ادان لتحويل نائبه الى مهام خارج المجموعة، وقال اوري: الق هذه المهمة على عاتق دوبك وألح عليه فاستجاب ادان وامر دوبك بأن يأخذ على عاتقه تنفيذ هذه المهمة.

وفي حوالي الساعة ١٢,٠٠ وصل امر من القيادة يقول: على مجموعة شارون ان تحتل (المزرعة الصينية) ومجموعة ادان تقتحم محوري عخبيش وطرطور. فتوجه نتكه لمهاجمة المحاور وجوبه بصواريخ ساغر من المزرعة الصينية وانسحب الى التلال. فأمره ادان ان ينتظر هناك حتى ان يخرج العدو من مواقعه ويدخل في منطقة التقتيل، وامر ادان، جابي بأن يكون في حالة استعداد للانضمام للمعركة التي ستتطور، وامر المدفعية بايقاف رمايتها، لكن المصريين لم يخرجوا للقتال وبدلا من ذلك حاولوا جر الدروع الاسرائيلية الى مصيدة،وقبل حلول المساء اقترح ادان على القيادة تطهير المنطقة في ساعات الليل بواسطة قوات مشاة، وارسلت القيادة اليه قوات المشاة المظليين بقيادة العقيد عوزي يائيري، وفي هذه الاثناء نجح دوبك في تسيير حركة السير واحتلال طريق لـ١٢ عوامة، ومنع تقدمها الى خط الماء القيادة من اتخاذ امر كاد ان يصدر للبدء باخلاء القوات الاسرائيلية من غربي القناة، ولكن يوم السادس عشر من اكتوبر انتهى الى حالة غموض بالنسبة لما سيجري مستقبلا.

كل ذلك الوقت لم يقدر المصريون كامل حجم العبور الاسرائيلي، فقد اعتقدوا أن المقصود على ابعد حد هي غارة محدودة هدفها نفسي لرفع المعنويات في اسرائيل وربما لاخافتهم هم. ومع هذا قرر المصريون بعد الظهر تصفية الاسفين الاسرائيلي الذي تم دقه في الضفة الشرقية!

عبـور تـحت الرمايـة

أصبح اللواء المظلي النظامي بقيادة العقيد يائيري منتشرا في منطقة ابو رديس وعلى طول ضفة خليج السويس حيث بدأ بمحاربة قوات الكوماندو المصرية، وفي الساعة ٢,٢٠٠ هبطت طائرة عوزي قرب مجموعة قيادة ادان، وقد علم انه مرت

ساعات ليلية غالية وان المهمة التي أُلقيت على لوائه صعبة ومعقدة ولهذا دخل العمل دون تأخير، فأدار المظليون بقيادة عوزي معركة بطولية ومريرة وتعرضوا لخسائر جسيمـة جدا، ولم يتمكنـوا من تصفية القوة المصرية القوية العاملة في المزرعة الصينية وكثيرون من المظليين تورطوا في منطقة كانت تغص بجنود العدو، ولكن بتغطية في هذه المعركة الضارية تقدمت العوامات الى القناة وفي الساعة ٦,٣٠ من صباح السابع عشر من اكتوبر اصبح بالامكان بناء جسر مستقر واحد.

في الساعة ٨,٠٠ لوحظت في المنطقة دلائل على محاولة مصرية لمهاجمة قوات الجيش الاسرائيلي في منطقة الاسفين في منطقة (متسميد)، وبدا ان معارك دروع كبيرة ستقع في منطقة المزرعة الصينية، فأمر ادان، نتكه فورا بأن ينصب كمينا للدروع المصرية من اللواء الخامس والعشرين وتدميرها بأسلوب الكمين، وارسل اريبه لمساعدة نتكه، وفي هذه الاثناء اكتشف المصريون منطقة العبور وبدأوا بقصفها بضراوة، فقتل وجرح الكثيرون في الساحة ولكن اعمال التجسير ومهمة العبور لم تتوقف، وحشد المصريون ضد هذا الهدف حوالي ١٤٤ مدفعا فأمر شارون، داني بتطهير المنطقة الفاصلة الغربية من القناة في الجانب الغربي، لابعاد ضباط مراقبة المدفعية المصرية وكذلك بالاغارة على بطاريات المدفعية ففعل المظليون ذلك ولكنهم دفعوا ثمنا باهظا حيث فقد وجرح منهم الكثيرون.

اما ادان الذي اراد التعجيل في عملية عبور مجموعته، فقد أمر نتكه بفك التماس وبالتزود بالوقود والذخيرة والاستعداد لعملية العبور، واكمل اريبه مهمة الكمين الناجحة وبدأ هو ايضا يستعد لعملية العبور.

في الساعة ٢١,٣٠ امر ادان بوقف ملء الدبابات بالوقود (والسير ببطء غير مليئة) وقد دلت لهجته الى قواته على انفعاله في تلك المناسبة حيث قال: «في هذه الساعة الجيدة والناجحة نبدأ العبور لأفريقيا».

في هذه المـرة جرت عملية العبور تحت نيران مكثفة من جانب العدو وقد تسببت عمليات القصف المكثف في خلق عراقيل، فبعد عبور الدبابة الثالثة تحطم الجسر وتعـطلت الدبـابـة عليـه، وبدأ لواء جابي بعبور القناة بواسطة عوامات «جيلاوا»، وفي الساعة ١,٣٥ بسطت دبابة تجسير على الهوة التي فتحت في الجسر واصبح من الممكن مواصلة العبور عليه، وفي الساعة ٢,٣٥ اكمل لواء جابي عملية

العبور، وعندها استدعي نتكه. وفي الساعة ٥,١٥ اصبحت جميع مجموعة ادان غربي القناة، وكان كل واحد من لواءيها يمتلك ٧٠ دبابة، وكل لواء كان يمتلك كتيبة مدفعية متحركة، واستعد نتكه للاقتحام من اليمين وجابي من اليسار.

خلال يوم ١٨ اكتوبر حاربت مجموعة شارون على الضفتين، وقد حققت تقدما في الضفة الشرقية فقد تمكن لواء طوبيا وقوات هندسية من تطهير واخلاء محور طرطور، وفي الساعة ١١,٠٠ اصبح من الممكن البدء بجر جسر الاسطوانات الى القناة، ومع حلول الظلام تم ايصال الجسر الى كثيب رملي يبعد حوالي ١٠٠٠م الى الشمال من جسر عوامات «جيلاوا»، وادخل جسر الاسطوانات الماء في منتصف الليل واستمرت عملية تثبيته حتى الصباح، وفي صباح يوم ١٩ من اكتوبر اصبح من الممكن التحرك في اتجاه واحد، فالآليات التي اتجهت غربا اجتازت القناة على جسر العوامات واما الآليات الفارغة التي عادت الى الشرق فمرت على جسر الاسطوانات.

وعندما تقدم لواء طوبيا نحو الشمال دخل العمل ايضا لواء امنون، وسيطر على المزرعة الصينية واقام خطا على بعد كيلومتر واحد الى الشمال من المزرعة ونحو الشرق.

في الضفة الغربية كان الوضع مختلفا، فلواء داني الذي احتفظ برأس الجسر، تعرض لقصف شديد طيلة ساعات اليوم، واما لواء حاييم الذي دمر منطقة لواء مدفعية ودبابات فقد احتل مواقع جديدة، وفي الساعة ٢٠,٣٠ اجتمعت هيئة القيادة الجنوبية لرسم بقية العملية، فاتخذ قرار لتعزيز القوات في غربي القناة، وصدر امر بأن تحتفظ مجموعة ادان بالتلال المعزولة في جنيفه وان تدمر وهي في طريقها بطاريات صواريخ، واما مجموعة شارون فتتفرق؛ قوة بقيادة النائب جاكي تحتفظ برأس الجسر وهذه القوة تتكون من لواء طوبيا في الضفة الشرقية ولواء داني في الضفة الغربية، واما شارون نفسه فيعبر نحو الغرب مع لواء امنون ويضم اليه لواء حاييم وقوة استطلاع ويهاجم باتجاه الجنوب في الجناح الغربي لأدان حتى جبل عبيد. واما مجموعة ماغين فترابط على مسافة ١٥كم غربي الجسور في وسط القوات العاملة في الضفة الغربية، كقوة احتياطية.

الخروج من السويس

استمرت الاستعدادات طيلة ساعات الليل وكانت المعنويات حسنة. وقد حان الوقت لحسم العدو! وقد تأهبت القوات الاسرائيلية لاقتحام عمق اراضي العدو مع فجر التاسع عشر من اكتوبر وقد عملت طبقا للخطة. فقد احتفظت مجموعة ادان بتلال جنيفة، بعد ان دمرت قواعد صواريخ. ومجموعة شارون جوبهت بمصاعب. وكان لديها في ذلك اليوم اقل من ١٠٠ دبابة صالحة للعمل، عملت ضمن ثلاثة الوية دبابات ولواءي مظليين. وكان لواء الدبابات بقيادة طوبيا مكونا من اقل من ٤٠ دبابة وكان منتشرا في الضفة الشرقية. وقد اوقفت الصواريخ المصرية محاولات تقدم نحو الشمال. واما لواء الدبابات بقيادة امنون والذي شمل ايضا قوات استطلاع مدرعة وقـوة استطلاع مشاة فقد عبر الى الضفة الغربية وتورط في معارك صعبة لكنه استطاع تركيز قواته. واما لواء حاييم فتقدم مسافة ٤كم نحو الغرب. وقام لواء المظليين بقيادة عوزي بتطهير ما مسافته ٣كم. واما لواء داني فلم يتقدم، وملخص القول استطاعت مجموعة شارون أن توسع رأس الجسر لمسافة ٣كم نحو الشمال.

لقد كانت مجموعة ماغين صغيرة وقد عملت الى جانب مجموعة ادان من خلال تعاون وطيد وقد فتح كلمان ماغين طريق الامداد لادان. وبما ان المصريين بدأوا بتـطويـر مقاومة للقوات الاسرائيلية غربي القناة فقد تم بذل جهد مركز لتطهير المعسكرات المصرية. وحققت في الضفة الغربية مكاسب مشجعة ولكن ليس الامر كذلك في الضفة الشرقية. وحتى نهاية يوم ٢١ اكتوبر لم يتم تقليص المواقع المصرية في الضفة الشرقية صحيح أن الجيش المصري الثالث اصبح معزولا عن خطوطه الخلفية بواسطة عبور الجيش الاسرائيلي نحو الغرب، ولكن الجيش المصري الثاني حافظ على قوته وواصل عملياته.

في الثاني والعشرين من اكتوبر، وهو اليوم السابع عشر من القتال المستمر في جبهة الجنوب، بدا في الافق اقتراب وقف اطلاق النار. فقد ادركت مصر اخيرا كامل مغزى عبور الجيش الاسرائيلي الى الغرب واعربت عن استعدادها لوقف النار. وتلقى قادة القوات المختلفة في الجيش الاسرائيلي اوامر لتحسين مواقعهم وتسوية خطوطهم. وفي الساعة ١٧٫٥ علم من الجانب المصري، أنه اتفق فعلا على وقف اطلاق النار. ولم يصدق قادة كثيرون في الجانب الاسرائيلي أن مصر ستحافظ على

وقف النار. وكانت هناك تقديرات تقول ان المصريين سيتنفسون ومن ثم سيستأنفون القتال وان لم يكن عن طريق الحركة فعن طريق حرب استنزاف من خلال الاعتقاد بان اسرائيل لن تستطيع الصمود بها اياما طويلة. وبالفعل فبعد ان اعلن البيان الاول حول وقف اطلاق النار بوقت قصير خرق المصريون هذا القرار. فبدأت القوات الاسرائيلية تسابق الزمن لاكمال تطويق الجيش المصري الثالث بواسطة مجموعتي ادان وماغين. ومحاصرة الاسماعيلية (مجموعة شارون) واحتلال مدينة السويس (مجموعة ادان). وقيل لادان ان على مجموعته ان تحتل السويس بشرط أن لا تصبح ستالينغراد. فخرج لتنفيذ المهمة في الرابع والعشرين من اكتوبر بعد انتشار قتالي سريع.

في ذلك الوقت كانت مجموعة ادان مكونة من ١٧٥ دبابة، حوالي ٦٠ دبابة في كل لواء. وفي كل سرية دبابات كانت سرية مشاة مدرعة مصغرة، تستخدم ناقلات جنود او مجنزرات. واما المدفعية فكانت مكونة من ثلاث كتائب. وكان من الواضح للمحاربين انهم الخارجون للقيام بعملية خاطفة اكثر من عملية احتلال منظم. وفي الساعة ٢٠ر٠٥ صدر أمر الهجوم، الذي اعد للتنفيذ بواسطة لواءين باسناد مدفعي وجوي ودخلت القوات المدينة دون مصاعب خاصة، ولكن بعد ان عمقت دخولها، اطلقت النار عليها من جميع الاتجاهات. فعزلت قوات وكلفت الجهود لاخراجها خسائر فادحة. وتم استيعاب حوالي ١٤٠ جريحا في مستشفى ميدان اقامته السرية الطبية التابعة للواء اريبه والتي استعانت بسرية طبية احضرها دوبك.

بصعوبة فائقة اخرجت منها معظم القوات ولكن بقيت فيها قوة حسداي وقوة يوسي يافه. وساد الارتباك في القيادة بالنسبة لكيفية انقاذهما. فهل يجب امرهم بانقاذ انفسهم بانفسهم وهي عملية تنطوي على مخاطرة كبيرة لأنهم مضطرون لمعالجة جرحى كثيرين ام ستجري محاولة للاقتحام نحوهم مع دروع وهي مهمة صعبة التنفيذ في الليل في منطقة مبنية!

أخيرا تم تقديم اسناد مدفعي لقوة حسداي، التي كانت معزولة على بعد ٢ كم فقط من القوة الرئيسة خارج المدينة. وتمكن المقدم حسداي ورجاله من النجاة بفضل هذه التغطية ومعهم المقدم يوسي يافه الذي كان محاصرا على بعد ٤كم من الخطوط ومعهم ٩٠ شخصا من ضمنهم ٢٣ جريحا. وبتوجيه من حسداي نظمت

القوة ورسم خط انقاذها. وحتى قوة يوسي نجت من المدينة باسناد مدفعي. وكان ثمن الحرب على محور السويس باهظا! فقد بلغ هذا الثمن ثمانين قتيلا ومفقودا وحوالي ١٢٠ جريحا تم اخلاؤهم الى الخلف.

وعندما دخل وقف اطلاق النار النهائي حيز التنفيذ كان الجيش الثالث المصري مطوقا تماما، واما مدينتا السويس والاسماعيلية فبقيتا بايدي المصريين.

وفور اعلان وقف اطلاق النار بدأ الطرفان يعيدان تنظيم وتعزيز قواتهما.. وواجه الجيش الاسرائيلي مشكلة: كيف يمكنه المحافظة على حالة الطوارىء القصوى، كما يترتب على وقف اطلاق النار وبنفس الوقت تدريب اشخاص كثيرين لملء الصفوف التي ضعفت في الحرب وقرر العميد ادان بصفته قائدا لسلاح الدروع، أن يقوم كل طاقم دبابة باستيعاب طاقم جديد ويقوم بتدريبه. وبما ان التدريبات كانت طارئة عملوا بموجبها فقط بما هو ضروري جدا في كل مرحلة تدريب لتحقيق قدرة سريعة لتشغيل الدبابات. فمن غير السهل التدرب على مهمة الدروع في الميدان. فاقيمت خيام تدريب واسترجلت ادوات تدريب مساعدة وبدأ التدريب. واهتمت قيادة سلاح التدريب بتحقيق النجدات. وقد جرت تدريبات الدروع من خلال الادراك بان الصواريخ المضادة للدبابات التي غطت ميدان المعركة في حرب (يوم الغفران) لم تبعد الدبابة من الميدان. وبقيت الدروع القبضة الحديدية الرئيسة للقوات البرية. ومع هذا كان واضحا أن على الجيش الاسرائيلي ان يعيد لنفسه التوازن المترتب على تنوع اسلحة السبعينات. فالدبابات بحاجة الى تعاون مع سلاح المشاة المدرع، ومع سلاح المشاة المظلي ومع سلاح المشاة العادي وكذلك مع المدفعية وسلاح الجو. وبواسطة القوات المتوازنة والمشتركة يتم قهر العدو.

لقد بدأت التدريبات الطارئة عندما كان ابراهام ادان يعمل ايضا كقائد مجموعة وكقائد لسلاح الدروع. ولكنها استمرت تحت قيادة القائد الجديد لسلاح الدروع العميد موشه (موسى) بيلد. فقد طلب من برن ان يعمل كقائد للقيادة الجنوبية في مرحلة اعادة التنظيم التي تلت الحرب.. وبعد ان تسلم القيادة بيومين وجد نفسه عند الكيلو متر ١٠١ على طريق القاهرة في اطار المفاوضات مع المصريين حول اتفاقيات فصل القوات.

الحرب في الجبهة الشمالية

عندما اندلعت حرب (يوم الغفران)، كانت ثلاث فرق مشاة سورية منتشرة على خط الدفاع الاول أمام هضبة الجولان. وشملت هذه الفرق ألوية مدرعة. وبالاضافة الى هذه القوات انتشر لواء مدرع مستقل في خلف الفرقة التاسعة (شرقي جاسم). ولواء مدرع آخر انتشر خلف الفرقة الخامسة (جنوب الشيخ مسكين)، واما الفرقة المدرعة الاولى فقد ابقيت في معسكراتها الدائمة في الكسوة، واما الفرقة المدرعة الثالثة فقد استقدمت الى الغرب من الخط الامامي.

وكان السوريون يملكون حوالي ١٥٠٠ دبابة كانت ترابط اكثر من ٩٠٠ دبابة منها على الخط الامامي وخلفه وحوالي ٥٠٠ دبابة في منطقة قطنه والكِسوة وحوالي ١٠٠ دبابة في منطقة دمشق (بقيادة رفعت الأسد شقيق الرئيس السوري). وفي خط الجبهة نشر السوريون حوالي ١٥٥ بطارية مدافع ميدان، ومدافع متوسطة ومدافع هاون ثقيلة.

وامام هذه القوة نشر الجيش الاسرائيلي في هضبة الجولان كتيبتي مشاه، ولواءي دروع وفيهما حوالي ١٧٠ دبابة و١١ بطارية مدفعية. وكان اللواء المدرع «براك» منتشرا على خط اندلاع الحرب واما اللواء السابع (الذي ارسل الى هضبة الجولان كتعزيز قريب جدا لبدء الحرب) فقد اعتبر قوة احتياطية للجولان كلها. وكان قائد المجموعة النظامية في هضبة الجولان العميد الثاني رفائيل (رفول) ايتان.

وقد اعتمدت الخطوط الاسرائيلية في الشمال على عائقين ارضيين وهما جبل الشيخ في الشمال ووادي الرقاد في الجنوب. كما ان قسما من المنطقة الواقعة بين هذين العائقين كان مليئا بالتلال والهضاب. وفي اقسام أخرى كان من الممكن للعدو ان يدخل قوات وخاصة من خلال مشارف القنيطرة ومشارف رفيديا.

في هضبة الجولان لا يوجد عمق استراتيجي يمكن من ادارة قتال متحرك والتناور على مستوى مجموعات من خلال التنازل المؤقت عن منطقة من اجل اعادة التنظيم والاستعداد لانزال ضربة معاكسة. وعليه فان كل انسحاب حقيقي في هضبة الجولان يعرض شمال اسرائيل للخطر. وبما ان مجال الانذار في الشمال قصير، اتخذت القيادة الشمالية عدة اجراءات في اعقاب التوتر الذي تصاعد منذ اسقاط ١٣ طائرة سورية في اواسط ايلول ١٩٧٣. فقد نقلت مستودعات طوارىء وترسانات

ذخيرة الى هضبة الجولان. كما اقيم جسران آخران على نهر الاردن واقيمت قناة مضادة للدبابات وزرعت حولها الغام. كما اعدت كثبان رملية نصبت عليها مواقع للدبابات. وقد قصد بهذه الشبكة من المواقع لصد العدو، وتشويش حركته وضربه حتى أن تصل القوات الرئيسة التابعة للقيادة. ومن أجل عدم الاثقال على القيادة في حالة الحرب، اخليت مستوطنات هضبة الجولان حتى ظهر السادس من اكتوبر.

لقد اراد السوريون احتلال جميع هضبة الجولان والوصول الى نهر الاردن في اليوم الاول للحرب. ولهذه المهمة خصصوا ثلاث فرق مشاة معززة ولواءي دروع احتياط. ففي المرحلة الاولى اعدت الالوية الامامية لاعداد ممرات على القناة المضادة للدبابات، واختراق الخط الامامي الاسرائيلي واحتلال قاطع ارضي عمقه حوالي ثمانية كيلو مترات على طول «الخط البنفسجي» (وهو خط وقف اطلاق النار منذ نهاية حرب الايام الستة).

وفي المرحلة الثانية اعدت الالوية المدرعة والآلية التابعة لفرق المشاة لشن هجوم على القوات الاسرائيلية واكمال احتلال هضبة الجولان. وكان عليها ان تتمسك بعدة نقاط مسيطرة في الجانب الغربي لنهر الاردن. وفي نفس الوقت خطط السوريون لانزال قوات كوماندو ومظليين على جسور نهر الاردن وموقع جبل الشيخ (الاسرائيلي) لحماية الهجوم السوري.

ولهذا الهجوم اعدت تغطية مدفعية وصواريخ مضادة للطائرات.

وقد بدأ الهجوم السوري في حوالي الساعة ١٤٠٠ في (يوم الغفران) السادس من اكتوبر ١٩٧٣ بقصف مدفعي على طول الخط وبهجمات جوية على قيادات ومنشآت خلفية. وتحت هذا الغطاء تقدمت طواقم مقاتلة سورية الى قوة الاسلحة المضادة للدبابات وفي اعقابها تحركت قوات دروع ومشاة. وكان الهدف: احتلال خط المواقع العسكرية الاسرائيلية والوصول الى خط العرض - مسعدة - القنيطرة - رفيديا.

السوريون على الجدران الشائكة

خلال وقت قصير تطورت الحرب في واجهتين رئيستين، الشمالية والجنوبية. وركز السوريون جهودهم في مشارف القنيطرة في الشمال وفي مشارف رفيديا في

الجنوب. وامتدت الواجهة الشمالية من موقع جبل الشيخ حتى الموقع ١١٠، الى الجنوب من تل يوسف (بالقرب من منتصف الخط البنفسجي). واما الواجهة الجنوبية فامتدت من هذه النقطة وحتى اقصى جنوب الجولان. في الشمال فشل السوريون صحيح انهم وصلوا الى مداخل القنيطرة ودخلوا الى الشمال من جبل الشيخ الصغير وبقعاتا ولكنهم لم يتمسكوا بالقنيطرة. وحتى في الواجهة الجنوبية لم يتمكنوا من السيطرة على مناطق خلف الخط البنفسجي.

فور اندلاع الحرب هاجمت قوات سورية موقع جبل الشيخ الذي كان معزولا وكانت تؤدي اليه طريق واحدة ووحيدة. وكان في هذا الموقع حوالي سَتّين جنديا، معظمهم من المهنيين غير المحاربين وقامت قوات كوماندو بتغطية من المدفعية وسلاح الجو السوري باحتلال هذا الموقع الحيوي. وفي ساعات مساء السادس من اكتوبر اقتحمت الالوية المدرعة والآلية السورية نحو الخط الاسرائيلي في محاولة لتحقيق عملية الاختراق التي فشلت قوات المشاة في تحقيقها. وامكن آنذاك ملاحظة جهد سوري رئيس في الواجهة الجنوبية. ومن اجل زيادة نجاعة جهود الصد، قسمت مسؤولية هضبة الجولان بين لواءي الدروع الاسرائيليين. فاللواء السابع اسندت اليه مسؤولية الواجهة الشمالية واما لواء براك فاخذ على عاتقه مسؤولية الدفاع عن الواجهة الجنوبية وحتى ان وصلت قوات الاحتياط الى خط الجبهة، صمد هذان اللواءان النظاميان وحدهما في المعركة، يساندهما سلاح الجو وسلاح المدفعية. وقد تعرضت مواقع الجيش الاسرائيلي في الخط الامامي طيلة الوقت الى قصف مدفعي شديد، وصدت هجمات المشاة والدروع واحيانا من عند الاسلاك الشائكة المحيطة بالمواقع ومررت معلومات حيوية للقيادة. وباستثناء ثلاثة مواقع تم اخلاؤها استمرت المواقع الأخرى في الصمود، في وقت كانوا يرسلون اليها من الخلف امدادات وذخائر ويخلون منها مصابين. وكان موقع جبل الشيخ الموقع الوحيد من جميع مواقع الجيش الاسرائيلي الذي احتله السوريون في القتال.

في السابع من اكتوبر، وفي ساعات الظهر، القيت مسؤولية جنوب الجولان على عاتق مجموعة الاحتياط التي يقودها العميد دان لانر ونائبه العميد الثاني موشه باركوخبا. في ذلك الوقت كانت المجموعة تشمل قوات صغيرة ومتفرقة وكانت مشتركة مع العدو الذي كان يتمتع بتفوق كمي كبير. وكان على المجموعة ان تحتل مداخل

المحاور التي تهبط الى بحيرة طبريا ومنع انحدار الدروع السورية باتجاه اسرائيل.
وعلى محور جمله دمرت دروع من مجموعة لانر دبابات سورية وصلت حتى مسافة ٧كم من بحيرة طبريا.

تفوق بمعدل ١٠ ـ ١

عندما كانت مجموعة لانر تحارب في الواجهة الجنوبية استمرت مجموعة ايتان في الحرب في الواجهة الشمالية ومكنت جهود الصد القيادة الشمالية من التخطيط للهجوم المعاكس الاسرائيلي. واستعدادا لهذا الهجوم ارسلت الى هضبة الجولان مجموعة الاحتياط بقيادة العميد موشه (موسى) بيلد.

بدأ الهجوم المعاكس في الثامن من الشهر. وقد القي الجهد الرئيس على عاتق مجموعة بيلد، التي عملت في جميع محاور جنوب هضبة الجولان. وبذلت مجموعة لانر جهدا خاصا بها من الغرب على محور يهودية ـ حوشنيه. واما مجموعة ايتان فقد صدت في واجهة القنيطرة وهاجمت محور النفط ومحور سنديانه ـ حوشنيه.

وفي الثامن من اكتوبر اقدم الجيش الاسرائيلي على محاولة لاعادة احتلال موقع جبل الشيخ. ولكن هذه المحاولة فشلت واعيد احتلال الموقع فقط في نهاية الحرب.

وفي التاسع من اكتوبر واصلت المجموعات مهامها. وقبل المساء اصبحت مجموعة بيلد الى الغرب من محور رفيديا ـ حوشنيه وسيطرت عليه. واحتلت قوات من المجموعة مواقع مسيطرة على مثلث رفيديا واحتلت من جديد تل جوخدار وتل الزهار وهي المنطقة المركزية المسيطرة على الواجهة كلها. وبعد ساعات الظهر احتل احد الالوية التابعة للمجموعة حوشنيه، ولكنه انسحب منها ثانية. وفي غداة اليوم الثاني احتلها ثانية ولم ينسحب منها.

وام مجموعة إيتان فواصلت عملية الصد في مشارف القنيطرة حيث شن السوريون هناك هجوما شديدا. وقام بصد هذا الهجوم اللواء السابع بقواته المتأخرة. وقد تم تدمير قوات الكوماندو السورية التي ارسلت لهذه المهمة من قبل رجال مجموعة ايتان وطائرات سلاح الجو.

في العاشر من اكتوبر واصل الجيش الاسرائيلي جهوده لصد السوريين الى

ما وراء «الخط البنفسجي». وتقدمت مجموعتا لانر وبيلد حتى هذا الخط. واما مجموعة ايتان فواصلت عملية الصد ولكنها بدأت الاستعداد لاختراق الاراضي السورية. وعندما حل المساء كانت جميع هضبة الجولان ـ باستثناء جبل الشيخ ـ تحت سيطرة الجيش الاسرائيلي من جديد. واعدت القيادة الشمالية المرحلة الثالثة وهي: نقل الحرب الى ارض العدو.

كان قاطع الدفـاع السـوري الامـامي خلف الخط البنفسجي مبني على تحصينات متماسكة اعتمدت في اجنحتها على عوائق ارضية غير قابلة للعبور، جبل الشيخ في الشمال ووادي الرقاد في الجنوب. وامتد هذا الخط الدفاعي الى عمق ٧ ـ ١٥كم وارتكز على محاور اقتحام محتملة. وكانت المواقع السورية معدة جيدا وشملت مواقع لاسلحة اسناد. ودافعت عنها حقول الغام وقنوات مضادة للدبابات. وكان هذا الخط الدفاعي مشغولا كله.

لقد جاء قرار نقل الحرب الى الاراضي السورية في نهاية مرحلة الصد لضرب القدرة الاستراتيجية السورية واخراج سوريا من الحرب باسرع وقت ممكن والى ابعد مدى ممكن. لذلك فان دخول الاراضي السورية قصد به ردع الاردن عن فتح جبهة ثالثة ضد اسرائيل. وقد بدأت هذه المرحلة من الحرب بعملية قصف جوي ومدفعي شديدين من جانب الجيش الاسرائيلي للخط السوري الامامي. وتحت هذا الغطاء اخترقت مجموعة ايتان وفي اعقابها مجموعة لانر، الخط السوري. وانضمت مجموعة بيلد الى عملية الاختراق خلال وقت قصير. وتم دحر السوريين ببطء ولكن باستمرار حتى ان وصلت القوات الاسرائيلية الى مسافة حوالي ٤٥كم من مداخل دمشق واستطاعت مدافع الجيش الاسرائيلي ان تقصف معسكرات للجيش قرب العاصمة السورية.

في ليلة ٢١ ـ ٢٢ اكتوبر وفي صباح اليوم التالي اعادت قوات جولاني احتلال جبل الشيخ (الاسرائيلي) واحتلت قوات من المظليين جبل الشيخ السوري ورابطت في قمة جبل الشيخ. وقضى احتلال جبل الشيخ على آخر موطىء قدم للسوريين داخل مجال (الخط البنفسجي) وابقى السوريين دون اي مكسب اقليمي كان في حين استطاعت القوات الاسرائيلية احتلال جيب في الاراضي السورية والحقت بالجيش السوري خسائر فادحة جدا بشرية ومادية وقد بلغت الخسائر السورية (وخسائر

القوات العربية التي ارسلت لمساندة سوريا) في حرب (يوم الغفران) اكثر من ٣٠٠٠ قتيل وحوالي ٥٦٠٠ جريح و٣٤٨ اسيرا. وتضررت اكثر من ١٠٠٠ دبابة سورية والمئات من ناقلات الجنود والمدافع الثقيلة وحوالي ٢٧٥ طائرة. وفقد سلاح البحرية السوري عدة سفن صواريخ وقطعا بحرية اخرى. وهدد الجيش الاسرائيلي دمشق ذاتها. وفي اعقاب ذلك وافقت سوريا على وقف اطلاق النار.

إن جميع القوات الاسرائيلية التي حاربت في القيادة الشمالية، تستحق ان تكتب عنها كتب ولكن مع الأخذ بعين الاعتبار خطورة عملية الصد التي اشترك فيها لواءان نظاميان من الجيش الاسرائيلي وحاربا قوات دروع سورية تفوقهما بمعدل ١٠ـ١ وربما اكثر فاننا سنكرس الاجزاء القادمة للواء «براك» واللواء السابع.

لواء «براك» في الحرب

كان لواء براك لواء الدبابات النظامي في القيادة الشمالية. وقد اقيم هذا اللواء عام ١٩٦٩ على اساس قيادة لواء حاربت ببطولة في سهل دوتان في حرب الايام الستة وكتيبة بقيت في هضبة الجولان واستطاع اللواء خلال السنوات التي سبقت الحرب الاحتفاظ بخط هضبة الجولان وواجهة الاغوار وواجهة جبل لبنان وشارك هذا اللواء في جميـع الحـوادث والعمليـات الهجـوميـة للقيادة الشمالية ابتداء بالاشتباكات على طول الخط وانتهاء بالغارة على القوات السورية في جنوب هضبة الجولان (في اواسط عام ١٩٧٠) وبالغارة على قواعد (المخربين) في (فتح لاند) في لبنان.

في تموز ١٩٧٣ اجرى لواء براك مناورة لواء شملت عبور عوائق مائية ضيقة وحربا على محاور في منطقة جبلية. وقبل حرب (يوم الغفران) تسلم قيادة اللواء العقيد بن شوهم، الذي عمل قبل ذلك مدربا في كلية القيادة والاركان.

وعندما تصاعد التوتر في الشمال، في رأس السنة، ادخلت كتيبة ثانية الى الخط، الذي كانت تحتفظ به حتى ذلك الوقت كتيبة واحدة فقط. وقد تسلمت هذه الكتيبة المسؤولية عن الواجهة الشمالية. حتى موقع ١١٠، والكتيبة الثانية تسلمت مسؤولية الواجهة الجنوبية حتى وادي الرقاد. وارسلت كتيبة من اللواء السابع الى هضبة الجولان، لتعزيز لواء براك.

جرت دوريات للقادة ولافراد طواقم، لانعاش طرق التقدم الى المواقع، واماكنها واماكن الاهداف في اراضي العدو. كما تمت صيانة الدبابات واعطيت توجيهات ومع اقتراب يوم الغفران ارسل اللواء السابع كله الى هضبة الجولان كلواء احتياط. واعيدت كتيبة «عز» للوائها الاصلي. وعندما اندلعت الحرب كانت قيادة لواء براك الكبيرة مكونة من: قائد اللواء، اسحق بن شوهم، ونائبه المقدم دافيد يسرائيلي وقائد الكتيبة الرائد عوديد اراز، وقائد الكتيبة المقدم يائير.

في يوم السبت، وقبل ظهر السادس من اكتوبر ١٩٧٣، تجول قائد اللواء بين السرايا على الخط وتحدث مع رجال الدروع. وفي الساعة ١٫٠٠. استدعي العقيد بن شوهم الى مجموعة القيادة الامامية لعميد القيادة، اسحق (حاكا) حوفي والتي كانت موجودة في نفح. وابلغه العميد بانه تقرر تجنيد قوات احتياط واتصل بن شوهم مع قادة كتائبه وامرهم بزيادة حالة الطوارىء استعدادا لخوض «يوم قتال موسع». وأمر بانه يجب على جميع الوحدات ان تبدأ التنصت وان تكون قريبة من الدبابات. ويجب زيادة حالة الاستعداد ضد الطائرات ايضا».

تغلغل سريع

في ساعات الظهر استدعي عميد القيادة الى رئاسة الاركان العامة. وسلم مسؤولية هضبة الجولان الى العقيد بن شوهم، الذي كان اكثر خبرة بالواجهة من الآخرين. وفي الساعة ١٣٫٤٥ تلقت غرفة عمليات القيادة تقارير حول حدوث اعمال قصف مدفعي على طول الخط وحول قيام طائرات بهجمات على ارتفاعات منخفضة. وفور ذلك أمر قائد اللواء قائدي كتيبة بادخال الدبابات في مواقع مراقبة واستقدام السرايا الخلفية حسب الخطة. واجريت عملية تحريك القوات الى المواقع بسرعة وتحت نيران مدفعية مكثفة. وخلال خمس دقائق بدأت الدبابات اطلاق النار.

في الساعة ١٤٫٢١ اتضح اول تغلغل سوري في منطقة الموقع في سحيته. فقد تقدمت ١٢ دبابة من الجنوب ترافقها دبابات تجسير. وابلغ قائد الكتيبة بالجهد السوري واعلن أنه يسيطر على الوضع. ومن الواجهة الجنوبية اعلن نائب قائد الكتيبة أن ٣٠ دبابة سورية تحاول في منطقة خدنه اقتحام الخط ولكن مواقعنا اسهل ومسيطرة وتتمتع بتفوق.

وبما أن الجهد السوري من جنوب سحيته بدا وكأنه خطير جدا قرر قائد اللواء استقدام السرية الثانية بقيادة الرائد افنير الى هذه المنطقة. وعبرت السرية قرية بقعتا ودمرت معظم الدبابات السورية في هذه الاثناء اعلن نائب قائد الكتيبة، الرائد شموئيل الذي كان مسؤولا عن واجهة خدنه أن القوات السورية تواصل التدفق وأن حوالي ٣٠ آلية سورية قد دمرت. وقال نائب قائد الكتيبة ان الضغط يتزايد وطلب تعزيزات. وفي الساعة ١٣٠٠ ضغط السوريون على القوة المتواجدة على محور النفط. وقد استخدموا دبابة تجسير وتمتعوا بتفوق عددي لم يمكن قوة الصد من اغلاق الواجهة كليا.

واما قائد الكتيبة المقدم يائير، الذي كان ضمن مجموعة القيادة الامامية في منطقة «البسطار» في تل المحسي فقد اعلن عن تطور جهد سوري أمام موقع ١٠٩. وبعد مرور حوالي ٣٠ دقيقة اتصل ثانية وابلغ عن دخول ٤٠ دبابة سورية الى الشمال من موقع ١٠٧. وادخلت قوات اللواء السابع في عملية صد الى الشمال من القنيطرة أمام محاولة اختراق سورية ثانية. وعلى ضوء عملية الانتشار الواسعة للجهود السورية قررت القيادة في الساعة ١٥٫٤٠ تكليف اللواء السابع بتحمل المسؤولية عن الواجهة الشمالية. ووضعت كتيبة دبابات تحت قيادتها، بالاضافة الى كتيبة «عز»، وقوات مشاة مدرعة وكتيبة مكونة من تلاميذ مدرسة الدروع. وتسلم لواء براك مسؤولية الواجهة الجنوبية. وكانت احدى كتيبتين منتشرتين كلها على الخط وصمدت أمام جهدين سوريين للاقتحام وتعرضت لخسائر. واما الكتيبة بقيادة المقدم حاييم التي عملت حتى ذلك الوقت كاحتياط في منطقة السنديانة، فقد وضعت تحت تصرف لواء «براك».

السوريون الذين حاولوا اقتحام الخط في منطقة خدنه والذين تضرروا جدا قاموا بعملية التفاف جنوبية بقوة مكونة من ٣٠ دبابة. وقد دمرت الدبابات الاسرائيلية القليلة في هذه المنطقة مما ادى الى انهيار الخط.

وحتى في الجناح ازداد الضغط السوري، وخاصة على موقع ١١٦ الجنوبي. وفي هذا الموقع كانت فئة دبابات قامت بصد الدبابات السورية ولكنها لم تستطع منع دبابات اخرى من تطويق الموقع من الشمال والجنوب. وقد وقف قائد الدبابات الرائد عوديد اراز على الوضع الخطير الذي كان من شأنه ان يتطور اذا اقتحمت

الدبابات السورية بين القوات القليلة المنتشرة في هذه الواجهة، وطلب من قائد اللواء ان يرسل له تعزيزات من الدبابات وأن يوفر له اسنادا جويا ومدفعيا.

وبما ان منطقة «خدنه» بدون قيادة، ارسلت كتيبة حاييم الى هذه المنطقة. فارسلت سرية الى الموقع (١١٠) للقيام بمحاولة لصد السوريين الذين تقدموا من غربي الموقع. ولكن عملية الاختراق السورية جرت بقوة هائلة ولم تتمكن السرية من وقف زخم التقدم السوري وبقيت سرايا اخرى من الكتيبة بقيادة قائد الكتيبة حاييم على الطريق الرئيس لمنع السوريين من التقدم نحو الغرب.

في الساعة ٢٠ر٠٠ خرجت مجموعة القيادة الامامية للواء من قرية نفح وتقدمت على محور النفط للالتحاق بقوات اللواء في منطقة جوخدار وارسلت سرية بقيادة نائب قائد الكتيبة الرائد داني بيسح ومعه النقيب داني لفين، لصد قوة سورية شوهدت في منطقة العال في الجنوب. وابقت هذه السرية فئة لتعزيز القوات على محور النفط واما بقية القوة فواصلت مسيرها. ولكنها تعرضت لكمين سوري تمكن من تدمير اربع دبابات منها واما الدبابات الباقية فواصلت المسير الى الجنوب نحو منطقة تل الساقي. على بعد ٣ كم من جوخدار تعرض قائد اللواء لقصف مدفعي شديد. وفي ذلك الوقت تلقى تقارير حول حدوث نقص في الذخائر لدى القوات المحاربة. وامر بنقل الذخيرة على محور النفط. واصطدمت قافلة الذخيرة بدبابة سورية قرب المحور واسرعت عائدة الى نفح. وبدت أمام القائد الصورة التالية: خطوط خدنه اقتحمت. ووصلت قوة سورية الى محور النفط من غربي حوشنيه. والقوات في جوخدار تتعرض لضغط مستمر. وطرأ نقص في الذخائر. وكتيبة حاييم اصبحت داخل قوات سورية على طول الطريق الرئيس واصبح الوضع خطيرا في كل مكان.

في معسكر نفح تمت بسرعة اعادة تنظيم قوة من الدبابات التي تضررت. وقد نظمها ضابط العمليات تسفي «تسفيكا» غرينفولد الذي كان في اجازة تسريح من الخدمة في مستوطنته وعندما اندلعت الحرب عاد الى لوائه بسرعة وبدأ تسفيكا تحركه نحو الجنوب على طريق النفط. في هذه الاثناء اقتحمت قوات سورية بين دبابات الجيش الاسرائيلي في الواجهة الغربية، واتجهت الى العال في الجنوب والى محور الصندوق القومي الاسرائيلي في الشمال. واحتل السوريون موقعي ١١٥

و١١٦. وفي منتصف الليل اصبح الوضع خطيرا. فالعدو الذي هاجم بقوة فرقة مشاة ولواءي دروع، لم يتمكن اللواء من القيام بعملية الصد بشكل حقيقي. فقد استخدم السوريون اكثر من ١٠٠ دبابة في منطقة خدنه و٦٠ دبابة على محور النفط، و٨٠ دبابة في منطقة موقع ١١٦ و٦٠ دبابة الى الجنوب من الموقع. وكان من الواضح ان هؤلاء يتجهون الى نفح، والعال وحوشنيه ومرتفع جمله.

لواء بدون قيادة

قرر العقيد بن شوهم التحرك غربا، والعودة الى منطقة نفح وتنظيم قوات للقيام بهجوم معاكس. ومع الفجر ادرك الرائد عوديد اراز أن قواته المنتشرة اصبحت معرضه للتطويق وان الوقود والذخائر قد انتهت من الآليات وخلال نقاش اجراه بواسطة جهاز اللاسلكي مع قائد اللواء تقرر ـ وبموافقة عميد القيادة ـ حشد القوة المتبقية في منطقة تل الفرس واخلاء جنود المشاة من المواقع. وحشد الرائد اراز قوته في تل الفرس ووضع سبع دبابات على منحدراته للسيطرة على المنطقة. ودافعت هذه المنطقة عن مستوطنة «ناحل جشور» الواقعة على سفح التل. ووضع خمس دبابات على التل حيث سيطرت بالرماية والمراقبة على منطقة واسعة. واما القوة التي كانت في تل الساقي فلم تعد موجودة فعلا. فالدبابات التي اصيبت والجنود اجتمعوا في استحكام وانتظروا من يخليهم. ونجح نائب قائد الكتيبة حاييم، الذي كان على التل، في انقاذ نفسه نحو الغرب وانضم الى قائد اللواء. وتم اخلاء موقعي ١١٥ و١١٤. واما موقع ١١٦ فاصبح مطوقا.

خاضت كتيبة حاييم اشتباكا مع السوريين في منطقة حوشنيه الى ان جرح قائد الكتيبة. وانضمت القوة التي بقيت الى لواء آخر شرع في هجوم معاكس على جيب حوشنيه.

القوات السورية التي لاحظت حشد القوة الاسرائيلية في تل الفرس، حاولت الصعود على التل، ولكنها دحرت ودمرت. ومن التل شوهد تقدم سوري على طريق منطقة خدنه نحو منطقة حوشنيه عن طريق محور النفط باتجاه منطقة العال ومستوطنة رمات مجشيميم وغربا نحو مرتفع جمله. لقد استجيبت جميع طلبات المساعدة التي وجهت الى القيادة بالجواب المحير: «لا توجد قوات كافية».

في الساعة ٩٠٠. من صباح السابع من اكتوبر وصل قائد لواء براك مع

مجموعة قيادية الى منطقة نفح. وصعد قائد اللواء وضابط العمليات على دبابة والتفا على نفح من الجنوب ودخلا في معركة قرب محور النفط وهما متجهان نحو حوشنيه. وقام ضابط استخبارات اللواء وضابط الاتصال بتنظيم عدة دبابات وضموها الى قوة قائد اللواء التي اصبحت اخيرا ١٠ دبابات وللحظة تكون انطباع بان الجهد قد اثمر وان القوات السورية انهارت ولكن في الساعة ١٢٠٠ انقلبت الآية. فقد قتل نائب قائد الكتيبة حاييم. وقامت قوة سورية بالالتفاف على قائد اللواء واقتربت من معسكر نفح ووجد العقيد بن شوهم نفسه مع دبابات قليلة بين القوات السورية. وقرر شن هجوم باتجاه نفح، فمن هناك من شأن السوريين أن ينحدروا الى جسر بنات يعقوب. وفي هذا الهجوم قتل نائب قائد اللواء، وفي الساعة ١٤٫٢٠ قتل ايضا قائد اللواء وضابط العمليات الرائد باني كتسين.

اصبح لواء «براك» في الواقع بدون قيادة واصبحت قواته ضعيفة ومرهقة. ولم تعد قوة الكتيبة التي رابطت على تل الفرس موجودة تلك التي واصلت عملية الصد بنجاح ومنعت تقدم السوريين في هذه المنطقة من الجبهة.

منذ ساعات صباح يوم السابع من اكتوبر وقوة تل الفرس تتعرض لعمليات قصف مدفعي وجوي وجهود اختراق سورية. وقد صمدت بهذا الاختبار الصعب ولم تتوقف عن ارسال التقارير مباشرة الى القيادة حول تحركات العدو وقوته. وعملت (كعيون امامية) حيوية جدا. وفي الساعة ١٣٠٠ بلغت القوة بقيام خمس طائرات عمـوديـة بمحـاولة لانزال قوات على التل لاحتلاله. وفتحت الدبابات النار فورا واسقطت طائرتين منها وهزمت الطائرات الباقية.

مع حلول الظلام تقرر ان تقوم كتيبة عوديد اراز بمغادرة تل الفرس وان تنسحب باتجاه الغرب للالتحاق بقوات الدروع الاخرى التابعة للجيش الاسرائيلي في هذه المنطقة. فانزل القائد عوديد اراز القوة من على التل وحمل جنود المشاة من الموقع على الدبابات وبدأ انسحابه غربا. وفرض صمتا لا سلكيا وتحرك على محاور غير محددة وركز على التسلل بين القوات السورية الكثيرة التي كانت في المنطقة ومعها حوالي ٦٠ دبابة. لقد كانت الحركة بطيئة ولكنهم مروا بسلام وكانت هذه القوة مشغولة بالحرب والحركة ٣٦ ساعة متتالية، بدون تزود بالوقود وبالذخائر وبدون أن تستريح.

عندما طلع فجر يوم الاثنين الثامن من اكتوبر وصل رتل الكتيبة الى جسر اريك. وبقيت في خزانات الدبابات القطرات الاخيرة من الوقود. وكانت هذه القوة الوحيدة التي بقيت من لواء براك. وقد اصيبت جميع دبابات اللواء ولكنها لم تشل كليا. فبعد عملية انتظام قصيرة جددت القوة حركتها ووصلت الى المعسكر.

مجموعة البطولة

كانت تلك هي نهاية معركة الصد، التي فقد فيها لواء «براك» جميع قادته الكبار، ومني بخسائر جسيمة وتشوشت جميع اطاراته الحربية. في المعسكر شرع في عملية الاصلاح. وتم حشد ١٤ دبابة صالحة وفي يوم الثلاثاء التاسع من اكتوبر وضعت هذه القوة الصغيرة تحت إمرة المقدم يوسي بن حنان، الذي عاد من الخارج بعد ان اندلعت الحرب وعين قائدا للواء بالوكالة. وفي الساعة ٠٠ر١٠ تحركت القوة وانضمت الى جهود الصد التي كان يقوم بها اللواء السابع الى الشمال من القنيطرة. عندما تم تجميع ١٠ دبابات اخرى، الحقت بقوة المقدم بن حنان. وحتى السادس عشر من الشهر عملت هذه القوة في اطار اللواء السابع. وعملت كقوة ضاربة في عملية الاختراق نحو المنطقة السورية وتقدمت حتى تل شمس. واثناء الهجوم على التل جرح المقدم بن حنان.

في السادس عشر من اكتوبر، وبعد تثبيت الخط الشمالي، تقرر اعادة تشكيل لواء «براك»، وعين المقدم دان قائدا للواء، وقد اعتمد تشكيله على قيادته القائمة وعلى قيادة كتيبة الدبابات، بقيادة الرائد عوديد اراز وشرع في تشكيل كتيبتين تضم كل واحدة ٢٠ دبابة وهما كتيبة عوديد وكتيبة اخرى بقيادة الرائد «ح» الذي جرح في بداية الحرب وسارع للعودة الى الجبهة.

وقد اعتبرت كتيبة عوديد، التي كانت الكتيبة الاولى التي اعيد تشكيلها ـ كقوة احتياطية للقيادة. وفي العشرين من اكتوبر اشتركت الكتيبة ـ في اطار مجموعة بيلد، في معركة ضد قوات اردنيين ارسلت لمساعدة السوريين وعملت في منطقة تل الحرة.(!) وفي هذه الاثناء شكلت الكتيبة الثانية من جنود احتياط ونظاميين وفي ٢٣ اكتوبر دخل لواء «براك» المجدد الى الخط وحل محل اللواء السابع المرهق والمستنزف.

ولكن قبل ان يمر وقت طويل، تضرر العمود الفقري للواء مرة اخرى. ففي الرابع والعشرين من اكتوبر حدد لقاء بين ممثلي الامم المتحدة، لرسم خط وقف اطلاق النار وتحديد موقع الامم المتحدة في المنطقة. وتوجه قائد اللواء ومعه عوديد اراز الى مكان اللقاء. وعندما وصلا الى بعد كيلو متر واحد الى الجنوب الغربي من تل مرعي صعدت سيارتهما على لغم. فقتل قائد سرية سيارات الجيب في اللواء الرائد عوزي باني، واصيب قائد اللواء بجروح طفيفة واما عوديد اراز وجندي الاتصال اللذان كانا في سيارة الجيب فقد اصيبا بجروح خطيرة.

وقد عين المقدم عموس قائدا للواء واستأنف جهود بنائه كلواء نظامي كامل مكون من ثلاث كتائب: وهي كتيبة عوديد، وكتيبة مدرسة الدروع وكتيبة يائير. وخلال اسبوعين عاد اللواء الى الخط حيث انضم الى مجموعة «رفول» وشارك في حرب الاستنزاف التي تطورت بعد حرب (يوم الغفران) ـ حتى موعد الوقف النهائي لاطلاق النار وفصل القوات.

لقد صمد لواء «براك» في حرب (يوم الغفران) أمام قوات معادية كانت تفوقه بنسبة ١١ـ١ وبفضل صموده هذا حظي اللواء بلقب «مجموعة البطولة».

اللواء السابع في الحرب

قبل اندلاع حرب (يوم الغفران)، كان اللواء المدرع السابع (وهو لواء نظامي بقيادة العقيد افيجدور «يانوش» بن جال) مكونا من كتيبتي دبابات (كتيبة بقيادة المقـدم حاييم وكتيبة «عز» بقيادة المقدم افيجدور كهلاني) وكتيبة مشاة مدرعة واحدة بقيادة يعقوب. وكان اللواء مهتما باعداد الجهاز النظامي لطواقم دبابات السنتوريون وبتدريب جهاز المشاة المدرعة والاستطلاع النظامي على حرب المشاة المدرعة وعمليات الاستطلاع بواسطة ناقلات الجنود المدرعة. وقد جرت التدريبات في جنوب (اسرائيل).

لقد اكتسبت قيادة اللواء في ذلك العام خبرة غنية: تمارين رماية على مستوى اللواء، وتمارين عبور عوائق مائية على مستوى اللواء، ومجموعة نشاطات في اطار الامن الدارج على طول الخط في هضبة الجولان. وتدخل فعال في وضع الخطط العملية للقيادة الشمالية والتعرف عن كثب على المنطقة والعدو في الواجهة الشمالية.

عندما تصاعد التوتر في الشمال، بين رأس السنة ويوم الغفران جدد اللواء خططا عملية، واجرى جولة للقادة في هضبة الجولان وعجّل في تدريب السرايا في كتيبة حاييم. وعندما صدر أمر لارسال احدى كتائب اللواء الى هضبة الجولان، نقلت طواقم كتيبة «عز» من الجنوب الى معسكر في الشمال حيث تسلموا دبابات لواء براك من مستودعات الطوارىء ودخلوا في حالة طوارىء فورية في اطار القيادة الشمالية.

وقد استغلت قيادة اللواء ارسال هذه الكتيبة فارسلت الى هضبة الجولان ايضا مجموعة قيادة أمامية صغيرة وتضم ناقلة لقائد اللواء وناقلة استخبارات وسيارتي جيب استطلاع وجزءا من سرية الاتصال اللوائية. واجرت قيادة اللواء وقيادة كتيبة «عز» حتى مستوى قائد الدبابة والمدفع جولات في جميع هضبة الجولان للتعرف على محاور الحركة، والمواقع، وحقول الالغام والعوائق الطبيعية. وجرت عدة تمارين جاهزية لدراسة طول الفترة الزمنية التي يستغرقها خروج الكتيبة من المعسكر المخصص لها، الى الخط الامامي في هضبة الجولان.

في ظهر الخامس من اكتوبر ١٩٧٣ (يوم الجمعة ـ قبل اندلاع الحرب بيوم واحد) اصدرت قيادة قوات الدروع امرا بارسال كتيبة حاييم جوا الى الشمال وتحريك كتيبة المشاة المدرعة على الطرق الى المعسكر. ووضعت كتيبة من مدرسة الدروع تحت تصرف اللواء السابع. وقد انتهت عملية نقل جنود الكتيبة جوا في الساعة ١٧ر٣٠ عشية يوم الغفران. واما كتيبة المشاة المدرعة فقد وصلت الى المعسكر في منتصف ليلة السادس من اكتوبر.

في يوم السبت، السادس من اكتوبر، وفي الساعة ١٠ر٠٠ اعطى قائد القيادة الشمالية توجيها للقادة في معسكر نفح. ومما قاله: «اننا نتوقع حربا مع سوريا قبل مساء اليوم». فتوجه العقيد بن جال فورا في جولة واعطى توجيهاته استعدادا لحرب شاملة. وتقرر عقد اجتماع لمجموعة اوامر في الساعة ١٤٠٠. ولكن هذا الاجتماع لم يعقد لأن السوريين بدأوا باطلاق النار قبل موعد انعقاده بعدة دقائق.

عندما بدأت الحرب، كانت كتيبة حاييم تحت قيادة لواء «براك» الذي كان مسؤولا عن جنوب هضبة الجولان. واما كتيبة يائير التابعة للواء براك فقد الحقت باللواء السابع في المنطقة الشمالية. وقد صادق قائد المجموعة، العميد الثاني رفائيل

(رفول) ايتان على الخطة التي وضعها اللواء لمعركة الصد ونصت هذه الخطة: على ادارة قتـال من مواقع ثابتة من خلال استخدام قوات متحركة لحماية الاجنحة والخطوط الخلفية، واستغلال القوة الاحتياطية اللوائية لمنع العدو من تحقيق انتصارات.

أصمد خمس دقائق اخرى

لقد كانت الفكرة الرئيسة من وراء القتال الثابت، هو الحيلولة باي ثمن دون احتـلال محور العرض، القنيطرة ـ مسعده من قبل دروع او مشاة العدو، لان احتلال هذا المحور سيفتح أمام السوريين خيارات بالنسبة لجميع منطقة هضبة الجولان.

لقد تبنت ادارة معركة الصد مجموعة ايتان، ابتداء من ساعات الصباح الباكر لليوم السابع من اكتوبر. وخلال ايام الحرب الاربعة الأولى قام السوريون بثلاثة جهود رئيسة: في منطقة الموقع ١٠٩. وفي منطقة موقع ١٠٥ وفي منطقة جبل الشيخ. وقد هاجم السوريون بارتال كثيرة من الدبابات ترافقها ناقلات تحمل جنود مدرعات. وكل هجوم بدأه السوريون كان بقصف مدفعي مكثف وقد رافق الجنود السوريون (المشاة) القصف المدفعي على طول الطريق. وقد استخدم السوريون قوات مشاة في اجنحة الجهود الرئيسة، وكلما تمكن الجيش الاسرائيلي من صد هجـوم، كان جنـود المشـاة السوريون يحاولون مواصلة زخم الهجوم عن طريق استخدام اسلحة مضادة للدبابات.

وقد نفذ السوريون بعناد وتصميم هجومين نهاريين وهجوما ليليا واحدا في كل ٢٤ ساعة. ففي الليالي كانوا يستخدمون وسائل كثيرة للرؤيا الليلية. وخلال عمليات الهجوم هذه جرت ٥ معارك تماس من مسافة ٥٠ ـ ١٠٠م بين قوات العدو والقوات الاسرائيلية.

بين السـادس والتاسع من اكتوبر، تعرض اللواء السابع لهجمات قتالية، وضاغطة ومرهقة. وقد جرت اخطر هذه الهجمات في اليومين السابع والتاسع من شهـر اكتوبر. ففي التاسع من الشهر وفي الساعة ١١ر٠٠ تقريبا اشرف اللواء السابع على الانهيار. فالمنطقة الحرجة جدا كانت بين جبل الشيخ وتل «البسطار»،

فالمقدم كهلاني وبقايا دباباته رابطوا على السفوح الغربية لجبل الشيخ مرهقين من حرب متتالية استمرت اربعة أيام وثلاث ليالٍ. ومن موقعهم المسيطر شاهدوا مئات الدبابات السورية وهي تتقدم كمسارب النمل لا تردعها الخسائر البشرية الجسمية التي تعرضوا لها.

وادرك قائد كتيبة «عز» أنه اذا سمح للسوريين بطرده من مواقعه، فانه سيكون من الصعب جدا بل ومن المستحيل، العودة الى احتلال هذا التل الحيوي من ايديهم من جديد. فبلّغ بالوضع الخطير عن طريق اتصال اجراه مع قيادة اللواء وطلب تعزيزات. فشرح له (يانوش) ان وضع اللواء، مثل وضع الكتيبة ـ فالخسائر كثيرة وكل وحدة تتمسك بواجهتها باظافرها. وقال العقيد بن جال... ولكنني ساحول طلبك الى المجموعة.

وقدر قائد المجموعة رفائيل ايتان خطورة الوضع. وكان رده: قـل لافيغدور ان يصمد بضع دقائق اخرى. فسيكون كل شيء على ما يرام. وبنى آماله على القوة الجديدة التي وصلت اليه لتوها. وكانت مكونة من ١١ دبابة بقيادة المقدم يوسي بن حنان.

قائد كتيبة «عز» المقدم كهلاني لم يعلم بخطط قائد المجموعة، ولكنه تلقى الدعوة للصمود خمس دقائق اخرى. وقد صمد ومعه جنوده في جبل الشيخ الصغير خمس دقائق وخمس دقائق... ولم يستطع السوريون احتلال الجبل الصغير. فقد صدتهم الدبابات الست الصالحة الاخيرة التي كانت بقيادة كهلاني حتى ان وصلت النجدات. وقد تحولت المنطقة الضيقة بين جبل الشيخ الصغير وبين تل البسطار الى منطقة تدمير للدروع السورية وهي المنطقة التي اطلق عليها إسم وادي الدموع. فالمعركة الضروس التي دارت رحاها في هذه المنطقة تميزت بقوتها وبالتمسك بالمهمة الذي اظهره جنود وقادة القوات المهاجمة والمدافعة معا. وقد اثبتت نهاية هذه المعركة تقديرات ايتان القائل: في الاوضاع التي تعتبر صعبة وخطيرة يجب ان تطبق المثل القائل: انت والعدو تواجهان نفس «الاوضاع الصعبة». ولكن السؤال هو: من يخلق المزيد من المشاكل امام الطرف الثاني، فانه هو الذي سيتغلب على بقية المشاكل». وقد اثبتت معركة جبل الشيخ الصغير أن حافة انهيار العدو كانت اوطأ من حافة انهيار الجيش الاسرائيلي.

عندما انتهت معارك الصد بقيت بحوزة اللواء السابع ٣٢ دبابة صالحة فقط (من بين ١٠٥ دبابات بدأ معها الحرب». وفي هذه المرحلة من الحرب قتل ٧٦ من محاربي اللواء. مع بزوغ فجر العاشر من اكتوبر، احتل اللواء مواقع تسيطر على الخط البنفسجي على طول قناة الاسلحة المضادة للدبابات، في الواجهة الشمالية وهي المواقع التي تخلى عنها اللواء في السابع من اكتوبر نتيجة لهجوم ليلي شنه السوريون مقابل معارك الصد التي خاضها اللواء، والتي تركزت معظمها في الواجهة الوسطى، دارت معارك بطولية قامت بها وحدات متفرقة في الاجنحة وخلف الجهد اللوائي. ففي الجناح الجنوبي عملت وعلى مدى يومي الثامن والتاسع من الشهر، سرية دبابات بقيادة الرائد مئير زمير. وهذه السرية ضربت مرارا وتكرارا دروع العدو التي نجحت في التغلغل في الواجهة الجنوبية بين القنيطرة وبين الموقع ١١٠. وساد الخوف من ان هذه القوة المعادية ستهاجم مركز اللواء من الخلف. وكانت سرية زامير مكونة من سبع دبابات فقط ولكن رجالها استطاعوا تدمير حوالي ٤٠ دبابة وعددا كبيرا من ناقلات العدو المدرعة. وخلال هذين اليومين اللذين سادهما قتال شديد لم يصب أحد من افراد السرية. صحيح أن الدبابات اصيبت المرة تلو الأخرى ولكنها لم تعطل كليا.

في صباح التاسع من الشهر ارسلت قوة صغيرة من وحدة اوري كرشاني لانقاذ مصابين من لواء جولاني، من شمال بقعاتا. وبينما القوة في طريقها عائدة الى وحدة الامداد في مثلث الاحمدية اصطدمت قوة الانقاذ بكمين مضاد للدبابات نصبه السوريون الى الجنوب من بقعاتا. ومنيت القوة بخسائر جسيمة فاصدر قائدها امرا للهجوم على الكمين وتدميره. فخلق جنود الاستطلاع تماسا واداروا معركة دامية مع قوة سورية كانت مكونة من سرية كوماندو واحتلت موقعا محصنا ومهملا منذ حرب الايام الستة. وفي النهاية تم تدمير جانب من القوة السورية فانسحبت. طيلة المعركة اطلق السوريون صليات من القنابل المضادة للدبابات من مسافات قصيرة، من داخل القوات، ومن وراء جدران حجرية واشجار وخنادق قديمة. وحاربت قوة الاستطلاع من داخل آلياتها وهي راجلة وكان تقدم الوحدة بطيئا ومصحوبا بعمليات تطهير. وفي هذه المعركة فقدت الوحدة ٢٤ مقاتلا ومنهم قائدها ونائبه واربعة ضباط آخرين ولكن خلال المعركة اعيد فتح طريق مسعدة ـ

بقعاتا القنيطرة التي اغلقتها قوة كوماندو سورية.

خلال معارك الصد تم ايضا القيام بهجوم معاكس ليلي خلف قوات العدو عندما كان السوريون يتقدمون في الواجهة الوسطى. وكان هدف الهجوم -الذي نفذ في ليلة الثامن من اكتوبر هو عرقلة التقدم السوري بالقرب من جبل الشيخ الصغير. ففي هذه، المنطقة تعرضت قوات اللواء منذ المساء لضغط مستمر، وقد نفذت الذخائر بسرعة. وعلم العقيد بن جال أن الجناح الجنوبي غير محمي وهذه المعرفة اضافت قدرا من الاسراع في تنفيذ الهجوم المعاكس.

في المرحلة الاولى من الهجوم احتلت سرية دبابات مصغرة تابعة للواء موقع «البسطار». وبعد ذلك تقدمت القوة نحو الشمال الشرقي بين جبل الشيخ الصغير وبين الموقع ١٠٧. وحدث تماس بين هذه السرية وبين قوة مهمة سورية كانت مكونة من حوالي ١٥ دبابة وحوالي ١٠ ناقلات جنود. وقد اعدت هذه القوة على ما يبدو، لاحتلال «البسطار». وتمكنت السرية المصغرة من تدمير جزء من القوة السورية، وواصلت التحرك نحو الشمال الشرقي واجتازت مثلث الاحمدية ودمرت اثناء حركتها السريعة آليات غير مكشوفة كانت تسير في الجناح الجنوبي للهجوم السوري.

بعد ان بدأ السوريون هجومهم على وسط اللواء بحوالي ثلاثة ارباع الساعة فقد العدو زخم تقدمه وتوقف. وعادت السرية المصغرة من اللواء السابع الى الخلف وتمركزت على تل البسطار.

لم تكد معارك الصد تنتهي، حتى أن بدأت مرحلة الهجوم المعاكس. فقد تم التخطيط لعملية اختراق بين الموقعين ١٠٤ و١٠٥ ولاحتلال اهداف في المنطقة السورية: جبتا وترنجه، ومزرعة بيت جن وتل شمس. وصودق على الخطة في اطار اجتماع عقد في مجموعة ايتان يومي ١٠ و١١ اكتوبر بمشاركة رئيس الاركان. وكان السؤال المطروح هو كيف يمكن اختراق حقل الالغام في منطقة الاختراق. فطبيعة الارض لم تمكن من استخدام دبابات كاسحة للالغام. وقد حددت الساعة ١١ر٠٠ من يوم الحادي عشر من اكتوبر ساعة لبدء الهجوم.

تهديد على دمشق

منذ الثالث من الشهر اهتم اللواء السابع باعادة اصلاح الدبابات وباعادة

ملء الصفوف التي ضعفت جدا في مرحلة الصد الصعبة من ظهر يوم الحادي عشر من اكتوبر شمل اللواء كتيبة «عز» بقيادة يائير وكتيبة المشاة المدرعة وقوة عاموس التي ارسلت الى اللواء كتيبة احتياط. واصبح اللواء يمتلك حوالي ١٠٠ دبابة كان معظمها من الجهاز اللوجستي للمجموعة.

اخترقت كتيبة «عز» «وقوة عموس» حقول الالغام، وبعد حركة صعبة في منطقة صخرية، نجحتا في الوصول الى مثلث الخضر ـ ترنجه، وفورا اتجهتا نحو الشمال، وسيطرتا على مثلث الخضر وعلى تل الاحمر من الجنوب وبدأتا تتقدمان نحو مزرعة بيت جن. وحاولت حوالي ٣٠ دبابة سورية صد هذا التقدم، ولكن دون جدوى. وفي ساعات المساء احتلت القوة المناطق المسيطرة على مزرعة بيت جن. في ليلة الثاني عشر من اكتوبر شن السوريون هجوما معاكسا ـ بواسطة الدبابات، وجنود المشاة والمدفعية. وهذا الهجوم الذي ركز على المواقع الامامية لقوات اللواء في منطقة مزرعة بيت جن، تم صده بمساعدة كتيبة من لواء «جولاني» التي قامت بحماية كتيبتي الدبابات.

اما الجهد الجنوبي، الذي شمل «قوة بن حنان» وكتيبة مشاه مدرعة وكتيبة مدرسة الدروع (بقيادة يائير) فقد نفذ امام جبتا وترنجه. واثناء تقدمه اجتاز حقل الغام (وفيه اصيبت دبابتان) وسيطر على ترنجه وبدأ معركة دروع في المنطقة المفتوحة بين معسكري خالص وترنجه. وهذه المنطقة صعبة العبور وفيها عدة طرق ترابية. وفي هجوم منسق قامت به كتيبة بن حنان وكتيبة مشاة مدرعة تم احتلال معسكرات خالص وقرية خالص. (او حلتس). صحيح أن الاهداف النهائية لم تحتل بعد عندما حل الظلام ولكن خطط لاحتلالها في اليوم التالي.

في فجر الثاني عشر من اكتوبر، بدأ الجهد الشمالي نحو مزرعة بيت جن، وكان هدفه احتلال هذه البلدة والسيطرة على المناطق المسيطرة عليها. واذا كانت هنالك امكانية ـ يجب استغلال النجاح نحو «سعسع» (كهذا قيل للقادة). وقد بدأ القتال في الساعة ١٠ر٠٠ تقريبا، وفي نفس الوقت بدأ السوريون هجوما مضادا باسناد جوي. وفشل الجهد السوري. وفي الساعة ١٤ر٠٠ تقريبا كان الهدف النهائي بايدي قوات اللواء السابع.

في الواجهة الجنوبية بدأ مع الفجر هجوم نحو تل شمس، وعلى محور القنيطرة ـ دمشق. وعلى محور الطريق سارت قوة بن حنان والى الشمال منها تقدمت كتيبة مشاة مدرعة. وعلى مسافة ٣٠٠٠م قبل تل شمس تطور اشتباك بين دبابات سورية والقوة المتقدمة. وتم احراق حوالي ٢٠ دبابة عند سفح التل، ولكن تقدم قوتي اللواء السابع اصبح بطيئا بسبب تعرضهما لاطلاق صواريخ مضادة للدبابات من نوع «ساغر» من اتجاهين ـ من شمال الطريق من منطقة اللجه ومن جنوب الطريق ـ من المنطقة المفتوحة وفجر السوريون جسرا صغيرا على محور الطريق ودمروا ٧ دبابات من القوات المتقدمة.

اصدر قائد اللواء العقيد بن جال، توجيهاته للمقدم يوسي بن حنان، وفي اعقاب التوجيهات هاجم يوسي تل شمس عن طريق عملية التفاف يسارية عميقة عن طريق اللجه. وقامت كتيبة مشاة مدرعة وقوة يائير بتغطية حركته ولكنهما لم تستطيعا التقدم نحو الامام بسبب نيران مدفعية ثقيلة وصواريخ كتف اطلقت عليهما. وقد هاجمت قوة بن حنان تل شمس وبدأت باحتلالها وعندها دوت اربع دبابات من قوته عن طريق اصابات مباشرة بصواريخ «ساغر». واصيب المقدم يوسي بن حنان نفسه بجروح خطيرة وبقي ملقى على التل. ودخلت المنطقة قوة انقاذ خاصة، ووصلت الى تل شمس واخلت بن حنان ورجاله.

عندما انتهت هذه المرحلة من القتال، احتل اللواء جميع الاهداف التي خصصت له، باستثناء تل شمس. وقد تم احتلال هذا الهدف في غداة اليوم التالي على ايدي المظليين، باسناد سرية دبابات من اللواء السابع.

خلال يومي القتال الحادي عشر والثاني عشر من اكتوبر، فقد اللواء السابع حوالي عشرين دبابة و١٨ مقاتلا. وكانت المراكز الرئيسة للحرب مزرعة بيت جن وتل شمس. وخلال هذين اليومين قُصف اللواء بكمية هائلة جدا من صواريخ «ساغر» وعانى اللواء من نقص في وحدات المشاة المدرعة المختارة، التي كان بامكانها ان ترافق الدبابات في الهجوم وان تساعد في السيطرة على تلال وعلى مناطق مغلقة ومعزولة مثل اللجه.

تأهب اللواء السابع لان يهاجم في اليوم التالي «سعسع» عن طريق استقدام قوة عاموس وكتيبة «عز» من مزرعة بيت جن ولكن في ليلة الثالث عشر من الشهر

تم تفرق قوات اللواء بسبب تقدم قوات عراقية من الجنوب وبسبب مهام القيت على عاتق الكتائب: فكتيبة المشاة المدرعة قامت بحماية خان الارانب باتجاه الجنوب، وكتيبة اخرى قامت بحماية مثلث معسكرات ماعتس نحو الجنوب. وقوة بن حنان لم تعد قائمة والحقت بالكتيبة. اما كتيبة عز فقد نقلت من مزرعة بيت جن الى منطقة معسكرات حلتس لمنع اقتحام من جهة تل شمس نحو الواجهة الوسطى.

في فجر الثالث عشر من الشهر اصبح اللواء مستعدا من جديد لوقف تقدم القوات العراقية والسورية التي هددت في هذه المرحلة مجموعة لانر بشكل خاص.

في الثالث عشر، والرابع عشر من اكتوبر حسن اللواء مواقعه نحو الجنوب الشرقي وسيطر على التلال المطلة على محور قرية نسج. فاحتلت كتيبة المشاة المدرعة تل مسخره. وفي هذين اليومين صد اللواء ثلاثة هجومات معاكسة باسناد قوات من لواء «جولاني».

حتى نهاية الحرب ثبت اللواء الخط وصد هجمات ونفذ غارتين مدرعتين كل واحدة منهما بقوة كتيبة.

وعندما جاء اللواء السابع لاجمال نتائج الحرب التي خاضها، كان بامكان القادة والمحاربين ان يكونوا مرتاحين للمكاسب رغم اسفهم على الخسائر البشرية التي منوا بها. ففي معركة الصد نجح اللواء في الصمود اربعة ايام وثلاث ليالٍ أمام هجمات سورية مستمرة وقوية. وخلال الحرب دمر اللواء حوالي ٣٥٠ دبابة. وكان مبدأ عمل اللواء يرتكز على حشد اللواء وعلى استغلال المناطق السهلة للدفاع والصد. واهتمت قيادة المجموعة بتعزيز اللواء بقوات جديدة في اللحظات الحرجة من الحرب.

لم يعرف محاربو اللواء الراحة لا بالليل ولا بالنهار. وقد خرجت الطواقم من دباباتها فقط بعد عشرة ايام من القتال، وحتى انذاك خرجت لوقت قصير فقط. فمستواهم المهني وتمسكهم بالهدف، هما اللذان مكناهم من الصمود في هذه الحرب الضروس، وليس فقط صد الهجوم السوري وانما اقتحام المنطقة السورية والسيطرة على جيب، وخلق تهديد لدمشق.

العميد ابراهام [البرت] مندلر
رجل دروع الصحراء قتل في الحرب

لقد ظهر البرت على الخارطة وبرز جدا في حرب حزيران ١٩٦٧، حيث قاد لواء الدروع الذي قاد عملية اختراق هضبة الجولان واحتل مدينة القنيطرة. وقبل ذلك بعامين، عندما كان برتبة مقدم، تسلم قيادة هذا اللواء. وكان هذا اللواء هو اللواء المشهور الذي قاده اسحق ساديه في حرب عام ١٩٤٨.

لقد قتل العميد ابراهام [البرت] مندلر قائد القوات المدرعة في سيناء يوم ١٣/١٠/١٩٧٣ عندما كان يقوم بجولة في خط جبهة القناة من قذيفة اصابت المجنزرة التي كانت تقله مباشرة. وكان العميد مندلر يقود قوة مجموعة مجحفلة حاربت المصريين في احدى واجهات القناة. وكان يعتبر في الجيش الاسرائيلي بانه ضابط ذو قدرات مهنية فائقة، ويتمتع بقدرة قيادة ممتازة. وقد كان العميد مندلر اكبر قادة الميدان في الجيش الاسرائيلي. وقبل اندلاع الحرب بـ ٤٨ ساعة قال البرت: من جهتي الشخصية، فان هذه الوظيفة التي اشغلها تشكل القمة. واستطيع ان اغادر الجيش الآن بهدوء. وقد احب البرت وظيفته والحياة في الصحراء. ولهذا سمي «رجل دروع الصحراء».

لقد قتل العميد ابراهام مندلر عن عمر يناهز الرابعة والاربعين من العمر. وقد ترك وراءه زوجة وابنتين.

القوات الاسرائيلية التي حاربت في حرب (يوم الغفران)

١ ـ الجبهة الشمالية

أ ـ مجموعة «رفول»

قائد المجموعة : العميد الثاني رفائيل ايتان (رفول)
نائب القائد : العميد الثاني مناحم ابيرام (من)
ـ اللواء السابع : دبابات سنتوريون
ـ قائد اللــواء : العقيد افيجدور بن جال
ـ لوبر بــراك : دبابات سنتوريون
قائد اللــواء : العقيد اسحق بن شوهم (قتل) ـ والمقدم داني

ب ـ مجموعة «موسى»

ـ قائد المجموعة : العميد الثاني موشه بيلد (موسى)
ـ نائب القائد : العقيد ابراهام روتم.
ـ اللواء التاسع : دبابات شيرمان وسنتوريون
ـ قائد اللــواء : العقيد مردخاي بن بورات
ـ اللواء الرابع : دبابات شيرمان وسنتوريون
ـ قائد اللــواء : العقيد يعقوب هدار (بابر)
ـ اللــواء ٢٠٥ : دبابات سنتوريون.
ـ قائد اللــواء : العقيد يوسي
ـ لــــــواء : دبابات شــيرمــان
ـ قائد اللــواء : العقيد جدعون غوردون

ج ـ مجموعة لانر

ـ قائد المجموعة : العميد دان لانر
ـ نائب القائـد : العميد الثاني موشه باركوخبا (بريل)
ـ لــــــواء : دبابات سنتوريون
ـ قائد اللــواء : العقيد ران
ـ لــــــوا ٦٧٩ : دبابات سنتوريون

- قائد اللــواء : العقيد اوري اور

---

٢ ـ الجبهة الجنوبية

أ ـ مجموعة البرت

- قائد المجموعة : العميد ابراهام (البرت) مندلر (قتل) وحل محله العميد كلمان ماغين (قتل).
- نائب القائد : العميد الثاني باروخ
- لـــــــواء : دبابات باتون
- قائد اللــواء : دان شمرون (عقيد)
- لـــواء هرئيل : دبابات سنتوريون
- قائد اللــواء : العقيد ابراهام بارعام
- اللواء الثامن : دبابات شيرمان
- قائد اللــواء : العقيد اربيه ديان (بيرو)

ب ـ مجموعة «برن»

- قائد المجموعة : العميد ابراهام ادان (برن)
- نائب القائـد : العميد الثاني دان تماري
- لـــــــواء : دبابات سنتوريون ودبابات باتون
- قائد اللــواء : العقيد جبرائيل
- لـــواء ٢١٧ : دبابات سنتوريون
- قائد اللــواء : العقيد نتان نير (نتكه)
- لـــوا ٥٠٠
- قائد اللــواء : العقيد اربيه

ج ـ مجموعة اريك

- قائد المجموعة : العميد ارئيل شارون (اريك)
- نائب القائـد : العميد الثاني يعقوب ايبن (جاكي)
- لـــــــواء : دبابات باتون
- قائد اللــواء : العقيد امنون ريشف

- لـــــواء : دبابات باتون
- قائد اللـواء : العقيد حاييم اراز
- لـــــواء ٦٠٠ : دبابات باتون م/٦٠
- قائد اللـواء : العقيد طوبيا ربيب

د - مجموعة كلمان - ساسون

- قائد المجموعة : العميد الثاني كلمان ماغين
حتى ١٣/١٠/١٩٧٣
العميد الثاني اسحق ساسون
- نائب القائد : العقيد سموئيل البك
- لـــــواء : دبابات باتون
- قائد اللـواء : العقيد تسفي رام
- لـــــواء ١١ : دبابات شيرمان
- قائد اللـواء : العقيد اهارون
العقيد يوآل غونين

تنظيم وبناء

إنتهت الحرب بوقف اطلاق النار، الذي صحبته اتصالات سياسية وحرب استنـزاف جديـدة استطاعت ان تتطور لحرب شاملة في كل لحظة. وقد تعززت صفـوف العدو التي تضررت عن طريق صفقات دبابات من الدول العربية ومن الاتحاد السوفياتي وصلت بطريق البحر وعبر قطار جوي. وفي الجيش الاسرائيلي تم اصلاح المئات من الدبابات التي تضررت. كذلك بدأت تصل دبابات جديدة من الولايات المتحدة. وكانت المشكلة تتمثل في اعادة بناء القوة من جديد وباسرع وقت ممكن. وقد نصت نظرية الدروع التقليدية على اكتساب المستوى المهني عن طريق التدريب المنظم والمستمر. ولكن لم تكن هناك اجهزة تدريب فورية، والخطط ومدد برامـج التـدريب التقليدية لم تحل هذه المشكلة. وقد اسندت مهام التدريب الى المجمـوعات المحاربة وهكذا طبقت برامج التدريب ليل نهار. وخلال فترة قصيرة اضيفت الى جهاز التدريب المئات من الطواقم والقادة. وهذه عملية ضخمة نفذت في ظروف صعبة، لانه مقابل التدريب، كان على الوحدات المشاركة في التدريب ان تكون في جاهزية عملية كاملة ومستمرة. كذلك دعت الحاجة الى سيطرة كاملة على الطاقة البشرية، لأن الكثيرين اخرجوا للمشاركة في دورات والتحركات الكثيرة للطاقة البشرية اضعفت طواقم تبلورت في الحرب واصبحت في حالة استعداد لحرب مجددة ورغم جميع المصاعب، نجحت قوات الدروع في تطبيق العزف القديم القائل: «يجب أن يكون هناك طاقم لكل دبابة».

إجمال العميد بيلد:

بعد كل حرب تدعو الحاجة الى التحقيق في اسباب النجاح والفشل والتأكد من نظرية القتال والامن، والتنظيم والمعدات. وقد انطبق ذلك بشكل خاص على حرب (يوم الغفران) التي كانت طويلة وصعبة وشملت صوراً حربية متنوعة وتركت جرحا صعبا في قلب الامة.

لقد تكونت هناك صورة قاتمة في مساء اليوم الاول من الحرب، ولكن مجموعات الدروع هي التي اوقفت تقدم الدروع في الشمال والجنوب وهي التي حولت الدفاع الذي طبق في الايام الاولى الى هجوم، والى عبور والى انتصار. وقد حقق العرب انتصارين. المفاجأة والقدرة على منعنا من اشراك سلاح الجو باكبر قدر ممكن في القتال البري. وكان لكل انتصار بحد ذاته تأثير كبير فما بالك بتأثير الانتصارين. وفي هذه الظروف حملت قوات الدروع على عاتقها كافة عبء الحرب في المعارك البرية. ومرة اخرى برهنا على مقدار نجاحنا في تثقيف وتدريب واعداد المحاربين للمواظبة على الحرب بعناد وبدون تردد او كما قال العميد (الاحتياط) يسرائيل طال: «ان السلاح الذي لم يعد محاربوه حرابهم الى غمادها ولو مرة واحدة ويستمر زخم حربهم بشكل دؤوب منذ البداية والى أن يحترقوا او يتفجروا مع دباباتهم او حتى يقهروا العدو وحتى تنتهي الحرب». ان الحديث لا يدور هنا عن عدد الهجمات في الاربع وعشرين ساعة، لان الحرب من اجل الحياة او الموت ليست شعارا فقط، وانما هي واقع حياة تستمر الكتيبة فيه في مواصلة القتال حتى ولو بقيت منها دبابة واحدة.

في هذه الحرب فقد السلاح خيرة محاربيه وكانت الخسارة صعبة ومؤلمة جدا. وفي جميع الحروب التي خاضتها اسرائيل لم يعان اي جندي او مجموعة جنود مثلما عانى جنود الدبابات في حرب (يوم الغفران)، لانهم حاربوا في جميع ايام الحرب وطيلة النهار والليل، واثناء الصد، والدفاع، والهجوم. ففي المزرعة الصينية حارب لواء امنون اياما كثيرة قبل معركة المظليين وحتى نهاية الحرب. وهذا هو التحذير للمستقبل. ان كل من يكون مكشوفا وغير محمي فانه سيكون عرضة للاصابة. فبالنسبة لشعب صغير كهذا، فان النصر ليس المواصفة الوحيدة بل وهناك اهمية لقلة المصابين. ان الدرجة العالية من المحافظة على قواتنا أمام العدو الذي استعد سنوات طويلة لصد الدروع الاسرائيلية بجحافل مشاة، وصواريخ مضادة للدبابات، ومدفعية هي التي تسببت في وقوع الخسائر الكبيرة، ومعظمها في الايام الاولى للحرب، عندما كان ميزان القوى لغير صالحنا. ولكن مقابل الثمن الرهيب، الم يكن البديل اشد رهبة؟!

إعادة بناء السلاح

فور انتهاء الحرب، كانت المهمة الاولى التي مثلت أمام اعيننا هي واجب ايقاف سلاح الدروع على اقدامه. وان يزداد من ناحية الحجم وبسرعة زائدة من خلال المحافظة على الجاهزية العملية. وفي اطار عملية اعداد هائلة زاد السلاح من حجمه منذ الحرب، بنسبة لم يسبق لها مثيل. وقد مثل امام اعيننا الخيار بين الزيادة الكبيرة ولو على حساب النوعية وبين تطوير النوعية ولو على حساب الكمية الامر الذي يعني وجود دبابات بدون طواقم. وقد اخترنا الامكانية الاولى من خلال الادراك بان التزايد يخلق اساسا لتحسين النوع عندما يتسع. وكنا بحاجة الى كمية تكفي ليس فقط لتحقيق الحسم الذي يكون فيه التآكل غير مستبعد وانما لقطف ثمار الحرب!

تعاظم نوعي

في عام ١٩٧٦، وعندما كنا نزداد حجما ونتكاثر، اتجهنا نحو التعاظم النوعي. فهناك الكثيرون في اسرائيل لم يكونوا راضين عن نتائج الحرب واصوات كثيرة خبيرة بمصير الدبابة رافقت عملنا. وهناك اصوات كثيرة غاضبة على نهاية الدبابة سقطت على الارضية السهلة بسبب عدد الاصابات الهائل الذي تعرضنا له. وذلك خلافا لقراراتنا وعلى نقيض تام من العبر التي استخلصتها جميع جيوش العالم لتعزيز قوات الدروع بقدر الامكان. وعلى فكرة فان الجدل لم يدر حول هذا الموضوع وانما دار حول التشكيل المتزن لجيش بدأ يتحول الى جيش مدرع والى بناء نفسه كجيش متنقل ومدرع فالدبابة ستواصل وجودها في مركز عملية التعاظم، وستملي الزخم والجراءة وسرعة التنقل ولكن ليس وحدها فقط. فلن تبقى هناك انعزالية سلاحية وانما سيتكون دمج بين قوات الدروع والمشاة والمدفعية والهندسة والاسلحة الاخرى. والدمج لن يكون في القمة وانما سيشمل القاعدة ايضا: سيشمل فنون الحرب للوحدات الصغيرة ايضا وهذا الدمج سيتدرج حتى المستويات العليا، وحتى الحرب المشتركة لكافة الاسلحة. لقد بدأ سلاح الدروع يشمل ويحتضن جميع الاسلحة واصبح يتحول الى اكبر الاسلحة. واستمرارا لهذه الافكار فقد اقيمت قاعدة تدريب مركزية لوحدات الميدان ليتم فيها تدريب وحدات الميدان، والهندسة

والدروع وغيرها بما في ذلك التدرب على المواقع المشتركة. وبالاضافة الى ذلك فقد تم التركيز على تطوير فنون قتالية متعددة الاسلحة. في هذه الفترة زرعت ايضا الافكار والاعمال للمستقبل. ويجدر بنا ان نتطرق هنا الى ابرز هذه المواضيع:

- ان حجم سلاح الدروع لا يمكن ان يزداد بدون حدود. فطاقاته محدودة بالنسبة للطاقة البشرية وللوسائل، ولهذا فان الحل بالنسبة لذلك يتمثل فقط في زيادة القوة الرمزية لكل دبابة وذلك كطريقة عديمة البدائل لزيادة قوة الدروع. وفي هذا الاطار تم تحسين الكفاءة الحربية للدبابات في الليل والنهار، واضيفت الى اطر الوحدات عناصر نار واسناد من أجل منح الدبابة الوحيدة، والوحدة التكتيكية الصغيرة لمزيد من القوة لمعالجة مختلف الاهداف.
- ان ميدان قتال المستقبل سيكون مشبعا بالنار بنسبة اكثر من معدل الرماية الذي لمسناه في حرب (يوم الغفران). فتنوع المعدات، والتزايد الكمي والاكتظاظ العددي واتساع المساحات التي يحتلها العدو، هي الرد المبدئي على جميع هذه الامور التي تتمثل في القدرة على الانتقال التكتيكي والعملي. وعليه فان كل من يقول «دروع» ولا يقول «تنقل» فكانما لم يقل الحقيقة! فالقدرة على التنقل هي الوسيلة لتغيير وضع محلي او ميداني لميزان القوى، وحقيقة اننا نستطيع تحريك قوات على الخطوط الداخلية، تزيد من هذه الامكانية. فنحن معرضون للاصابة جداً في الحرب الثابتة وعلى ضوء معدل القوى غير المتوازن فان القدرة على الحركة تمكنا من نقل الحرب الى ارض العدو. وبهذه الصورة فقط يمكن حسم الحرب ووقفها. ان القدرة على التنقل تجبرنا على توفير عنصر المرونة الفكرية والتنظيمية ولكنها في نفس الوقت تصعب على الطرف الثاني ردة فعله. فهذا هو الرد المناسب للتمسك بالارض النموذجية لحرب العدو.
- ان قدرة الدبابة على البقاء هي قيمة عليا. ورغم انه لم تكن الدروع في يوم من الايام محصنة تماما من اصابة الاسلحة الكثيرة التي تكمن لها، فان الجواب مع هذا هو قدرة الدبابة على البقاء. ان التصفيح ثقيل ومعقد، ولكنه يشكل شرطا للمحافظة على حركة التنقل التكتيكية من جميع الانواع. وفي هذا المجال حدث تقدم كبير في الافكار وفي الحلول التكنولوجية التي تمكن من التطبيق العملي.
- ان الاستخبارات المقاتلة هي اكبر تأكيد للمثل القائل: «اذا لم انفع نفسي فمن سينفعني» يجب ان لا نتصور بان المعطيات الاستخبارية على المدى التكتيكي

ستسلم الى المستوى المحارب عن طريق الاستخبارات الخلفية. فعلى مجموعات الدروع ان تكون هي المسؤولة عن جهاز الاستخبارات التكتيكية، وذلك من أجل الحصول على صورة للوضع عما يدور (خلف التلة) وفي الوقت الحقيقي.

- كلما اصبح القتال اكثر ديناميكية، وحنكة، واستمرارا كلما صعبت فيه السيطرة على القيادة وكلما اصبح يتجاوز التخطيط الموضوع سلفاً. ففي المستقبل لن يكون بالامكان الاعتماد على جهاز المراقبة البري بوسائله الضعيفة والبطيئة. فالذاكرة البشرية، والخرائط، ومذكرات غرف العمليات، لا تشكل وسيلة سيطرة كافية ومناسبة على مستوى المجموعة. فالحاجة تدعو الى اجهزة الكترونية والى اساليب عمل حديثة تمكن من الحصول على صورة للوضع وعلى معطيات في الوقت الحقيقي، من اجل اتخاذ قرارات وقرارات حاسمة. وقد تقدمنا في هذا المجال.
- ان معظم الدروع مخزونة لوقت الحاجة. وقد تحدثت عبر الحرب عن ضرورة تقصير وقت الانطلاق للحرب. ويوجد بذلك ما يواجه المفاجأة بل ويخلق عنصر المفاجأة. وفي هذا المجال تم تحسين اساليب تخزين الدبابات وطبيعة تسليحها وقد تحققت مكاسب حقيقية.
- في مجال حرب الدبابات تبلورت فنون جديدة وفرت الجواب على تزايد الاسلحة المضادة للدبابات وعلى الطابع التهربي للاهداف في ميدان القتال. كذلك تبلورت واجملت فنون قتالية أخرى انعكست في التدريبات والنشرات النظرية الشاملة.
- التوسع الضخم الذي تلى الحرب وتعرض قادة كثيرين للاصابة اجبرانا على ترفيع المزيد من القادة اصحاب التجارب القتالية الواسعة، ولكن بدون تأسيس نظري، ومع هذا تطلبا منا البدء بعملية اعداد واسعة للقادة على مستوى مهني جيد حتى المعدل الذي يمكن معه تكوين احتياطي قيادي. وعلى هذا الاساس عقدت دورات قيادية كثيرة وعقدت دورة جديدة على مستوى لم يكن قائما في الماضي، واشترك في هذه الدورات ضباط من جميع الاسلحة الهجومية.كذلك فتحت دورة مدفعيـة تقدمية خاصةبالدبابات وكان هدفها تعميق المعرفة والخبرات في هذا المجال الحيوي.
- لقد اصبحت الاسلحة والمعدات باهظة التكاليف واصبح من الصعب الحصول

عليهـا. وتـرتب على هذه الحقيقة تخصيص طاقات حتمية للصيانة والتدريب ولتوجيه جزء كبير من الطاقات لمجال المشتريات. وقد بدأنا نتفحص بدقة امكانيات لتحسين موضوع الصيانة.

الدروع في المستقبل

إن سلاح الدروع يتطلع الى عدة غايات: فبعد الحرب تكونت نظريات قائمة. وهذه الخبرات بدأت كنظرية شفهية، وهي النظرية التي بطبيعة الحال تسبق النظرية المكتـوبة. وقد توجب علينا نشرها كنظرية مكتوبة لكي تكون اساسا للمستقبل. وبالفعل فإننا منكبون على هذه الكتابة من خلال اشراك مجموعات الدروع بالمهمة. لقـد ازدادت اهمية السلاح، وتحسنت نجاعته، واسعاره اصبحت تضرب ارقاما عالية، ولكن السلاح بدأ يصبح قديما بسبب التطور العلمي والتكنولوجي وبسبب تزايد التسلح في الجيوش العربية. كذلك بدأت برامج التدريب والصيانة تكلف مبالغ باهظة. ومع هذا فانه يتوجب علينا كشعب صغير، طاقاته محدودة ان لا نستعد للحرب التي وقعت، بل ويجب ان نستعد لما يخبئه المستقبل لنا عن طريق ادخال المزيد من المعدات الحديثة والمتطورة. وفي هذا الوضع يجب علينا ان نبحث عن طرق للتوفير في التدريبات والمناورات والصيانة كشرط للصمود امام التحديات. وفي هذا الاطار شُرع في تطويـر عمليـات تدريب بواسطة الاجهزة الصورية للاسلحة بالاضافة الى ادارة عمليات تدريب بواسطة الاجهزة الصورية للاسلحة بالاضافة الى ادارة عمليات التدريب القائمة وزيادة نجاعتها.

وفي الختام، لقد امتصت الدروع الحرب بعد ان دفعت ثمنا غاليا ومؤلما، ولكنهـا اعادت بناء نفسها، وتعاظمت وتطورت واصبحت قوات الدروع تنظر الى المستقبل «بثقة وايمان»*

---

* من مقال نشر في معاريف في اكتوبر ١٩٧٦.

تعاظم قوات الدروع

منذ نهاية حرب (يوم الغفران) وقوات الدروع الاسرائيلية تعيش عملية تعاظم مستمرة لم يسبق لها مثيل سواء في مجال الدبابات او في مجال الطواقم او في مجال تشكيل وحدات جديدة. وكان استيعاب دبابة المركبا على ايدي قوات الدروع واحدا من الانعكاسات الكثيرة لتعاظم هذا السلاح كما ونوعا.

وسلاح الدروع يهتم طيلة الوقت بتطوير نظرية حرب جديدة ومصححة. ونظرية سلاح الدروع، اليوم، هي جوهر عبر الحرب التي استخلصها مختلف القادة، واجمالات المناقشات والفنون التي تغيرت في اعقاب حرب (يوم الغفران).

وقد اصبحت النظرية، اليوم، موحدة، ورغم انها لم تكتب كلها، فقد بذلت في العام الماضي عملية كتابة جادة.

إن التطور الدؤوب في الجيش الاسرائيلي وفي سلاح الدروع ينعكس ليس فقط في تطور النظرية وفي التدريبات والمناورات وانما ايضا في استيعاب اسلحة ووسائل حرب حديثة وهي كلها محصلة للنظرية الحربية. فالاسلحة والمعدات الحربية يجب أن تبرز العنصرين الرئيسين في ميدان القتال وهما: الحركة والنار. وعليه فان سلاح المشاة المدرع اصبح مزودا باسلحة شخصية وباسلحة مضادة للدبابات من النوع المحسن، الامر الذي يزيد من كثافة نيرانه.

كذلك فان آليات المحارب في المشاة المدرعة هي ناقلة الجنود المدرعة التي توفر للمحارب حماية أفضل، من جهة، ومن جهة اخرى تزيد من قدرة المحارب على التنقل وتمكن من مجاراة الدبابات في الحركة ومساعدتها في حربها. كذلك اصبحت المدفعية الثقيلة متحركة في معظمها، كما ان التعاظم الكبير الذي طرأ على سلاح المدفعية هو احد الوسائل التي تزيد من كثافة رماية المجموعة المدرعة. وقد اصبحت الدبابات مزودة اليوم بوسائل تزيد من قدرتها على كشف اهدافها وبوسائل تزيد من دقة رمايتها.

دورات وتمارين

في هذا العام ، كما هي الحال في الاعوام الماضية، يستمر التركيز على تحسين النوعية فقد حددت مقاييس اعلى وحددت فترات التدريب.

وقد اصبحت السرية تتدرب اليوم فترة اطول مما خصص لها للتدريب بعد الحرب. كما ان تدريب الطاقم، والفئة والسرية اصبح واسعا. واذا لم يصل المتدربون الى المقياس الذي حدد بالنسبة لكل مرحلة تدريب. فانه لا يسمح بالانتقال الى مرحلة التدريب القادمة.

اليوم تعقد دورات لم يعقد مثلها في الماضي. فقد اشترك المئات من الضباط في دورة قادة سرايا مشتركة. وهناك دورة اخرى هي دورة قادة الكتائب، التي يتدربون فيها فترة اطول، ضباط من الجيش النظامي والاحتياطي. وهذه دورة مشتركة لكافة الاسلحة وتعقد باشراف سلاح الدروع ويدرب فيها قادة الوية.

اما العبرة الاضافية التي استخلصها الجيش الاسرائيلي من حرب (يوم الغفران) فهي ضرورة زيادة التعاون بين الاسلحة المختلفة. ولهذا فقد اقيمت في جنوب اسرائيل قاعدة تدريب كبيرة وواسعة مشتركة للدروع، وسلاح المشاة، والمدفعية والهندسة. وهذه القاعدة هي ضمن مسؤولية سلاح الدروع وتتدرب فيها وحدات الاحتياط, وتمكن هذه القاعدة من التدريب المركز لمعظم قوات الاحتياط في الجيش الاسرائيلي. في هذه القاعدة تطبق نظرية القتال الاسرائيلية التي تنص على أن المجموعة المدرعة هي مجموعة القتال الاساسية في الجيش الاسرائيلي. وعندما نتحدث عن مجموعة مدرعة فاننا نقصد المجموعة التي تشمل بالاضافة الى دبابات، ايضا قوات مشاة مدرعة ومدفعية وهندسة تعمل بشكل مشترك وبتعاون.

إن احدى ميزات هذه القاعدة تتمثل في تواجد جنود من الاسلحة المختلفة في مكان واحد حتى خارج ساعات التدريب الامر الذي يساهم في بلورة القوة المحاربة.

وتوجد في السلاح قواعد تدريب اصغر. ويبدأ القادة خدمتهم قبل الجنود بحيث يجتازون الدورات في مدرسة الدروع وبعد ذلك تبدأ تدريبات الطواقم وتنتهي التدريبات باجراء مناورة مشتركة تساهم فيها وحدات مشاة، ومدفعية، وهندسة، وكذلك طائرات.

إن المناورات التي تجريها قوات الدروع اليوم، هي ثمرة تطبيق نظرية سلاح الدروع التي حددت بعد الحرب، ولا تشبه المناورات التي جرت فور انتهاء الحرب. ويعتمد جانب من المناورات والتدريبات على ظواهر غير عادية، وعلى مشاكل تملى على

القائد فجأة وعلى معطيات تشير الى انها ستحدث في ميدان القتال.

والهدف من برامج التدريب والمناورات هو خلق ظروف تكون مشابهة، بقدر الامكـان، لظروف ميدان القتال الذي يزداد فيه المجهول واللامتوقع على المعلوم والمتوقع سلفاً.

الانسان في السلاح

إن المحطة الاولى التي يمر بها المجند لسلاح الدروع هي مركز المستجدين. وفي هذا المركز يجتاز المجندون تدريبات المشاة الاساسية.

ان تكاثر حالات الاعدادات والدورات في قوات الدروع يبقي المجند في اطار ثابت على مدى فترات زمنية مبعثرة فقط الامر الذي يضر بروح الوحدة. ومن اجل التغلب على ذلك يتم فرز المجندين في مركز المستجدين ويوزعون على سرايا هادفة منها للادارة ومنها ما هو مخصص للعمل في الطواقم، كذلك يعرف الجنود سلفا الوحـدة التي يستخدمون فيها في نهاية فترة الاغرار والهدف من وراء ذلك هو المحافظة على تركيبة السرايا التي حددت خلال فترة الاغرار لفترة زمنية طويلة بقدر الامكان وعلى طول طريق اعداد الجندي.

وفي نهاية فترة الاغرار ينتقل الذين اعدوا لاشغال وظائف ادارية لاشغال هذه الوظائف في الوحدات المختلفة، واما الذين اعدوا للعمل كطواقم دبابات فيصلون الى مدرسة الدروع لاجتياز دورة مهنية. سائق دبابة، ومدفعي دبابة ومعبىء ورجل اتصال، وهذه المهن تدرس على انفراد ويجتاز كل جندي اعدادا في مهنة واحدة فقط.

في نهـاية فترة التدريب المهني، يتم توزيع الجنود على طواقم الدبابات في وحدات الدبابات المختلفة في السلاح. وفي وحداتهم يتم تدريب الجنود ضمن الطاقم والفئة والسرية وبعد فترة من النشاط العملي يرسل الافضل منهم الى دورة قادة دبابات. اما المتفوقون من بين خريجي دورة الدبابات فيرسلون الى دورة ضباط تأسيسية ينقلون بعدها الى المشاركة في دورة ضباط دروع. وفي ختامها يمنحون شهادات قادة فئات دبابات.

وبالاضافة الى دفعات التجنيد العادية فإن سلاح الدروع يستوعب تلاميذ المدارس الدينية ويخدم في سلاح الدروع جنود كثيرون يعكسون متطلباته المهنية

وهم: جنـود التسليـح والسـواقـون، وجنود الصيانة، وجنود الاتصالات ورجال الاسعاف. كما ان دمج جميع المهن لتغطية حاجة الحرب وقهر العدو، يعطي للسلاح قوته، ولجنوده الشعور بالاعتزاز بسلاحهم.

موشـه بيلـد

قائد قوات الدروع من ١٦/٤/٩٧٤ وحتى ٢١/١/١٩٧٩

كان العميد (الاحتياط) موشه بيلد القائد التاسع لقوات الدروع، في الفترة التي تلت حرب (يوم الغفران) من ١٦/٤/١٩٧٤ وحتى ١٢/١/١٩٧٩. وخلال فترة خدمة العميد موشه (موسى) بيلد كقائد لقوات الدروع جرت عملية اعادة بناء سريعة لسلاح الدروع بعد الحرب. وقد مرت على السلاح عملية تعاظم فريدة من نوعها من ناحية الكم والنوع. فالازمة التي حدثت في الحرب اثرت على التطوع في السلاح. ورغم هذا نجحت قيادة قوات الدروع في اعادة بناء القوات بسرعة، من ناحية المعدات ومن ناحية طواقم الدبابات. وقد شكلت مجموعات دروع جديدة، واعيد بناء المجموعات القائمة، واستمرت عملية استيعاب دبابات من نوع باتون م/٦٠ وناقلات جنود مدرعة من نوع م/١١٣. كذلك شرع في انتاج دبابة «المركبا» التي كان من المقرر ان تدخل الخدمة العسكرية في نهاية السبعينات. كذلك نمت بلورة نظريـات حرب طبقت فيهـا عبر الحرب وجرى فيها التركيز على التدريبات المشتركة باشتراك جميع الاسلحة.

ولد موشه بيلد، في اسرائيل عام ١٩٢٧، وانضم الى صفوف الهاجناه وعمره ١٤ سنة واشغل وظائف رجل اتصال وقائد حظيره. وفي حرب (الاستقلال) خدم في الكتيبتين ١٤ و١٥ من لواء «جولاني»، والذي عمل فيه قائدا لسرية سيارات الجيب وساهم في معارك مشمارهاعيمق، وكان قائدا لقوة «جولاني» التي وصلت الى ايلات في عملية «عوبده» عام ١٩٤٩. وفي نهاية حرب (الاستقلال) تسرح من الجيش الاسرائيلي واشترك في دورات دروع احتياط وخرج للتدريب في مستوطنات المهاجرين في النقب. وقـد استدعاه العميد بارليف للعودة الى الخدمة عام ١٩٥٩. وارسل للتدريب في دورة قادة سرايا دروع. وقد تخرج من مدرسة القيادة والاركان عام ١٩٦٠ وعين قائدا لكتيبة دبابات نظامية. وفي عام ١٩٦٢ غادر البلاد الى الولايات

المتحدة للمشاركة في دورة دروع متقدمة. وفي حرب الايام الستة عين نائبا لقائد الفرقة العميد اليعاد بيلد الذي حارب في الواجهة الاردنية وهضبة الجولان. وفي حرب (يوم الغفران) عمل قائدا لفرقة دروع حاربت في الواجهة الجنوبية لهضبة الجولان وصدت القوات السورية الى ما وراء هضبة الجولان. وفي عام ١٩٧٤ وفي نهـايـة حرب (يـوم الغفـران) عين قائدا لقوات الدروع. وقد سرح من الجيش الاسرائيلي عام ١٩٨٠.

العميد موشه بيلد

زيادة حجم الدروع باي ثمن

في حرب (يوم الغفران) منيت قوات الدروع في الجيش الاسرائيلي بخسائر بشريـة جسيمـة. فقـد قتل افراد طواقم وقادة كثيرون وكثيرون آخرون اصيبوا واخرجوا من الخدمة بعضهم للابد (كمشوهين) والبعض الآخر لفترة ما، حتى أن تم شفاؤهم ثم عادوا للخدمة الفعلية. وعندما عين قائدا لسلاح الدروع كان واجبه الاول هو اعادة السلاح الى جاهزيته العملية والى كفاءته الحربية حين اصبحنا اعلى من تينك اللتين كان يتمتع بهما عندما دخل الحرب في بداية اكتوبر ١٩٧٣.

يقول: لقد مثل امامنا خيار صعب: هل نعمل على زيادة حجم السلاح بصورة كبيرة جدا على حساب النوع أم نهتم بتطوير النوع والمخاطرة بالتخلف الكمي في حالة تجدد الاعمال العدوانية.

وبتثاقل شديد اخترنا الامكانية الاولى من خلال تقديرنا بان زيادة الحجم حيـويـة، وهي التي ستخلق الاساس الذي ستبنى عليه النوعية بعد ان ينتهي الغضب. لقد كنا بحاجة الى الكمية. وكان ذلك احدى عبر الحرب التي انتهت لتوها. فالكمية مطلوبة ليس فقط لتحقيق الحسم في معركة الدروع، التي يعتبر التآكل فيها امرا مألوفا، وانما ايضا لاستغلال النجاح الى أن نتمكن من قطف ثمار النصر.

وعلى ضوء تقدير الوضع هذا نظمنا دورات قصيرة وسريعة لاعداد طواقم وقادة في آن واحد. وبرجال الدروع الجدد جهزنا الدبابات التي اشتراها الجيش الاسرائيلي بعد الحرب والدبابات التي اعادها للخدمة.

إننا لم نتجاهل الواقع. والاكثر من ذلك حاولنا التنبؤ بميدان القتال المستقبلي

وقلنا: في المستقبل سيكون ميدان القتال البري مشبعا ليس فقط بالصواريخ المضادة للدبابات التي ستطلق من الارض، بل وبالصواريخ التي ستطلق من الجو (وبخاصة من الطائرات العمودية المهاجمة). كذلك سيكون هذا الميدان مليئا ليس بالالغام غير الثابتة المزروعة سلفا في الارض وتنتظر الدبابات التي ستدوسها لكي تفجرها وانما بالالغام التي ستلقى من الجو او بواسطة المدافع امام الدبابات المتقدمة (او المنسحبة) إن الاسلحة الحديثة لن تنظف الدبابات من ميدان القتال ولكنها ستلزم بتشكيل قوات اكثر اتزانا.

كذلك فان الدروع ، والنار والحركة ستظل هي العناصر الرئيسة لحسم المعركة البرية، ولكن يتوجب على الجيش ان يعمل بتعاون وطيد اكثر بين الاسلحة المختلفة. فلن يعود هناك اي انعزال سلاحي. بل سيكون هناك دمج بين قوات الدروع، وسلاح المشاة والمدفعية والهندسة، وسلاح الجو، وبقية الاسلحة. وهذا الدمج لن ينعكس فقط على القمة، وانما على وحدات الميدان الصغيرة ايضا. وسيصبح الجيش اكثر مدرعا واكثر تنقلا وسيطلب من كافة الاسلحة ان تفكر وتعمل بحجم تفكير وعمل الدروع. ولهذا الغرض كنا بحاجة الى تطوير فنون قتالية مشتركة وتدريبات مشتركة. وهذه الافكار طبقت في الدورات التي نظمناها وكلما ابتعدنا عن نهاية الحرب، كلما طال أمد هذه الدورات وتحسنت.

لقد علمنا باننا لن نستطيع زيادة حجمنا الى مالا حدود له، فالطاقات الاسرائيلية محدودة بالنسبة للعنصر البشري وبالنسبة للمعدات والوسائل. والجيش الاسرائيلي لم يحل مطلقا مشاكله فقط عن طريق الزيادة العددية فحلنا يكمن في زيادة القوة النموذجية لكل دبابة ولكل طاقم ولكل قائد. وعليه فقد بحثنا عن طرق لتحسين الكفاءة الحربية للدبابات في الليل والنهار، عن طريق اضافة عناصر تتمثل في زيادة كثافة الرماية ومساندة اطار الوحدة. وبحثنا عن طرق لاعطاء الدبابة الواحدة وللوحدة التعبوية الصغيرة جدا استقلالا في مجال معالجة الاهداف المتنوعة.

وبما اننا اعتقدنا ان ميدان القتال في المستقبل سيكون مشبعا اكثر مما كان عليه، وأنه ستكون لدى العدو معدات اكثر، فقد حبونا الى تحسين عنصر التنقل التعبوي والعملي كرد حاسم لهذه المشاكل. لقد تعلمنا في جميع الحروب التي

خاضتها اسرائيل اننا اكثر عرضه للاصابة في الحرب الثابتة واما الحرب المتحركة فتمكنا من نقل الحرب الى ارض العدو باسرع وقت ممكن وحسم المعركة بسرعة وتقليص خسائرنا. كما ان الحرب المتحركة تتطلب مرونة فكرية وتنظيمية وتثقل كاهل العدو.

لقد كان احد الدروس الهامة لحرب (يوم الغفران) هو أنه يتوجب علينا تقصير فترة الانطلاق للحرب. وقد عملنا على تحسين اساليب التخزين وطابع المعدات لتشكيلاتنا المدرعة المقاتلة.

وفي نهاية عملي كقائد لقوات الدروع استطعت ان انقل السلاح الى القائد الجديد وانا اشعر باننا عملنا الكثير وانه يوجد اساس يستحق الذكر من الممكن تطويره من «خط انطلاق» امامي جدا.

عملية الليطاني

في يوم السبت العاشر من اذار ١٩٧٨، دخلت مجموعة من (المخربين) الى اسرائيل عن طريق البحر ونزلت في شاطىء مرسى ميخائيل. وبعد ان قتلت سائحة امريكية، كانت تقوم بتصوير الاحياء والاعشاب في الواحة الطبيعية المحلية، سيطرت المجموعة على سيارة اجرة وحافلتين جميعها تسير على طريق الساحل، ونفذت ضد ركابهم مذبحة مثيرة للقلق وقد تم خلال هذه العملية مقتل ٣٧ راكبا. ولم تستطع اسرائيل التحلي بضبط النفس وعدم الرد على العمليات (التخريبية) التي انطلق منفذوها من قواعد (المخربين) في لبنان. فتقرر الخروج في عملية انتقامية واسعة تقضي على قواعد (المخربين) في جنوب لبنان. واشتركت في هذه العملية قوات كثيرة ومتنوعة واطلقت عليها وسائل الاعلام اسم «عملية الليطاني». وقد سيطرت هذه القوات على جنوب لبنان في خمسة ايام. واسندت الى قوات الدروع مهمة الاسناد في هذه العملية التي أديرت ضد قوات شبه عسكرية وليس ضد جيش نظامي، مسلح باسلحة ثقيلة. واعدت قوات الدروع لتمكين القوات الاخرى من تنفيذ مهامها باقل قدر من الخسائر البشرية. ولهذا فقد الحقت قوات الدروع بقوات المشاه، من اجل تنفيذ هذه المهمة.

وفي الخامس عشر من اذار، وهو اليوم الذي بدأت فيه العملية، سيطر لواء

مظليين على قاطع بدائي، وهو يعمل على ثلاثة محاور، باسناد المدفعية وسلاحي البحرية والجو. وخلال عملية التقدم تم تطهير اهداف تخريبية ودمرت قواعد. وحظيت اسماء قرى لبنانية مثل «علما الشعب» وراس بياضه بشهرة واسعة في وسائل الاعلام. وسيطرت قوات مشاة اخرى، في نفس الوقت، على منطقة بنت جبيل، وهي تعمل على اربعة محاور، باسناد المدفعية وسلاح الجو. واضيفت الى قائمة الاهداف قرى: ارميش، ويارون، ومارون وام راس، وعيناتا، وميس الجبل وعيترون. وقد تغلغل لواء براك في منطقة (فتح لاند) وهي منطقة معروفة له منذ فترة حرب الاستنزاف وخاصة منذ عام ١٩٧٠. وخلال الاربع والعشرين ساعة الاولى من العملية قتل سبعة جنود اسرائيليين وجرح اثنان وعشرون. وقتل حوالي ١٠٠ (مخرب) واسر اربعة آخرون.

وفي غداة اليوم التالي استمرت عملية التقدم بصورة بطيئة واساسية. وقتل في اليوم الثاني سبعة جنود اسرائيليين وجرح اربعة وثلاثون. وفي اليومين الثالث والرابع قتل اربعة جنود اسرائيليين وجرح ٢٧ آخرون خلال التقدم في منطقة صعبة باسناد سلاحي المدفعية والجو.

وفي ١٩ اذار سيطر المظليون على اهدافهم النهائية ووصلوا الى «عين ابل» ودخلت قوات مشاة اخرى العشرات من القرى كما وصل لواء براك الى قرية سيردبه.

وفي ٢١ اذار ١٩٧٨ وفي الساعة ١٨٠٠ مساء اعلن وقف لاطلاق النار. وقد قتل في عملية الليطاني ٢١ جنديا اسرائيليا (عدد قليل منهم من الدروع) وجرح ١٠٩ آخرون.

وفي نهاية العملية توقفت واجهة جنوب لبنان عن كونها منطقة لمنظمة فتح كما كانت في السابق، ولمدة سنوات.

امنون ريشف

قائد قوات الدروع منذ ١٩٧٩/١/١٢

العميد امنون ريشف الذي كان قائدا للواء دروع في حرب (يوم الغفران) عين قائدا لقوات الدروع في ١٢ كانون ثان ١٩٧٩. ومنذ تجنيده في الجيش عام ١٩٥٦، امضى خدمته العسكرية في الدروع في كافة مراحل الخدمة: من رجل دبابة

وحتى ان وصل الى منصب قائد قوات الدروع.

وفي اعقاب حرب (يوم الغفران) وعلى ضوء التعاظم النوعي والكمي للجيوش العربية ركزت قوات الدروع الاسرائيلية على عملية البناء والتعاظم واستيعاب معدات جديدة ومتطورة وبلورة نظرية قتال للثمانينات. وقد شرع في اقامة فرق مدرعة جديدة. كما استمرت عملية استيعاب دبابات «مركبا» من انتاج اسرائيل. وخلال عهد العميد امنون ريشف يجري التركيز على تحسين النوعية في المجال الفني والمهني، وفي مجال الطاقة البشرية، والتدريب المكثف لمجموعات الدروع ـ النظامية والاحتياطية ـ طبقا لظروف ميدان القتال في المستقبل.

لقد التحق العميد امنون ريشف بالجيش الاسرائيلي عام ١٩٥٦، وانهى دورة ضباط وعمل في عام ١٩٥٨ مدربا في دورة ضباط. وفي عام ١٩٥٩ قاد فئة دبابات، اشتركت في عملية التوافيق ودمرت خلالها جهاز الانارة وقدمت مساعدة لجولاني في احتلال الموقع. وقد شغل «العميد ريشف مناصب قيادية مختلفة في كتيبة دروع وفي قيادة قوات الدروع. وفي حرب الايام الستة كان ضابطا للعمليات في اللواء المدرع الذي قاده ابراهام مندلر. وفي معركة الجولان اخترق اللواء الخطوط السورية. وبعد حرب الايام الستة عين العميد ريشف قائدا لكتيبة دبابات في سيناء وفي ايام حرب الاستنزاف كان قائدا لكتيبة استطلاع. وبين عامي ١٩٧٠/١٩٧٢ كان ضابط عمليات في قيادة قوات الدروع. وفي عام ١٩٧٢ عين قائدا للواء دروع نظامي، لعب دورا مركزيا في حرب (يوم الغفران) في عملية الصد في سيناء، وفي المعارك التي جرت في الاراضي المصرية. وكان تابعا لمجموعة العميد ارئيل شارون. وفي شباط ١٩٧٤ رفع الى رتبة عميد ثان وعين نائبا لقائد المجموعة وقد عمل قائدا لمجموعة في سيناء. وبعد ذلك عمل نائبا لقائد قوات الدروع حتى ان عين قائدا لقوات الدروع. والعميد ريشف هو خريج الكلية الملكية للدراسات الدفاعية في لندن. وهو متزوج واب لثلاثة ابناء وابنتين.

العميد يسرائيل طال

دبابة المركبا ـ جاهزية وجدوى اقتصادية

في ١٩٨١/١/٢٢ القى العميد يسرائيل طال محاضرة حول دبابة «مركبا» في

مؤسسة التاريخ العسكري. وبما ان محاضرته نشرت بكاملها في مجلة «معرخوت» فاننا سنورد هنا اهم ما جاء فيها:ـ

إن تطوير دبابة المركبا، الذي ادى الى وضع الاساس لصناعة الدروع في اسرائيل. يظهر من جديد اهمية الدبابة في تاريخ الحروب، سواء كوسيلة حربية رئيسة وكعنصر سياسي.

فالدبـابة (والطائرة) احدثت في الحرب العالمية الثانية ثورة فنون الحرب. (فالحرب الحديثة) (والحرب المدرعة) كانتا منذ ذلك الوقت تعبيرين مترادفين.

إن الحرب تعتمد على اساسين: النار والحركة. فاساس الحركة والمناورة هو الاساس الحاسم في الحرب (وان السلاح الذري فقط اذا استخدم من شأنه ان يعطي الافضلية لعنصر النار). إن المجموعة المدرعة وبمركزها الدبابة وسلاحها وجنازيرها، ستواصل حمل عبء الحسم في الحرب البرية، طالما ظلت قادرة على القيام بالمناورة العملية والاستراتيجية. وحتى لو طرأ انقلاب في ميدان الحرب وتستخدم مجموعات متعددة الاسلحة محمولة جوا، فان الدبابة ستستمر في لعب دور مركزي، وسيكون هذا الدور اكبر في المهام التعبوية الجبهوية. وحتى ذلك الوقت ستستمر الدبابة في لعب الدور المركزي في الميادين البرية، رغم اعداء الدبابة على اختلاف انواعهم وهم: الاسلحة المضادة للدبابات، والصواريخ المضادة للدبابات، والطائرات العمودية القانصة للدبابات، ويخطىء كل من يدعى بان زمن الدبابة قد انتهى.

في الشرق الاوسط اصبحت الدبابة سلاح الحسم في معركة (قادش) وهكذا كانت في حرب الايام الستة وفي حرب (يوم الغفران). ان التي عرضت وجود اسرائيل للخطر هي دبابات العدو، والتي انقذتها كانت دباباتها. ان الدبابة ليست مجرد نوع من السـلاح. فالدبـابة هي نظام مركزي من الناحية الاقتصادية، والتكنولوجية والاستراتيجية وهي الاساس، التي تبنى حولها القوة البرية.

في كل حرب يزداد عدد الدبابات في المنطقة ويرتفع سعرها. في حملة قادش عام ١٩٥٦ حاربت في المنطقة «١٠٠٠ دبابة وفي عام ١٩٦٧/ ٤٠٠٠ دبابة، وفي عام ١٩٧٣/ ٨٠٠٠ دبابة. واما اليوم فيدور الحديث عن وجود ١٢ر٠٠٠ دبابة في الشرق الاوسط. كذلك فقد اصبح السعر المثالي للدبابة ثلاثة اضعاف ما كان عليه عام ١٩٦٠. واحيانا كان انتاج الدبابة او شراؤها وصيانتها عبئا وطنيا مركزيا في

كل دولة تحتفظ بجيش حديث.

حتى عام ١٩٧١ لم تتسلم اسرائيل دبابات حديثة واضطرت لأن ترمم وان تطور دبابات قديمة وهكذا تكون حتما اساس تكنولوجي للدبابات. وقد فشلت مفاوضات اجرتها مع بريطانيا عام ١٩٦٩ لاسباب سياسية، من اجل انتاج دبابة تشفتن في اسرائيل. وعندها لم يعد مفر من تطوير وانتاج دبابة اسرائيلية في ايار ١٩٧٠ شرعت اسرائيل في بحث للتأكد من المعقولية التكنولوجية والجدوى الاقتصادية لتطوير دبابة وهنا كان التقدير الحاسم هو التقدير الاقتصادي وعليه فقد كان القرار بيد وزير المالية.

وتحت اسم الشيفرة «مركبا» الذي اصبح فيما بعد اسما للدبابة تبلورت ونسجت خطة لتطوير دبابة اسرائيلية. وفي وزارة الدفاع اقيمت (ادارة مشروع الدبابة). وبني سلاح التسليح في مركز اصلاح الدبابات على اساس قائم وخبرات قائمة، هيئت لتصميم وانتاج الدبابة.

وبعد مرور أقل من تسع سنوات، وفي نيسان ١٩٧٩، تسلم الجيش الاسرائيلي الدبابات الاولى من نوع مركبا (علما بان تطوير وانتاج دبابة مماثلة في العالم يستغرق بين ١٣ـ١٥ سنة) وبالاضافة الى مصانع وزارة الدفاع فقد استخدم في انتاج الدبابة وقطعها الاف العمال في ٢٠٠ مصنع مدني، كما ان ٨٥٪ من مجموع قطع الدبابة البالغ عددها ٣٠ر٠٠٠ قطعة يتم انتاجها في اسرائيل.

وقد بلغت تكاليف تطوير الدبابة واقامة الصناعة الخاصة بها ١٩٩ مليون دولار (٥٠٪ بالعملة الصعبة). واما القيمة المضافة للدبابة فقد بلغت ٥٧٪ وفي السنوات القادمة فستبلغ ٧٠٪.

وتعتبر دبابة مركبا دبابة معركة رئيسة وذات قدرة على الحركة التعبوية وقدرة فائقة على البقاء في ميدان المعركة. وهذه الدبابة تنتمي الى جيل دبابات تي ٧٢ الروسية وليوبارد الالمانية واكس ام واحد الامريكية. ولم تدخل الخدمة الفعلية الآن سوى دبابتا تي ٧٢ و«مركبا».

وقد تم اثناء تطوير الدبابة تبني الاسلوب الروسي وهو: انتاج نموذج مركزي وتحديثه مرة كل عدة سنوات. ودبابة مركبا رقم ٢ تجتاز الآن مراحل هندسة الانتاج واما دبابة مركبا رقم ٣ فستغطي متطلبات ميدان القتال في التسعينات.

وفيما يلي المحطات الرئيسة على طريق تطوير وانتاج الدبابة مركبا:

اذار ١٩٦٩ ـ اقيمت ادارة مشروع دبابة (تشفتن) برئاسة العميد يسرائيل طال.

آب ١٩٧٠ ـ صدرت الموافقة على البدء بتنفيذ مشروع (مركبا) ونشر الامر الاساسي.

ايلول ١٩٧٠ ـ تقرر بناء نموذج خشبي.

تشرين اول ١٩٧٠ ـ نشر التصميم العملي للدبابة.

كانون اول ١٩٧٠ ـ جرت التجربة الوهمية الاولى لدبابة مركبا.

شباط ١٩٧١ ـ نشرت مهمة تطوير دبابة مركبا.

نيسان ١٩٧١ ـ انتهى بناء النموذج الخشبي الاول وتقرر بناء نموذج موسع آخر لمعرفة اين سيتم وضع المحركات والاجهزة الرئيسة في الدبابة.

تشرين اول ١٩٧٢ ـ بدأت اعمال التوثيق لشراء هياكل ابراج لدبابة مركبا.

اذار ١٩٧٣ ـ وقعت اتفاقية لانتاج محرك قوته ٩٠٠ حصان.

نيسان ١٩٧٣ ـ تمت التوصيات على ابراج لدبابات مركبا الاولى.

ايار ١٩٧٤ ـ صدرت موافقة اولية على بدء انتاج الدبابة.

تموز ١٩٧٤ ـ تم تركيب الآلة الاولى لتصنيع الاجهزة الاوتوماتيكية.

كانون اول ١٩٧٤ ـ سلم النموذج الاول من دبابة مركبا لتجربته في الميدان.

ايلول ١٩٧٥ ـ تم تدشين خط الانتاج الاول لمجموعة الدبابات الاولى.

كانون ثان ١٩٧٦ ـ بدأ الانتاج المنظم لدبابات مركبا.

تشرين اول ١٩٧٩ ـ اقيم الاحتفال بتسليم دبابات «مركبا» للجيش الاسرائيلي.

العميد موشه باركوخبا (بريل)

التفكير فيما هو اكبر

في كانون اول ١٩٧٢، عندما تأهبت القيادة الجنوبية لاجراء مناورة على مستوى الفرقة، اقترح العميد موشه باركوخبا بريل على شعبة التدريب في الجيش الاسرائيلي، بان يتم بهذه المناسبة اجراء تمرين ميداني مشترك لقيادتي فرقتين،

من اجل بلورة انظمة ونظرية خاصة باستخدام قوات اكثر من فرقة واحدة.

وقد عاد واثار هذه الفكرة من على منابر مختلفة في الجيش الاسرائيلي. وقد جاءت حرب (يوم الغفران) واثبتت صحة هذه الفكرة، وامر رئيس الاركان الذي تسلم قيادة الجيش بعد هذه الحرب، الجنرال مردخاي غور، أمر باجراء تمارين مشتركة لقوات ما فوق الفرقة، وذلك من اجل منح الجيش الاسرائيلي القدرة على خوض الحرب عند الضرورة باطارات اكبر من الاطارات التي استخدمت في الماضي. وكان العميد باركوخبا احد الضباط الكبار الذين خططوا وادارو المناورات الاولى التي شملت قوات اكثر من فرقة واحدة في الجيش الاسرائيلي. وسنورد في هذا المقال اهم ادعاءات العميد باركوخبا التي استوجبت القيام بمثل هذه التمارين.

إن التاريخ العسكري يدل، على أن التشكيل والتنظيم الخاصين بمجموعات الجيش هما من عناصر النجاح في الحرب ويحتلان مكانة هامة فيها. وبما ان القوات البرية في الشرق الاوسط، هي في الاصل مدرعة وآلية، فانه من المرغوب فيه ان نتعلم من تطور الاطارات الحربية المدرعة التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية ـ تلك الحرب الكبيرة الاولى التي استخدمت فيها قوات هائلة من الدروع في معارك كبيرة وحاسمة.

ففي بداية الحرب كانت الفرقة المدرعة اكبر اطار حربي. وهذا الاطار اعد للمعارك المحدودة نسبيا. وبضغط من رجال الدروع تم تطوير الكوربوس اي الفيلق المدرع. وفي النهاية ترتب على الظروف تشكيل الجيش المدرع لتحقيق الحسم العسكري والاستراتيجي.

وقد لمسنا تطورا مشابها في الحروب التي وقعت بين اسرائيل وجاراتها. ففي حرب (الاستقلال) كانت الكتيبة الاطار العسكري الحربي المعروف. وفي حملة «قادش» عملت بشكل خاص الالوية. وفي حرب الايام الستة استخدمت الفرقة المدرعة كاطار حربي. وبعد هذه الحرب تبنى الجيش الاسرائيلي لنفسه اطارات الفرق المجحفلة كاطارات ثابتة.

وقد اصبحت الجيوش العربية هي ايضا، منذ عام ١٩٦٨ الفرقة المدرعة الى مجموعة اساسية في القوات البرية وقد قطع الجيش المصري في هذا المجال شوطا طويلا جدا قبل الجيوش العربية الاخرى.

فمنذ عام ١٩٦٩ طور اطار الجيش (الفيلق) كاطار قصد به تحقيق الحسم العسكري/ الاستراتيجي.

وكانت حرب (يوم الغفران) اكثر الحروب التي خاضتها القوات البرية الاسرائيلية صعوبة وتنوعا وقد تصدرت هذه الحرب المجموعات المجحفلة المدرعة.

وقد شملت هذه الحروب عمليات هجوم واختراق ومعارك تقدم في النهار والليل. وبالاضافة الى ذلك، وقعت في حرب (يوم الغفران) ولاول مرة، معارك مشاغلة، وصد، وهجمات معاكسة وعبور. وشملت المعركة معالجة مئات الدبابات المعادية، التي استخدمت من خلال حشود كبيرة وخاضت الحرب ضد مجموعات مجحفلة من المشاة التي كانت مزودة بالكثير من الاسلحة المتنوعة ضد الدبابات.

وفي هذه الحرب استخدم الطرفان «الفرقة» كمجموعة اساسية وبعد الحرب علم، ان جيشا عربيا واحدا على الاقل، وهو الجيش العراقي، ينوي استخدام قوات مهمة كبيرة في اطار كوربوس وهو اطار يشمل عدة فرق عسكرية.

وفي حرب (يوم الغفران) اكتشفت في الجيش الاسرائيلي مصاعب في التنسيق والتعاون بين الفرق المتجاورة التي طلب منها ان تعمل معا. وكانت جذور المشاكل مختلفة: ابتعاد مقر قيادة الجبهة عن خط الجبهة. ونقص المعلومات الدقيقة ومبنى اجهزة القيادة الذي لم يعمد بشكل مناسب في اختبار القتال الحديث، والسريع، والمتغير باستمرار وغير الواضح. وبسبب غياب التنسيق الوطيد بين فرق الجيش الاسرائيلي، تمكن السوريون من الانسحاب بشكل منظم والتهرب من التطويق والابادة. وفي الجنوب افلتت من متناول يد الجيش الاسرائيلي مكاسب هامة ولحقت به عدة نكسات خطيرة.

إن الاخطاء التي واجهها الجيش الاسرائيلي في حرب (يوم الغفران)، لم تنجم عن نقص في كفاءات القادة او القيادات، وانما نجمت عن اخطاء في التشكيل والتنظيم للقيادات واساليب القيادة. فشروط الحرب الحديثة تتطلب من عمداء القيادة أن يقودوا جبهة واسعة مليئة بالمشاكل ولا تتطلب منهم القيام بمهام قيادة ميدان لقوات تزيد عن الفرقة. فمن جهة اصبح واضحا اليوم، أن الفرقة الوحيدة لم تعد قادرة على تحقيق الحسم العسكري ـ الاسرائيلي. ولكن من جهة اخرى، فان قيادة الجبهة غير قادرة على أن تطبق بشكل مناسب السيطرة على عدة فرق

وعـلى التنسيق بينها عندما تكون مطالبة بمعالجة تشكيلة واسعة من المواضيع الجوية على المستويات الاعلى.

إن قيادة الجبهة مسؤولة عن ادارة الحرب الشاملة في جبهتها. فهذه قيادة ثابتة من الاصل. وهي قيادة كبيرة وعليها ان تتواجد في مكان خلفي، نسبيا، من اجل السيطرة على كافة القوات في الجبهة دون ان تتعرض للاصابة عن طريق غارات كوماندو او اختراقات مدرعة من قبل العدو. وعلى عميد القيادة ان يتواجد في قيادته، ليتخـذ القرارات الرئيسة بالنسبة للجبهة كلها. وعليه الاستعانة بقيادة اخرى، جديدة، تكون موجودة بين القيادة القطرية وبين الفرقة.

فالقـوة المدرعة، فوق الفرقة، المكونة من مئات الدبابات، وناقلات الجنود، والمدافع، والاف المحاربين، تستطيع ادارة حرب متواصلة لعدة ايام، والسيطرة على اهـداف معادية حيوية واستراتيجية في عمق المنطقة، بتوجيه من رئاسة الاركان العامة ومن القيادة القطرية. كما ان قوة كهذه تستطيع ادارة عمليات تقوم بتنفيذها فرق منسقة من ناحية الهدف، وتنفذ من قبل اكبر حشد للقوة المدفعية الجوية، ونقل الوية من مجموعة الى مجموعة وحشد عدة فرق للقيام بجهد مركز ومشترك في واجهة واحدة.

إن قوة «الفيلق» الحديثة، هي في الاصل قوة مدرعة وآلية ومتنقلة. وعليه فهي تستطيع أن تطبق مبدأ الحشد، الذي يعتبر هاما جدا بالنسبة لاسرائيل. فتطبيق هذا المبدأ يمكن قوة اصغر من أن تحقق تفوقا في وقت محدد وفي منطقة محددة وأن تحقق الحسم لصالحها.

كما أن قيادة فيلق مدربة وذات خبرة تستطيع في ساعات الطوارىء، ان تلعب دور القيادة القطرية. اذا ضربت الاخيرة او تم شل عملها مؤقتا لاي سبب كان. فقيادة الفيلق تكون مركبة من قيادة رئيسة، وقيادة خلفية ومجموعة قيادة امامية.

حتى الآن من السهل، نسبيا، تفسير وتبرير حيوية الاطار الفكري في العهد الحديث. ولكن من الصعب جدا اخراجه الى حيز التنفيذ. فعملية تطوير اطار حربي على مستوى الفيلق تستوجب ادخال تغييرات تنظيمية على جميع الاسلحة والقوات وتغييرات على نظرية الحرب بالنسبة للقيادة الكبيرة والقيادات الأخرى ابتداء من رئاسة الاركان وحتى قيادة الفرقة وكما ان الحاجة تدعو الى اجراء تجارب وتمارين

بناء على تصور شكل القتال في المستقبل، كما أن الحاجة تدعو الى كتابة نظرية للاستخدام الحربي للقوة الجديدة. لذلك فلا يجب الاسراع في استخلاص العبر من تطوير الاطار الجديد. فيجب التقدم بحذر ومن خلال إعادة النظر باستمرار.

وفي الختام: إن قوة القوات، ونوعيتها واسلحتها الحديثة التي ستستخدمها الجيوش العربية في المستقبل، سواء في الدفاع او في الهجوم، تجبر الجيش الاسرائيلي على استخدام الفرق العسكرية من خلال التنسيق والتركيز، من اجل تحقيق اهداف عسكرية واستراتيجية.

فحرب كهذه يمكن ادارتها في إطار فيلق. وقيادة القيادة لا تستطيع ان تلعب بنجاعة دور قيادة جبهة، ودور قيادة ميدان، فوق المجموعة وفي حرب تقع في المستقبل سيتوجب على قيادة الجبهة ان تدير عدة فيالق بشكل منسق. وستكون بحاجة الى اسلحة وسط بينها وبين الفرق. فالحرب في اطار الفيلق هي حرب معقدة وتستلزم بلورة نظرية وتدريب واسع. ان عملية كهذه باهظة التكاليف، ولكن لا يوجد استثمار اكثر جدوى من ذلك. لان الفشل على مستوى الفيلق من شأنه ان يكلف ثمنا دمويا غاليا. ولهذا يجب المباشرة في تطبيق هذه العملية وكلما عجلنا في ذلك كلما كان أفضل.

معجم دبابات

«حسب اولوية دخولها الخدمة في الجيش الاسرائيلي»

تنـدر :

الآليـة الرئيســة التي استخدمها اعضاء منظمة «الهاجناه» الذين ارتدوا الملابس العسكرية (شرطة المستوطنات العبرية). وفي عام ١٩٣٧ اقيمت وحدة نوافير تستخدم تندرات ـ كل تندر يحمل ما بين ٨ ـ ١٠ افراد وكانوا مزودين برشاشات لويس التي استبدلت فيما بعد. برشاشات «برن». وشكلت هذه الوحدات قوة ضاربة زاولت مهام الحماية.

سندويتش :

مثل هذه الحافلات والباصات رافقت القوافل الى القدس، والجليل، والنقب، واقامت الاتصال مع مستوطنات بعيدة. وكانت السندويتش، آلية صفحت بلوحي تصفيح دقيقين وبينهما لوح من الخشب السميك (وهكذا حمت ركابها من الاسلحة الخفيفة فقط).

كرومول :

دبابة بريطانية الصنع. وقد انتجت في نهاية الحرب العالمية الثانية، وقد تم شراء عدد من هذه الدبابات قبل ان يرحل الجيش البريطاني من فلسطين. وقد شاركت هذه الدبابات في عملية «داني» في الواجهة الوسطى، وفي عملية «يوآب» في النقب، وفي عملية «حوريب» في صحراء سيناء. وكانت الدبابة مسلحة بمدفع ٧٥ملم وكان طاقمها مكونا من ٤ أشخاص.

هوتشكيس :

دبابة خفيفة فرنسية الصنع. انتجت قبل الحرب العالمية الثانية. وشاركت هذه الدبابات في حرب (الاستقلال) وفي عمليات داني، ويوآب، بعد أن تم شراء عشر دبـابات كهذه من فرنسا عام ١٩٤٨. وكانت هذه الدبابة مسلحة بمدفع قصير السبطانة من عيار ٣٧ملم وطاقمها كان مكونا من رجلين.

لوكوست :

دبـابة امريكية خفيفة صنعت عام ١٩٤٢. وكانت مسلحة بمدفع ٣٧ملم وسرعتها ٦٤كم في الساعة ووزنها ٥ر٨ طن، وقد تم الاستيلاء على عدة دبابات من هذا النوع في عمليتي أساف «وحوريب».

رنو ٣٥ :

دبابة فرنسية خفيفة، خدمت في الجيش الفرنسي ابتداء من عام ١٩٣٥. وكانت تحمل مدفع ٣٧ ملم قصير السبطانة. وقد تم الاستيلاء على دبابة رنو ٣٥ بعد فشل الهجوم السوري على دجانيا، واستخدمت من حافلة في معركة مجيدو.

شيرمان م٣ :

دبابة امريكية متوسطة ، انتجت عام ١٩٤٢ وهي دبابة شيرمان م ٤ أ ١ وكانت تحمل مدفعا من عيار ٧٥ ملم من نوع م ٣. وكان طاقمها مكونا من ٥ أشخاص، وزنها ٣٢ طنا واقصى سرعة لها ٤٠كم في الساعة. وقد تم شراء هذه الدبابة عام ١٩٤٨ من فوائض الجيش الامريكي في ايطاليا والفلبين.

م ١٠ :

مدمـرة دبابات امريكية الصنع. انتجت عام ١٩٤٢ وطاقمها ٥ أشخاص ووزنها ٣٠ طنا واقصى سرعة لها ٤٦كم في الساعة وكانت مسلحة بمدفع من عيار ٢ر٧٦ملم. ولكن هذه الدبابة لم تستخدم مطلقا في الجيش الاسرائيلي.

شبه مجنزرة م٣:

ناقلة جنود مدرعة نصف مجنزرة من انتاج الولايات المتحدة. انتجت عام ١٩٤٢ ووزنها ٤ أطنان. واقصى سرعة لها ٧٢كم في الساعة. وقد لوئمت هذه الآلية لمهام مختلفة في الجيش الاسرائيلي وهي تحمل مدفع هاون ٨١ ملم او ١٢٠ملم وصواريخ مضادة للدبابات. ويحمل نوع منها مدفعا من عيار ٢٠ملم او حظيرة جنود (١٢ جنديا + قائد). وقد شاركت في جميع الحروب التي خاضها الجيش الاسرائيلي.

شيرمان م ١ :

دبابة امريكية متوسطة. انتجت عام ١٩٤٥. وطاقمها مؤلف من خمسة افراد. وهي دبابة سوبر شيرمان «م ٤ أ ١ إي ٨» ركب عليها مدفع من عيار ٢ر٧٦ ملم من نوع م١. وسرعتها القصوى ٤٠كم في الساعة وهي مسلحة برشاشين ٣و٠ انش.

وقـد تم شراء الدبـابة من فوائض الجيش الامريكي في عامي ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ واشتركت في معركة قادش وحرب الايام الستة.

شيرمان م/٥٠ :

دبابة امريكية متوسطة. وهي شيرمان م٤ وقد ركب عليها مدفع من عيار ٧٥ملم من عيـار م٥٠ فرنسي الصنع (مدفع امكس) ومن هنا اطلق عليها اسم شيرمان م٥٠. طاقمها مكون من خمسة افراد ووزنها ٣٤ طنا وسرعتها القصوى ٤٠كم في الساعة. واشتركت هذه الدبابة في معركة قادش وحرب الايام الستة وحرب (يوم الغفران).

امكس ١٣ :

دبابة فرنسية خفيفة. انتجت عام ١٩٥١. وطاقمها مكون من ٣ أشخاص ووزنها ١٤٫٥ طن وسرعتها القصوى ٦٠كم في الساعة. ومسلحة بمدفع ٧٥ملم من نوع م٥٠ وقد تم شراؤها من فرنسا قبل معركة قادش بوقت قصير واشتركت بها وكذلك اشتركت في حرب الايام الستة.

سنتوريون :

دبـابـة بريـطانية متوسطة. انتجت عام ١٩٥٥. طاقمها مكون من اربعة اشخاص ووزنها يقدر بـ ٥٠٫٨ طن. واما سرعتها القصوى فهي ٣٥كم في الساعة. وهي مسلحـة بمدفع من عيار ١٠٥ملم. وتم شراء دبابة سنتوريون من بريطانيا واشتركت في المعركة على المياه في اواسط الستينات كما اشتركت في حرب الايام الستة، وفي حرب (يوم الغفران).

شيرمان م / ٥١ :

دبابة امريكية الصنع طورها الجيش الاسرائيلي. فقد تم استبدال محركها من محـرك كونتننتـال الى محـرك كمينكس. وهو محرك ديزل ذو قوة كبيرة. وتم استبـدال مدفعها بمدفع فرنسي حديث من نوع ١٠٥/م٥١ ملم وشاركت دبابة شيرمان من هذا النوع في حرب الايام الستة وفي حرب (يوم الغفران).

شريونيت أ م ل :

مدرعة فرنسية متوسطة . انتجت عام ١٩٦٤. وطاقمها ٣ أشخاص ووزنها وهي مستعدة للقتال ٥٫٥ طن. وسرعتها القصوى ٩٢كم في الساعة. وهي مسلحة

بمدفع من عيار ٩٠ملم. وقد تم شراؤها عام ١٩٦٦ واشتركت في حرب الايام الستة (في جبهة القيادة الوسطى).

باتون م/٤٨ :

دبابة امريكية متوسطة. انتجت عام ١٩٥٢. طاقمها: ٤ أشخاص ووزنها: ٤٧ر٦ طن وسرعتها ٤٨كم في الساعة وتسليحها: مدفع من عيار ٩٠ملم. اشتركت في حرب الايام الستة وفي حرب (يوم الغفران). وقد استبدل مدفعها بمدفع من عيار ١٠٥ملم.

م ١١٣ :

ناقلة جنود مدرعة ومجنزرة من انتاج الولايات المتحدة. انتجت عام ١٩٦٠ وطاقمها ١٢ جنديا + قائد ووزنها حوالي ١٠ر٤ طن ومدى عملها ٥٥٠كم وسرعتها ٦٤كم في الساعة.

م ٦٠ :

دبابة امريكية متوسطة. انتجت عام ١٩٦٢، وطاقمها ٤ أشخاص ووزنها ٤٨ر١ طن تقريبا وسرعتها، ٤٨كم في الساعة وتسليحها: مدفع ١٠٥ملم. تم شراؤها في السنوات الاخيرة الماضية من الولايات المتحدة واعدت لتقرير قوات الدروع في الجيش الاسرائيلي اشتركت في حرب (يوم الغفران).

مركبـا :

وزنها ٥٦ طنا، وسرعتها في الميدان ٤٨كم في الساعة. وهي ذات محرك امامي قوته ٩٠٠ حصان. مدى عملها: حوالي ٥٠٠كم ومسلحة بمدفع ١٠٥ملم وتستطيع حمـل جنود مشاة واطلاق النار اثناء الحركة. وهي تعمل بواسطة جهاز لقياس المســافات يعمل بواسطة اشعة ليزر. ومزودة بوسائل للرؤيا الليلية. (انتجت في اسرائيل في السبعينات).

معجم مصطلحات

بطن دبابة :

القسم الاسفل من الدبابة. وهو مكان يكون تصفيحه عادة خفيفا.

جـنزير :

هو الجنزير الذي تسير عليه مجنزرة او شبه مجنزرة.

آليـــة :

آليـة تسير على جنزير او على عجلات.

شبه مجنزرة :

آلية تسير في القسم الامامي على عجلات (بكرات) وفي القسم الخلف على جنزير. وهي تستخدم لنقل جنود وحمل اسلحة مع طاقمها او لحمل معدات حربية.

لواء آلي :

لواء معظم كتائبه هي كتائب مشاة مدرعة.

لواء مدرع :

لواء معظم كتائبه كتائب دبابات

لواء دبابات :

لواء جميع الآليات في كتائبه دبابات.

سلاح المشاة المدرع:

سلاح درب وسلح لخوض حرب مشاة في اطار مجموعات ووحدات مدرعة ويشكل جزءا لا يتجزأ منها. وهو معد للعمل راجلا وراكبا ومن مهامه احتلال اهداف وحماية الآليات المقاتلة المدرعة من مشاة العدو.

دبابة جرافة :

دبابة هندسة تركب في مقدمتها شفرة جرافة لفتح طرق وتنفيذ اعمال ترابية وتدمير تحت الرماية.

دبابة هندسية :

دبابة بنيت من البداية لتنفيذ اعمال هندسة قتالية.

دبابة انقاذ :

دبابة مزودة بمعدات رفع خاصة لانقاذ آليات مقاتلة لا تستطيع انقاذ نفسها بنفسها. وبشكل عام تفتقر هذه الدبابة الى المدفع.

قبة القائد :

برج صغير بارز فوق الآلية المقاتلة يقف القائد فيه. وفيه اجهزة مراقبة وتسديد وغالبا ما يوجد فيه رشاش لاستخدام القائد.

عائق ضد الدبابات:

عائق يمنع او يشوش حركة الآلية المقاتلة في الميدان. ويمكن لهذا العائق ان يكون طبيعيا مثل: قناة او منحدر سحيق او مستنقع او اصطناعي مثل: حقل الغام وحفرة، وكثيب رملي.

ناقلة جنود مدرعة :

آلية لنقل الجنود مصفحة وهدفها حماية ركابها من نيران الاسلحة الخفيفة ومن الشظايا.

مضاد للدبابات :

وسيلة حربية او عمليات الهدف منها اصابة الآلية المدرعة مباشرة: مثل المدفعية المضادة للدبابات وقاذف صواريخ ضد الدبابات وعائق ضد الدبابات، ومدفع مضاد للدبابات وذخيرة مضادة للدبابات.

■ الكتب الصادرة عن دار الجليل ■

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١ ـ	عمود النار، الاسطورة التي قامت عليها اسرائيل		غازي السعدي
٢ ـ	الاستيطان، التطبيق العملي للصهيونية	عبدالرحمن ابو عرفه طبعة جديدة (مزيدة ومنقحة)	
٣ ـ	حرب الجليل، الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية، تموز ١٩٨١	بدر عبدالحق وغازي السعدي	
٤ ـ	الكتاب السنوي ١٩٨١، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي، نواف الزرو، غسان كمال	
٥ ـ	الكتاب السنوي ١٩٨٢، توثيق لأبرز المعلومات والأحداث في فلسطين المحتلة	هيئة الرصد والتحرير غازي السعدي، نواف الزرو، غسان كمال	
٦ ـ	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (١) شهادات ميدانية لضباط وجنود العدو	بدر عبدالحق وغازي السعدي	
٧ ـ	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٢)	مايكل جانسن	محمود برهوم
٨ ـ	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٣) وثيقة جرم وإدانـة	غازي السعدي	
٩ ـ	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٤) أهداف ... لم تتحقّق	غازي السعدي	
١٠ ـ	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٥) معتقل أنصار ـ وصراع الارادات	سليم الجنيدي	
١١ ـ	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٦) الحـرب المضـللة	زئيف شيف وايهود يعاري	غازي السعدي
١٢ ـ	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٧) فظائع الحرب اللبنانية		زكي درويش
١٣ ـ	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبنان (٨) لبـنان هزيمة المنتصرين وانتصار القضية	اللجنة ضد الحرب في لبنان	
١٤ ـ	الحرب الفلسطينية ـ الاسرائيلية في لبـنان (٩) الأسرى اليهود وصفقات المبادلة	غازي السعدي	
١٥ ـ	رسائل من قلب الحصار من أبو عمار الى الجميع		

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١٦ ـ	يوميات من سجون الاحتلال/زنزانة رقم (٧)	فاضل يونس	
١٧ ـ	المثلث الايراني: العلاقات السرية الاسرائيلية ـ الأمريكية الايرانية في عهد الشـاه	الصحفي شموئيل سيجف	غازي السعدي
١٨ ـ	هل يوجد حل للقضية الفلسطينية؟ مواقف اسرائيلية	الوف هرابين	غازي السعدي
١٩ ـ	عملية الدبويا كما يرويها منفذوها	المحامي درويش ناصر	
٢٠ ـ	مراكز القوى في اسرائيل ١٩٦٣ ـ ١٩٨٣ ونموذج صنع القرار السياسي في اسرائيل	دكتور نظام بركات	
٢١ ـ	مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية ١٩٤٧ـ١٩٨٥	منير الهور وطارق الموسى	
٢٢ ـ	غوش ايمونيم/الوجه الحقيقي للصهيونية	داني روبنشتاين	غازي السعدي
٢٣ ـ	عش العصفور/قصة للاطفال	منير الهور	
٢٤ ـ	رؤى مستقبلية عربية في الثمانينات.	د. أحمد صدقي الدجاني	
٢٥ ـ	ايام دامية في المسجد الاقصى المبارك	الدكتور أحمد العلمي	
٢٦ ـ	حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير المصير	يوسف قراعين	
٢٧ ـ	الأحـد الأسـود تصوّر امريكي صهيوني للعمل الفدائي الفلسطيني		حسن اسماعيل مشعل
٢٨ ـ	خارطة فلسطين/ وهي خارطة تمثّل سهول وهضاب وجبال ووديان ومدن وقرى فلسطين (ملوّنة)		
٢٩ ـ	بروتوكولات حكماء صهيون/ المجلد الاول	عجاج نويهض	
٣٠ ـ	بروتوكولات حكماء صهيون/ المجلد الثاني	عجاج نويهض	
٣١ ـ	الاردن وفلسطين/ وجهة نظر عربية	د. سعيد التل	
٣٢ ـ	الاقتصاد الاسرائيلي بين دوافع الحرب والسلام	الدكتور فؤاد حمدي بسيسو	
٣٣ ـ	الاستعمار وفلسطين	رفيق شاكر النتشه	
٣٤ ـ	الحرب من اجل السلام	عيزر وايزمن	غازي السعدي
٣٥ ـ	الموســاد، جهاز المخابرات الاسرائيلي السري	دنيس اينبرغ، ايلي لاندو، اوري دان	
٣٦ ـ	التوازن العسكري في الشرق الاوسط	مركز الدراسات الاستراتيجية بجامعة تل أبيب	نبيه الجزائري
٣٧ ـ	بطاقات فنية (لوحات فنية تعبر عن الانتماء الفلسطيني)	د. كامل قعبر	
٣٨ ـ	بطاقات فنية (مجموعة) بطاقات على شكل دفتر الشيكات	د. كامل قعبر	

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
٣٩ ـ	الكتاب الأسود عن يوم الارض ٣٠ آذار ١٩٧٦		
٤٠ ـ	في سربية الصحراء	سميح القاسم	
٤١ ـ	الخيار النووي الاسرائيلي	شاي فيلدمان	غازي السعدي
٤٢ ـ	انتهاك حقوق الانسان في الاراضي المحتلة شهادات مشفوعة بالقسم		سليم راغب ابو غوش
٤٣ ـ	نقاط فوق الحروف مناقشة لردود الفعل تجاه مبادرتي الأمير فهد وبريجنيف	خالد الحسن	
٤٤ ـ	قراءة سياسية في مبادرة ريغان	خالد الحسن	
٤٥ ـ	فلسطينيات	خالد الحسن	
٤٦	الاتفاق الاردني الفلسطيني للتحرك المشترك	خالد الحسن	
٤٧ ـ	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (١) جرائم الارغون وليحي ١٩٣٧ ـ ١٩٤٨	يعقوب الياب	غازي السعدي
٤٨ ـ	من ملفات الارهاب الصهيوني في اسرائيل (٢) مجازر وممارسات ١٩٣٦ ـ ١٩٨٣		غازي السعدي
٤٩ ـ	من ملفات الارهاب الصهيوني في فلسطين (٣) دور الهاغاناه في انشاء اسرائيل	د. حمدان بدر	
٥٠ ـ	ملصق يوم الارض	سليمان منصور	
٥١ ـ	ملصق جمل المحامل	سليمان منصور	
٥٢ ـ	ملصق قبة الصخرة/ صورة تبرز معالمنا التاريخية والدينية في القدس		
٥٣ ـ	فلسطين تأريخا ونضالا	نجيب الأحمد	
٥٤ ـ	فلسطينيات في سجن النساء الاسرائيلي طيور نفي ترتسا	المحامي وليد الفاهوم	
٥٥ ـ	المؤسسة العسكرية الصهيونية في دائرة الضوء اسرائيل عسكر وسلاح (١)	بشير البرغوثي	
٥٦ ـ	اتفاقيات السلم المصرية ـ الاسرائيلية في نظر القانون الدولي	محمد الرفاعي	
٥٧ ـ	الجذور/ وثيقة الأوقاف الاسلامية	فتحي فوراني	
٥٨ ـ	فلسطين..الأرض والوطن(١) قرية الدوايمة	موسى عبدالسلام هديب	
٥٩ ـ	خط الدفاع في الضفة الغربية وجهة نظر اسرائيلية	اريه شليف	غازي السعدي

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
٦٠ ـ	تشريقة بني مازن	د. عبداللطيف عقل	
٦١ ـ	القمع والتنكيل في سجن الفارعة	لجنة الحقوقيين الدولية القانون من اجل الانسان	
٦٢ ـ	صورة العربي في الادب اليهودي (١)	الدكتورة ريزا دومب	عارف عطاري
٦٣ ـ	الشخصية العربية(٢) في الأدب العبري الحديث ١٩٤٨ ـ ١٩٨٥	غانم مزعل	
٦٤ ـ	فلسطين أرض وتاريخ	د. محمد النحال	
٦٥ ـ	القدس ماضيها، حاضرها، مستقبلها	فايز فهد جابر	
٦٦ ـ	القضية الفلسطينية في القانون الدولي.. والوضع الراهن	د. جابر الراوي	
٦٧ ـ	شوكة في عيونــكم	مئير كهانا	غازي السعدي
٦٨	حرب الاستنزاف	د. محمد حمزة	
٦٩ ـ	القـــرار/ الفان واثنا عشر يوما في سجون الاحتلال	رشاد أحمد الصغيّر	
٧٠ ـ	المطامع الاسرائيلية في مياه فلسطين والدول العربية المجاورة	بشير شريف البرغوثي	
٧١ ـ	ازمة الاستخبارات الاسرائيلية	تسفي لنير	قسم الدراسات
٧٢ ـ	اسرائيل عام ٢٠٠٠ (تصورات اسرائيلية)		
٧٣ ـ	دعوى نزع الملكية الإستيطان اليهودي والعربي في الفترة ١٩٤٨ / ١٩٧٨		بشير البرغوثي
٧٤ ـ	ندوة مشاكل التعليم الجامعي في الوطن المحتل والروح الجامعية		
٧٥ ـ	سميح القاسم/ ـ قصائد ـ شخص غير مرغوب فيه		
٧٦ ـ	القضية الفلسطينية	اكرم زعيتر	
٧٧ ـ	فلسطين الأم وابنها البار/عبدالقادر الحسيني	عيسى خليل محسن	
٧٨ ـ	عرب التركمان/ ابناء مرج ابن عامر	علياء الخطيب	
٧٩ ـ	المرأة الفلسطينية والاحتلال الاسرائيلي	ميسون العطاونة الوحيدي	
٨٠ ـ	نادية برادلي/ الفدائية المغربية الشقراء		غسان كمال
٨١ ـ	الاعلام الاسرائيلي	غازي السعدي ومنير الهور	
٨٢ ـ	تقرير الارض المحتلة المقدم الى الدورة (١٨) للمجلس الوطني الفلسطيني	قسم الدراسات والابحاث	

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
٨٣ ـ	الوجه الحقيقي للموساد	د. وجيه الحاج سالم وأنور خلف	
٨٤ ـ	العمق الاستراتيجي في الحروب الحديثة		بدر عقيلي
٨٥ ـ	شخصيات صهيونية (١)	مذكرات الجنرال رفائيل ايتان	غازي السعدي
٨٦ ـ	شخصيات صهيونية(٢) وتهجير يهود العراق	شلومو هيلل	غازي السعدي
٨٧ ـ	شخصيات صهيونية(٣) ثيودور هيرتسل عراب الحركة الصهيونية	قسم الدراسات	
٨٨ ـ	شخصيات صهيونية(٤) شارون بلدوزر الارهاب الصهيوني		غازي السعدي
٨٩ ـ	شخصيات صهيونية(٥) آباء الحركة الصهيونية		عبدالكريم النقيب
٩٠ ـ	شخصيات صهيونية(٦) موشيه ديان .. أنا وكامب ديفيد		غازي السعدي
٩١ ـ	شخصيات صهيونية(٧) بن غوريون والعرب		غازي السعدي
٩٢ ـ	شخصيات صهيونية (٨) رسائل بن غوريون		الأميرة دينا عبدالحميد
٩٣ ـ	شخصيات صهيونية (٩) حياتي .. غولدا مائير		دار الجليل
٩٤ ـ	شخصيات صهيونية (١٠) حركة التصحيح الصهيونية من عهد جابوتنسكي إلى عهد شامير	ليني برينر	دار الجليل
٩٥ ـ	من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩ ـ ١٩٤٨ الكتاب الأول	زياد عودة	
٩٦ ـ	من رواد النضال الفلسطيني ١٩٢٩ ـ ١٩٤٨ الكتاب الثاني	زياد عودة	
٩٧ ـ	الحركة العمالية العربية في فلسطين	سليم الجنيدي	
٩٨ ـ	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (١) سلاح الجو الاسرائيلي	زئيف شيف	دار الجليل
٩٩ ـ	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٢) سلاح الاستخبارات الاسرائيلي	عوديد غرانوت	دار الجليل
١٠٠ ـ	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٣) سلاح الهندسة	عمي شامير	دار الجليل

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١٠١ـ	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٤) سلاح المشـــاة	نتان روعي	دار الجليل
١٠٢ـ	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية (٥) سلاح المظليين	ايلان كفير	دار الجليل
١٠٣ـ	دراسات في تعليم الكبار	د. عدنان أبو عمشة	
١٠٤ـ	وجه قبيح في المرآة	البروفيسور ادير كوهن	غازي السعدي
١٠٥ـ	تاريخ ما أهمله التاريخ	عبدالهادي جرار	
١٠٦ـ	الاعلام الفلسطيني	د. حسين أبو شنب	
١٠٧ـ	النزاع العربي ـ الاسرائيلي بين فكي كماشة الدول العظمى	موشه زاك	دار الجليل
١٠٨ـ	تحت السياط	فاضل يونس	
١٠٩ـ	"الغضـــب"	أكرم النجار	
١١٠ـ	جلسات في رغدان	د. يوسف هيكل	
١١١ـ	منجل في النجمة السداسية (التجسس السوفياتي في اسرائيل)	ايسر هرائيل	بدر عقيلي
١١٢ـ	اشكالية الديمقراطية والبديل الاسلامي في الوطن العربي	خالد الحسن	
١١٣ـ	تعليم الفلسطينيين ماضيا وحاضرا ومستقبلا	د. عبدالقادر يوسف	
١١٤ـ	صرخة في وجه العالم (البوم الانتفاضة)	دار الجليل	
١١٥ـ	الاستخبارات والامن القومي	المقدم احتياط تسفي عوفر والرائد آفي كوبر	دار الجليل
١١٦ـ	الاحزاب والحكم في اسرائيل	غازي السعدي	
١١٧ـ	ربيع الحياة	د. يوسف هيكل	
١١٨ـ	قبس من تراث المدينةوالقريةالفلسطينية	صباح السيد عزازي	
١١٩ـ	اشتعالات حمدان/مجموعة قصصية	أكرم النجار	
١٢٠ـ	الحافلة رقم ٣٠٠ و(فضيحة الشين بيت)		أحمد بركات
١٢١ـ	آه يا بلدي!/روايــة	أكرم النجار	
١٢٢ـ	معجم المصطلحات الصهيونية	افرايم ومناحم تلمي	احمد بركات العجرمي
١٢٣ـ	من القمع الى السلطة الثورية	قدري ابو بكر	
١٢٤ـ	أيـــام الصـــبـا صورة من الحياة وصفحات من التاريخ	د. يوسف هيكل	

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١٢٥ـ	معجم الأمثال الشعبية الفلسطينية	فؤاد ابراهيم عباس	
١٢٦ـ	صناعة قرارات الأمن الوطني في اسرائيل	عمر شاهين	بدر عقيلي
١٢٧ـ	قمع شعب		بشير شريف البرغوثي
	شهادات ميدانية مشفوعة بالقسم		
١٢٨ـ	جليلة..وهج في جذور الانتفاضة/رواية	أكرم النجار	
١٢٩ـ	أسلحة وإرهاب		دار الجليل
	وجهات نظر اسرائيلية في ثلاثة أبحاث		
١٣٠ـ	حدود (أرض اسرائيل)	موشيه برافر	بدر عقيلي
١٣١ـ	هذه قضيتك يا ولدي	سليم عبدالعال القزق	
١٣٢ـ	حرب سيناء ١٩٥٦/تصورات اسرائيلية		بدر عقيلي
١٣٣ـ	المثلث الايراني/الكتاب الثاني/	شموئيل سيجف	دار الجليل
	دراما العلاقات الايرانية/الاسرائيلية/الامريكية		
١٣٤ـ	الفاشية الاسرائيلية	المحامي درويش ناصر	
١٣٥ـ	النظرية العسكرية الاسرائيلية/دفاع وهجوم/	اريئيل لفيتا	دار الجليل
١٣٦ـ	الأمن القومي العربي	العميد/محمد يوسف العملة	
	ونظرية تطبيقه في مواجهة الامن الاسرائيلي		
١٣٧ـ	سياسة إسرائيل الأمنية	المحرر زئيف كلاين	بدر عقيلي
١٣٨ـ	دقيقتان فوق تل ابيب	محمد أزوقة	
١٣٩ـ	الهجرة اليهودية حقائق وأرقام	د. عمران أبو صبيح	
١٤٠ـ	إنتفاضة	زئيف شيف وايهود يعاري	دار الجليل
١٤١ـ	جواسيس المخابرات الاسرائيلية	يوسي ميلمان ودان رافيف	دار الجليل
	تاريخ ... وجغرافيا		
١٤٢	"دولة" اسرائيل ـ زائلة	يعقوب شريت	دار الجليل
١٤٣	الجماعة الأوروبية والقضية الفلسطينية	محمد خالد الأزعر	
١٤٤ـ	بقايا من خبز وكتاب	أكرم النجار	
١٤٥ـ	اسرائيل في حرب الخليج	غازي السعدي	
١٤٦ـ	المثلث المحتوم	أحمد عزالدين بركات	
	الولايات المتحدة ـ اسرائيل والفلسطينيون		
١٤٧ـ	الاستيطان الاسرائيلي جغرافياً وسياسياً	البروفيسور اليشع إيفرات	دار الجليل
١٤٨ـ	حرب السكاكين في نظر الاسرائيليين	زياد أبو صالح ورشاد المدني	
١٤٩ـ	انتفاضة العصافير	نجوى قعوار فرح	
١٥٠ـ	موسوعة عشائر وعائلات فلسطين (١)	فائز أحمد أبو فردة	
	القدس مدنها وقراها		

الرقم المتسلسل	اسم الكتاب	المؤلف	المترجم
١٥١ـ	انهيار نظرية الأمن الاسرائيلية	عمنوئيل فالد	أحمد بركات العجرمي
١٥٢ـ	الموسوعة العسكرية الاسرائيلية(٦) سلاح الدروع	حشافيا أربيه	دار الجليل

طبع في شركة الشرق الأوسط للطباعة ـ تلفون ٨٩٤٩٤٠ ـ ٨٩٤٩٤١ ـ ص.ب ١٥٢٨٦ ـ عمان / الأردن ـ ماركا الشمالية



الموسوعة العسكرية

هذا الكتاب

سادس كتاب ، في سلسلة «الموسوعة العسكرية الاسرائيلية»، التي تغطي مختلف الاسلحة التي يتشكل منها الجيش الاسرائيلي.

ويتناول تحديداً ، «سلاح الدروع»، وهو السلاح الأهم، الذي يوليه قادة العسكر، جل اهتمامهم وعنايتهم، ذلك أنه أداة الحسم أولاً وآخراً، على الرغم من تكنولوجيا السلاح، التي أصابت سهامها كل أنواع الأسلحة.

وإذا كانت الأمانة العلمية، تفرض علينا ، عدم الاستهانة بسلاح الدروع الاسرائيلي، بيد أننا نرى في مغالاة التركيز على النوع الانساني اليهودي، محاولة واضحة لحقن الجندي الاسرائيلي بمصل الشجاعة، التي يفتقر اليها أساساً، ولعل تكنولوجيا تصفيح المدرعات الاسرائيلية تؤكد ذلك، فالجيش الاسرائيلي مصمم لأن يكون مؤللاً، ليس حماية للجنود ، كما قد يظن، بل تخفيفاً لعقدة الخوف، التي تستحوذ على قلوب الاسرائيليين جميعا، والجيش يشكل غالبيتهم.

وإذ يفخر سلاح المدرعات الاسرائيلي، بانجازاته التي لا تخلو من المبالغة، فإن شواهد تاريخ الحروب العربية - الاسرائيلية، زاخرة هي الأخرى بنماذج من القدرات العربية، في هذا الميدان، وعلى الرغم من عدم التكافؤ في المعدات، فالجندي العربي، أظهر ضروباً من براعة القتال، عجزت عن مجاراتها أكثر الدروع تطوراً، لدى الجيش الاسرائيلي، ولعل القائد الاسرائيلي، الذي أدى التحية، لجندي أردني أعطبت دبابته في منطقة نابلس، بالضفة الغربية، خير دليل على أن الارادة، هي التي تصنع الانتصارات، فقد اعطب هذا الجندي العربي، بدبابته المتواضعة، بضع دبابات اسرائيلية، قبل أن يسقط شهيداً.

ارييه حشافيا ، الذي أعد الكتاب (سلاح الدروع)، وضع نصب عينيه هدفاً محدداً، وكانت وسيلته لبلوغه، تسليط الاضواء على بطولات هذا السلاح، التي لم يعاصرها معظم الجنود الذين ينتسبون الى سلاح المدرعات الاسرائيلي اليوم، لرفدهم بالحماس والشجاعة.

أحمد بركات العجرمي من أسرة دار الجليل مترجم الكتاب، والعسكري المخضرم، الذي جمع بين العلوم العسكرية وعلم الترجمة العبرية، وجد نفسه أمام حقائق لا تتفق مع ابجديات مصطلحاته، وما تختزنه ذاكرته، ومع أنه لاذ بمبدأ أمانة الترجمة، إلا أنه أضاف لمسة في كلمة هنا، ولمسات في جملة هناك، جعلت من الكتاب مرجعاً عسكرياً صالحاً لكل مكان وزمان.



اصدار
دار الجليل للنشر
والدراسات والأبحاث الفلسطينية

عمان - ص.ب ٨٩٧٢ تلفون ٦٦٧٦٢٧ - ٦٧٥٦٢٧
تلكس ٢٣٠٣١ - فاكسميلي ٦٨٣٦٦٨